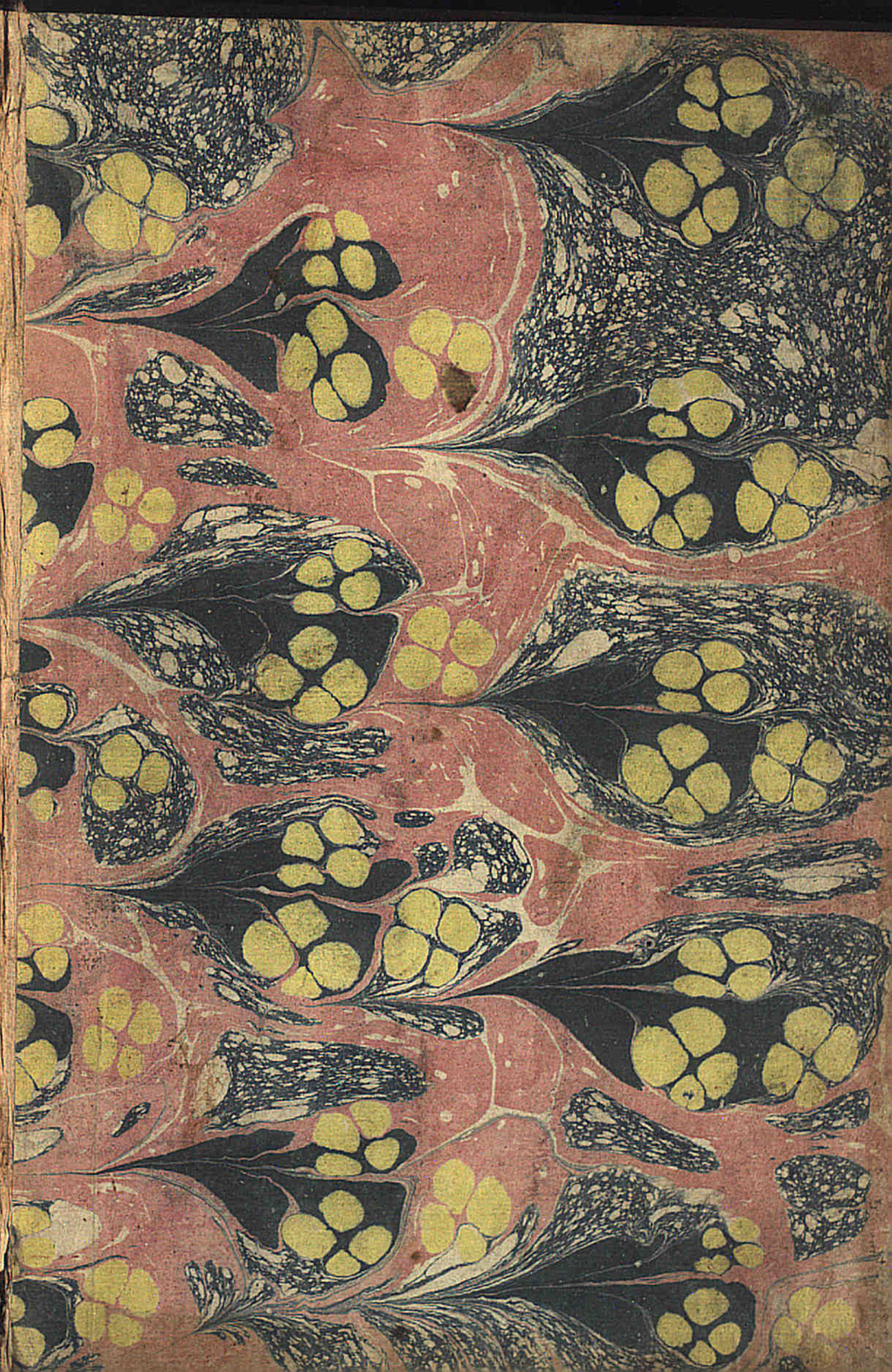
كتاب مواهب اللدنية مصحح بقلم علي القاري

نسخه ٣٢



فائدة يكتب للحمى ثلاث فصوص
من الثوم يكتب في الاول ربنا اكشف
وفي الثاني عنا العذاب وفي
الثالث انا مؤمنون ويخرج
بالفص الاول اليوم الاول
وفي الثاني بالثاني

اذا اعطشتك اكف الكرام
كفتك القناعة شبعا وريا
وكن رجلا رجله في الثرى
وهمة هامته في الثريا
ابيا لنائل ذي ثروة
تراه بما في يديه ابيا
فان اراقة ماء الحياة
دون اراقة ماء المحيا

القبايل السبع الاكثر التي كان الغزو على ايديهم

قريش عمم ضبة وكنانة وباقيهم قيس هذيل بنو اسد

ان شئت تدعا فقيه قوم فطول الكم ثم
واغضب مع الناس جدا لا بالمجادع للامة لم
الاصباح وتفنن نعم وقول لا لا ولا مسلم
وان اتا الوقف يأكلوه وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بالبياض تزهوا وقلبهم بالحرام مظلم
وان تراني الورى فقيها فصح وقل بلاء نعم

تاريخ حجي الامير الفقير مكي
باستلام مخلصة بنت المدرس
في ثاني جمادى الاولى
١٠٤٥

فائدة يكتب للبق في يوم عرفة وهذا ما يكتب
موسى نطق محمد جاء بالحق ارحل يا بق يكتب في ثلاث
ورقات وصفة وضع الورقات تعلق واحدة في ميمنة
المحل والثانية قبالها والثالثة صدر المحل والله اعلم
عن محمد بن حامد المدني الطواف

ترجمة مؤلف الكتاب

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي ذكره السخاوي
في ضوئه وأن مولده ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها وحفظ القرآن وتلا للسبع
وحفظ الشاطبيتين والجزرية والوردية وغير ذلك وذكر له عدة مشايخ منهم الشيخ خالد الأزهري النحوي والفخر المقسي
والشهاب العبادي والبرهان العجلوني والجلال البكري وغيرهم وأنه قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على الشاوي وأنه تلمذ له أيضا
وقرأ عليه بعضه وكذا أنه أخذ عن السخاوي وأنه حج غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين وسنة أربع وتسعين وأنه أخذ بمكة عن جماعة
منهم النجم بن فهد وأنه ولي مشيخة مقام سيدي الشيخ أحمد بن أبي العباس الحرار بالقرافة الصغرى وأنه عمل تأليفا في مناقب
الشيخ المذكور سماه نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرار وأنه كان يعظ بالجامع العمري وغيره ويجتمع عنده الجم
الغفير وأنه لم يكن له نظير في الوعظ وأنه كتب بخطه شيئا كثيرا لنفسه ولغيره وأقرأ الطلبة وأنه تعاطى الشهادة ثم
انجمع وأقبل على التأليف وذكر من تصانيفه العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية وفي علم التوحيد والكنز في وقف
حمزة وهشام على الهمز وشرحا على الشاطبية زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره وشرحا
على البردة سماه الأنوار المضية في مدح خير البرية وكتاب نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس والروض الزاهر
في مناقب الشيخ عبد القادر وتحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري ورسائل في العمل بالربع انتهى ما ذكره السخاوي ملخصا

قلت وارتفع شأنه بعد ذلك وأعطي السعد في قلمه وكلمه وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان
في حياته ومن أجلها شرحه على صحيح البخاري مزجا في عشر أسفار كبار لعله أحسن شروحه وأجمعها وألخصها ومنها
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية وهو كتاب جليل المقدار عظيم الوقع كثير النفع ليس له نظير في بابه ويحكى أن الحافظ
الجلال السيوطي كان يغض منه ويزعم أنه يأخذ من كتبه ويستمد منها ولا ينسب النقل إليها وأنه ادعى عليه بذلك بين يدي
شيخ الإسلام زكريا فألزمه ببيان مدعاه فعدد عليه مواضع وقال إنه نقل فيها عن البيهقي وقال إن للبيهقي عدة
مؤلفات فليذكر لنا أنه ذكر في أي مؤلفاته لنعلم أنه نقل عن البيهقي ولكنه رأى في مؤلفاتي ذلك النقل عن البيهقي فنقله
برمته وكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عن البيهقي وسكت الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أن الشيخ رحمه الله
قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي فمشى من القاهرة إلى الروضة وكان الجلال السيوطي معتزلا عن الناس
فوصل صاحب الترجمة إلى باب السيوطي ودق الباب فقال له من أنت فقال أنا القسطلاني جئت إليك حافيا مكشوف
الرأس ليطيب خاطرك علي فقال له قد طاب خاطري عليك ولم يفتح له الباب ولم يقابله وبالجملة فإنه كان إماما
متقنا جليل القدر حسن التقرير والتحرير لطيف الإشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب
والترصيف كان زينة أهل عصره ونقاوة ذوي دهره ولا يقدح فيه تحامل معاصريه عليه فلا زالت الأكابر
على هذا في كل عصر وكانت وفاته بالقاهرة في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وصلي
عليه بعد صلاة الجمعة بجامع الأزهر ودفن بالمدرسة العينية جوار منزله رحمه الله تعالى ونفع ببركاته آمين
كذا وجدته بخط مفتي المسلمين بمكة المشرفة الشيخ قطب الدين الحنفي متع الله المسلمين بطول بقائه آمين

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بخصائص المعراج والاسرا وتعميمه

بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالكمال والمشاهدة والآيات الكبرى

المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له

بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته

ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا منه ومنه

ان آدم توسل به ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه

صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته

والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلوة والتسليم عليه

زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض

والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات وفيه ثلاثة فصول المقصد التاسع في لطيفة

من حقايق عباداته ويشتمل على سبعة انواع الطهارة الصلوة الزكوة الصوم الاعتكاف الحج

المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه لمزايا التكريم والدرجات العليات

وتشريفه بخصائص في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة

بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص

الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود

وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين والآخرين وترقيه في جنة عدن ارقا

مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى فزيادة وفيه ثلاثة فصول

ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك أن ترضى وفينا معذب

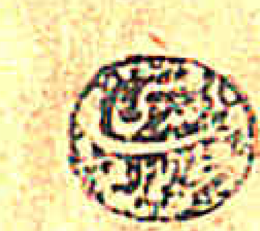
الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان
وخمسين ومائة
وألف



من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣



هذه النسخة المباركة من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات الحسان سحب ذيل الجود والإحسان جامع محاسن العلم والعمل
منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية
حائز مجامع البر الأكمل ألا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وقفه للخير المزيد
والبر الكثير من هو على كل شيء قدير حرره الفقير إليه عز
محمد أمين المفتش بأوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه



بسم الله الرحمن الرحيم . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .

الحمد لله الذي أطلع في سماء الأزل شموس أنوار معارف النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار الرسالة بمطالع تجلي الصفات الأحمدية، أحمده على أن وضع أساس نبوته على سوابق أزليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفرد المنفرد في عز ذاتيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله أشرف نوع الإنسان، وإنسان عيون الأعيان، المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان، الممنوح ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات، السر الجامع الفرقاني، والمختص بمواهب القرب من النوع الإنساني، مورد الحقائق الأزلية ومصدرها، وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها، وخطيبها إذا حضرت في حظاير قدسها ومحضرها، مثاله المعمور الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظرا لحقائق أنسه، مركز مدار نقطة الأكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، المفيض من بحر مدد الوفا على القابلين من أهل المعارف والاصطفا، حيث خاطب ذاته الأقدس بالمنح الأنسية فقال:

فأنت رسول الله أعظم كائن . وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه . وأنت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه . وباب عليه منه بالحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت . ففي كل حي منه لله منهل
مخلص بفيض الفضل كل مفضل . فكل له فضل به يتفضل
نظمت نثار الأنبياء فتاجهم . لديك بأنواع الكمال مكلل
فيا مدة الإمداد نقطة خطه . ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل
محال يحوز القلب عنك وإنني . بحقك ما أسلو وما أتحول
عليك صلاة الله منه تواصلت . صلاة اتصال عنك لا تتنقل

شخصت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله، وخشعت رؤوس الأنبياء إلى مشاهدة كماله، وتلفتت لفتات أنس الملأ الأعلى إلى نفائس تحياته، وتطاولت أعناق العقول إلى غيب محاسنه وكمالاته، فعرج به إلى المستوى الأقدس، واطلعه على السر الأنفس، في إحاطته الجامعة، وحضرات حظيرة قدسه الواسعة، فوقف أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة على أقدام الخدمة، وقامت أشباح الملائكة في معارج الجلال على أرجل الإجلال، وهامت أرواح العشاق في مقامات الأشواق:

كل إليك بكله مشتاق . وعليه من فرقائه إحراق
بهواك ما ناح الحمام بأيكه . أو لاح برق في الدجى خفاق
شوقا إليه لا يزال يديمه . وجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق، فشق من أثر الشقيق المشاقين، وحن لفراقه الجذع فتصدع، فانصدعت قلوب الأغبياء المنافقين، وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلائع الحقائق، فأنفذت دعوته العامة خاصة جميع الخلائق، ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته، وينظم شتات الإسلام بجلالة جهاته، حتى كملت كلمات الله وتمت الحجة البالغة، وتمت على سائر أمته نعمته السابغة، وخير فاختار الرفيق الأعلى، وآثر الآخرة على الأولى، فنقله الله قائما على قدم السلامة إلى دار السلام، وفردوس الكرامة، وبوأه أسنى مراتب التكريم في دار المقامة، ومنحه أعلى مراتب الشرف في اليوم المشهود، فهو الشاهد المشهود، والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، ذو المنزلة العلية

والدرجة

والدرجة السنية في حظائر القدس الأقدسية، والمشاهد الأنسية، صلى الله عليه أفضل الصلوات وشرائف التسليم وزواكي البركات، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، صلاة وسلاما لا ينقطع عنهما أمد المدد، ولا يحصرهما العدد أبد الأبد.

وبعد: فهذه لطيفة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية، ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية، تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وأسنى الصلات وتشرف نبوته على الأزمان الأزلية، وثبوت رسالته في الغيابات الأحدية، والتبشير بأحمديته في الأعصر الخالية، والتذكير بمحمديته في الأمم الماضية، وإشراق بوارق لوامع أنوار آيات ولادته، التي سار ضوء فجرها في سائر بريته، ودار مدار فخرها في أقطار ملته، وهواطل لطائف رضاعه وحضانته، وينابيع أسرار سر منشأه وبعثته وهجرته، وعوارف عبوديته التي عرف شذاها في آفاق قلوب أهل الربانية، ونفائس أنفاس أحوال الزكية، وأوفاق نوع سيرته العلية، وتعريفه في آي التنزيل برفعة الوحي ونقلته لروضة قدسه الأحدية، وتشريفه بشرائف الآيات، وتكريمه بكرائم المعجزات، وتخصيصه بعموم رسالته، ووجوب محبته، واتباع طريقته، وسنا ذكره، وعلو خطره، وتعظيم محاسن شمائله وخلائقه، وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الأولين والآخرين الى غير ذلك من عجائب آياته ومنحه، وغرائب شئونه ومنحه، أوردتها حججا قاهرة على الملحدين، وذكرى نافعة للموحدين، الجامعة لجوامع السؤدد في مشهد مشاهد المرسلين، ولم أكن والله أهلا لذلك، ولم أر نفسي فيما هنالك بصعوبة هذا المسلك، ومشقة السير في طريق لم يكن يمشي به إلا للمهندسين، وإنما هو نكتة سر تجلى لي في كتاب الشفا بحضرة المصطفى في مكتب التأديب والتعليم في مشاهد مشاهد الموالي والتكريم، مستمليا في مجالي تجليات الأنوار الأحمدية محاسن خلقته، وعظيم أخلاقه الزكية، سائرا بسير سيرته، في منهاج ملته، مستمدا من فتح الباري فيض فضل الأسماء بالتحقيق، وضمنته التزهة الحسنا، فانفتقت بالفتح المحمدي عين بصيرة الساري، فجنى صاحب هذه المنح من صنوف حقائقه، وانتشق مما أكنه مكنون رقائقه، واستجلبت من بحار تحارير السنة النبوية من كل صورة معناها الأسحار، وتنزه الناظر فيها بأصناف رياض فائق الأزهار، واقتبست من تلألؤ مصباح مشكاة المعارف من كل بارقة، وانتشقت من كل عبقة شذاها، واجتنيت من أفنان لطائف تأويل آي الكتاب العزيز من كل ثمرة منتهاها، ولا زلت في حياب لطائف هذه المنح أغدو وأروح في غبوق وصبوح، حتى انهلت غمائم المعاني على أرض رياض المعاني، فأينعت أزهارها، وتكللت بنفائس جواهر العلوم أوراقها، وطابت لمجتني رقائق الحقائق ثمارها، وتدفقت حياض بدائع ألفاظها من لال صوامع كلما تردد خطيب أبناء الهوى على منبر الغرام لما قد تدعو لكمال محاسن الحبيب، فتروحت بسلاف راح الارتياح نفائس الأرواح، وتمايلت بمطربات ألحان الحنين الى جمال المحبوب كرائم الأشباح، وترنم مترنم الصفا بحضرة خلاصة أولي الوفا منشدا مرددا:

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه . حسبي نعيم زار عند حبيبه
داوى فؤادي الوصل من أدوائه . طوبى لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه في حبه . فجاء صدق الحب منه حبيبه
لباه لب فؤاده فأجابه . لما دعاه الى الغرام وجيبه
ولجامع الأهواء مجمع حبه . ولجمعه خطبت القلوب خطيبه

فلما سمعت هذه المواهب آذان قلوب أولي الألباب، تلفتت عيون أعيانهم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب، فاستغرقت عن وجد المنح النبوية منبع النقاب، فثنيت عنان القلم الى تحصيل ما رغبوه، وتسطير مطالب جاءت صوب الصواب مما كان مستودعا في غيابات الغيب في هذا الكتاب، مستعينا في ذلك بالقوي الوهاب، حتى أتاح الله لي في ذلك وتمم ما هنالك، فأوضحت ما خفي من الدليل، ومهدت ما توعر من السبيل، وسميته **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**

ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلاً للسالك والقاصد. المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته، وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته، ورضاعه وحضانته، ودقائق حقائق بعثته وهجرته، ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته، مرتبًا على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته. المقصد الثاني في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة، وأولاده الكرام الطاهرين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته، وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام، وآلات حروبه ودوابه، والوافدين إليه صلى الله عليه وسلم، وفيه عشرة فصول. المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته، وكرمه سبحانه به من الأخلاق الزكية، وشرفه به من الأوصاف المرضية، وما تدعو ضرورة حياته إليه صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة فصول. المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته، وما اختص به من خصائص آياته وبدائع كراماته، وفيه فصلان. المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصائص المعراج والإسراء، وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى. المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره، وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته، وقسمه تعالى على تحقيق رسالته، وعلو منصبه الجليل ومكانته، ووجوب طاعته واتباع سنته، وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلاً ومنة ليؤمنن به ولينصرنه، والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل، وفيه عشرة أنواع. المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته، وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته، وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلاً وشرفًا لديه، وفيه ثلاثة فصول. المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات، وتعبيره الرؤيا، وإنبائه بالمغيبات، وفيه ثلاثة فصول. المقصد التاسع في لطيفة من حقائق عباداته، ويشتمل على سبعة أنواع. المقصد العاشر في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إليه، وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف، وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات، وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الأولين والآخرين، وترقيه في جنة عدن أرقى معارج السعادة، وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة، وفيه ثلاثة فصول. والله تعالى أسأل، وبجاهه عنده أتوسل، أن يمدني وهذا الكتاب العزيز بمدد القبول، وينيلني ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين من الخواطف النبوية لطائف السول ونهاية المأمول، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته، وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته، ورضاعه وحضانته، ودقائق حقائق بعثته وهجرته، ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته، مرتبًا على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته. اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم، وفقني الله وإياك بالهداية إلى الصراط المستقيم، أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا كما قال بين الروح والجسد، ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحلى، فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس. ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى

الاسم

الاسم الظاهر، فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسمًا وروحًا، فهو صلى الله عليه وسلم وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خير إلا عنه. لله

ألا بأبي من كان ملكًا وسيدًا ... وآدم بين الماء والطين واقف

فذاك الرسول الأبطحي محمد ... له في العلا مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكان له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فأثنت عليه ألسن وعوارف

إذا رام أمرًا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

وخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء. ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمدًا خاتم النبيين. وعن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الإسناد. وقوله لمنجدل يعني طريحًا ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. وعن ميسرة الضبي قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيًا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. هذا لفظ رواية الإمام أحمد، ورواه البخاري في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم. وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة: لم نقف عليه بهذا اللفظ، انتهى. وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف: وبعضهم يرويه متى كتبت نبيًا، من الكتابة. قلت: كذلك رويناه في جزء من حديث أبي عمرو إسماعيل بن نجيد، ولفظه: قلت يا رسول الله متى كتبت نبيًا؟ قال: كتبت نبيًا وآدم بين الروح والجسد. فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب، قال تعالى: كتب عليكم الصيام، وكتب الله لأغلبن. وعن أبي هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه الترمذي وقال حديث حسن. ورويناه في جزء من أمالي أبي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى، ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث. فإن قلت: إن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودًا، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضًا، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله؟ أجاب الغزالي في كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله عليه السلام: أنا أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا، بأن المراد بالخلق هنا التقدير دون الإيجاد، فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودًا مخلوقًا، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود، فالذي هو معنى قولهم أول الفكر آخر العمل وآخر الفكر أول العمل، وبيانه أن المهندس المقدر للدار أول ما يتمثل في نفسه صورة الدار فيحصل في تقديره دار كاملة، فالدار الكاملة هي أول الأشياء في حقه تقديرًا وآخرها وجودًا، لأن ما قبلها من ضرب اللبن وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة إلى الغاية والكمال وهي الدار، فالغاية هي الدار، ولأجلها تقوم الآلات والأعمال. ثم قال: وأما قوله عليه السلام كنت نبيًا فإشارة إلى ما ذكرناه، وأنه كان نبيًا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام، لأنه لم ينشأ خلق آدم إلا لينتزع من ذريته محمد ويستصفى تدريجًا إلى أن يبلغ كمال الصفاء، ولا تفهم هذه الحقيقة إلا بأن تعلم أن للدار وجودين: وجودًا في ذهن المهندس ودماغه حيث ينظر إلى صورة الدار، وخارج الأذهان في الأعيان، والوجود الذهني سبب الوجود الخارج العيني فهو سابق لا محالة، وكذلك فاعلم أن الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيًا. انتهى. ونقضه الشيخ تقي الدين السبكي بأنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيًا إلى روحه الشريفة

بأنه على حقيقته بالخلائق من الحقائق والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتاخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد من رواية جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه صلى الله عليه وسلم ونبئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو اولهم خلقا لكنه لا يتقدم خلق آدم قبله لان آدم كان حينئذ مواتا لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبئ واخذ منه ميثاقه فهو اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فان قلت ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث والذي تقرر هنا انه استخرج ونبئ قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام

اجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم استخرج من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه خصوصية له صلى الله عليه وسلم هو المقصود من النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة صريحة في ذلك والله اعلم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى وسياتي ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس وذكر العارف الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس ... ابن سبع في شفاء الصدور عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم

في

في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السماوات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان تعرف آدم عليه السلام وقيل لما خاطب الله تعالى السماء والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له وقيل لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة فان قلت ان تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها فقد اجاب عنه صاحب عوارف المعارف افاض الله علينا من عوارفه وعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة انتهى وفي المولد الشريف لابن طغربك ويروى انه لما خلق الله تعالى آدم الهمه ان قال يا رب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع راسك فرفع راسه فراى نور محمد في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان آدم عليه السلام راى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس في زمن الرضا ۝ واثواب شمل الانس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا ۝ يزيد على الانوار في الضوء ...
فقال الهي ما الضياء الذي ارى ۝ جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى ۝ وافضل من في الخير راح واغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ۝ والبسته قبل النبيين سؤددا

وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السماوات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث وقد اختلف هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي فقال الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فهذا صريح في ان التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء رواه احمد والترمذي وصححه وروى احمد والترمذي وصححه ايضا من حديث ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش وروى السدي باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش انتهى وفي الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملائكته وامرهم فطافوا به في السماوات

[illegible] بملكوته قال جعفر بن محمد مكث الروح في راس آدم مائة عام و في صدره مائة عام و في ساقيه وقدميه
مائة عام ثم علمه الله تعالى اسما جميع المخلوقات ثم امر الملائكة بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وابعده
وخزاه وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله
تعالى وادم كالقبلة وروي عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم
الملائكة المقربون وعن ابي الحسن النقاش اول من سجد اسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان
يوم الجمعة من [illegible] الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو نايم وسميت حوا لانها
خلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن اليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا
حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الاحزان
انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا اعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل
ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما ابليس [illegible]
حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة واتى الى آدم وحواء فوقف وناح نياحة احزنتهما فقالا له
ما يبكيك قال ابكي عليكما تموتان وتفقدان النعيم [illegible] ادلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه ناصح لهما ولن يحلف كاذبا
[illegible] ثم زينت لآدم حتى اكل وظننا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فقال الله تعالى يا آدم
الم [illegible] من الجنة [illegible] الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك كاذبا قال الله وعزتي
وجلالي لاهبطنك الى الارض [illegible] العيش الا كدا فاهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما
صنعت قال زينته لي حواء قال [illegible] ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ولادمينها في الشهر مرتين وقال وهب
ابن منبه لما اهبط آدم الى الارض مكث يبكي ثلثمائة سنة لا يرقا له دمع وقال المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت
لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة وقال مجاهد بكى آدم مائة عام لا يرفع راسه الى السماء وانبت
الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حواء حتى انبت الله من دموعها القرنفل
[illegible] يا بني آدم انظروا كيف بكى ابوكم على فعلة واحدة ثلاث مائة سنة فكيف بكم يا ارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا
يا اولي الابصار كان كلما راى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان وتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب
احذروا منزلة يقول فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس ابوك آدم على سرير المملكة
فمد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي فانها من نزلت به نزلت به وحطته عن
مرتبته فان قلت هذه الخطيئة التي اهبط بها آدم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت
صغيرة فلم جرى عليه من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك فاجاب الزمخشري بانها كانت صغيرة
مغمورة [illegible] باعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الطاعات واعظم الاعمال [illegible]
تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم يا هذا
انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط آدم من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين
المجتهدين ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا آدم ان كنت اهبطت من دار
القرب فاني قريب اجيب دعوة الداعي ان كان [illegible] بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي
ان كان فاتك في السماء زجل المسبحين فقد تعوضت في الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا من تسبيحهم زجل
المسبحين ربما يشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون
فيغفر لهم سبحان من اذا لطف بعبده في المحن قلبها منحا واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه

وبالا

وبالا لقن آدم حجته والقى عليه ما تقبل به توبته وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته فصار علمه [illegible]
منثورا قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين اذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة واذا بسط
فضله على عبد لم تبق له سيئة انظر لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بالعلم وكان العلم لا يكمل الا بالعمل
بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة انما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له يا آدم اهبط الى الارض [illegible] وحارب
جنود الهوى بالجد والاجتهاد وكانك بالعيش الماضي وقد عاد على اكمل من ذلك المعتاد لما اظهر ابليس عليه اللعنة
الحسد وسعى بالاذى حتى كان سببا في اخراج السيد آدم من الجنة وما فهم المسكين ان آدم اذا خرج من الجنة [illegible] فضائله
ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول قالوا وفيه اشارة كانه تعالى يقول لو عوقبت في الجنة لما تبين كرمي يا ابا غفر
لنفس واحدة بل اخرجته الى الدنيا وآتي بالوف من العصاة حتى اغفر لهم ليتبين جودي وكرمي وايضا علم الله تعالى
ان في صلبه الاولاد والجنة ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره في الدنيا من لا نصيب له في الجنة يا هذا الجنة التي شاء
الله اقطاعنا وقد وصل منشور الاقطاع مع جبريل عليه السلام الى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار انما يخرج الاقطاع عمن خرج عن الطاعة نسال الله التوفيق [illegible]
في الجنة التي سكنها آدم فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلاء لا جنة الخلد التي [illegible] يوم القيامة
وبانها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وامر ونهي ودار سلامة لا دار ابتلاء وامتحان ودار قرار لا دار انتقال
واحتج القائلون بانها جنة الخلد بان الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسراء وبان ما ذكروه ان الجنة لا يوجد فيها ما وجده آدم من الحزن والنصب [illegible] اذا دخلها المؤمنون يوم
القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفي ذلك معروف به بدخول المؤمنين [illegible] والله اعلم انتهى وروي انه
لما خرج آدم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم
الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا
الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك رواه [illegible] وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسالك بحق محمد لما غفرت لي فقال
الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت
على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت
يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك
وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم
خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي
ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در العارف سيدي علي الوفا حيث قال في قصيدته التائية [illegible]

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد   هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد   لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم   هم اعين هو نورها لما ورد
لو ابصر الشيطان طلعة نوره   في وجه آدم كان اول من سجد
او لو راى النمروذ نور جماله   عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى   الا بتخصيص من الله الصمد

حوى

ولما

طهّرا لله تعالى حتى أُسكن الى آدم ويسكن اليها فحملت حتى صار لديها فاصبت بركاته عليها فولدت له في تلك الاعوام الحسنا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لما اللّه له بالنبوة سعده ولما توفي آدم عليه السلام كان شيث عليه السلام وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به ههنا ان المراة تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السايب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان من امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شي رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وعنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا رواه البزار وعنه ايضا في الاية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء حتى ولدته امه رواه ابو نعيم وعن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن انس قال قرا صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح رواه ابن مردويه وفي الدلايل لابي نعيم عن عايشة رضي الله عنها عن النبي عن جبريل قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوايح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفي البخاري عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه منه وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ورواه الترمذي وعن العباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبايل فجعلني في خير القبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي هكذا منفردا بعد ذلك حديث حسن اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم تنبيه اعلم انه عليه السلام لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة مولده تيقنت انه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب واشرفها في الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحاق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما

فهو محمد بن عبد الله الذبيح
بيان

قال

قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة وقيل فكان يسئل عنه فيقول هو عبدي حياء ان يقول ابن اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين سنة ابن هاشم واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي بتصغير قصي اي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبايل من فهر

وقيل زيد وقال الشافعي يزيد كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد ابن كلاب وهو اما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما تسموا بسباع وسيل اعرابي لم تسموا ابناكم بشر الاسما نحو كلب وذيب وعبيدكم باحسن الاسما نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء واسم كلاب حكيم وقيل عروة ابن مرة ابن كعب وهو اول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع اليه قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم انه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان به وينشد في ذلك ابياتا منها قوله

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... اذا قريش تبغي الحق خذلانا

ابن لوي بتصغير اللاي ابن غالب ابن فهر واسمه قريش واليه تنتسب قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي ابن مالك ابن النضر واسمه قيس ابن كنانة ابن خزيمة بتصغير خزمة ابن مدركة ابن الياس بكسر الهمزة في قول ابن الانباري وبفتحها في قول قاسم بن ثابت ضد الرجا واللام فيه للتعريف والهمزة فيه للوصل قال السهيلي وهذا اصح وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول من سن الحداء للابل وكان من احسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا واطعم وقال ان هذا كله نزر اي قليل لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك ابن معد ابن عدنان قال ابن دحية اجمع الناس والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى ولله در القايل

ونسبة عز هاشم من اصولها ... ومحتدها المرضي اكرم محتد
سمت وتسامت رتبة علياء اعظم بقدرها ... ولم تسم الا بالنبي محمد
ويرحم الله القايل ... وكم اب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد وروي عن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف بعد معد بن عدنان وسيل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بذلك وكذا روي عنه في رفع نسب الانبياء عليهم السلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسما مع قلة الفايدة وقد ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البها والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فاخذه ابوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم

ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه بعدها هند بنت عمرو
وكان عبد المطلب يفوح منه رايحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها
قحط تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله ويسألونه ان يسقيهم الغيث فكان الله يغيثهم
ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قدم ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام
وبلغ عبد المطلب ذلك قال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق
ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربع مائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال
يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة
ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان
يخور كالثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي انه لما حضر عبد المطلب
عند ابرهة امر سايس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد لملك ابرهة كما تسجد ساير الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر
الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد
المطلب ولما دخل ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوا في راسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه
كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده بداء فتساقطت
اناملة انملة انملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله
لنبيه عليه السلام الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة الى اخرها فان قلت لم قال تعالى له عليه السلام الم تر مع ان
هذه القصة كانت قبل المبعث بزمان طويل فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر
به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة للرؤية وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم
على ساير الناس بحماية الله لهم ودفاعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لساير العرب بقتاله قدرة وكان ذلك كله ارهاصا للنبوة
عليه السلام قال الرازي ومذهبنا انه يجوز تقدم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة
تظلله عليه السلام يعني قبل بعثته وخالفه العلامة السيد في شرح المواقف تبعا لغيره فاشترط في المعجزات ان لا يتقدم على الدعوى
بل يكون مقارنا لها كما سياتي ان شاء الله في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شي من ذلك فالجواب
ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه السلام وتاكد ثبوته
بالدلايل القطعية فلا حاجة الى شي من ذلك والله اعلم ولما فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع ابرهة خايبا فنيا
هو يوما نايم في الحجر اذ راى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان
صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا فتزوج فاطمة وحملت في ذلك
الوقت بعبد الله الذبيح وقصته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مبسوطة وكان سببها حفر ابيه عبد المطلب زمزم
لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى نفايس فجعلها في
زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام راها عبد المطلب
دلته على حفرها بامارات عليها فعاندته قريش في ذلك ثم اذاه من السفهاء من اذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم
يكن له ولد سواه فنذر لين جاءه عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت
له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقرعيته بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فراى في المنام قايلا يقول يا عبد المطلب اوف
بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فراى ان قرب ما هو اكبر
من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فراى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم
نام فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك قال قرب احد اولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده
واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل
ثم ليكتب فيه اسمه ثم ايتوا به ففعلوا واخذوا قداحهم ودخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون
بالقداح عنده فيستقسمون بها اليه يريدون بها ينسبون ثم يضربه بالقداح الذي لها قال فدفع عبد المطلب الى صاحب القداح القداح
وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله واخذ الشفرة
ثم اقبل الى اساف ونايلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسايك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان
تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولين فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه
فيذبحه ويكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة قلت قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب
المبهمات وذكر ابن اسحاق ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب
القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا
عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا عليها هكذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها
فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرا من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت
القداح على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان
ولا طاير ولا سبع ولهذا روي كما عند الزمخشري في الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم في المستدرك
عن معاوية ابن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة
والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث وياتي تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل ابنا ابراهيم وان
كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحاق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بني يعقوب
عليهم السلام ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك
ابراهيم واسحاق واسمعيل واسحاق فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفي حديث معوية الموعود بتتمته قريبا قال معوية
ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله
فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الذبيح الثاني
قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل
السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسمعيل وامه هما
اللذان كانا بمكة دون اسحاق وامه قال ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين
والنحر بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحاق سماه عليما
وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد ووهبه له
تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك
فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه
وكانت محبة الله اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينيذ من شوايب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما

في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم

اذ الذبيح هديت اسمعيل ، نطق الكتاب بذاك والتنزيل ،
شرف به خص الاله نبينا ، وابانه التفسير والتأويل ،

وروى ما ذكره المعافى ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة امرها صبرها جروانها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح ولدها الى ما آلت اليه من جعل اثارها ومواطئ اقدامها مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذلته وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضى قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر نحر بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزوج هالة ام ابنه حمزة بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان اولاده عشرة قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه السلام اثنا عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ويقع ايضا في بعض السير ان عبد الله كان اصغر بني ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروي عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواة البكائي ولروايته وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امرأة من بني اسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية بعدها رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رؤي في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الان لما رات في وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها انا مع ابي لا استطيع خلافه ولا فراقه وقيل اجابها بقوله

اما الحرام فالممات دونه ، والحل لا حل فاستبينه ،
فكيف بالامر الذي تبغينه ، يحمي الكريم عرضه ودينه ،

وروي وعند ابي نعيم والخرايطي وابن عساكر من طريق عطا عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة وقد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له ... ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى في شعب ابي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث شاء ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجايب ، ووجد لايجاده غرايب ، فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته

لا جاده

المحمدية في صدفة آمنة القرشية ، نودي في الملكوت ، ومعالم الجبروت ، ان عطروا جوامع القدس الاسنى ، وبخروا جهات الشرف الاعلا ، وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا ، لصوفية الملايكة المقربين اهل الصدق والوفا ، فقد انتقل النور المكنون ، الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون ، قد خصها الله تعالى القريب المجيب ، بهذا السيد المصطفى الحبيب ، لانها افضل قومها حسبا وانجب ، وازكاهم اصلا وفرعا واطيب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار عنه انه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرغد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج رواه وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس وقال عنيز فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعم وفي الحديث طوبى للشام فان الملايكة باسطة اجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وعني ما ذكر لا الجنة ولا الشجرة وفي حديث ابن اسحق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال قولي

اعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ،

ثم سميه محمدا وفي رواية غير ابن اسحق وعلقي عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة

اعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ،
وكل خلق رائد ، من قايم وقاعد ،
عن السبيل حايد ، على الفساد جاهد ،
من نافث او عاقد ، وكل خلق مارد ،
ياخذ بالمراصد ، في طرق الموارد ،

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى وعن شداد بن اوس ان رجلا من بني عامر سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال بدء شاني اني دعوة ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني كنت بكر امي وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكي الى صواحباتها ثقل ما تجد ثم ان امي رات في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث ففيه ان امه عليه السلام وجدت الثقل في حمله وفي ساير الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل به كان في ابتدا علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا او مترنحا وحوش المشرق الى وحوش المغرب وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السما ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وعن ... لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور

ولا دايه لم نطفت وعن ابي زكريا يحيى بن عايذ بقي صلى الله عليه وسلم في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا
ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النسا وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه ولما تم لها
من حملها شهران توفي عبد الله وقيل توفي وهو في المهد قاله الدولابي وعن ابن ابي خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة
وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم
ومروا بالمدينة يثرب فتخلف عند اخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سالهم
عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحرث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة وقيل دفن بالابوا
وقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها * وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره اصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنايا وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفي عبد الله قالت الملايكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير
وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه ابو حيان في البحر
وروى ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملايكة افتحوا
ابواب السما كلها وابواب الجنان والبست الشمس يوميذ نورا عظيما وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنسا الدنيا ان يحملن
ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة
والبشرى عن كعب في حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر بي من حملي
ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك قالت ثم لما اخذني ما ياخذ
النسا ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا انثى واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني
ثم رايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فوادي فذهب عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضا فتناولتها
فاصابني نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا انا اتعجب وانا اقول واغوثاه من
اين علمن بي قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولاء من الحور العين واشتد الامر
وانا اسمع الوجبة في كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينا انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السما والارض
واذا قايل يقول خذاه عن اعين الناس قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهوا بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا
انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري
فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني
المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السما كالمتضرع المبتهل ثم رايت
سحابة بيضاء قد اقبلت من السما حتى غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها
وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شي من الشرك الا محي في زمنه ثم
تجلت عنه في اسرع وقت وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان آمنة قالت
لما وضعته عليه السلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته
وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس
والملايكة والطيور والوحوش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضى

اسحق

اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت
داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في اخلاق النبيين قالت ثم انجلى عني فاذا به
قد قبض على حريرة خضرا مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ما واذا قايل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم
على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طايعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه
يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث
حريرة بيضا فنشرها فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين
كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الي وروى الحافظ ابو بكر ابن عايذ في كتابه
المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان
امين خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى محمد بن سعد عن
جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له ما بين
المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السما وروى
الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروي عن عثمان ابن ابي العاص
عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي واخرج احمد والبزار
والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين
وان آدم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورويا امي التي رات وكذلك امهات
النبيين يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابن
حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطا بن يسار عن ام سلمة عن آمنة قالت لقد رايت ليلة وضعه
نورا اضات له قصور الشام حتى رايتها واخرج ايضا عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان امنة قالت رايت كانه
خرج من فرجي شهاب اضات له الارض حتى رايت قصور الشام وعن همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان ام رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضا له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن
سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال

وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور * وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطايف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجي به من النور الذي اهتدى به اهل الارض
وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الاية واما اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو
اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة
ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه ولهذا
اسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى ابن
مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر واخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا واخرج ابو نعيم
عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل

فسمعت قايلا يقول ... قالت الشفا واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الي بعض قصور الروم قالت ثم البسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت به قال الي المشرق قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما ومن عجايب ولادته عليه السلام ما خرجه البيهقي وابو نعيم عن حسان ابن ثابت قال اني لغلام ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا بيهودي يصرخ ذات غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في هذه الليلة وعن عايشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد الليلة فيكم مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسالوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم الي امه فاخرجته لهم فلما راي اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بني اسرايل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري ومن عجايب ولادته ايضا ما روي من ارتجاج ايوان كسري وسقوط اربعة عشر شرفة من شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه البيهقي وابو نعيم والخرايطي في الهواتف وابن عساكر وفي سقوط الاربعة عشر شرفة اشارة الي انه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الي خلافة عثمان رضي الله عنه ومن ذلك ايضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع ولقد احسن الشقراطسي حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشري الهواتف في الاشراق والطفل

وصرح كسري تداعي من قواعده ... وانقض منكسر الارجاء ذا ميل

ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ الف عام ونهر القوم لم يسل

خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما روي من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروي الطبراني في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتي علي ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي وصححه الضيا في المختارة وعن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر قال الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار انه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه الحافظ الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ايمة الحديث لكن قد حكي الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال ابن العديم ضعف احاديث كونه ولد مختونا وقال انه لا يثبت في هذا شي من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن القيم ثم قال ليس هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكي الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر فسخت قلفته فيصير كالمختون وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا ان ادم خلق مختونا واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين اخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسي وسليمان وشعيب ويحيي وهود صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين انتهى وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار انه على صفة المقطوع وقد حصل من الاختلاف في ختانه عليه السلام ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا كما تقدم الثاني انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الي ابن عباس وحكاه ابن عبد البر في التمهيد الثالث انه

ختن

ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي وقيل ان جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلى الفرج من المراة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء وختان المراة خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة ايضا واختلف العلماء هل هو واجب فذهب اكثرهم الي انه سنة وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وذهب الشافعي الي وجوبه وهو مقتضي قول سحنون من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي الي انه واجب في حق الرجال سنة في حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث ابي المليح ابن اسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء رواه احمد في مسنده والبيهقي واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد به الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وبما رواه ابو داود من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذي اسلم الق عنك شعر الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فيجب ازالتها وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوي اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللايق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما يفعل المانوية فذلك افراط وابقا القلفة تفريط والعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روي البخاري في صحيحه عن ابن عباس انه سيل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يوميذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتي يدرك وقال البعض اصحابنا على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم انتهى واختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس ومن العلماء من حكي الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل بعده بخمس وخمسين يوما حكاه الدمياطي في اخرين وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطية لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته وايضا فاصحاب الفيل كما قال ابن القيم كانوا نصاري اهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله تعالى على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة وتعظيما للبلد الحرام واختلف ايضا في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر رمضان وروي عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به في ايام التشريق واغرب من قال ولد في عاشورا وكذا اختلف ايضا في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه يوم معين منه فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكي القضاعي في عيون المعارف اجماع اهل التاريخ عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثني عشر وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور انه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحاق وغيره واختلف ايضا في الوقت الذي ولد فيه والمشهور انه يوم الاثنين فعن قتادة الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على انه ولد نهارا

وفي المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين وقيل
توفي به وولد عند طلوع الفجر فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سال عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيصى كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر ابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم بن الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده عليه السلام عند طلوع الغفر وهو ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه وقيل ولد ليلا فعن عائشة قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته عليه السلام كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا انتهى فان قلت فايما افضل ليلة القدر او ليلة ولادته مولده صلى الله عليه وسلم اجيب بان ليلة مولده عليه السلام افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة المولد افضل الثالث ان ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد افضل نفعا فيا شهرا ما اشرفه واوفر حرمة لياليه كانها لئالئ في العقود
ويا وجها ما اشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا
يقول لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع
واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان وارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد رؤي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه خفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي ماء واشار لراس اصبعه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجزري فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من امته عليه السلام يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم

لعمري

يحتفلون

لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض واعياه وقد ذكر انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة فقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد ابن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما يبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلي وقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت وفي رواية ذكرها ابن طغربك في النطق المفهوم فلما نظر صاحبي الى هذا قال لي يا حليمة اكتمي امره في الليلة لهذا الغلام اصبحت الاحبار قواما على اقدامها لا يهنأها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقول لي النساء وهن وراءي يا بنت ابي ذؤيب اهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول والله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشانا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خاتم النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فقد درها من بركته كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة
لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد
قال ابن الطراح رأيت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلى الازدي ابيات شعر لحليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم يا رب اذ اعطيته فابقه واعله الى العلى وارقه وادحض اباطيل العدى بحقه واخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب

وابن عساكر يقول ما يحتها وابن طغربك السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به احمد بن ابراهيم الحلبي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن وفي المعجزات حسن وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي انه صلى الله عليه وسلم تكلم في اوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة واخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث وقد روى ابن سعد وابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته الشيماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت يا امه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على امه ونحن احرص شيء على مكثه عندنا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شانك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني قد اصيب فانطلقي نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان فلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان فدعاه عنكما وفي حديث شداد بن اوس عند ابي يعلى وابي نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينما انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذوني من بين اصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحي فعمد احدهم فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة فاذا انا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابة يا اماه الحقا محمدا … اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه السلام قال اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء الحديث فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به او فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام اجيب بانه ورد في خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء ذكره الطبري وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره برواية السدي عن ابي مالك عن ابن عباس

فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس اجيب بانه اشارة الى ختم الرسالة به وهذا مسلم ان كان الخاتم خاصا به اما اذا ورد انه ليس خاصا به بل بكل نبي فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة الى آخر الوزن الاعتباري فيكون المراد بالرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول ذلك حتى يخبر به عن نفسه ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ومرة اخرى عند الاسراء به وسياتي كل في موضعه ان شاء الله تعالى وروي الشق ايضا وهو ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل وروي خامسة ولا يثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف الرجولية ولذلك نشا على اكمل الاحوال من العصمة وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها الثاليل السود عند نغض كتفه ويروى غضروف كتفه اليسرى وفي كتاب ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمائل بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن اخطب كشيء يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلائل البيهقي كالتفاحة وفي الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضراء محتفرة في اللحم وفيه ايضا شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث كنت فانك منصور وفي كتاب المولد لابن عائذ كان نورا يتلالا وفي سيرة ابن ابي عاصم عذرة كعذرة الحمام قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمامة وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عائشة كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة وكان مما يلي الفقار قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاي وقوله زر الحجلة بالزاي والراء والحجلة بالحاء المهملة والجيم قال النووي هو واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها واشار اليه الترمذي وانكره عليه العلماء وقوله جمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووي النغض والنغض والناغض اعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة والزاي اي قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمامة معروفة انتهى والثاليل بالمثلثة جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة فما دونها وفي القاموس وقرطمتا الحمام اي بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره وقال بعض العلماء اختلاف اقوال الرواة في خاتم النبوة ليس ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له وكلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى وقال القرطبي الاحاديث الثابتة على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا كثر جمع اليد وقال القاضي عياض وهذه الروايات متقاربة متفقة على انه شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتاول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه قال النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين كان في صدره وبطنه انتهى وقال السهيلي والصحيح ان خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر واختلف هل ولد وهو به او وضع بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث ابي ذر عند البزار وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني آتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالارض وكان الاخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال

احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخذ منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها فقال احدهما لصاحبه اغسل
بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خيط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولّيا عني وكاني
ارى الامر معاينة وعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي انبعه ثلاث
غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة وقيل ولد به والله اعلم
واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان
يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به
عن ساير الانبياء والله اعلم ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنتي
عشرة سنة وشهر وعشرة ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابي ذب بالحجون وفي القاموس ودار رابعة بمكة فيه مدفن
آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم
في بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم
ومعه ام ايمن فنزلت به دار النابغة فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت في مقامه ذلك
ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بير بني عدي ابن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون
اليّ قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به
امه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروى ابو نعيم من طريق الزهري عن اسماء بنت رهم عن امها قالت شهدت آمنة
ام النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه السلام غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام * نجا بعون الملك المنعام * فودي غداة الضرب بالسهام *
بمائة من ابل سوام * ان صح ما ابصرت في المنام * فانت مبعوث الى الانام * من عند ذي الجلال والاكرام *
تبعث في الحل وفي الحرام * تبعث في التحقيق والاسلام * دين ابيك البر ابراهام * فالله انهاك عن الاصنام *
ان لا تواليها مع الاقوام * ثم قالت كل حي ميت * وكل جديد بال * وكل كبير يفنى * وانا ميتة وذكري باق *
وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك
نبكي الفتاة البرة الامينة * ذات الجمال العفة الرزينة * زوجة عبد الله والقرينة *
ام نبي الله ذي السكينة * وصاحب المنبر بالمدينة * صارت لدى حفرتها رهينة *

وقد روي ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبري بسنده عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا فقال سالت ربي عز وجل فاحيا لي امي فآمنت بي ثم
ردها ورواه ابو حفص ابن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عايشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب
البعير فمكث مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسالت ربي ان يحييها فاحياها فآمنت بي وكذا
روي من حديث عايشة ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق
وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع
يرده القرآن والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار متمسكا بهذا الحديث
وغيره ونعقبه عالم آخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى احد الخصوصية
فعليه انتهى وقد سبقه لذلك ابو الخطاب ابن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند
المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى ونعقبه القرطبي في التذكرة بان فضايله صلى الله عليه وسلم وخصايصه

لم تزل

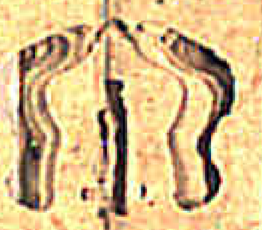
لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياؤهما وايمانهما ممتنع عقلا ولا شرعا
فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى
الله عليه وسلم احيا الله على يده جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته
ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روي في الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد
مغيبها ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون
احياء ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس
كما سياتي ان شاء الله في مقصد المعجزات وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها
لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد اطبقت الايمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من
الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل
ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان اباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها
قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال ففيه دلالة
على ان جميع اباء محمد كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل
من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا كما قال
ونعقبه بانه لا دلالة في قوله وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره وغيره ان معنى الاية وترددك
في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على
كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان ابا ابراهيم عليه الصلاة
والسلام مات على الكفر كما صرح بها البيضاوي وغيره وقال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه واما قوله انه كان عمه
فمعدول عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ان
الرافضة هم القايلون ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله
عليه السلام لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الحديث انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن
ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما رئي باكيا اكثر
من يومئذ وروى ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوما الى المقابر
فاتبعناه فجا حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم
دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن
لي واني استاذنته في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
فاخذني ما ياخذ الولد للوالد ورواه الطبراني في حديث ابن عباس وفي مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي
واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام عليها لما فاتها
من ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك
في النار قال النووي فيه ان من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت
عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مواخذة قبل بلوغ الدعوة فان هولاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم
وغيره من الانبياء وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية
دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم

فبح الشرك والوعيد عليه في النار واخبار عقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله اخر وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دايما كخلود اهل الجنة في الجنة انتهى وقد تعقب العلامة ابو عبد الله الابي من المالكية فيما وضعه على صحيح مسلم قول النووي الماضي فيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار الى اخره بما معناه ان ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة كان اهل الفترة هم الامم الكاينة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقها اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر البخاري عن سلمان انها كانت ستماية سنة ولما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب اهل الفترة كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وليت صاحب المحجن في النار وهو الذي سرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب باجوبة احدها انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب على هولا والله اعلم بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع فان اهل الفترة ثلاثة اقسام الاول من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هولا من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قايمة الرسم كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث القسم الثاني من اهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السايبة ووصل الوصيلة وحمى الحام وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من اهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبايث والله تعالى سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القران كلما حكى حال احد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الاية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما اهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام في كل منهما انه يبعث امة وحده واما عثمان ابن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسياتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شا الله تعالى فهذا ما تيسر من البحث في هذه المسالة وقد كان الاولى ترك ذلك وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علما العصر ولقد احسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال ○

حبى الله النبي مزيد فضل ۞ على فضل وكان به روفا
فاحيا امه وكذا اباه ۞ لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ۞ وان كان الحديث به ضعيفا

والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يوذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تاذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال عليه السلام لا توذوا الاحيا بسبب الاموات رواه الطبراني في الصغير ولا ريب ان اذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسياتي مباحث ذلك ان شا الله تعالى في الخصايص من مقصد المعجزات ولقد اطنب بعض العلما في الاستدلال لايمانهما فاتته تعالى نيته على قصده الجميل وقد كانت ام ايمن بركة دايته وحاضنته بعد موت امه وكان عليه السلام يقول لها انت امي بعد امي ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل

تسع



تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر ومايه سنة وقيل مايه واربعون سنة وكفله ابو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السما قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ۞ ثمال اليتامى عصمة للارامل

والثمال بكسر المثلثة الملجا والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة للارامل اي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنسا اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل وارملة وهذا البيت من ابيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحاق بطولها وهي اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالات قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام واولها ○

ولما رايت القوم لا ود عندهم ۞ وقد قطعوا كل العرى والوسايل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ۞ وقد طاوعوا امر العدو المزايل

ومنها

اعبد مناف انتم خير قومكم ۞ فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ۞ تكونوا كما كانت احاديث وايل

ومنها

اعوذ برب الناس من كل طاعن ۞ علينا بسوء او ملحق باطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ۞ وراق لبر في حرا ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ۞ وبالله ان الله ليس بغافل

ومنها

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ۞ ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ۞ ونذهل عن ابنائنا والحلايل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزى بضم النون وكسر الزاي اي نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان في شعر ابي طالب هذا دلالة على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما اخبر به بحيرا وغيره من شانه وتعقبه الحافظ ابو الفضل ابن حجر بان ابن اسحاق ذكر ان انشا ابي طالب لهذا الشعر كان بعد البعث ومعرفة ابي طالب بنبوته عليه السلام جات في كثير من الاخبار وتمسك بها الشيعة في انه كان مسلما قال ورايت لعلي ابن حمزة البصري جزا جمع فيه شعر ابي طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فراه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو اخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة في اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده في كتبنا وسال ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود الحديث رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرى بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية اخره را مقصورا قال الذهبي في تجريد الصحابة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث وامن به وذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة وهذا ينبني على تعريفهم الصحابي بمن راه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسياتي البحث فيه ان شا الله تعالى في المقصد السابع واخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ان في هذا السفر اقبل سبعة من الروم يقصدونه فتلقاهم عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جا بكم قالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها باناس فقال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه فاقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة

عند اهل المغازي انتهى وضعّف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك لم يكن متأهلا
ولا اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها
مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من احد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم ان بحيرا رأى وهو في صومعته
في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت
الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه
جعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من
صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وتقدم ان اخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة
وغمامة تظله اذا وقف واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر ولله در القائل

ان قال يوما ظللته غمامة ... هي في الحقيقة تحت ظل القائل

من القيلوله

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض
اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان في ظل غمامة من اعتداله
كذا نقل رحمه الله واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثماني عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلا فيه سدرة فقعد
في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام الا محمد ووقع في قلب ابي بكر التصديق فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة فهي سفرة اخرى بعد سفرة
ابي طالب انتهى ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن اسد في تجارة لها حتى بلغ
سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل
تحت ظل شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة
ملكين يظلانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على بعيره وملكان يظلان عليه رواه ابو نعيم وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين
يوما وقيل كان سنها اربعين سنة وقيل ثلاثين وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت ابي
هالة بن زرارة التميمي فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له
هندا وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر اربعون سنة وبعض اخرى وكانت عرضت نفسها عليه
فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام واصدقها عشرين
بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد
من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها والضئضئ الاصل وحضنة بيته اي الكافلين له والقائمين بخدمته وسواس حرمه
اي متولوا امره قال ابن اسحاق وزوجها اباها خويلد وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة
اثنتي عشرة اوقية ذهبا ونشا قالوا وكل اوقية اربعون درهما والنش نصف اوقية ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول فامروا باقوم بموحدة فالف فقاف مضمومة فواو ساكنة
فميم النجار القبطي مولى سعد بن العاص ان يبني الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون

ازرهم

ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به اي سقط من قيام كما في القاموس ونودي عورتك
فكان ذلك اول ما نودي فقال له ابو طالب او العباس يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني الا من التعري ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت
من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى
واربعين من الفيل وقيل في اول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين والمشهور انه بعث
يوم الاثنين لما رواه مسلم عن ابي قتادة رضي الله عنه سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي
وقال ابن القيم في الهدي النبوي واحتج القائلون بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
قالوا اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن وقال الاخرون انما انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت
العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقائع في ثلث وعشرين سنة وقيل كان ابتداء المبعث في رجب وروى البخاري في التعبير
من حديث عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة
فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى
بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ
فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى
بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة
ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن
قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل
ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ماذا ترى فاخبره
النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك
انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا
فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل
فقال له مثل ذلك وقد تكلم العلماء في معنى قوله عليه السلام لخديجة قد خشيت على فذهب الاسمعيلي الى ان هذه الخشية
كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله وكان اشق شيء عليه ان يقال عليه مجنون
وقيل ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر وقوله ما انا
بقارئ اي اني امي فلا اقرأ الكتب وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه
صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى فان قلت فلم كرر قوله
ما انا بقارئ ثلاثا فاجاب ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقارئ على الامتناع وثانيا على الاخبار
بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة في الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشيء آخر واظهار للشدة والجد في الامر تنبيها
على ثقل القول الذي سيلقى اليه وقيل ليبعد ظن التخيل والوسوسة لانهما ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه
من امر الله فان قلت من اين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن فالجواب من وجهين احدهما ان

الله تعالى اظهر على يدي جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفنا
بها وثانيها ان الله تعالى خلق في محمد علما ضروريا بان جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق في جبريل
علما ضروريا بانه المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل له ربه تعالى لا غيره وقول ورقة بالبتي فيها جذعا الضمير للنبوة
اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج
البيهقي من طريق العلا بن حارثة الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته وابتداه
بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه ويسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك وانبت جنانا وانما
رجفان المذكور خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما حوله
من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي جبريل علما
ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني
فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت
دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلاة رواه
البخاري ومسلم والترمذي ولم يكن جوار عليه السلام لطلب النبوة لانها اجل من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي
من هبة من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا
من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله واقباله على الله
عز وجل وخشي ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل اعباء النبوة وفي رواية البيهقي في الدلايل ان خديجة
قالت لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما راى فقال عليه الصلاة والسلام اذا خلوت وحدي
سمعت نداء يقول يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال لا تفعل اذا قال فاثبت حتى تسمع ثم ايتني فاخبرني فلما خلا ناداه
يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج به
من قال باولية نزول الفاتحة والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القران اقرا كما صح ذلك عن عايشة
وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد بن عمير قال النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف و
اما ما روي عن جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة
الوحي واما حديث البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان
يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا باسم ربك ويا ايها المدثر وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه
اظهر من ان يذكر انتهى وقد روي ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقران على النبي صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة
كما رواه الامام ابو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال
استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك الذي خلق قال
عبد الله وهي اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب
وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا والله اعلم وروي ابو نعيم ان جبريل وميكايل شقا صدره
وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الايات الحديث وفيه فقال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على
مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روي شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة
فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير قال ابن القيم وغيره وكمل الله
تعالى له عليه السلام من الوحي مراتب عديدة احدها الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح
الثاني ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لن تموت

نفس

نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم وروي بعضهم
الرايي نبيي وروح القدس جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له فقد
كان ياتيه في صورة دحية الكلبي وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه فان قلت اذا لقي جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين يكون روحه فان كان في الجسد الذي له ستماية جناح فالذي اتى لا روح جبريل
ولا جسده وان كان في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه
الى الجسد المشبه بجسد دحية فاجيب كما ذكره العيني بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا
لا ينقص من معارفه شي ويكون انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهدا الى اجواف طير خضر وموت الاجساد
بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني ادم فلا يلزم في غيرهم انتهى الرابعة كان ياتيه
في مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض
ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت وروى الطبراني عن زيد
ابن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا
شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران حتى اقول لا امشي
على رجلي ابدا ولما نزلت المايدة عليه سورة المايدة كادت تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة ورواه احمد والبيهقي
في شعب الشعب الخامسة ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستماية جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه
وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم السادسة ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها
السابعة كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله
له كفاحا بغير حجاب انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه
لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يترايا له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة من الوحي والشي ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران
واما قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة
فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما ان يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية او على
صورة الادمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو الظاهر فهي السابعة الصورة التي بعدها
واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه
السلام راى ربه تعالى وهي مسالة خلاف باتي الكلام عليها ان شا الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله اراد بالمرتبة
السادسة وحي جبريل وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض
ولا يقال يلزم عليه ان تتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن
لانا نقول الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في الارض تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى
قلت ويزاد ايضا كلامه تعالى له في المنام كما في حديث الزهري اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم
الملا الاعلى الحديث ثم مرتبة اخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه على الاجتهاد في الاحكام
لانه اتفق على انه عليه السلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان معصوما من الخطا وهذا خرق للعادة في حقه دون
الامة وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة اخرى وهي مجي جبريل في صورة
رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم
وذكر الحليمي ان الوحي كان ياتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها كما في فتح الباري من صفات حامل الوحي ومجموعها

قال م

بدخول فيما ذكروا والله اعلم وذكر ابن المنير ان الحاله كانت تختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الادمي وخاطبه مشافهة وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس وقد ذكر ابن عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة ونزل على ادم اثني عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابرهيم اثنين واربعين مرة وعلى موسى اربع مائة وعلى عيسى عشر مرات كذا قاله رحمه الله وقد روي ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رايحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال مقاتل كانت الصلاة اول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلوة ام لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى وقال النووي اول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة واما ما ذكره في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه واحزنه وفترة الوحي عبارة عن تاخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه القران على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين ان نبوته عليه السلام كانت متقدمة على رسالته كما قاله ابن عمر وغيره كما حكاه ابو امامة ابن النقاش فكانت في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متاخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرا متضمنة لذكر اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو انه يذكر سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة وبين عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما اسداه اليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم امره سبحانه وتعالى بان يقوم فينذر عباده وكان اول من امن بالله وصدق صديقة النساء ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزيه الله ابدا وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة واسبقها الى الاسلام ابو بكر فازره في الله وعن ابن عباس انه اول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان ابن ثابت اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا والثاني التالي المحمود مشهده واول الناس قدما صدق الرسلا رواه ابو عمرو ومن وافق حسانا وابن عباس على ان الصديق اول الناس اسلاما اسماء بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنذر الاخنسي وقيل ان علي ابن ابي طالب اسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول الصبيان اسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري وقال ابو عمر وممن ذهب الى ان عليا اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد الخدري وزيد ابن الارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قال وا تفقوا على ان خديجة اول من اسلم مطلقا وقيل اول رجل اسلم ورقة ابن نوفل وممن يتبع ذلك انه ادرك نبوته عليه السلام لا رسالته لكن جاء في السير وهو رواية ابي نعيم المتقدمة

انه

الناموس صاحب السر المطلع على باطن امرك وجبريل عليه السلام

انه قال ابشر فانا الشهيد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان ادركه ذلك لاجاهدن معك فهذا انصح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما هو في اول من اسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال انتهى والله اعلم وقال الطبري الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي ابن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة واول من اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه لا خلاف فيه وعليه يحمل قول من قال اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما روي عن الحسن ان علي ابن ابي طالب قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وانا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث خرجه صاحب فضايل ابي بكر وخيثمة بمعناه واما ما روي من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين وقول ميمون بن مهران والله لقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقع في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان ابن عفان والزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة ابن عبيد الله بدعاء ابي بكر الصديق فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم بن ابي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله وعبيدة ابن الحرث ابن عبد المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة بنت الخطاب وقال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وعايشة اختها كذا قاله ابن اسحاق وغيره وهو وهم لم تكن عايشة ولدت بعد فكيف تسلم وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدع بما جاءه اي يواجه به المشركين وقال مجاهد هو الجهر بالقران وقال ابو عبيدة ابن عبد الله ابن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه وقال البيضاوي فاصدع بما تؤمر بين صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فبادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى ولم يتباعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العتقي فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصمه الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعو الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي سوءا فقال ابو طالب حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا

ودعوتني وزعمت انك ناصحي ● ولقد صدقت وكنت ثم امينا ● وعرضت دينا لا محالة انه
من خير اديان البرية دينا ● لولا الملامة او حذاري سبة ● لوجدتني سمحا بذاك مبينا ●
وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابايكم ورماه الوليد ابن المغيرة
بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل
الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه
خنقا شديدا فقام ابو بكر دونه فجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عمر كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي
معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاتى ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه
افضل من مؤمن ال فرعون لان ذلك اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابو بكر فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول
والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري ايضا كان عليه السلام يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ
قال قايل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجي به
ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا
فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك
بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف
وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب
قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وقد استشكل بعضهم عد عمارة
ابن الوليد في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة وله قصة مع النجاشي
اذ تعرض لامراته فامر النجاشي ساحرا فنفخ في احليل عمارة من سحر عقوبة له فتوحش وصار مع البهايم
الى ان مات في خلافة عمر واجيب بان كلام ابن مسعود انه راهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل
عليه ان عقبة بن ابي معيط لم يطرح في القليب وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة وامية ابن خلف
لم يطرح في القليب كما سياتي ان شا الله تعالى وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب
لعنة يحتمل ان يكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله
عليه وسلم بعد ان القوا في القليب واستدل بهذا الحديث على ان من عرض له ما في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا
تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها في الحال ولا اثر لها صحت اتفاقا واستدل به ايضا على طهارة فرث
ما يوكل لحمه وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف واجاب النووي بانه عليه السلام لم يعلم
ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا للاصل الطهارة وتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة
في مثل هذه الصورة واجيب بان الاعادة انما تجب في الفريضة فان ثبت انها فريضة فالوقت موسع فلعله
اعاد وتعقب بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان الله لا يقره على صلاة فاسدة الى ان اسلم حمزة بن عبد
المطلب وكان اعز فتى في قريش واشده شكيمة وكان اسلامه فيما قاله العتقي سنة ست فعز به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فوادي ● الى الاسلام والدين الحنيف ● لدين جاء من رب عزيز ●
خبير بالعباد بهم لطيف ● اذا تليت رسائله علينا ● تحدر دمع ذي اللب الحصيف ●
رسائل جاء احمد من هداها ● بايات مبينة الحروف ● واحمد مصطفى فينا مطاع ●
فلا تغشوه بالقول العنيف ● فلا والله نسلمه لقوم ● ولما نقض فيهم بالسيوف ●
وعند مغلطاي وسالوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد
ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر
فيك فقال لهم عليه السلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا
فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جيتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله
حتى يحكم الله بيني وبينكم ثم ان النضر بن الحرث وعقبة ابن ابي معيط ذهبا الى احبار يهود فسالاهم عنه عليه السلام
فقالوا لهما سلاه عن ثلاثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر
الاول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال عليه السلام اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فلبث الوحي اياما ثم
نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وانزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم
اصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سالوه عن الروح ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي الاية وذلك كثير وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث
وهو متكي على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح قالوا ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم
بشي تكرهونه فقالوا سلوه فسالوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيا فعلمت انه يوحى اليه
فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما
يظهر بادي الراي ان هذه اية مدنية وانها انما نزلت حين ساله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة
كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد يكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل
على نزولها بمكة ما روى الامام احمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش ليهود اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل
فقالوا سلوه عن الروح فسالوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناد رجاله رجال
مسلم فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك
وقد اختلف في المراد بالروح المسول عنه في هذا الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل
عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك قال القرطبي الراجح انهم سالوه عن
روح الانسان لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح الله ولا تجهل ان جبريل ملك وان الملايكة ارواح وقال
الامام فخر الدين المختار انهم سالوه عن الروح الذي هو سبب الحياة وان الجواب وقع على احسن الوجوه
وبيانه ان السوال عن الروح يحتمل عن ماهيته وهل هي متحيزة ام لا وهل هي حالة في متحيز ام لا وهل هي
قديمة او حادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد او تفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من
متعلقاتها قال وليس في السوال ما يخصص احد هذه المعاني الا ان الاظهر انهم سالوه عن الماهية
وهل الروح قديمة او حادثة والجواب يدل على انها شي موجود مغاير للطبايع والاخلاط وتركيبها فهي
جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكانه قال هي موجودة محدثة بامر الله وتكوينه
ولها تاثير في افادة الحياة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل ان يكون المراد
بالامر في قوله من امر ربي الفعل كقوله تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال

وقد سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها انتهى وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم فقيل هي النفس الداخل الخارج وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي الدم وقيل إن الأقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمسة أرواح ولكل مؤمن ثلاثة وقال أبو بكر ابن العربي اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شيء واحد قال وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر قال والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه وقال القرطبي الحكمة في إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى وقال بعضهم ليس في الآية دلالة على أن الله تعالى لم يطلع نبيه عليه السلام على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا فالله أعلم انتهى ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى إنه مر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق رضي الله عنه إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه وأعتق منهم بلالا وعامر ابن فهيرة وعن أبي ذر كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس وإن بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد رواه أحمد في مسنده وعن مجاهد مثله وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الإكراه على الكفر وهو يقول أحد أحد مزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان ۝ هذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واحرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا ولله در أبي محمد ... حيث قال

لا في بلال بلاء من أمية قد ۝ أحله الصبر فيه أكرم النزل ۝
إذا أجهدوه بضنك الأسر وهو على ۝ شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل ۝
ألقوه بطحا برمضا البطاح وقد ۝ عالوا عليه صخورا جمة الثقل ۝
فوحد الله إخلاصا وقد ظهرت ۝ بظهره كندوب الطل في الطلل ۝
إن قد ظهر ولي الله من دبر ۝ فقد قد قلب عدو الله من قبل ۝

يعني أن ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب فقده فقد جوزي عدو الله أمية وقد قلبه ببدر لأنه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لأخوة كانت بينهما في الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا فعلوه بأسيافهم حتى قتلوه وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن تعذب في الله فتأبى إلا الإسلام فقال المشركون ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى فقالت لا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كما في القاموس ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر إليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا أحد عشر رجلا وقيل اثنا عشر رجلا وأربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل وامرأتان وأميرهم عثمان بن مظعون وأنكر ذلك الزهري وقال لم يكن لهم أمير وخرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج يعقوب ابن سفيان بسند موصول إلى أنس قال أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة من قريش ... الحبشة

إلى الحبشة وأتبعهم أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي واسمه أصحمة وكان معهما عمارة بن الوليد ليردهم إلى قومهم فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام فيما قاله أبو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة وكان سبب إسلامه فيما ذكره أسامة بن زيد عن أبيه عن جده عن عمر أنه قال بلغني إسلام أختي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك أنك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رأيت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت قال فدخلت وأنا مغضب فإذا كتاب من ناحية البيت فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت إليها فإذا فيها سبح لله ما في السموات والأرض حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في أسفل الصفا فدخلت واحتضنني رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجامع ثيابي فجذبني إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت إلى رجل لم يكن يكتم السر فقلت له إني صبوت قال فرفع صوته بأعلاه ألا إن ابن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربونني وأضربهم فقال خالي ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه فقال ألا إني قد أجرت ابن أختي قال فانكشف الناس عني قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام قال ابن عباس لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر رواه ابن ماجه ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وإسلام عمر وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا وقدم بعض من هاجر إلى الحبشة حين قرأ عليه السلام والنجم إذا هوى حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير وفشا ذلك في الناس وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمن المسلمون بمكة فقفلوا سراعا من الحبشة والغرانيق في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه وقيل هو الكركي والغرنوق أيضا الشاب الأبيض الناعم وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه وقد تكلم القاضي عياض رضي الله عنه في الشفا على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقال الإمام فخر الدين الرازي ما لخصته من تفسيره هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقي هذه القصة غير

ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم وأيضا فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته فإنه لا فرق في العقل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها انتهى وليس كذلك بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق وكذا ابن مردويه والبزار وابن إسحق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وأبو معشر في السير كما نبه عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره لكن قال إن طرقها كلها مرسلة وإنه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتي وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام والحافظ أبو الفضل العسقلاني فقال أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه ثم ساق الحديث وقال البزار لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انتهى والكلبي متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي وذكره ابن إسحق في السيرة مطولا وأسندها عن محمد بن كعب وكذلك موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأورده من طريقه الطبري وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي ورواه ابن مردويه من طريق عباد ابن صهيب عن يحيى بن كثير عن الكلبي عن أبي صالح وعن أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة وسليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس وأوردها الطبري أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فذكر نحوه والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتمر ابن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك

أحكم الله

أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ورده القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم وقيل إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فعلق بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا وإلى هذا نحا الباقلاني وقيل إنه لما وصل إلى قوله ومناة الثالثة الأخرى خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك أو المراد بالشيطان شيطان الإنس وقيل المراد بالغرانيق العلا الملائكة وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها قال وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال معنى قوله في أمنيته أي في تلاوته فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي عليه الصلاة والسلام قاله وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى انتهى ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار ابن ياسر فيهم وثماني عشرة امرأة وكان منهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان سنة سبع من الهجرة إلى المدينة وهي بالحبشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرا إلى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار سيد القارة مالك بن الدغنة يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ويعجبون منه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك فقال أبو بكر لابن الدغنة فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله الحديث رواه البخاري ثم قام رجال في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال عليه السلام وذلك في السنة العاشرة ولما أتت له صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة وقال ابن الجوزي قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن أخي والله لولا أن تعيرني قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنيه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم أسمعه كذا في رواية ابن إسحق أنه أسلم عند الموت وأجيب بأن شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه السلام لم أسمع لأن الشاهد العدل إذا قال سمعت وقال من هو أعدل لم

رواه البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحق حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس فذكره وقال البيهقي إنه منقطع

اسمع أخي يقول من أثبت السماع ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الحديث قد أثبت لأبي طالب الوفاة
على الكفر والشرك كما روينا في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وأبى أن
يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبي والذين
آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي الصحيح عن العباس أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا طالب كان
يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح وفي الصحيح
أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه
وفي رواية يونس بن إسحاق زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل إلى قدميه قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله
تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له إلا أنه كان مثبتا لقدمه على ملة
عبد المطلب حتى قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياها على ملة آبائه
ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي شرح التنقيح للقرافي الكفار أربعة أقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الإذعان
للفروع كما حكي عن أبي طالب أنه كان يقول إني لأعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق ولولا أني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي
شعره يقول لقد علموا أن ابننا لا مكذب يقينا ولا يعزى لقول الأباطل قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان
غير أنه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام ابن السائب الكلبي عن أبيه أنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش
فأوصاهم فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه إلى أن قال وإني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق
في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني
أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الوبر والأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره
فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا
أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته
قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد
ولو كان لنفسي مدة وأجلي تأخر لكفيته الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل
قبل بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها وكان عليه السلام يسمي ذلك العام
عام الحزن فيما ذكر صاعد وكانت مدة إقامتها معه عليه السلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح ثم بعد أيام من موت خديجة
تزوج عليه السلام بسودة بنت زمعة بمكة ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من
شوال سنة عشر من النبوة لما نال منه قريش بعد موت أبي طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف
ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى
اختضب نعلاه بالدماء زاد غيره وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه فيقيمونه فإذا مشى
رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة
أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة
إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا
بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك
وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع
قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل

بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وعبد ياليل بتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة
ثم تحتانية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام وكان ابن عبد ياليل من أكابر الطائف من ثقيف و
قرن الثعالب هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بالطائف
كانت عشرة أيام ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما
رأياه ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما بقطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف
قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم
من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال عليه السلام من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك
قال ذاك أخي وهو نبي مثلي فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة
صرف إليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي فسمعوا له وهو يقرأ
سورة [illegible] وفي الصحيح أن الذي آذن صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر
اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب
وذكر صاحب الروض من أسماء السبعة الذين أتوه عليه السلام عن ابن دريد منشى وناشي وشاصر والأحقب لم يزد على تسمية
هؤلاء قال الحافظ ابن كثير إن ابن إسحاق خرجه عليه السلام إلى أهل الطائف ودعاءه إياهم وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة
فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه
نظر فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال كانت الجن يستمعون الوحي فيسمعون
الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوا حقا وما زادوا باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال
ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال هذا الحدث
الذي حدث في الأرض ورواه النسائي وصححه الترمذي قال وخروجه عليه السلام إلى الطائف كان بعده وفي حديث
وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه
قالوا أنصتوا فأنزل الله عز وجل وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية فهذا مع رواية ابن عباس
يقتضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ثم
بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى وفي طريقه عليه السلام هذه دعا بالدعاء المشهور
اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين
إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي
أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي
سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك أورده ابن إسحاق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن
جعفر قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا إلى الطائف فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فأتى ظل
شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم إليك أشكو فذكره وقوله يتجهمني يتقدم بالجهم على أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه
ثم دخل عليه السلام مكة في جوار المطعم بن عدي ولما كان في شهر ربيع الأول أسري بروحه وجسده يقظة من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سماوات ورأى ربه بعينيه رأسه وأوحى إليه ما أوحى
وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته إلى مكة فأخبر بذلك فصدقه الصديق وكل من آمن بالله وكذبه الكفار
واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر إليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين

حكاه عبد القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا
خلاف انها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب بان موت خديجة
بعد البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلاة وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى
فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه من طريقه الطبري والبيهقي فعلى هذا كان في شوال
وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر وقبله ابن قتيبة وبه جزم النووي في الروضة وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة
اشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال الحربي انه كان
في ثالث عشري ربيع الاخر وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح مسلم في ربيع الاول واما اليوم الذي يسفر
عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابن دحية يكون ان شاء الله يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة
فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسيأتي ان شاء الله تعالى قصة الاسراء والمعراج
وما فيهما من المباحث والله الموفق والمعين ولما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج
صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب كما
كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر
من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران وكان
من صنع الله ان اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم وكانوا اذا كان
بينهم شيء قالوا ان نبيا سيبعث الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت
فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام
فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ورافع بن مالك
ابن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن
حرام ومن اهل العلم بالسير من جعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رئاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري
حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذا لا
يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم
عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم
يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفي
الاكليل احد عشر وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفراء ورافع ابن مالك وقطبة
ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثني عشر
هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس الزرقي وقيل انه رحل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة ابن الصامت بن قيس وابو عبد
الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم ابن التيهان من
بني عبد الاشهل وعويم بن ساعدة من بني ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اي وفق بيعتهن التي نزلت بعد ذلك عند
فتح مكة وهي ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا
ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول
الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم قال عليه الصلاة والسلام فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئا كان امره
الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد

بن

ابن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا القران فبعث اليهم مصعب
ابن عمير وروى الدارقطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا
فاسلم على يدي مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم في جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهما جميع بني عبد
الاشهل في يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم احد الا اسلم حاشا الاصرم وهو عمرو بن ثابت ابن وقش فانه تأخر باسلامه
الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا
منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل
في ذي الحجة اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا وقال سعد بن يزيد بدون رجلا او رجلين وامراتان وقال ابن اسحاق ثلاثة وسبعون
وامراتان وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا وكان اول من ضرب على يده عليه السلام البراء بن معرور ويقال ابو الهيثم
ويقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت اول اية نزلت في الاذن
بالقتال اذن للذين يقاتلون الاية وفي الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين الاية ونقب عليهم اثني عشر نقيبا وفي حديث جابر
عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث عليه الصلاة والسلام عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها
يقول من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت
عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه قال ابن اسحاق ولما تمت بيعة هؤلاء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة
الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يؤذن له في الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد
الاسد قبل بيعة العقبة بسنة فوم من الحبشة لمكة فاذاه اهلها وبلغه اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة
وامراته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة في عشرين راكبا فقدموا
المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب وابو بكر كذا قال
ابن اسحاق قال مغلطاي وفيه نظر لما ياتي بعد وكان الصديق كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الهجرة فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي
في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امره عليه الصلاة والسلام
فاجمع رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة نجدي فالجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض
اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه
حتى ينام فيثبوا عليه فامر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه وفي ذلك يقول

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر
على رؤوسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه السلام حيث
اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم
رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افلا ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب وفي
رواية ابي حاتم ما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما اصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال

ابن عباس بقوله تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم فان قلت ما الحكمة في هجرته عليه السلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل اجيب بان حكمة الله تعالى قد مضت انه عليه السلام بحضرته تتشرف الاشيا لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه السلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل فاراد الله ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه وذكر الحاكم ان خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحق انه خرج اول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن ابن اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال وخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس وجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكانت مدة مقامه بمكة من حين البعثة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ۰ يذكر لو يلقى صديقا مواتيا ۰

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر وامر عليه السلام عليا بخروجه وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذكر ان عائشة قد كان ابوها انكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل اجيب بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على اتم الاحوال انتهى قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل باسفل مكة وكان من قوله عليه الصلاة والسلام حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا مما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا علي وال ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وما احسن قول الشيخ شرف الدين الابوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض ۰ الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه ۰ وقلوه وودّه الغرباء
اخرجوه منها وآواه غار ۰ وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ۰ ما كفته الحمامة الحصداء

من قال شجرة حصداء اي كثيرة الورق فكانه استعار للحمامة

للحمامة لكثرة ريشها وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة وهي ام غيلان تحجب عن الغار اعين الكفار وعن ابي حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقد روي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت العنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمي على القائف الطلب في محل المطلب

والعنكبوت اجادت حوك حلتها ۰ فما يخال خلال النسج من خلل ۰

ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن النقيب ۰

ودود القز ان نسجت حريرا ۰ يجمل لبسه في كل شي ۰
فان العنكبوت اجل منها ۰ بما نسجت على راس النبي ۰

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة ۰

اقسمت بالقمر المنشق ان له ۰ من قلبه نسبة مبرورة القسم ۰
وما حوى الغار من خير ومن كرم ۰ وكل طرف من الكفار عنه عمي
~~وهم يقولون ما بالغار من ارم~~ ۰ فالصدق في الغار والصديق لم يرما ۰ وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ۰ خير البرية لم تنسج ولم تحم ۰
وقاية الله اغنت عن مضاعفة ۰ من الدروع وعن عال من الاطم ۰

اي عموا عما في الغار مع حلول الله تعالى ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه السلام وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت ~~ما جرت~~ العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما احشى الانسان فرارا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما يشاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله در الابوصيري من شاعر بليغ وما احسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال ۰

واعيننا حين ضم الغار وصاحبه ۰ كمثل قلبي معمور ومأهول ۰
كانما المصطفى فيه وصاحبه الـ ۰ صديق ليثان قد اواهما غيل ۰
وجلل الغار نسج العنكبوت على ۰ وهن فيا حبذا نسج وتجليل ۰
عناية ضل كيد المشركين بها ۰ وما مكائدهم الا اضاليل ۰
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ۰ كان ابصارهم من زيغها حول ۰

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي لي ابا بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تفطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه عليه السلام لم يكن تعود الحفا والجفوة رواه ۰ وروي ايضا ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين وروي ايضا ان ابا بكر

لما راى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انه ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة
فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن
عندها القلوب على ابي بكر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار
او ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته انظر لما راى الرسول حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة
لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب
الموت لما وقى الرسول عليه السلام بماله ونفسه ٥ جوزي بمواراته معه في رمسه ٥ وقام مؤذن التشريف ينادي على
منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ٥ ولقد احسن حسان حيث قال ٥ وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ٥
طاف العدو به اذ صاعد الجبلا ٥ وكان حب رسول الله قد علموا ٥ من الخلائق لم يعدل به بدلا ٥
واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه
ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما
والاول هو المشهور وكان يبيت عندهما عبد الله ابن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج
من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر عن ذلك اليوم
حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء
فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر عبد الله بن الاريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار
ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق
السواحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي
وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال
اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت
ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب
فيه مرة اخرى علا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقل ما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف
اسمه وقال العسكري اسمه اكثم ابن ابي الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا تساوكن هزلا مخهن قليل فلما راى
ابو معبد اللبن عجب فقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت
لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه
حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل احور اكحل ازج
اقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكان
منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء
يحفون به اذا قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال هذا والله
صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسماء بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش
فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان
فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات ٥

جزى الله رب الناس خير جزائه ٥ رفيقين حلا خيمتي ام معبد ٥
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ٥ فافلح من امسى رفيق محمد ٥
فيال قصي ما زوى الله عنكم ٥ به من فعال لا تجارى وسودد ٥
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ٥ ومقعدها للمؤمنين بمرصد ٥
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ٥ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد ٥

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم رواه ابن اسحق والطبراني وقوله مرملين اي نفد زادهم ومسنتين
اي مجدبين ويروى مشتين اي دخلوا في الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وسكون السين جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت
ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض
في المكان يربض اذا لصق به واقام والثج السيلان وفي رواية فحلب فيه ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحدته ثمالة
والبهاء اي بهاء اللبن وهو وبيص رغوته وتساوكن هزلا اي تمايلن ويروي تشاركن من المشاركة اي تساوين في الهزال
وغادره ابقاه والشاء عازب اي بعيدة المرعى والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئه الصعلة بفتح الصاد صغر الراس
والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهي التي ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح الثاء المثلثة وسكون الجيم عظم
البطن ويروى بالنون والحاء اي نحول ودقة والصعلة بفتح الصاد صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول في البدن
والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفي عينيه دعج اي سواد والوطف قال في القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعينين
في صوته صحل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت واحور قال في القاموس الحور بالتحريك ان يشتد
بياض بياض العين وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل والازج الدقيق
طرف الحاجبين وفي القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين في طول والاقرن المقرون الحاجبين وفي عنقه سطع بفتحتين
اي ارتفاع وطول وفي لحيته كثاثة بمثلثة الكثاثة في اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل
كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سما وعلاه البهاء اي ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة
ولا نزر فيكون المجة ولا هذر بفتحها اي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ولا تشنؤه من طول كذا جاء في رواية
اي لا يبغض لفرط طوله ويروى لا يتشنى من طول ابدل من الهمزة ياء يقال تشنيته اشنؤه شنا وشنانا قاله ابن
الاثير ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته ومحفود اي مخدوم
والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذي يكثر اللوم وهو التفنيد
والطرة لحمة الضرع وغادرها اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر واخرج ابن سعد
وابو نعيم من طريق الواقدي حدثني حزام ابن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه السلام
ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما في الارض قليل
ولا كثير ثم تعرض لهما في الطريق سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال
كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما علي
فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقفا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي
حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما
الزاد والمتاع فلم يرزآني واختار صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه ٥
من طريق البيهقي بسنده عن قيس ابن النعمان قال فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى

عنها فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت عام اول وما بقي لها لبن فقال ادع بها
فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي
ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك فقال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال
فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبي وان ما
جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت
فأتنا قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره لقصة ام معبد وفي الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد
قال الحاكم فلا ادري اهي هي ام غيرها قال وسمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم
فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم اي حظكم
ومطلوبكم قد اقبل فخرجوا اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بني عمرو بن
عوف الحديث رواه البخاري وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار
ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه
فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر هذا انه عليه السلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل
الغمام والملك له قبل البعثة كما هو صريح في موضعه قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال
ربيع الاول اي اول يوم منه وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحاق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه
عند ابي معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفي شرف المصطفى من طريق
ابي بكر بن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال
وقيل كان حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة منه وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة وقال
ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه وقيل لليلتين
منه وعند البيهقي لاثنتين وعشرين ليلة وقال ابن حزم خرج من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال واقام علي بمكة
بعد مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام ثم ادركه بقبا يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع الاول وكانت مدة مقامه
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ
وجعله من المحرم واقام عليه السلام بقبا في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفي صحيح مسلم اقام فيهم اربع عشرة
ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجد قبا الذي اسس على التقوى على الصحيح
وهو اول مسجد بني في الاسلام واول مسجد صلى فيه عليه الصلاة والسلام باصحابه جماعة ظاهرا واول
مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه ثم خرج عليه السلام
من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة
في بطن وادي رانوناء براء مهملة ونونين ممدود كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد الغبيب بضم الغين المعجمة تصغير غب
كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادي ذي صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة
وهو على يمين السالك الى مسجد قبا وركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد الجمعة متوجها الى المدينة وروى انس بن
مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال
فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب

الحاسب

الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث رواه البخاري وقد روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لابي
بكر الْهِ عني الناس فكان اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا يهديني السبيل وفي حديث الطبراني من رواية
اسماء فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني يريد الهداية في الدين
ويحسبه الاخر دليلا وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب
وكان عليه السلام اسن من ابي بكر الصديق وفي حديث انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر وكان عليه السلام كلما مر على
دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة
وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل
وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء ويقال اسعد بن زرارة وهو المرجح ثم ثارت وهو صلى الله عليه
وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض يعني
باطن عنقها او مقدمه من المذبح وارزمت يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل
ان شاء الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها
وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند يوسف بن يعقوب في كتاب الذكر والدعاء له
قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت
يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل
عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا
البيت الذي لابي ايوب بناه له تبع الاول لما مر بالمدينة وترك فيها اربعمائة عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم
ودفعه الى كبيرهم وساله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب وهو من ولد
ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل
نفسه لا منزل غيره كذا حكاه في تحقيق النصرة وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله
فيها وسرى السرور الى القلوب وقال انس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي
في الدلائل وابو الحسن ابن المقرئ في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره الطبري في الرياض عن ابي الفضل
ابن الجحبي قال سمعت ابن عائشة يقول اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين انتهى وسميت
ثنية الوداع لانه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره وقيل لانه عليه السلام شيع اليها
بعض سراياه فودعه عندها وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح
القاضي عياض هذا الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه عليه السلام طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة
اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقي انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وهذا
كله مردود ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح في انها من جهة الشام ولهذا نقل
والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عائشة معضل ولا تقوم به حجة انتهى

لكن صح

ويسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية الشام
لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى قال ابن العراقي ايضا
ويحتمل ان تكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى وفي شرف المصطفى واخرجه البيهقي
عن انس لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف يقلن نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد
من جار فقال صلى الله عليه وسلم اتحببنني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني في الصغير فقال عليه السلام الله يعلم
ان قلبي يحبكم وقال الطبري وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك ابو بكر وبلال
فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله
وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل اللهم العن شيبة ابن ربيعة وامية ابن خلف
كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك
لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعني عائشة وقدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله فكان بطحان
يجري نجلا تعني ماء آجنا وقال عمر بن الخطاب اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك رواه البخاري و
قوله يرفع عقيرته اي صوته لان العقير الساق كان الذي قطعت به رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك حكاه
الجوهري وشامة جبلان وطفيل عينان بقرب مكة والواد بالوادي وادي مكة وجليل نبت ضعيف واقام صلى الله عليه
وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلاة
ولما اراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا
الى الله فابى ذلك وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله قال انس
وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت لبنتين
لبنة عن النبي صلى الله ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون
وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام للناس اجر ولك اجران وآخر زادك
من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو
ينقل هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر اللهم ان الاجر اجر الاخرة
فارحم الانصار والمهاجرة قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا
انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله
هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي يحمل منها من التمر والزبيب
ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس وهم
يقولون لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك اذا للعمل المضلل واخرون يقولون لا يستوي من يعمر المساجدا
يداب فيها قائما وقاعدا ومن يرى عن التراب حائدا وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة ابواب
باب في مؤخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع
وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل
والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي
يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان ثم تحول عليه السلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة
وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن

ابي



بكر معهم بعيال ابيه وكان في المسجد موضع مظلل تأوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة
وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام وفي البخاري من حديث
ابي هريرة لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم
فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا
اكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة وكانوا من اهل الصفة
ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة غير السبعين الذين بعثهم الله في غزوة وقد اعتنى بجمع اصحاب الصفة ابن الاعرابي
والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الآخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة قاله في فتح الباري وكان
صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله
٢ وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وسيأتي قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات و
لما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون
على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولو الارحام بعضهم اولى ببعض الآية وبنى بعائشة على
رأس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة
لتحين مواقيتها من غير دعوة واخرج ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي للصلاة بقول
الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلاة وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية فقال
بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال آخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا راها
الناس اقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلا فعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما رأى وفي رواية معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم
ولو قلت اني لم اكن نائما لصدقت رأيت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة فقال الله اكبر الله اكبر مثنى
مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال عليه السلام انها لرؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن
به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القي عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته
فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما أرى ووقع في الاوسط للطبراني ان ابا بكر ايضا
رأى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح
ثم النووي وفي سيرة مغلطاي انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر رحمه الله ولا يثبت شيء من ذلك
الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق انتهى قال السهيلي فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه
رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله عليه السلام انها لرؤيا
حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله له ام لا واجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسراء
فروى البزار عن علي لما قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق
فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي
بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوى من الوحي
فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت
ما رأى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وعلم حينئذ ان مراد الله بما راه في السماء ان يكون سنة
في الارض وقوي ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري انتهى وتعقب بان حديث البزار في اسناده زياد بن

ابن المنذر ابو الجارود وهو متروك وقال في فتح الباري وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد
لان رؤيا غير الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي واجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق
وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي احد كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جا ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي وهذا اصح مما
حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام وقد عرفت
رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحاق وغيره وذكر انه قال طاف بي وانا نايم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد
الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعوا به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى
قال تقول الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استاخر عني غير بعيد ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل
الله اكبر الله اكبر الى اخر كلمات الاقامة ورواه ابو داود باسناد صحيح ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين راى النداء وقد
قال لا يشتغل الذي راى وفي مسند الحارث اول من اذن بالصلاة جبريل اذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وظاهره ان عمر سمع ذلك في اليقظة وقد
وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال
لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد وهو متروك
ومنها للدارقطني في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة
واسناده ضعيف ومنها حديث للبزار عن علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شي من هذه الاحاديث
وقد جزم ابن المنذر بانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان
وقع التشاور في ذلك والله اعلم فان قلت هل اذن عليه الصلاة والسلام بنفسه قط اجاب السهيلي بانه روى
الترمذي من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر وصلى وهم
على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه عليه السلام اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي
هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم النووي بانه عليه السلام اذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه
لكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل
وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن قال في فتح الباري فعرف ان في
رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطاء غيره ونسب الى
الخليفة لكونه امر انتهى ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاخر قال الدولابي يوم
الثلاثا وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة
المغرب لانها وتر النهار واقرت صلاة السفر وفي البخاري عن عايشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه السلام الى
المدينة ففرضت اربعا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت اربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له
حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وقيل انما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وهو قول ابن
عباس قال رضي الله عنه فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وعنه وسياتي
مزيد لذلك ان شا الله تعالى في اول الصلاة من مقصد عباداته عليه السلام قال ابن اسحاق وغيره ونصبت احبار
يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق وكان يخيل اليه
انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بير ذي اروان واكثر اهل الحديث يقول
ذروان تحت راعوفة البير كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبيا يبتلون في ابدانهم بالجراحات

والسموم

والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلما عليهم ونافق لما اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين ابائهم
من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوا جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله بن ابي بن
سلول وكان راس المنافقين وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سياتي ان شا الله
تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله لرسوله عليه السلام بالقتال قال الزهري اول اية نزلت في الاذن بالقتال
قال الزهري اول اية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
اخرجه النسائي باسناد صحيح وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون
اكثر عددا فلو امر المسلمين وهم قليلون بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه السلام من بين اظهرهم
وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام
ومعقلا يلجاون اليه شرع الله تعالى جهاد الاعداء فبعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا وغزا وقاتل
هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه
سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة والطايف
وهذا على قول من قال ان مكة فتحت عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها بعثه سبعا واربعين سرية
وقيل انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج
بالليل والسارية التي تخرج بالنهار وقال وقيل سميت بذلك يعني السرية لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت
من السر ولا يصح لاختلاف المادة وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة الى خمسمائة فما زاد على خمس
مائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة سمي جيشا فان زاد على اربعة الاف سمي جحفلا والخميس
الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله
عليه وسلم على راس سبعة اشهر في شهر رمضان وقيل في ربيع الاول سنة اثنتين بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين
رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه
في دارهم فخرجوا يعترضون عيرا لقريش فيها ابو جهل اللعين فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية
العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان عليه السلام قد عقد له لواء ابيض واللواء هو العلم الذي
يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من
اهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
سوداء ولواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله
الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحاق وكذا ابو الاسود
عن عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية انتهى ثم سرية عبيدة بن الحارث
الى بطن رابغ في شوال على راس ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة فلقي ابا سفيان
ابن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة ابن ابي جهل في مايتين ولم يكن بينهم قتال الا ان
سعد ابن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام قال ابن اسحاق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول
راية عقدت في الاسلام وبعض الناس يقول راية حمزة قال وانما اشكل امرهما لانه عليه السلام بعثهما معا فاشتبه
ذلك على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر لكن يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد
رايتيهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى راس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد ابن ابي وقاص الى الخرار بخاء
معجمة وراءين مهملتين وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على راس تسعة اشهر وعقد له لواء ابيض

حلا المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان رحلا يعترض عيرا لقريش فخرجوا على اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس ثم غزوة ودان وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحاق وفي البخاري عنه اولها الابوا اخرج صلى الله عليه وسلم في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا في ستين رجلا وحمل اللوا حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة اي المصالحة على ان بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وليس في سيرة ابن اسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف فان الابوا وودان مكانان متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو واخره مهملة وهي الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور في مايتين من اصحابه يعترض عيرا لقريش فيهم امية بن خلف الجمحي واستعمل على المدينة السايب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا اي حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير اخرها لم يختلف اهل المغازي في ذلك وفي البخاري العشير او العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا ها والثانية بالمهملة وبالها واما غزوة العسيرة بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك وستاتي ان شا الله تعالى وتنسب هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الاخرى على راس ستة عشر من الهجرة في خمسين ومايه رجل وقيل مايتين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللوا وكان ابيض حمزة يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحاق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة فانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من رامهم ان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمة ابن عبد الاسد غزوة بدر الاولى قال ابن اسحاق ولما رجع عليه السلام اي من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفا موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم سرية امير المومنين عبد الله بن جحش في رجب على راس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثنا عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة في رجب يترصد قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبا وادما من الطايف فيها عمرو بن الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في اخر يوم من رجب فان قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واستاسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في الاسلام فقسمها ابن جحش وعزل الخمس في ذلك قبل ان يفرض وقيل بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام واخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنايمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدما واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... واعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فدا الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله والحكم ابن كيسان فقال

ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم ~~في فدا الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله والحكم بن~~ فاسلم وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ثم حولت القبلة الى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية عشر شهرا وقال الحربي قدم عليه السلام المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى وقيل كان يوم الثلثا في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر حديث البراء في البخاري انها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن المعلى انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر انه قال بينا الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يومروا باعادة العصر والمغرب والعشا والله اعلم وروى الطبري عن ابن عباس لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر اهلها يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الاية قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه اخر عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان يكون امر لما هاجر ان يستمر على الصلاة لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر وصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله في حديث ابن عباس الاول امره الله يرد قول من قال انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية انه صلى الى بيت المقدس يتالف اهل الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف واختلف في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في الطبقات انه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه عليه السلام زار ام بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه السلام باصحابه ركعتين ثم امر فاستداروا الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت ولما حولها الله تعالى القبلة الى الكعبة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهولا تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف والامر كله لله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبامته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله قال عليه السلام فيما رواه احمد من حديث عايشة ان اليهود لا يحسدونا على شي كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام امين وقال بعض المومنين فكيف بصلاتنا التي صلينا ها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ننتظر ان ياتي فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك اليها بما في كتبهم عن انبيايهم ثم افترض صيام شهر رمضان بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام وزكاة الفطر قبل العيد بيومين ان تخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من زبيب شعير او صاع من زبيب

او صاع من بر وذلك قبل ان تفرض زكاة الاموال وقيل ان الزكاة فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم ثم غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر ابن الحرث حافر بيرها وقيل بدر اسم البير التي بها سميت لاستدارتها او لصفاء مائها ورؤية البدر فيها وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائد اعز الله رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي عليه السلام وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المومنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم ليعلموا ان النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الافاق نوره من حين وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على راس تسعة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام واستخلف ابا لبابة الانصاري وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة افراس بعزجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي لم يكن لهم يوميذ خيل غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون الفا ويقال تسع ماية وخمسين رجلا معهم ماية فرس وسبع ماية بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك ان ابا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاصي فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير لقريش فيها اموالكم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه السلام استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابا لهب وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطايفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلاة والسلام ايها الناس وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه السلام قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى عدونا

الاثنين وخبام

اقصى معمور الارض

انا

انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر عليه السلام بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطايفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم فاذا نبا عن انس قال عليه السلام هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام مسلم قال ابن سيد الناس في عيون الاثر روينا من طريق مسلم ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذلك رواه ابن اسحاق وغيره واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي والمدايني وابن الكلبي منهم انتهى ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظما وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداوكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة ابن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفرا وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا الاكفاء من قومنا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم فقالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد ابن عتبة فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحق وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري بارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة وعلي على الذي بارز عبيدة فاعانا على قتله وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي مثل قول موسى بن عقبة وعند ابي الاسود عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني ان شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة واخرج ابو داود عن علي قال تقدم عتبة وتبعه ابنه واخوه فنادى من يبارز فانتدب له شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة قال الحافظ ابن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذي في السير من ان الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللايق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهذا موافق لرواية ابي داود والله اعلم انتهى قال ابن اسحاق وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك

سعيد ابن منصور من طريق عبيد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال عليه السلام وهو في صلاته اللهم لا تخذلني اللهم انشدك ما وعدتني وروى النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق اخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت كيف جعل ابو بكر يامره عليه السلام بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد اجاب السهيلي بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجا والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام الخوف لان الله تعالى يفعل ما يشاء فخاف ان لا يعبد الله بعدها في الارض فخوفه ذلك عبادة انتهى وقال الخطابي لا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على اصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد ابو بكر في نفسه من القوة والطمانينة بقوله سيهزم الجمع وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلاة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذي يظهر وانما قال عليه السلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ايضا ومن معه حينئذ لا يبعث احد ممن يدعو الى الايمان واما شدة اجتهاده عليه السلام ونصبه في الدعاء فانه راى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معه فكان الكل في جد واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من احد الجدين والمجاهدين وانصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليوثر الدعة وحزب الله مع اعدائه يجتلدون انتهى وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضع عشر رجلا دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين متتابعين بعضهم في اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه اردفهم المسلمين وجاءهم بهم مددا وفي اية اخرى بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فيستفاد ان الالف اردفهم بثلاثة الاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم والالف هم الذين قاتلوا مع المومنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا في صور الرجال ويقولون للمومنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع ابن انس امد الله المسلمين بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة امد الله المومنين يوم بدر بخمسة الاف وعن عامر الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فلم يمد المسلمين بالخمسة وعن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اقبل جبريل والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال له الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله

والله شديد

والله شديد العقاب وروي ان جبريل نزل في خمس مائة وميكائيل في خمس مائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر وعن علي كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكان سيماهم ايضا في نواصي خيلهم رواه ابن مردويه وعن ابن عباس بن رقعة في قوله تعالى مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر وروى ابن ابي حاتم عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم عمائم صفر قيل ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وبذلك صرح العماد ابن كثير في تفسيره فقتال الملائكة انما كان يوم بدر ثم روي عن ابن عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال ابن مرزوق ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وفي نهاية البيان في تفسير القران عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة يومئذ ام لا فيه قولان احدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلون كاشد القتال قال النووي فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء بل يراهم الصحابة والاولياء انتهى قال ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الادميين فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان قال عطيه كل مفصل قال السهيلي جاء في التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم باثار سود في الاعناق والبنان وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة تكون الهزيمة في القتال وحيزوم اسم فرس جبريل صلى الله عليه وسلم قاله في القاموس وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم قال الشيخ تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله تعالى في عباده والله فاعل الجميع انتهى ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روي عن غير واحد ان هذه الاية نزلت في رميه عليه السلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد اعتقد جماعة ان المراد بالاية سلب فعل الرسول عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط منهم في فهم القران فلو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ صليت ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم في افعال العباد طاعاتهم ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعها او رميه وحده ناقضوا فهولاء لم يوفقوا لفهم ما اريد بالاية ومعلوم ان تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدا الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى

وعمائمهم ظ

او رميه وحده ظ

نهايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبداه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا في
الاية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وحده هو الذي
تفرد بايصال الحصباء الى اعينهم ولم يكن برسوله وتحقيق وجه الاشارة بالاية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان
ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي
يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في
يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم
لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وجاءه عليه السلام يومئذ
فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلده فبصق عليه السلام عليها
فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن الزبير عن عائشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى
ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فالقوا عليه ما غيبه من التراب
والحجارة وانما القوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه السلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم وكان
جرهم الى القليب ايسر عليهم وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر فيقول
هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر والذي بعثه بالحق ما اخطأوا الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى
اليهم فقال يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني
وجدت ما وعدني الله حقا وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة ابن ربيعة ويا امية ابن خلف ويا ابا جهل
ابن هشام وفي بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة
والتراب ما غيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم قال
ابن اسحاق حدثني بعض اهل العلم انه عليه السلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس فقال
عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا
وتأولت عائشة ذلك فقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الان ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرأت انك
لا تسمع الموتى الاية يعني قولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الان ليعلمون ثم قال قتادة احياهم الله تعالى
توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روي عن عائشة رضي الله عنها ومن الغريب ان في
المغازي لابن اسحاق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عائشة حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد
باسناد حسن فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة
وقال الاسماعيلي كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل
الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته التكييف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها ممكن
لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه السلام انهم الان يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع
في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون
فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على
خرق العادة بذلك لنبيه عليه السلام لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم قال واذا جاز ان يكونوا
في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند
المسألة وهو قول اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع
الى الجسد او الى بعضه قال وقد روي عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وهذه

الاية

الاية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ان الله هو الذي يهدي من يوفق ويوصل الوعظ عنه الى آذان القلوب لا انت وجعل الكفار امواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالاية من وجهين احدهما انها انما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير انتهى ولقد احسن العلامة ابن جابر حيث قال

رمى ببدر يوم بدر وهو كالبدر حوله كواكب في افق المواكب تنجلي وجبريل في جند الملائك دونه فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في اوجه القوم رمية فشردهم مثل النعام المجفل وجادلهم بالمشرفي فسلموا لمجادله بالنفس كل مجدل عبيدة سل
عنهم وحمزة واستمع حديثهم في ذلك اليوم من علي هم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا فذاق الوليد الموت ليس له ولي وشيبة لما
شاب خوفا تبادرت اليه العوالي بالخضاب المعجل وجا ابو جهل فحقق جهله غداة تردى بالردى عن تذلل فاضحى قليبا
في القليب وقومه يؤمونه فيها الى شر منهل وجاءهم خير الانام موبخا ففتح من اسماعهم كل مقفل واخبر ما انتم باسمع منهم
ولكنهم لا يهتدون لمقول سلام عليهم يوم التلاقي اذ تضاحكوا فعاد بكا عاجلا لم يؤجل الم يعلموا علم اليقين بصدقه
ولكنهم لا يرجعون لمعقل فيا خير خلق الله جاهك ملجأي وحبك ذخري في الحساب وموئلي عليك صلاة يشمل الال عرفها واصحابك
الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة ابو ... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال مررت ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فلما اجتزت به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر فلا ادري اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال ومن آيات بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تأولته بان الموضع لعله صلب فتجيب فيه حوافر الدواب وكان يقال لي انه دهس رمل وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمل الى ان قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت سمعته واعني وانا اسير في الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فتشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق لهذه الاية العظيمة فالقيت العود من يدي وجلست الى الارض او ثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سايرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا ببدر فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى وروى الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم لو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال مكة قاله في القاموس ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسألوه ان يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم وفي حديث انس عند الامام احمد استشار عليه الصلاة والسلام الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام فعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر

ابو بكر الصديق فقال يا رسول الله ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفدا قال وانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية وياتي الكلام عليها في النوع العاشر في ازالة الشبهات عن ايات المشكلات من المقصد السادس ان شا الله تعالى واخرج ابن اسحاق من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابني اخيك عقيل ابن ابي طالب ونوفل ابن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو قال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني قال الله اعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا وعند ابي نعيم في الدلايل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس للقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الاية فقال العباس وددت لو كنت اخذت مني اضعافها لقوله يوتكم خيرا مما اخذ منكم وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس تنبيه لا يقدح في وعد الله انه استشهد هولاء الصحابة لان هذا الموعد كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصره للمومنين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وكان ممن فضلهم العباس ابن عبد المطلب وعقيل ابن ابي طالب ونوفل ابن الحرث ابن عبد المطلب وكلا اسلم وكان العباس فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم الاسلام وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقيل اسلم قبل فتح خيبر وقيل كان يكتم اسلامه واظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عليه السلام ان مقامك بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه انه خرج لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتسبها من فدايه فابى وقال اما شي خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتني اتكفف قريشا فقال عليه السلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في اخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وقد روي انه عليه السلام شهد دفن رقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فامر ان ينزل قبرها وانكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني انها ام كلثوم فصح حديث الطبراني التبيين ومن قال كانت رقية فقد وهم وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره وامر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل عقبة ابن ابي معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه السلام قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم وجعل عليه عبد الله ابن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل بين المسلمين على السوا وامر عليا ان يقتل النضر بن الحرث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلما ان الامام مخير فيهم ان شا قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان

شا استرق ومن اسر هذا مذهب الشافعي وطايفة من العلما وفي المسالة خلاف اخر مقرر في كتب الفقه والله اعلم ولما قدم ابو سفيان بن الحرث من بدر لمكة ساله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاوا وياسروننا كيف شاوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما تقوم لها شي قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس ابن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا فقلت هذه والله تلك الملايكة فرفع ابو لهب يده فضرب في وجهي ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربته به في راس ابي لهب وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة اقام النوح على قتلى قريش شهرا ثم سرية عمير بن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى عصما بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الاسلام وتوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض فيها معارض ولا يسال عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الوجيز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه السلام وسياتي لذلك نظاير ان شا الله تعالى وفي اوله شوال صلى صلاة الفطر وفي اول شوال ايضا وقيل بعد بدر بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه السلام يريد بني سليم فبلغ ماء يقال له الكدر ويعرف بغزوة قرقرة وهي ارض ملساء والكدر طير في الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه السلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه السلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللواء علي ابن ابي طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش وصاح عدو الله ابو عفك فثار اليه ناس ممن هو على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية في شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون والصرف وتركه بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم عليه السلام على ان لا يحاربوه ولا يوالبوا عليه عدوه وهم طوايف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبني قينقاع وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا ما يوول اليه امره كطوايف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة وبالعكس كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان اول من نقض العهد من اليهود بني قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال بعد وقعة بدر قال الواقدي بشهر واغرب الحاكم فزعم ان اجلاء بني قينقاع واجلاء النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحاق وكان من امر بني قينقاع ان امراة من العرب جلست الى صايغ يهودي فراودها على كشف وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبني قينقاع فسار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استخلف ابا لبابة ابن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة وكان اللواء بيد حمزة ابن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له اموالهم وان لهم النساء والذرية فامر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله ابن ابي ابن سلول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيهم وألح عليه من اجلهم فامر عليه السلام ان يخلوا وتركهم من القتل وامرهم ان يجلوا من المدينة فلحقوا
باذرعات فما كان اقل بقاءهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا والة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفا لعبد الله ابن ابي
وعبادة ابن الصامت فتبرا عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله اتبرا الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله
والمؤمنين وابرا من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد الله انزل يايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون
منه على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحاق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين
وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس
النساء والدهن حتى يغزو محمدا عليه السلام فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة
على ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فراى ابو سفيان ان قد انحلت يمينه فانصرف بقومه راجعين
وخرج عليه السلام في طلبهم في مايتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق وهي عامة
ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته
خمسة ايام وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال ولد عبد الله
ابن الزبير وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنها كما قاله الحافظ مغلطاي وغيره وقال الطبري في كتابه ذخاير
العقبى في مناقب ذوي القربى تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من
التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنايه صلى الله عليه وسلم بعايشة باربعة اشهر ونصف وبنا بها بعد
تزوجها بسبعة اشهر ونصف وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة اشهر او ستة ونصف وسنه يومئذ احدى
وعشرون سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وعن انس قال جا ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيا فانطلقا الى علي رضي الله عنه يامرانه بطلب ذلك قال وعندك شي قلت فرسي وبدني قال
اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربع مائة وثمانين فجيته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة
فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلي اذا
اتتك فلا تحدث شيا حتى اتيك فجات مع ام ايمن فقعدت في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ههنا اخي قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ايتيني بماء فقامت الى
قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين يديها وعلى راسها وقال اللهم اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال
له ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي
خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه السلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني عليه السلام بعد ايام فقال
لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غايبا فقال
صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمايه
وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه
وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام فقال عز من قايل وهو الذي خلق
من الما بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضايه وقضاوه يجري الى قدره ولكل قضاء
قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج
فاطمة من علي ابن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربع مائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم

بطبق

بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني
ان ازوجك فاطمة على اربع مائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه السلام
جمع الله شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب و
العقد لعلي وهو غايب محمول على انه كان له وكيل حاضر او على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر او على
تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور واخرج الدولابي عن اسما قالت لقد اولم
علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي بشطر شعير وكانت وليمته اصعا
من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط واخرج احمد في المناقب عن علي كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من
ادم حشوها ليف ثم سرية محمد بن مسلمة واربعة معه الى كعب ابن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع
الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة روى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن ابن
وهب بن مالك عن ابيه ان كعب ابن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين اشد
الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى كعب ابن الاشرف ان ينزع عن اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه وفي رواية قال عليه السلام من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب ابن الاشرف
اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجاينا وقد خرج الى قريش فجمعهم على قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم
قدم على المسلمين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هولاء اهدى
من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله وفي الاكليل فقد اذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحاق فقال
محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله
انه لا بد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وابو نايلة بنون وبعد الالف
تحتانية سلكان ابن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد ابن بشر والحرث ابن اوس بن معاذ وابو عبس ابن جبر وهولاء
الخمسة من الاوس وفي رواية ابن سعد فقتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي فلما
سمع تكبيرهم كبر وعرف ان قد قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا براسه
بين يديه فحمد الله على قتله وفي شرح كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا راسه في مخلاة الى المدينة فقيل
انه اول راس حمل في الاسلام واصاب ذباب سيف الحرث بن اوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه السلام على جرحه
فلم يوذه بعد غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية نجد وكانت
لثنتي عشرة مضت من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا
يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربي وسماه الخطيب غورث وغيره غورك وكان شجاعا فندب صلى الله عليه
وسلم المسلمين وخرج في اربع مائة وخمسين فارسا واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه
وسلم عليهم هربوا في رؤوس الجبال فاصابوا رجلا منهم من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام
فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون
فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام على راسه عليه السلام فقال من يمنعك مني
اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يمنعك مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام وانزل الله
يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ويقال كان ذلك في ذات الرقاع ثم

رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة غزوة بحران ... وتسمى غزوة بني سليم
من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي وسببها انه بلغه عليه السلام ان بها جمعا كثيرا من بني سليم فخرج في
ثلثماية رجل من اصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم كما
قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال سرية زيد بن حارثة ... الى القردة بالقاف المفتوحة وباسكون
الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ما من مياه نجد وسببها كما قاله ابن اسحاق ان قريشا خافوا من
طريقهم التي يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن
حرب ومعهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من
الهجرة في ماية راكب يعترض عيرا لقريش فيها صفوان ابن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كبير وآنية فضة
فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين الف درهم وعند
مغلطاي خمسة وعشرين الف درهم وذكرها ابن اسحاق قبل قتل ابن الاشرف غزوة احد وهو جبل مشهور
بالمدينة على اقل من فرسخ منها وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين قال
في القاموس بكسر العين وفتحها تثنية جبل باحد انتهى وهو الذي قال فيه عليه السلام احد جبل يحبنا ونحبه قيل
وفيه قبر هرون اخي موسى عليهما السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق
يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد
بدر بسنة وعنه ايضا كانت على احدى وثلثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحاق عن شيوخه
وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا او من قال منهم ما حاصله ان
قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب ورجع ابو سفيان بعيره قال عبد الله ابن ابي ربيعة
وعكرمة بن ابي جهل في جماعة ممن اصيب آباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم
فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا
لذلك فباعوها وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحاق وغيره انزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم وسار بهم ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي
من قبل احد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وراى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة
رويا فلما اصبح قال اني والله قد رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي ثلما ورايت اني ادخلت يدي في
درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم الذي رايت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال
ابن عقبة ويقول رجال كان الذي بسيفه ما قد اصابه وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ
وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه السلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة
قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا
عنهم فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم
بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه السلام بيته ومعه
صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام فقال لهم سعد بن معاذ
واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي
بالهمز وقد يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال

ما

ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني
وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحاق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب
الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه
اني رايت اني في درع حصينة الحديث وعقد عليه السلام ثلاثة الوية لواء بيد اسيد ابن الحضير ولواء للمهاجرين بيد علي بن ابي
طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفي المسلمين ماية دارع وخرج السعدان
امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة
وادلج عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري
والنعمان بن بشير قاله مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون الف رجل ويقال تسع ماية والمشركون ثلاثة الاف رجل فيهم
سبع ماية دارع ومايتا فرس وثلاثة الاف بعير وخمس عشرة امراة ونزل عليه السلام باحد ورجع عنه عبد الله بن ابي
في ثلثماية ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط
ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد وصف المشركون بالسبخة قاله ابن عقبة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد
ابن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة ابن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال
ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى
ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم
في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال ابن اسحاق وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال
وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه
وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما راه عليه السلام يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن
قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء كان
يعصب بها راسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا اقوم الدهر في الكيول ... اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية مؤخر الصفوف وهو فيعول من
كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيد ولم يسمع الا في
هذا الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل
وابو سفيان فضربه شداد بن اوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسالوا امراته جميلة اخت عبد
الله ابن ابي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه السلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل
اذا كان جنبا وقتل علي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان ابن ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه
ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولوا الكفار لا يلوون على شيء
ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر وياخذون ما فيه من الغنايم وفي البخاري
ان جبير اي فوج الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفي حديث عائشة عند
البخاري ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم على اخراهم
~~ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة~~ فاجتلدت مع اخراهم وعند احمد والحاكم من حديث ابن عباس انهم لما رجعوا

كثيرة ... ح

رى قال البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير

الى الرسول

انما اختر ... كما ... ن

اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وفي رواية غيره ونظر خالد
ابن الوليد الى خلاء الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن ابي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم واميرهم
عبد الله بن جبير وفي البخاري انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه
فكان كامس الذاهب وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان ذلك آخر العهد به انتهى
وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة ان محمدا قتل ويقال كان ذلك ازب العقبة ويقال بل ابليس لعنه الله تصور في صورة جعال
فقال قائل اي عباد الله اخراكم اي احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزم
طائفة منهم الى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وقال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال
رجل منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل ان ياتوكم فيقتلوكم فانهم داخلوا البيوت
وقال رجال منهم ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل افلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله
عز وجل شهداء منهم انس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال في عيون الاثر
كذا وقع في هذا الخبر انس بن مالك وانما هو انس بن النضر عم انس بن مالك بن النضر انتهى وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انكشفوا عنه وثبت معه من اصحابه اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم ابو بكر الصديق وسبعة من الانصار وفي البخاري
لم يبق معه عليه السلام الا اثنا عشر رجلا فاصابوا منا سبعين وكان عليه السلام واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين
ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم
قال افي القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد
قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب
سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه وكسروا رباعيته والذي
جرح وجهه عبد الله بن قمئة وعتبة ابن ابي وقاص اخو سعد هو الذي كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد
فيبلغ الحنث الا وهو ابخر او اهتم اي مكسور الثنايا من اصلها يعرف ذلك في عقبه وقال ابن هشام في حديث ابي
سعيد الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح
شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر
في وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان ابو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين وفي رواية هشموا
البيضة على راسه اي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها ابو عامر فاخذ
علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح
وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري الدم من وجنته
ثم ازدرده فقال عليه السلام من مس دمي دمه لم تصبه النار وسيأتي ان شاء الله تعالى حكم دمه عليه السلام وفي الطبراني
من حديث ابي امامة قال رمى عبد الله ابن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فشجه في وجهه وكسر
رباعيته فقال خذها وانا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه اقماك الله فسلط الله
عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحاق عن حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعيته
صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ورواه احمد والترمذي
والنسائي من طرق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعي بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم احد اخذ شيئا فجعل

ينشف

ينشف دمه وقال لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون و
روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله
شرها كلها قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي ويحتمل ان يكون اراد بالسبعين حقيقتها او المبالغة انتهى وقالت
ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد فيما قاله ابن هشام فخرجت اول النهار حتى انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الي اصابني ابن قمئة اقماه الله لما ولى
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة
ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان قالت ام سعد بن الربيع فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور
وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن اسحاق ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه
النبل وهو لا يتحرك ورمى سعد بن ابي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رايته يناولني النبل
ويقول ارم فداك ابي وامي حتى انه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به واصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت
على وجنته فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى
موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا ورواه الدارقطني بنحوه وياتي لفظه ان شاء الله
تعالى في مقصد المعجزات ورمى ابو رهم الغفاري كلثوم ابن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ و
انقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون
ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة
بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف
والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من
عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر
المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من
المسلمين فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول
الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول عليه السلام الحربة من الحارث ابن الصمة فلما اخذها
عليه السلام منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه
طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلني والله محمد اليس قد كان قال
لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر
فكسر ضلعا من اضلاعه قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني لاسير ببطن رابغ بعد هوي
من الليل اذا انا بنار تاجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا
قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ابي بن خلف رواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب ملا علي ابن ابي
طالب درقته من المهراس وهو صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغسل عن وجهه الدم وصب على راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه وصلى عليه السلام يومئذ
الظهر قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا قال ابن اسحاق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي
معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع
ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم
بيوم بدر اعل هبل وكان ابو سفيان حين اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى الاخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم

نعم وعلى الجرح فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا الله اعلى
واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال اي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت نعم فقال عمر لا سواء قتلانا في
الجنة وقتلاكم في النار فقال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ولما انصرف
ابو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد
و ذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم
اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته بالنار وكمدته به حتى
لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه السلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد ابن الربيع
مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في
القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا
نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات
وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اي اصابعه وقيل اطرافها واحدتها بنانة وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس
حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه السلام الى
شيء لم ينظر الى شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما
والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عن
ما اراد و ممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله ابن جحش ابن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع في الله وكان حين قتل ابن
بضع واربعين سنة ودفن مع حمزة في قبر واحد ولما اشرف عليه السلام على القتلى قال انا شهيد على
هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة تدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح
المسك و في رواية عبد الله بن ثعلبة قال عليه السلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم و روى ابو بكر ابن مردويه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم
اباك كفاحا فقال يا عبدي سلني اعطك قال اسالك ان ارد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه
سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا الاية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد
ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا
الاية رواه احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوي الى قناديل يصدقه قوله والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانما تاوي الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة في الاخرة
لا تاوي الى تلك القناديل وانما ذلك في البرزخ وقال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد
رد هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الشهداء بنهر او على نهر يقال له بارق عند باب الجنة في قباب خضر ياتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا
قال الحافظ عماد الدين ابن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا
النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم
هناك ويراح قال وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مومن بان روحه تكون في الجنة

التكميد ان تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع وتتابع ذلك مرة بعد مرة ليسكن وذلك الكمد التكميد انه يسد ... وهو ...

ايضا

ايضا وتسرح فيها وتاكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة قال
وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد
رواه عن الشافعي عن مالك ابن انس عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب ابن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المومن طائر
تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله تعلق اي تاكل و في هذا الحديث ان روح
المومن تكون على شكل طائر في الجنة واما ارواح الشهداء ففي حواصل طيور خضر فهي كالكواكب بالنسبة
الى ارواح عموم المومنين فانها تطير بانفسها فنسال الله الكريم المنان ان يثبتنا على الايمان و قد استشهد
يوم احد من المسلمين سبعون فيما قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين و روى ابن
منده من حديث ابي ابن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه
ابن حبان من هذا الوجه و قتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا و قتل عليه السلام بيده ابي بن خلف و حضرت
الملائكة يومئذ ففي حديث سعد ابن ابي وقاص عند مسلم في صحيحه انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد القتال
وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص
عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم و لما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش
اليهود تنبيه ذكر القاضي عياض في الشفا عن القاضي ابي عبد الله بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة
من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا لكن قال العلامة البساطي من المالكية هذا القائل ان
كان يخالف في اصل المسئلة اعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل
انتهى و قد كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية اشياء عظيمة منها
تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشوم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى وتكون لهم العاقبة والحكمة
في ذلك انه لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائما لم يحصل
المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين
كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون
ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان في تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لسماحتها
فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيا لعباده المومنين منازل في دار كرامته فلا تبلغها اعمالهم
فقيض لهم اسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من اعلى مراتب الاولياء فساقهم اليها ومنها انه اراد اهلاك
اعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليائه فمحص ذنوب المومنين ومحق بذلك
الكافرين غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة
يوم احد لست عشرة مضت او لثمان خلت من شوال على راس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادى مؤذن
رسول الله صلى الله عليه ان لا يخرج معنا احد الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احدا وانما خرج عليه السلام مرهبا
للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم واقام عليه السلام بها الاثنين
والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه السلام في مخرجه ذلك بمعاوية ابن المغيرة
ابن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاي وحرمت الخمر في شوال وقيل سنة اربع انتهى قال

تحريم الخمر

ابو هريرة فيما رواه احمد حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى اخر الاية فقال
الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل من المهاجرين
ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته فانزل الله اية اغلظ منها يايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت اية اغلظ من ذلك يايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى لعلكم تفلحون
فقالوا انتهينا ربنا والميسر القمار وقيل غير ذلك وولد الحسن بن علي في هذه السنة ثم سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد
هلال المحرم على راس خمس وثلاثين من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين
لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشاء فاغار عليها ولم يلق كيدا ثم سرية عبد الله بن انيس
وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة وادي
عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه قال له من الرجل قال من بني خزاعة سمعت بجمعك
لمحمد فجئتك لاكون معك قال اجل فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه وكان يسير ليلا ويتوارى بالنهار حتى
قدم المدينة وقال له عليه الصلاة والسلام افلح الوجه قال افلح وجهك يا رسول الله فوضع راسه بين يديه وكانت غيبته
ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ثم سرية عاصم بن ثابت في صفر على راس ستة وثلاثين شهرا
من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه
سميت به وحديث عضل والقارة بفتح المعجمة بعدها لام من بني الهون ابن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ينسبون
الى عضل بن الديش واما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديش المذكور قال ابن دريد
القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فنسبوا بها وقصة عضل والقارة كانت في بعث الرجيع لا في سرية
بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحاق فذكر بعث الرجيع في اواخر سنة ثلاث وبئر معونة في اوائل سنة اربع وذكر الواقدي
ان خبر بئر معونة وخبر اصحاب الرجيع جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث
الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة
وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل على قربها منها في
حديث انس من تشريك النبي صلى الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية وغيرهم في الدعاء ولم يرد البخاري رحمه الله انها
قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحاق فانه بعد ان استوعب قصة
احد قال ذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل
والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر
عليه السلام على القوم مرثد ابن ابي مرثد الغنوي كذا في السيرة له وفي الصحيح وامر عليهم عاصم ابن ثابت كما سياتي
وهو اصح فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في
رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم
ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا
والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا وفي البخاري وامر عليهم عاصم ابن ثابت حتى اذا كانوا بالهداة بين
عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل وعند بعضهم فتبعوهم
بقريب من مائة رام والجمع بينهما واضح بان يكون المائة الاخرى غير رماة وفي رواية ابي معشر في مغازيه فنزلوا بالرجيع
سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرات

التوآت

النوآت فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فجاءوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فاتبعوا
اثارهم حتى لحقوهم وفي رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد بفائين مفتوحتين ومهملتين الاولى
ساكنة وهي الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال
عاصم ابن ثابت ايها القوم اما انا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر
رسوله خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد ابن
الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد
ابن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحرث ابن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا قتله استعار من
بعض بنات الحرث موسى ليستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي فاجلسه عنده
فخشيت المراة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت لاغدر قالت فقالت والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله
لقد وجدته ياكل قطفا من عنب مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزق رزقه الله
وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب اية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاولياء ثابتة
مطلقا عند اهل السنة لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني ابي القسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض
الانبياء فقال لا يصلون الى مثل ايجاد ولد عن غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك وان اجابة الدعوة
في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سياتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن
ينسب الى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الان في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد من اطلق ان كل معجزة وجدت لنبي
يجوز ان تقع كرامة لولي وذكر ذلك ان الذي استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون
من اولياء الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك
على ولاية اولياء الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي
كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله اعلم انتهى ملخصا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي
ركعتين وعند موسى ابن عقبة انه صلاها في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا
يعني متفرقين فلم يحل الحول ومنهم احد حي وفي رواية بريدة بن سفيان فقال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ رسولك مني
السلام فبلغه وفي رواية ابي الاسود عن عروة جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ثم انشا خبيب يقول

فلست ابالي حين اقتل مسلما ⁂ على اي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ ⁂ يبارك على اوصال شلو ممزع

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على
العضو لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاي ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام اعضاء جسد مقطع وعند ابي الاسود
عن عروة زيادة في هذا الشعر

لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا ⁂ قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي ⁂ وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي

وساق ابن اسحاق هذه الابيات ثلاثة
عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل
مسلم قتل صبرا كذا قاله ابن اسحاق وقوله هذا يدل على انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة
لكل مسلم قتل صبرا كذا قاله والسنة انما هي اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعله
في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلاة خير ما ختم به عمل العبد
وقد صلاهما ابن الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه السلام
كما رويناه من طريق السهيلي بسنده الى الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف

كرامة الاولياء

اشترط عليه الكري أن ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما اراد
أن يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت اتاني
ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئا فرجع الي فناديت
يا ارحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه بها فانفذه
من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية
يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة
فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه أتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما
احب ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قال ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفيان قال له يا زيد
انشدك بالله أتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا
الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في اهلي فقال يقول ابو سفيان ما رايت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده
يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ولعل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما
قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر ووقع عند ابن اسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان
ان عاصما لما قتل اراد هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي ام مسافع وجلاس ابني طلحة
العبدري وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت على راس
عاصم لتشربن الخمر في قحفه قال الطبري وجعلت لمن جاء براسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر بفتح المهملة
وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه على شيء وكان عاصم بن ثابت قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه
مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر لما بلغه يقول حين بلغه خبره يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في
حياته وانما استجاب الله تعالى له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة
ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر بن عمرو بفتح العين المهملة الى بئر معونة
بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على راس ستة وثلاثين
شهرا من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكان معه رعل بكسر
الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بني سليم ايضا ينسبون
الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليهم وهذه الغزوة تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قاله ابن
اسحاق انه قدم ابو براء بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام
فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان
يستجيبوا لكم فقال عليه السلام اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلاة والسلام
المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلاثون وقد بين قتادة في روايته انهم كانوا
يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القرآن
بالليل فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل
العامري ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل
فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم
قبائل من سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم

اخذوا

اخذوا اسيافهم وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق
شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه عن رقبة زعم انها
كانت على امه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا
براء فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملائكة قال ابن
سعد عن انس بن مالك ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر معونة وفي صحيح
مسلم عن انس ايضا دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان وعصية
عصت الله ورسوله قال انس انزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرآنا ثم نسخ بعد اي نسخت تلاوته بلغوا
قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم ان بني لحيان من اصاب القراء يوم
بئر معونة وليس كذلك وانما اصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم واما بنو لحيان فهم الذين
اصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين اصابوا
اصحابه في الموضعين دعاء واحدا والله اعلم ثم غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة
كبيرة من اليهود في ربيع الاول سنة اربع وذكرها ابن اسحاق هنا قال السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد
بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري قال كانت غزوة بني النضير على راس ستة اشهر من وقعة بدر
قبل احد ورجح الداودي ما قاله ابن اسحاق من ان غزوة بني النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وهو استدلال واه فان الآية نزلت
في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل
كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب ما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤوسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن
لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى وقد تقدم
قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بئر معونة عن رقبة على امه فخرج عمرو الى المدينة
فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو
ممن انتما فذكرا انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر ببعض ثار اصحابه فاخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك فقال لقد قتلت قتيلين لأدينهما قال ابن اسحاق وغيره ثم خرج عليه السلام الى بني النضير ليستعين
بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان
بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه السلام يستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك
على ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة
عليه فيقتله ويريحنا فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم
لليهود لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحاق واتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع
مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت
يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية قال ابن اسحاق فامر عليه السلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم قال ابن هشام واستعمل

على المدينة ابن ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن اسحاق فتحصنوا منه في الحصون فقطع
النخل وحرقها وخرب فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال
السهيلي في اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى انزل الله ما قطعتم من لينة الاية
الى قوله وليخزي الفاسقين واللينة الوان التمر ما عدا العجوة والبرني ففي هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم
لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذو احسن
غذاء والبرني ايضا كذلك ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع
ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجي ان يصير الى المسلمين قال ابن اسحاق وقد كان رهط من بني عوف من
الخزرج منهم عبد الله ابن ابي ابن سلول بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسالوا رسول الله ان يجليهم عن
ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد انهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة
ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت
عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من ناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله ابن ابي لا تخرجوا من دياركم
واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع
حيي فيما قاله ابن ابي فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام في اصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير وعلي يحمل رايته فلما راوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن ابي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان
فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه السلام اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت
الابل الا الحلقة وهي بفتح اللام كما في القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون
بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة وولي اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا
بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة
وثلاثمائة واربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يخمسها ولم يسهم منها لاحد لان المسلمين
لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من
المسلمين لهم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤونتهم عن الانصار اذ كانوا قد قاسموهم في الاموال
والديار غير انه اعطى ابا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وفي الاكليل واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان
سيفا له ذكر عندهم غزوة ذات الرقاع واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحاق بعد بني النضير سنة اربع في شهر ربيع
او بعد جمادى وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر بانها بعد بني قريظة في ذي القعدة
سنة خمس فتكون ذات الرقاع في اخر السنة واول التي تليها قال في فتح الباري قد جنح البخاري الى انها كانت بعد خيبر
واستدل لذلك بامور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبلها او
ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار اليه البيهقي على ان
اصحاب المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد في
وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل احد او بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل
الذي ينبغي الجزم به انها بعد غزوة قريظة لان صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلاة الخوف
في غزوة ذات الرقاع فدل على تاخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري وهي بعد خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر واذا

كان

كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال ان
البخاري حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة ذات الرقاع متاخرة عن خيبر قال وليس في خبر ابي موسى ما يدل على شيء
من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس وهذا النفي مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال واما الدمياطي
فادعى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها فالاولى الاعتماد على
ما ثبت في الحديث الصحيح واما قول الغزالي انها اخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره وقال
بعض من انتصر للغزالي لعله اراد اخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار مردود ايضا لما اخرجه ابو داود والنسائي
وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة
الطائف بالاتفاق انتهى واما تسميتها بذات الرقاع فلانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة في ذلك الموضع
يقال لها ذات الرقاع وقيل الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت
ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه
بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بخيل قال واغرب الداودي فقال سميت
ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال
كلها ما رواه البخاري عن ابي موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا
بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع
لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني
محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه السلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في
اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا
بالخاء المعجمة موضع من نجد من اراضي غطفان قال ابن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة فاخذهن ثم قال ابن اسحاق
فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف ثم انصرف الناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة
وسياتي ان شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في
هذه الغزوة خمس عشرة ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة
ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من
غمده فقال تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند ابي عوانة فسقط السيف من يده فاخذه عليه الصلاة
والسلام من يده فقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال الاعرابي اعاهدك
اني لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي رواية
عند البخاري ولم يعاقبه وانما لم يواخذه عليه السلام بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته عليه السلام في استئلاف الكفار
ليدخلوا في الاسلام وفي رواية ابي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلاث مرات وهذا استفهام انكاري اي
لا يمنعك مني احد وقد كان قائما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويؤخذ
من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه منع نبيه والا فالذي احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند
قومه بقتله وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه الله يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك لما اعادها الاعرابي فلم يزده
على ذلك الجواب وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع الى قومه
فاهتدى به خلق كثير وقال فيه انه رمي بالزلخة حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة بضم الزاي

ويجمع باخذ في الصلب وقال البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث اي على وزن جعفر
وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر انه بناحية نجد مثل هذه القصة
لرجل اسمه دعثور وانه اقام على راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عليه السلام الله ودفع جبريل في صدره
فوقع السيف من يده وانه اسلم قال في عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب
انهما قصتان في غزوتين وفي هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله
عليه وسلم وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه السلام فانطلق متقدما
بين يدي الركاب ثم قال اتبيعنيه فابتاعه منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح ووهب له الجمل
والحديث اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله
اعلم غزوة بدر الاخيرة وهي الصغرى وتسمى بدر الموعد وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحاق
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى الاولى الى اخر رجب ثم خرج
في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان ويقال كانت في هلال ذي القعدة وميعاد ابي سفيان هو ما سبق ان ابا سفيان قال
يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد
فخرج عليه السلام ومعه الف وخمسمائة من اصحابه وعشرة افراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا
على بدر ينتظرون ابا سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ويقال عسفان ثم بدا له الرجوع فقال يا معشر
قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا
فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام عليه السلام ببدر ثمانية ايام وباعوا
ما معهم من التجارة فربحوا بالدرهم درهمين وانزل الله في المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول الخ قوله فانقلبوا بنعمة من
الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية والصحيح ان هذه الاية نزلت في شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد ابن كثير غزوة
دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة
او ست عشرة ليلة قال ابو عبيد البكري سميت بدومي بن اسمعيل كان نزلها وكانت في شهر ربيع الاول على راس تسعة
واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه السلام
لخمس ليال بقين من شهر ربيع في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة
فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر
اهل دومة فتفرقوا ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبث السرايا وفرقها فرجعوا ولم
يصب منهم احد ودخل المدينة في العشرين من ربيع الاخر غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانية بينهما
مهملة مكسورة واخره عين مهملة هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومئذ وتسمى غزوة بني المصطلق بضم
الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن
عمرو بطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري قال ابن اسحاق سنة ست وقال
موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قالوا وكانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع والذي في مغازي موسى
ابن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس وسببها انه بلغه
عليه السلام ان رئيسهم الحارث بن ابي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه السلام بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك فاتاهم ولقي
الحارث بن ابي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه السلام في بشر كثير من المنافقين

لم يخرجوا في غزاة قط مثلها واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عائشة
وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم
من كان معهم من العرب وبلغ عليه السلام المريسيع وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار
الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه السلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا
سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحاق
والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار
على بني المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان
يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكونوا لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا
ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم فتنبه وفي هذه الغزوة نزلت اية التيمم وفي
الصحيحين من حديث عائشة انها قالت خرجنا مع رسول الله في بعض اسفاره فذكر حديث التيمم قال في فتح الباري قوله
في بعض اسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد يقال انه كان في غزوة بني المصطلق وجزم بذلك في الاستذكار وسبقه
الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزاة المصطلق هي غزاة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان ابتداء
ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف
القصتين كما هو بين في سياقهما قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل
وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر
كما جزم به النووي قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة
من طريق مكة قال وذات الجيش وراء ذي الحليفة وقال ابو عبيد البكري في معجمه البيداء ادنى الى مكة من ذي الحليفة ثم
ساق حديث عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة اميال
والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد
ابن حبيب الاخباري فقال سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق واختلف اهل المغازي
في اي هاتين الغزوتين كانت اولا وقال الداودي كانت قصة التيمم في غزاة الفتح ثم تردد في ذلك وروى
ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال لما نزلت اية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بني
المصطلق لان اسلام ابي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف وكان البخاري يرى ان غزوة ذات
الرقاع كانت بعد قدوم ابي موسى وقدومه كان وقت اسلام ابي هريرة ومما يدل على تاخر القصة ايضا عن قصة
الافك ما رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت لما كان من امر عقدي
ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة اخرى فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس
على التماسه فقال لي ابو بكر يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فانزل الله الرخصة في التيمم فقال
ابو بكر انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب ابي بكر الذي ابهم
في حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين في غزوتين انتهى وفي هذه الغزوة قال ابن ابي لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد بن ارقم ذو الاذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فارسل الى ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته عليه السلام في هذه الغزوة ثمانية وعشرين
يوما غزوة الخندق وهي الاحزاب جمع حزب اي طائفة فاما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذي حفر حول

حول المدينة بأمره عليه السلام ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي اشار به سلمان
الفارسي فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه
ترغيبا للمسلمين وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن
معهم وقد انزل الله تعالى في هذه القصة صدرا من سورة الأحزاب واختلف في تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت في شوال
سنة اربع وقال ابن اسحاق في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى
ابن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم
الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه فيكون بينهما سنة واحدة واحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة
فيه اذا ثبت انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر في احد كان اول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب
استكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال الشيخ ولي الدين ابن العراقي والمشهور انها في السنة الرابعة وكان من حديث
هذه الغزوة ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فاجتمعوا
لذلك واتعدوا له ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حربه عليه الصلاة والسلام
واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان
ابن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة ابن حصن في فزارة والحارث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما ذكر
ابن اسحاق عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلاثون
فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحزاب وبما اجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل
فيه عليه الصلاة والسلام ترغيبا للأجر وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورّون بالضعف عن العمل وفي البخاري عن سهل بن سعد
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على اكتادنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة . فاغفر للمهاجرين والانصار والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله
وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر وفي بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو متوجه على ان يكون المراد به
ما يلي الكبد من الجنب وفي البخاري ايضا عن انس فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع فقال . اللهم لا عيش الا عيش الآخرة . فاغفر للانصار
والمهاجرة . فقالوا مجيبين له . نحن الذين بايعوا محمدا . على الجهاد ما بقينا ابدا . قال ابن بطال
وقوله اللهم لا عيش الا عيش الآخرة هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه الصلاة والسلام وعند الحارث ابن ابي اسامة
من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز . والعن عضلا والقارة . هم كلفونا ننقل الحجارة . وفي البخاري
من حديث البراء قال لما كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني
الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

. اللهم لولا انت ما اهتدينا . ولا تصدقنا ولا صلينا .
. فانزلن سكينة علينا . وثبت الاقدام ان لاقينا .
. ان الأولى رغبوا علينا . وان ارادوا فتنة ابينا . قال يمد بها صوته وفي رواية له ايضا

ان الألى قد بغوا علينا . اذا ارادوا فتنة ابينا . وفي حديث سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه
وسلم حين ضرب في الخندق قال بسم الله وبه بدينا . ولو عبدنا غيره شقينا . حبذا ربا وحبذا دينا .
قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال اي بدأت به فلما خفف الهمز كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء و

وليس

وليس من بنات الياء انتهى وقد وقع في حفر الخندق آيات من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما في الصحيح عن
جابر قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية وهي القطعة
الصلبة فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة
ايام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي وفي
رواية الاسمعيلي باللام من غير شك والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك واهيم بمعنى اهيل وقد قيل في قوله
تعالى فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي لا ترويها الماء وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد
حسن من حديث البراء قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ
منها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها
وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لأبصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال
الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني والله لأبصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع
بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لأبصر ابواب صنعاء من مكاني الساعة ومن اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح في حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سيأتي ان شاء الله تعالى
مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند
الواقدي اربعا وعشرين وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوما وفي الهدي النبوي لابن القيم اقاموا شهرا ولما
فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول في عشرة آلاف من احابيشهم ومن
تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل عيينة ابن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة آلاف رجل فضرب هنالك عسكره والخندق
بينه وبين القوم وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم
يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة قال ابن اسحاق وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى
كعب بن اسيد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده
فاغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له وقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم واني قد عاهدت محمدا فلست
بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح ولم يزل به حتى فتح له فقال يا كعب جئتك
بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل
محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
ابن الزبير قال كنت يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف
الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابه رأيتك تختلف قال رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وقال الترمذي حديث حسن وفي رواية اصحاب المغازي فلما انتهى
الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير
ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرؤوا من عقده وعهده
ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما باصحاب الرجيع
فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
من بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا

الاباب وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة
من العدو فأذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال ابن عائذ واقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي
على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه
الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا في ديته قال ابن اسحاق واقام عليه الصلاة والسلام
والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا الرمي بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم
هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله وبارز نوفل بن
عبد الله ابن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمي سعد بن معاذ بسهم
فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق في وسط الذراع قال الخليل هو عرق
الحياة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الاكحل وفي الظهر الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقأ
الدم وكان الذي رمى سعدا ابن العرقة احد بني عامر بن لؤي قال قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له
سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب
اليّ ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه واقام عليه السلام واصحابه بضع عشرة ليلة حتى نعيم بن مسعود
الاشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة فاختلفت
كلمتهم وروى الحاكم عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل
منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا فجعل المنافقون يقولون ان
بيوتنا عورة ... الى النبي صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلاثمائة فقال اذهب فاتني بخبر
القوم قال ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا الريح فيه لا تجاوز شبرا فلما رجعت
رايت فوارس في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام
ليأتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف
والكراع واختلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله
الا وهو قائم ووقع في البخاري انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم
قال من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا قالها ثلاثا وقد اشكل ذكر الزبير في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا
ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انه حذيفة ابن اليمان قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر مردود
فان القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني
قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة حذيفة كانت
لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وعالت عليهم الطوائف ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل
طائفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه السلام من ياتيه بخبر قريش
فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف
قصتهم وفي البخاري من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب
فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وروى احمد
عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال
نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحياة لابن

طفر

طفر قيل انه صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل
بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا شكرا
شكرا وهبت ريح وهي الصبا ليلا فقلعت اوتادهم والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب
ورمتهم بالحصباء وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من
متاعهم قال فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه
استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال حبس المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى
الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت اي الحمرة
او الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد المغرب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق بعدما كادت الشمس تغرب
فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها
فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك للاشتغال باسباب الصلاة او غيرها ومقتضى
هذه الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر وفي الموطأ الظهر والعصر وفي الترمذي عن ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق وقال ليس باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله
فمال ابن العربي الى الترجيح وقال الصحيح ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي العصر وقال النووي طريق
الجمع بين هذه الروايات ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قال واما تأخيره
عليه السلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف قال العلماء يحتمل انه اخرها نسيانا
او عمدا ولما كان السبب في النسيان الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في تأخير
الصلاة قبل نزول صلاة الخوف واما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلي صلاة الخوف
على حسب الحال وقد اختلف في المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفا مفردا سماه كشف المغطى
عن الصلاة الوسطى فبلغ تسعة عشر قولا وهي الصبح او الظهر او العصر او المغرب او جميع الصلوات وهو يتناول
الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه او الظهر في الايام والجمعة
يوم الجمعة او العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران او الصبح والعشاء او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القران الصبح
ونص السنة العصر او صلاة الجماعة او الوتر او صلاة الخوف او صلاة عيد الاضحى او الفطر او صلاة الضحى
او واحدة من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على الترديد وهو غير القول السابق او التوقف انتهى وانصرف
صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد اقام بالخندق خمسة عشر
يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة
فانه عليه السلام اعتمر في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى ان نقضوها وكان ذلك سبب
فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه السلام وسياتي ذلك ان شاء الله تعالى وقد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا
لهذا ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها ابدا ولكن
انتم تغزونهم ولما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعاء هو واصحابه ووضعوا السلاح جاءه جبريل عليه
السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري من حديث عائشة انه لما رجع
صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم

صلوة الوسطى

الى بني قريظة وعند ابن اسحاق ان الله يامركم يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة وعند ابن عائذ قم فشد عليك
سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادي يا خيل الله اركبي وعند الحاكم والبيهقي وبعث
عليا على المقدمة وخرج صلى الله عليه وسلم في اثره وعند ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم ثلاثة الاف والخيل ستة
وثلثون فرسا قال وذلك يوم الاربعا لسبع بقين من ذي القعده واستعمل على المدينه ابن ام مكتوم فيما قاله ابن هشام
ونزل عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس فاتى رجال من بعد عشاء الاخرة ولم يصلوا العصر لقوله صلى
الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الاخرة فما عابهم الله تعالى بذلك في كتابه
ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى ناتيها
وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها
العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي ووقع في بعض نسخ مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد
باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم
لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال ان يكون طائفة
منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الاولى الظهر والطائفة التي بعدها العصر والله اعلم قال ابن اسحاق وحاصرهم عليه السلام
خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله في
قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني
اعرض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه
لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا قال فاذا ابيتم علي
هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله
بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه فقالوا اي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان ابيتم علي
هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما
راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم
محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت
الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه فلم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من
عمده وقال لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد
خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه قال اما لو جاءني لاستغفرت
له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع
ست ليال تاتيه امراته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فترتبطه بالجذع وقال ابو عمر روى ابن وهب عن
مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع
وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته وعن
عبد الله بن قسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقالت قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب

على

على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى
صلاة الصبح اطلقه ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامراة من اسلم يقال لها رفيدة
وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطأوا له بوسادة من ادم وكان رجلا
جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الانصار واما الانصار فيقولون قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فقالوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبعة ارقعة والرقيع السماء سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت
فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي
حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله
احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم وهي
مسئلة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان في حضرته صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد
المانع من وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع
ذلك بحضرته عليه السلام كما في هذه القصة وغيرها وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما
قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام ببني قريظة فادخلوا
المدينة فحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت
اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر لهم يقول انهم ما بين الثمانمائة الى السبعمائة و
في حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل
في طريق الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة
فتزوجها وقيل كان يطؤها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي
فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة الاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه
سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه
من اراد وكذلك صنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا
وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك
اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد
خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه
دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة مجابا وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين
قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى
العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم

وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل واستمر ذلك
الى ان نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب اي ان
يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه السلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد بن معاذ
في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت
حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووي اختلف العلماء في
تاويله فقالت طايفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش
تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث
وهو المختار قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من
جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك
الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملايكة على موته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه
قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال
الحربي هو عبارة عن تعظيم شانه ووفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت لموت فلان
الارض وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات
التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن وانما قال هولاء هذا التاويل لكونهم لم يبلغهم هذه الروايات التي ذكرها
مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذي من حديث انس قال لما حملت
جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما اخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملايكة كانت تحمله وعن البراء
قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه
وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين هذا لفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم
والمناديل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو معروف قال العلماء وهذا اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان
ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل انتهى واخرج ابن سعد
وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب
بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه
فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه واخرج ابن سعد عن ابي سعيد الخدري
قال كنت فيمن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك قال الحافظ مغلطاي وغيره وفي هذه السنة فرض الحج
وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء
وسياتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني وفي ذكر حجه عليه السلام من مقصد
عباداته ثم سرية محمد بن مسلمة الى القرطا بطن من بني ابي بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات وبين
ضرية والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه في ثلاثين
راكبا فلما اغار عليهم هرب سايرهم وعند الدمياطي فقتل نفرا منهم وهرب سايرهم واستاق نعما وشاء وقدم
المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن اثال الحنفي اسيرا فربط بامره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري
المسجد ثم اطلق بامره عليه الصلاة والسلام فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من
وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها
الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى

فبشره

(margin: الفجر — اهتزاز العرش — اي فرحا بوصول روحه اليه — منه — كلما حفرنا — القرطا بالضم بطون من بني كلاب وهم قرط وقريط وقريط قاموس)

فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قايل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قصته
البخاري ثم سرية بني لحيان بكسر اللام وفتحها لغتان في ربيع الاول سنة ست من الهجرة وذكرها ابن اسحاق
في جمادى الاولى على راس ستة اشهر من قريظة قال ابن حزم الصحيح انها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مايتي رجل ومعهم عشرون
فرسا واستخلف على المدينة عبد الله ابن ام مكتوم ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران وادي بين امج وعسفان
وبينها وبين عسفان خمسة اميال حيث كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا ببير معونة فترحم عليهم ودعا
لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رووس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما او يومين يبعث السرايا في كل
ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم فاتوا كراع ثم رجعوا ولم
يلقوا احدا وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تايبون عابدون لربنا حامدون
وغاب عن المدينة اربع عشرة وقيل سبع عشرة ليلة غزوة الغابة وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال
المهملة وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري انها كانت قبل خيبر
بثلاثة ايام وفي مسلم نحوه قال مغلطاي وفي ذلك نظر لاجماع اهل السير على خلافه انتهى قال القرطبي
شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح من
التاريخ لغزوة ذي قرد اصح مما ذكره اهل السير انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون
لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان ابو ذر فيها فاغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري
ليلة الاربعاء في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر وقال ابن اسحاق وكان فيهم رجل من غفار وامراة
فقتلوا الرجل وسبوا المراة فركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها
فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر في معصية ولا لاحد فيما لا يملك ونودي يا خيل
الله اركبي وكان اول ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسماية وقيل سبعماية واستخلف
على المدينة ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلثماية يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في
رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات العدو وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله
مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم
يوم الرضع يعني يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع اي رضع اللوم في بطن امه وقيل معناه اليوم يعرف
من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء
قال سلمة فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في ماية رجل استنقذت ما في ايديهم من السرح واخذت
باعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة
اي فارفق واحسن والسجاحة السهولة اي لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله
الحمد ثم قال انهم الان ليقرون في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تاتي
والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وافلت
القوم بما بقي وهي عشر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف واقام يوما وليلة ورجع
وقد غاب خمس ليال وقسم في كل ماية من اصحابه جزورا ينحرونها سرية عكاشة بن محصن الاسدي

(margin: الامج بحركة موضع ق — ابي — صلى الله — اي الكثيبة وهو سم — اي ليضيفونكم)

الى غمر مرزوق بالغين المعجمة والمكسورة وهو ماء لبني اسد على ليلتين من فيد في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة في اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم بكسر الذال المعجمة كفرح فهربوا فنزل على مياههم فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا ثم سرية محمد بن مسلمة الى ذي القصة موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا فاحدق به القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في اربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال واصابوا رجلا واحدا فاسلم وتركه واخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم قال في القاموس الرثة السقط من متاع البيت كالرثة بالكسر ثم سرية زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموم وبقال الجموح ناحية ببطن نخل من المدينة على اربعة اميال في شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى العيص موضع على اربع ليال من المدينة في جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه الصلاة والسلام ان عير قريش قد اقبلت من الشام فتعرض لها فاخذوها وما فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية واسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر اني قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشيء من هذا وقد اجرنا من اجرت ورد عليه ما اخذ وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد ابي بصير بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال ثم سرية زيد ايضا الى حسمى بكسر المهملة وهي وراء ذات القرى وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وسببها انه اقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه وكساه فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم الف شاة ومائة من النساء والصبيان فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فاسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره ان يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم ثم سرية زيد ايضا الى وادي القرى ايضا في رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد اي حمل من المعركة رثيثا اي جريحا وبه رمق وهو مبني للمجهول قاله في القاموس ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان سنة ست قالوا دعا رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة ثم سرية علي بن ابي طالب في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر فاغاروا عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسمائة بعير والفي شاة وهربت بنو سعد وقدم علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه عليه السلام اليهم فكمن واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا واحاطوا بالحاضر واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وساله فاخبره بما اظفره الله به ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع عبد الله ويقال سلام بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن سعد هنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل في جمادى الآخرة سنة ثلاث وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي ومسعود بن سنان وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدات الرجل جاؤوا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فلما رات السلاح ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه باسيافهم وفي البخاري وكان ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على ود قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو من البيت فقلت يا ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته وفي رواية له ثم جئت كاني اغيثه فقلت ما لك يا ابا

رافع وغيرت الصوت فقال لامك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى
فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا هو مستلق على ظهره
فاضع السيف في بطنه ثم اتكئ عليه فسمعت صوت العظم فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت
الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي
فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجا فقد قتل
الله ابا رافع فانتهينا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط
هذا لفظ رواية البخاري وفي رواية محمد بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس والصواب ان الذي دخل
عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن زارم
اليهودي بخيبر في شوال سنة ست وكان سببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابي الحقيق امرت يهود
عليها اسيرا فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة
في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا فسال عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فندب عليه السلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان
رسول الله بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من
اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن انيس وكان في السرية بالسيف فسقط
عن بعيره ومالوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين احد ثم قدموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد نجاكم الله من القوم الظالمين سرية كرز بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي ابن جابر الفهري الى العرنيين
بضم العين وفتح الراء المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة في المغازي
وذكر ابن اسحاق ان قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد وكانت في جمادى الاخرة سنة ست وذكرها البخاري
بعد الحديبية وكانت في ذي القعدة منها وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان وفي
البخاري في كتاب المغازي عن انس ان ناسا من عكل بضم المهملة واسكان الكاف وعرينة قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا
المدينة فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها
فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية
الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ وسمر اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي لفظ ولم يحسمهم اي لم
يكو مواضع القطع فينحسم الدم وقال انس انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم لانهم سملوا اعين الرعاء
رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصا وفي رواية انهم كانوا ثمانية وعند البخاري ايضا في المحاربين انهم
كانوا في الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفي رواية قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض
بفيه حتى مات وعند الدمياطي كابن سعد ان اللقاح كانت خمسة عشر لقحة وفي صحيح مسلم ان السرية
كانت قريبا من عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبي صلى الله عليه
وسلم غلام يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها قال
فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاؤوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم وعدوا على يسار فذبحوه
وجعلوا الشوك في عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم خيلا من المسلمين اميرهم

كرز

كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا وروى
ابن جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة
الحديث وفيه قال جرير فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله
سمل الاعين فانزل الله هذه الاية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى اخر الاية وهو حديث غريب ضعيف
وفيه ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلي قال مغلطاي وفيه نظر لان اسلام جرير كان بعد هذه بنحو اربع
سنين وفي مغازي ابن عقبة ان امير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة يا وعند غيره انه سعد بسكون
العين بن زيد الاشهلي وهذا انصاري فيحتمل انه كان راس الانصار وكان كرز امير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الا
عين فانزل الله هذه الاية فانه منكر فقد تقدم ان في صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاء وكان ما فعل بهم قصاصا والله
اعلم تنبيه قال في فتح الباري فزعم ابن التين تبعا للداودي ان عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان
عكل من عدنان وعرينة من قحطان ثم سرية عمرو بن امية الضمري الى ابي سفيان بن حرب بمكة لانه ارسل الى
النبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا
ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط في يده فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما
انت قال وانا امن قال نعم فاخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم
ويقال جبار بن صخر الى ابي سفيان وقال ان اصبتما منه غرة فاقتلاه ودخل عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا
فراه معاوية بن ابي سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فحشد له اهل مكة وتجمعوا
فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل اخر ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر
فقتل احدهما واسر الاخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه السلام
يضحك ثم الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبري
قرية قريبة من مكة اكثرها في الحرم وهي على تسعة اميال من مكة خرج عليه السلام يوم الاثنين هلال
ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج معه زوجته ام سلمة في الف واربع مائة ويقال الف
وخمس مائة وقيل الف وثلاثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربع مائة فمن قال الف وخمس مائة
جبر الكسر ومن قال الف واربع مائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم
والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحاق انهم كانوا سبع مائة فلم يوافقه احد عليه لانه قاله استنباطا من
قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على انهم كانوا نحروا غير البدن مع ان بعضهم
لم يكن احرم اصلا وجزم موسى بن عقبة بانهم كانوا الفا وستمائة وعند ابي شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الفا
وسبعمائة وحكى ابن سعد الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج معه
بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري في المغازي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر
واحرم منها وفي رواية احرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير
الاشطاط اتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وما
نعوك فقال اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت
وفيه فقال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه

قال امضوا على اسم الله وزاد احمد كان ابو هريرة يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعني تمادت على عدم
القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل اي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على
تلك الصورة وصدهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق في
علم الله انه سيدخل في الاسلام منهم خلق ويستخرج من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى
نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يعني حفيرة فيها ماء قليل يتبرضه الناس تبرضا اي ياخذونه قليلا قليلا فلم
يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه
فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا
عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال المعجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل
الامهات اللاتي معها اطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى
بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام وليكون ادعى الى عدم الفرار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان
شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا
فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة
العنق كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم
من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء
وقال ذوو الراي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام
عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ
فلما بلحوا علي اي امتنعوا من الاجابة جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد
عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح اقبلوها ودعوني آتيه فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد
من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى اشوابا يعني اخلاطا من الناس
خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص بظر اللات انحن نفر عنه او ندعه وهذا
مبالغة من ابي بكر في سب عروة فانه اقام معبود عروة وهو صنمه مقام امه وحمله على ذلك ما اغضبه به من
نسبته الى الفرار والبظر بالموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المراة واللات اسم
صنم والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم انتهى فقال عروة من ذا قالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا
يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة
قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده

بنعل

بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العيني وقد كانت عادة العرب ان يتناول
الرجل لحية من يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي لعروة
استمالة له وتاليفا والمغيرة يمنعه اجلالا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة راسه فقال من هذا
قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ
اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل
يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل
منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم امرا ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا
اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال في فتح الباري فيه اشارة الى الرد على ما خشيه من فرارهم فكانهم
قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا
به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله اعلم قال فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم
والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد
محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما راى
ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما
ارى ان يصدوا عن البيت [illegible] رجل منهم يقال له مكرز بن حفص بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال
دعوني آتيه فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد
سهل لكم من امركم وفي رواية ابن اسحاق فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه
فقال صلى الله عليه وسلم قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى
وقع بينهما الصلح على ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم هذا وقال معمر
قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب
باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك
اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح محمد رسول
الله اهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك
ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني وفي رواية له يعني البخاري
ولمسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة في امحوه قال العلماء وهذا الذي فعله
علي من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي صلى الله عليه وسلم تحتيم محوه على نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه بنفسه
لم يجز لعلي تركه انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم ارني مكانها فاراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي رواية البخاري في
المغازي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وكذا اخرجه
النسائي واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال في فتح

انتهى صح

الباري وقد تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة وان الذي قاله يخالف القران حتى قال قائلهم شعرا

برئت ممن شرى دنيا باخرة ، وقال ان رسول الله قد كتبا ،

فجمعهم الامير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القران بل يؤخذ من مفهوم القران لانه قيد النفي بما قبل ورود القران قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ما تحققت اميته وتقررت بذلك معجزته وامن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى وذكر ابن دحية ان جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء افريقية واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرا قال مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك وقال القاضي عياض وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعوية الق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شيء واجاب الجمهور بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها هو علي بن ابي طالب وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان قوله ارني اياها انه احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها الا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب واطلق كتب بمعنى امر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب وهي الآية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله تعالى فكتب امر عليا ان يكتب انتهى قال وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير امي نظر كبير والله اعلم انتهى واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى اخره فقال العلماء وافقهم عليه السلام في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الامور اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة تكون لو طلبوا ان يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية البخاري فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته

الينا

الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما والضغطة بالفتح قال في القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى فان قلت ما الحكمة في كونه عليه السلام وافق سهيلا على انه لا ياتيه منهم رجل وان كان على دين الاسلام الا يرده الى المشركين فالجواب ان المصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا الى المدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب غير قريش في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش اسلمت العرب في البوادي قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فالله ورسوله اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بلى قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا زاد ابن اسحاق فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم مشركون وانما دم احدهم كدم كلب قال الخطابي تاول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين احدهما ان الله قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ان لم يمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثاني انه رده الى ابيه والغالب ان اباه لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم بين مشركين وهو قول الحنفية وعند الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قاله في فتح الباري قال في رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا ناتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت

او ليس كان يحدثنا انا سناتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال انك آتيه
ومطوف به قال العلما لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي وحثا
على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين واما جواب ابي بكر
لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه
ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير واخرجه ابو داود من حديث ابن
عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول
اشهر وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام
القابل ثلاثة ايام ولا يدخلوها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب
من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد البا وقال هو اوعية السلاح بما
فيها وفي بعض الروايات لا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامانا
للسلم اذ كان دخولهم صلحا وقال مكي بن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث عليه السلام بالكتاب اليهم مع
عثمان بن عفان وامسك سهيل بن عمرو عنده فامسك المشركون عثمان فغضب المسلمون وقال مغلطاي فاحتبسه
قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا انتهى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال
صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة
خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وحلق الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا
هداياهم بالحديبية قال مغلطاي وارسل الله ريحا حملت شعورهم فالقتها في الحرم واقام صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله تعالى سورة
الفتح تسليتهم بها ويذكرهم نعمة فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال ابن عباس وانس والبراء بن
عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان المنافقون يظنون ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا اي يحسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا فالمراد
فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى احمد وابو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية
قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس
قرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية فقال رجل يا رسول الله اوفتح هو قال اي والذي نفسي بيده
انه لفتح وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وتبايعوا بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهرت المسلمون الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله
واما قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة باتفاق قال الحافظ ابن حجر فبهذا يرتفع الاشكال
وتجتمع الاقوال والله اعلم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت
من امراته خولة وفي هذه السنة ايضا استسقى في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس مومنا
بي وكافرا بالكوكب قاله مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية وذكر ابن اسحاق
انه كان في وقعة بني النضير وهي بعد احد وذلك سنة اربع على الراجح وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت
وانه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر عن ذلك واخرج النسائي

والبيهقي

والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما ان
صحوا جعل الرجل يرى في وجهه وراسه الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول
والله لو كان بي رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى منتهون فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم احد فانزل
الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين وان تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل
الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به عصير العنب اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره
اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلما وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى واما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الائمة
الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول السابعة واختلف
هل هي مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير والذي اجمع عليه الاطباء انها مسكرة وبه جزم الفقها
وصرح به الشيخ ابو اسحق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف والنووي في شرح المهذب ولا يعرف فيه خلاف عندنا
ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة كالشراب فان اكلتها ينتشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره
فانه لا ينتشي ولا يشتهى قال الزركشي ولم ار من خالف في هذا الا القرافي في قواعده فقال نص العلما بالنبات في كتبهم انتهى
مسكرة والذي يظهر لي انها مفسدة في كلام الزركشي يطول ذكره وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم كل مسكر
حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقول التي تقتضي الملك والشرائع على ايجاب
حفظها ولا ريب ان متناول الحشيشة يظهر به اثر التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كماله من نور العقل وقد روى
ابو داود [illegible] الحسن عن ديلم الحميري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها
عملا [illegible] وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال هل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه
قلت [illegible] ان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي لاجلها
حرم المزر فوجب ان كل شيء عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان الحشيش يعمل ذلك وفوقه احمد في مسنده وابو داود في
سننه عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلما المفتر كل ما يورث الفتور والخدر
في الاطراف وهذا الحديث دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة
ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل روسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم
[illegible] ابن تيمية وقال ان استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشي بان تحريمها غير واحد منهم لكن لا بد ان يكون قبل الاجماع
قطع [illegible] احد الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب في وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله
لاختـ [illegible] فيه واختلف هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر فقال النووي في شرح المهذب لا يحرم اكل القليل
الد [illegible] من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر كثيره والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز
نشر [illegible] للنجاسة وتعقبه الزركشي بانه صح في الحديث ما اسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه لا يجوز
من [illegible] القليل ولا الكثير واما قول النووي انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه
فال [illegible] وهو لبن الخشخاش اقوى فعلا من الحشيش لان القليل منه يسكر جدا وكذلك الشيكران وجوز الطيب
مع [illegible] بالاجماع انتهى وقد جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كل ما
لمرا [illegible] المذمومات موجود في الحشيش وزيادة فان اكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك
فسا [illegible] وعدم المروة وكشف العورة وترك الصلاة والوقوع في المحرمات وقطع النسل والبرص والجذام

والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الاجفان وحفر الاسنان وتسويدها وضيق النفس وتصفير الالوان وتنفيث الكبد وتجعل الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل تعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح ابكما والصبيح ابلا تذهب السعادة وتنسي فصاحتها تبعد من السنة طريق الجنة موعود من الله باللعنة الا ان يفزع من الندم بسنة وحين بالله تابعه طلبة ولقد احسن القايل

قل لمن ياكل الحشيشة جهلا ٭ يا خبيثا قد عشت شر معيشه ٭ دية العقل بذرة فلماذا ٭ يا سفيها قد بعتها بحشيشه ٭

غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فاقام يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها وقيل كانت في آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحاق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ان ابتدا السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الاول واغرب ابن سعد وابن ابي شيبة فرويا من حديث ابي سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطا ولعلها كانت حنين فتصحفت وتوجيهه بان غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما قال وذكر الشيخ ابو حامد في التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر وكان معه عليه السلام الف واربع مائة راجل وما بتا فارس ومعه ام سلمة زوجته وفي البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

٭ اللهم لولا انت ما اهتدينا ٭ ولا تصدقنا ولا صلينا ٭ فاغفر فداك ما ابقينا ٭ وثبت الاقدام ان لاقينا ٭ والقين سكينة علينا ٭ انا اذا صيح بنا اتينا ٭ وبالصياح عولوا علينا ٭ وفي رواية اياس بن سلمة عند ابن احمد في هذا الرجز من الزيادة ٭ ان الذين قد بغوا علينا ٭ اذا ارادوا فتنة ابينا ٭ ونحن عن فضلك ما استغنينا ٭

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السايق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به الحديث وفي رواية احمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لاهم او تالله كما في الحديث الاخر وقوله فدا لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص آخر ان يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك وتربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان المفادي مبالغ في طلب رضى المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر اني ابذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فدى لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تواخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا انت النبي صلى الله عليه وسلم لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا فانه دعاء لله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسال ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم وقوله اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح بنا للقتال

ونحو من المكاره اتينا وفي رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة اي ابينا الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا اي استغاثوا بنا واستفزعوا للقتال وقيل هو من التعويل على الشي وهو الاعتماد عليه وقيل من العويل وهو الصوت وقوله من هذا السايق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت اي ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكان معلوما عندهم ان من دعا له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد فقالوا فقالوا هلا امتعتنا به اي وددنا انك اخرت الدعاء له بهذا الى وقت اخر لنتمتع بمصاحبته ورويته مدة وفي البخاري من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه وقال الله اكبر خربت خيبر والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب ومحمد خبر مبتدا اي هذا محمد والخميس عطف عليه انتهى وقال السهيلي يوخذ من هذا الحديث التفاول لانه عليه السلام لما راى الة الهدم ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت خيبر بطريق الوحي ويويده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقال مغلطاي وغيره وفرق عليه السلام الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية وقال الدمياطي وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السودا من برد لعايشة وفي البخاري وكان علي [illegible] تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجون [illegible] فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث ولما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله قال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد وعن يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة اخرجه البخاري وعنده ايضا عن ابي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن انه لا يدخل الجنة الا مومن وان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة الحديث وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وقاتلوه اشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله تعالى عليه حصنا حصنا وهي النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن ابي وحصن البراء والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بني ابي الحقيق واخذ كنز آل ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله عليه فاستخرجه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد جهد وفي رواية ابن اسحاق سبعة واخرجه من طريقه البيهقي في الدلايل ورواه

الحاكم عن البيهقي من جهة ليث ابن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد
ذلك ولم يحمله اربعون رجلا وليث ضعيف وفي رواية للبيهقي ان عليا لما انتهى الى الحصن اجتبذ احد ابوابه فالقاه بالارض
فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوا الباب مكانه قال شيخنا واهية
ولذا انكره بعض العلماء انتهى وفي البخاري وتزوج عليه الصلاة والسلام بصفية بنت حيي ابن اخطب
قد قتل زوجها كنانة بن الربيع ابن ابي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد
الصهباء حلت له فبنى بها حين طهرت من الحيض فبنى بها عليه السلام وصنع حيسا في نطع صغير ثم قال آذن من حوله فكانت تلك
وليمته على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع
ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب وفي رواية له فقال المسلمون احدى امهات المومنين او ما ملكت يمينه
قالوا ان حجبها فهي احدى امهات المومنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطا لها ومد الحجاب وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفي رواية فاعتقها وتزوجها وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من
السبي غيرها وفي رواية لمسلم انه صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشراء على
وليس في قوله سبعة ارؤس منافيا في قوله في رواية البخاري خذ جارية من السبي غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة
والله اعلم وانما اخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة
مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة
العامة ارتجاعها [illegible] واختصاصه عليه السلام بها فانها في ذلك رضى الجميع وليس ذلك من الرجوع في الهبة
في شيء انتهى [illegible] مغلطاي وغيره وكانت صفية قبل رات ان القمر سقط في حجرها فتؤول بنكاح الملك
وكذا جرى [illegible] في هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية كما في البخاري ولفظه فلما امسى الناس
عشاء اليوم الذي فتحت عليهم يعني خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على اي
شيء توقدون قالوا على لحم قال على اي لحم قالوا لحم الحمر الانسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال
رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها قال او ذاك والمشهور في الانسية كسر الهمزة [illegible] ابة الى
وحكي ضم الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون ايضا مصدر انسته به انسا [illegible] رواية نهى يوم خيبر عن
اكل الثوم وعن لحوم حمر اهلية وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية [illegible] ابن ابي اوفى
فتحدثنا انه انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال بعضهم نهى عنها البتة لانها كانت تاكل العذرة [illegible] انما امر بها
لانها نجسة او محرمة وقيل انما نهى عنها للحاجة اليها وقيل لاخذها قبل القسمة وهذه التاويلات [illegible] اباحة
لحومها والصواب ما قدمناه واما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها فقال رجل او نهريقها ونغسلها [illegible]
محمول على انه صلى الله عليه وسلم اجتهد في ذلك فراى كسرها ثم تغير اجتهاده واوحي اليه بغسلها واما لحوم
الخيل في اباحتها فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف انه مباح لا كراهة فيه وبه قال عبد الله بن
وانس بن مالك واسما بنت ابي بكر وفي صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه
فاكلناه ونحن بالمدينة وفي رواية الدارقطني فاكلناه نحن واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري ويستفاد
قولها ونحن بالمدينة ان ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند الى منع اكلها لعلة انها من آلات الجهاد وفي قولها
بيت النبي صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم انه ليس فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع ان ذلك لو لم يرد لم
يظن بال ابي بكر انهم يقدمون على فعل شيء في زمنه صلى الله عليه وسلم الا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه السلام وعدم

مغارفيهم لم

له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سواله عليه السلام عن الاحكام ومن ثم كان الراجح ان الصحابي اذا قال كنا نفعل كذا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا كان
ذلك في مطلق الصحابة فكيف بآل ابي بكر وقال الطحاوي ذهب ابو حنيفة الى كراهة اكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالاخبار
المتواترة في حلها انتهى وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء احد فاخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح
على شرط الشيخين عن عطاء قال لم يزل سلفك ياكلونه قال ابن جريج قلت له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
نعم واما ما نقل في ذلك عن ابن عباس في كراهتها فاخرجه ابن ابي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين وقال ابو حنيفة
في الجامع الصغير اكره لحم الخيل فحمله ابو بكر الرازي على التنزيه وقال لم يطلق ابو حنيفة فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار
الاهلي وصحح اصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو قول اكثرهم وقال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك
الكراهة وقال الفاكهاني المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم وقال ابن ابي جمرة الدليل على الجواز
مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله ولو كثر لافضى الى
فنائها فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله ومن رباط الخيل ترهبون فعلى هذا فالكراهة لسبب
خارج وليس البحث فيه فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضي انه لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع ولا يلزم
من ذلك القول بتحريمه انتهى واما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت الاضحية بها فينتقض بحيوان البر فانه
ما كول ولم تشرع الاضحية به واما حديث خالد بن الوليد عند ابي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث
اسما وقد ضعف حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون وزعم
بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على انه رخص
لهم بسبب المخمصة التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاءت بلفظ الاذن
كما في رواية مسلم وفي رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم وعند الدارقطني من حديث
ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص اذن ونقض ايضا بالاذن
في اكل [illegible] لو كانت رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن
في اكل الخيل انما كان للاباحة العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم انهم احتجوا
للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا ذلك باوجه احدها ان اللام للتعليل فدل على انها
لم تخلق لغير ذلك لان العلة المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها تقتضي خلاف ظاهر الاية ثانيها عطف البغال والحمير فدل
على اشتراكها معها في حكم التحريم فيحتاج من افرد حكم ما عطف عليها الى دليل ثالثها ان الاية سيقت مساق الامتنان
فلو كان ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان
بالاكل في المذكورات قبلها رابعها لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة
واجيب بان اية النحل مكية اتفاقا والاذن في اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم النبي
صلى الله عليه وسلم من الاية المنع لما اذن في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع الاكل والحديث صريح في جوازه
وايضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم يسلم افادة الحصر في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما
وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل ونظيره حديث البقرة المذكورة
في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر ما يقصد به
الا غلب والا فهي توكل وينتفع بها في اشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي واستدل بها اي باية النحل على حرمة

نحوها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا انتهى وايضا فلو
سلم الاستدلال للزم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف
انما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة واما انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم
بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها
كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان باغلب ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر في هذا
الشق لاضر واما قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها الى اخره فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى
للزم مثله في البقر وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان به وانما اطلت في ذلك لامر اقتضاه والله اعلم
وفي هذه الغزوة ايضا نهى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطأ
جارية حتى تستبرأ انتهى وفي هذه الغزوة ايضا سمت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
كما في البخاري من حديث ابي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم
عن شيء فهل انتم صادقون عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا ابونا
فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل ابوكم فلان فقالوا صدقت وبررت قال هل انتم صادقي عن شيء ان
سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا
فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال لهم هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال اجعلتم
في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان
لم يضرك وفي حديث جابر عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه
في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان كان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم
يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من الشاة وفي
رواية غيره جعلت زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها
وصلتها ثم عمدت الى سم لا يطني يعني لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها
بعينه فسمت الشاة واكثرت في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر بن البراء عظما اخر فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن
البراء ما في فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن
البراء مات وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها رواه الدمياطي وقد اختلف هل عاقبها
صلى الله عليه وسلم وعند البيهقي من حديث ابي هريرة فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال
الزهري اسلمت فتركها قال البيهقي يحتمل ان يكون لا ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما
اخر قتلها حتى مات بشر لان بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه وفي مغازي سليمان التيمي انها قالت ان كنت كاذبا ارحت الناس
منك وقد استبان لي الان انك صادق وانا اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف
عنها حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها فالله اعلم وفي هذه الغزوة ايضا نام صلى الله عليه وسلم عن الصبح

وكلأ بلالا كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى ادركه الكرى
عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما قارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه
الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم
الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول
الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم
الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلاة لذكري وفيها قدم جعفر
ومن معه من الحبشة واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة او صلحا ففي حديث عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان
عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين
اسلمهما اهلهما لتحقن دماؤهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى ثم فتح وادي القرى في جمادى الاخرة
بعد ما اقام بها اربعا يحاصرهم ويقاتل اكثر من ذلك واصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي
غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه اهل تيماء على الجزية قاله الحافظ مغلطاي ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى
تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى
هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة ثم سرية ابي بكر الصديق
رضي الله عنه الى بني كلاب ناحية ضرية في شعبان سنة سبع ويقال الى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل اخرين وفي صحيح مسلم
فزارة وهو الصواب ثم سرية بشير بن سعد الانصاري الى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا
فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قدم بعده بشير بن سعد ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في
شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم و
واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اعود ان اقتل احدا يشهد
ان لا اله الا الله وفي الاكليل وقتل ذلك اسامة في سرية كان هو اميرا عليها سنة ثمان وفي البخاري عن ابي ظبيان
قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت
انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت
اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان
ويقال لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا
الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين وقدم بهما الى المدينة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلما ثم عمرة القضية وتسمى عمرة القضاء لانه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن
العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبي صلى الله عليه وسلم اربعا
كما سياتي ان شاء الله تعالى وقال اخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الاجر
فيها لا انها كملت وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء وعن احمد رواية انه لا يلزمه هدي ولا قضاء
واحتج بلزوم القضاء والهدي بحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي وحجة ابي حنيفة ان
العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين

سقوط القضاء وحجة من اوجبها ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا
الهدي وحجة من لم يوجبها ان تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحره ومن
ليس معه هدي ان يحلق انتهى قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما اهل هلال
ذي القعدة يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية
وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
المسلمين الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفاري وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح
والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن
مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى
محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسالوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر
الظهران وقدم السلاح الى بطن ياجج حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه اوس
ابن خولي الانصاري في مائتي رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي امامه
فحبس بذي طوى وخرج صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وفي رواية الترمذي
في الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول
۞ خلوا بني الكفار عن سبيله ۞ اليوم نضربكم على تنزيله ۞ ضربا يزيل الهام عن مقيله ۞ ويذهل الخليل عن خليله ۞
فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي
اسرع فيهم من نضح النبل ورواه عبد الرزاق من حديث انس بلفظ ۞ خلوا بني الكفار عن سبيله ۞
قد انزل الرحمن في تنزيله ۞ بان خير القتل في سبيله ۞ نحن قتلناكم على تاويله ۞ كما قتلناكم على تنزيله ۞
واخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل وفيه ۞ اليوم نضربكم على تنزيله ۞ ضربا يزيل الهام عن مقيله ۞ ويذهل الخليل عن خليله ۞
يا رب اني مؤمن بقيله ۞ وعند ابن عقبة في المغازي بعد قوله ۞ قد انزل الرحمن في تنزيله ۞ في صحف تتلى على رسوله ۞
لكنه لم يذكر انسا ۞ زاد ابن اسحاق بعد قوله يا رب اني مؤمن بقيله ۞ اني رايت الحق في قبوله ۞ وقال ابن هشام
قوله نحن ضربناكم على تاويله الى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين قالوا ولم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم
وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم وفي رواية
قال ارملوا ليرى المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان ومعنى قوله الا الابقاء عليهم اي لم يمنعه
من امرهم بالرمل في جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا
والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة
منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم ان يذهبوا الى اصحابهم ببطن ياجج
فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وفي البخاري من
حديث البراء فلما دخلها ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها

على

علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي بنت عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد ابنة اخي فقضى بها النبي
صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث وانما اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط
المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج لانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها
تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء الى ما يصلح الولد ويؤخذ منه ان الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لان
صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على
غيرها ويؤخذ منه تقديم اقارب الام على اقارب الاب انتهى قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة
وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل ابن
عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره البخاري وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسيأتي في الخصائص من مقصد معجزاته ان شاء الله تعالى
ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حال الاحرام على الاصح من الوجهين عند الشافعية ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي الى بني سليم
في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم
واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان ثم سرية
غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف في صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم وفي هذا
الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك سنة خمس
وقال الحاكم سنة سبع ثم سرية غالب ايضا الى مصاب اصحاب بشير بن سعيد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه مائتا رجل فاغاروا
عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعما ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي الى بني عامر [illegible] ذات عرق الى
مرحلة من مكة الى البصرة وخمس من المدينة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع
من هوازن وامره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا
المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم ثم
سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فساروا حتى
انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم رجل جريح في القتلى قال مغلطاي
قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث
اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم ثم سرية مؤتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لاكثر الرواة وبه جزم
المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق في جمادى الاولى
سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض
له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فامر صلى الله عليه وسلم زيد بن
حارثة على ثلاثة آلاف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون برجل
من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث عبد الله بن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر الحديث
قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من
هناك الى الاسلام فان اجابوا والا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف
وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة ۞
۞ لكنني اسال الرحمن مغفرة ۞ وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ۞ فلما فصلوا من المدينة
سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل ابن عمرو فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه وقد نزل

المسلمون مَعان بفتح الميم موضع من ارض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقاء في مائة
الف من المشركين فاقاموا ليلتين لينظروا في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد
الله بن رواحة على المضي فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع
والديباج والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل
وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللواء جعفر بن ابي طالب فنزل عن فرس له شقراء وقاتل
حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا وفيما اقبل منه اثنتين
وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح قال في رواية البخاري ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفي
رواية ابن عمر وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره وذكر
ابن اسحاق باسناد حسن وهو عند ابي داود من طريقه عن رجل من مرة قال والله لكاني انظر الى جعفر ابن ابي طالب حين
اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قالوا ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللواء
ابن اقرم العجلاني الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء وانكشف الناس وكانت الهزيمة فتبعهم المشركون
فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد
انما انهزم المسلمين وقال ابن اسحاق انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نظر الى معترك القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة قال شهدت مؤتة
مع جعفر بن ابي طالب واصحابه فرايت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل
خرجه ا[…] قطعت يده في تلك الوقعة يداه جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله
بيديه […] في الجنة حيث شاء خرجه ابو عمر وفي البخاري عن عايشة رضي الله عنها لما جاء قتل ابن رواحة
وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه الحزن الحديث واخرج الطبراني باسناد
حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في السماء وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة اخرجه الترمذي والحاكم
وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة اخرجه مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم
اخرجه الترمذي والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج ايضا هو والطبراني عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة
الجنة فرايت فيها جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة وفي طريق اخرى عنه ان جعفرا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان
عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللواء
بيمينه فقطعت ثم اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم
كجناحي الطائر وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية
اعطيها جعفر وقد عبر القران عن العضد بالجناح توسعا في قوله واضمم يدك الى جناحك وقال العلماء في اجنحة الملائكة
انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر
من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى قال ابن حجر وهذا جزم
به في مقام المنع والذي حكاه عن العلماء ليس صريحا في الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما
ذكره من المعهود وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر
على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من

ياقوت

من ياقوت وجائز جناحي جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه ابن منده في ترجمة ورقة وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان
يعلى بن امية قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك قال اخبرني
فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره وعند الطبراني من حديث ابي اليسر الانصاري
ان ابا عامر الاشعري هو الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل
وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا وقيل لان بها ماء يقال له السلسل وراء ذات
القرى من المدينة على عشرة ايام وكانت في جمادى الاخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن ابي خالد في
صحيح التاريخ ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة مؤتة الا ابن اسحاق فقال قبلها وسببها انه بلغه صلى
الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة
من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث
رافع بن مكيث بفتح الميم الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة ابن الجراح وعقد له لواء
وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهم وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا
ولا يختلفا فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة
وكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا
ثم سرية ابي عبيدة ابن الجراح وسماها البخاري غزوة سيف البحر وتعرف بسرية الخبط وبعث معه صلى
الله عليه وسلم ثلاثمائة كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن في رواية النسائي وبضع عشرة فان
صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلاثمائة اسقاطا للكسر والاخذ بالزيادة
مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم وعنده ايضا الى ارض
جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة ارض جهينة والقصد تلقي عير قريش وهي الابل المحملة طعاما وغيره لكن في كتب
السير ان البعث الى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس
ليال ولعل البعث لقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي جهينة قال ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان
وفيه نظر لانه لا يتلقى عير قريش ما يتصور ان يكون في هذه المدة لانهم حينئذ كانوا في الهدنة بل الصحيح ان تكون
هذه السرية في سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية نعم يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم
من جهينة ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر او اكثر في مكان
واحد فالله اعلم قاله الحافظ ابن حجر لكن قال شيخنا سلام ابن العراقي في شرح التقريب قالوا وكانت هذه
السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان في رمضان
من السنة المذكورة انتهى قالوا وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فني اكلوا الخبط وهو
بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفي رواية ابي الزبير وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فناكله وهذا
يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان اخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي ويدل عليه حديث البخاري
في الجهاد خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل تمرة تمرة وابتاع قيس بن سعد جزورا
ونحرها لهم واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفي رواية جابر عند
الائمة الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة راكب اميرنا ابو عبيدة ابن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فني زادنا
حتى اكلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر حتى صلحت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من
اضلاعه فنصبه ونظر الى اطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم سرية ابي قتادة ابن ربعي الانصاري الى خضرة وهي ارض محارب بنجد في شعبان
سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من اشرف منهم وسبى سبيا كثيرا واستاقوا النعم فكانت الابل مائتي
بعير والغنم الفي شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ثم سرية ابي قتادة ايضا الى بطن اضم فيما بين ذي خشب وذي
المروة على ثلاثة برد من المدينة في اول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم بغزو اهل مكة
بعث ابا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان تذهب
بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم ابن جثامة فانزل الله تعالى ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا الى اخر الاية رواه احمد وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد فجاء محلم بن جثامة
في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك
فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له ساعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الارض فلما غلب
قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه وفي رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله ان يعظكم ومعه رجلان الى الغابة لما
بلغه صلى الله عليه وسلم ان رفاعة ابن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاي
ثم فتح مكة زادها الله شرفا وهو كما قال في زاد المعاد هو الفتح الاعظم المبين الذي اعز الله به دينه ورسوله
وجنده وحرمه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين وهو الفتح
الذي استبشر به اهل السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر
ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع به
فانه كان قد وقع الشرط انه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن احب ان
يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام
فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير
فاصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت
قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين راكبا من
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي اصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت
ان لم انصركم بما انصر منه نفسي وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
في متوضئه لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول
في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد فقال صلى الله عليه
وسلم هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم بني بكر ثم خرج عليه السلام فامر
عائشة ان تجهزه ولا تعلم احدا قالت فدخل عليها ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما
ادري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا علم
لي قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشد: يا رب اني ناشد محمدا، حلف ابينا وابيه الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا، ونقضوا ميثاقك المؤكدا، وزعموا ان لست ادعو احدا، فانصر هداك الله نصرا اعتدا
وادعوا عباد الله ياتوا مددا، فيهم رسول الله قد تجردا، ان سيم خسفا وجهه تربدا، قال ابن القيم

وتزيد

وتزيد بعض الرواة تغيرا انتهى وزاد ابن اسحاق: هم بيتونا بالوتير هجدا، وقتلونا ركعا وسجدا، وزعموا ان لست
ادعو احدا، وهم اذل واقل عددا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان
ذلك ما هاج فتح مكة وقد ذكر البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة وقدم ابو سفيان بن حرب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير اعلام احد بذلك فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبر بذلك فاطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه
السلام لعلي ابن ابي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه
منها قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب
او لتلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة
الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول
الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم
قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم
افعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال
عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد
بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح الباري وانما قال وانما قال
عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم
له فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن ان من خالف ما امره به النبي صلى الله
عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف
ما اظهر وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه وعند الطبري من طريق الحارث عن علي
في هذه القصة فقال اليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما
شئتم فقد غفرت لكم فاشار الى علة ترك قتله وعند الطبري ايضا عن عروة فاني غافر لكم و
هذا يدل على ان المراد بقوله غفرت اغفر على طريق التعبير عن الاتي بالواقع مبالغة في تحققه قال والذي
يظهر ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف تضمن ان هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة
وتاهلوا ان يغفر لهم ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من اخبر عنه
بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادر الى التوبة
ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم قاله القرطبي وذكر بعض اهل المغازي
وهو في تفسير يحيى بن سلام ان لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءكم بجيش يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له وعده فانظروا لانفسكم كذا حكاه السهيلي
ورواه الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل ابن عمرو وصفوان ابن امية وعكرمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد انتهى وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فمنهم
من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة الاف وفي الاكليل وشرف المصطفى اثنا
عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة الاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان واستخلف على المدينة ابن ام

مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري وخرج عليه السلام يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر قاله الواقدي وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو اصح منه وفي تعيين هذا التاريخ اقوال اخر منها عند مسلم لست عشرة ولاحمد لثماني عشرة وفي اخرى لثنتي عشرة والذي في المغازي دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف في اول الشهر ووقع في اخرى لسبع عشرة او تسع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر رواه البخاري وفي اخرى له افطر وافطروا الحديث وكان العباس قد خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه في الطريق ابو سفيان ابن الحارث ابن عمه عليه السلام واخوه من الرضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر بن ابي سفيان وكان ابو سفيان يالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما له عليه السلام بالابواء واسلما قبل دخول مكة وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن ابي امية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك وقال علي لابي سفيان فيما حكاه ابو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلم حياء منه قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فامر اصحابه فاوقدوا عشرة الاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا ابا سفيان ابن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى اتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر افزعهم وفي البخاري فاذا هم بنيران كانها نيران عرفة فقال ابو سفيان ما هذه كانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال ابو سفيان عمرو اقل من ذلك فراهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ابو سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال غفار قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة قال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اي الهلاك قال الخطابي تمنى ابو سفيان ان تكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه وقال ابن اسحاق زعم بعض اهل العلم ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن ان يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها وقد روى الاموي في المغازي ان ابا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا وارسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها الى ابنه قيس وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى اليك لجا حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الارض

وعاداهم اله السماء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس وعند ابي يعلى من حديث الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعها اليه فدخل مكة بلوائين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري انه دفعها الى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة اقوال فيمن دفعت اليه الراية التي نزعت من سعد والذي يظهر في الجمع ان عليا ارسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فامر بدفعها الى ابنه قيس ثم ان سعدا خشي ان يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منه فحينئذ اخذها الزبير قال في رواية البخاري ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته بالحجون وقال عروة واخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا ابا عبد الله ههنا امرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز الراية قال وامر خالد بن الوليد ان يدخل من اعلى مكة من كداء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدا اي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الآتية ان خالدا دخل من اسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من اعلاها حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اقبل يوم الفتح من اعلى مكة على راحلته مردفا اسامة بن زيد وفيه حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التي باعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامره ان يدخل من كداء من اعلى مكة وامره ان يغرز رايته عند ادنى بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان يغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال وصاح ابو سفيان من اغلق بابه وكف يده فهو آمن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحاق فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستامنوه فسمع صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فعرفه فاردف ابا سفيان خلفه واتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرف الآخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع بان الحرس لما اخذوه استنقذه العباس وروي ان عمر لما راى ابا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به فذهب فلما اصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه ففي النفس منها شيء فقال

له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قبل أن يضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال نعم وأمر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن إلا المستثنين وهم كما قاله مغلطاي وغيره عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وابن خطل قتله أبو برزة وقينتاه وهما فرتنا بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والمثناة الفوقية والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغرًا أسلمت إحداهما وقتلت الأخرى وسارة مولاة لبني المطلب أسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هشام وأرنب علم امرأة وقريبة قتلت وعكرمة ابن أبي جهل أسلم والحويرث بن نقيذ قتله علي ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة قتله نميلة الليثي وهبار ابن الأسود أسلم وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها وكعب بن زهير أسلم وهند بنت عتبة أسلمت ووحشي بن حرب أسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة وابن نقيذ بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره ذال معجمة مصغرًا ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة. وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح وأمر بقتله عشرة أنفس ستة رجال وأربع نسوة. وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الأخرى وبعث أبا عبيدة على الحسر بضم المهملة وتشديد السين المهملة أي الذين بغير سلاح فقال لي يا أبا هريرة اهتف لي بالأنصار فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا به فقال لهم أترون أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الأخرى احصدوهم حصدًا حتى توافوني بالصفا قال أبو هريرة فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدًا منهم إلا قتلناه فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن. قال في فتح الباري وقد تمسك بهذه القصة من قال إن مكة فتحت عنوة وهو قول الأكثر وعن الشافعي وهو رواية عن أحمد أنها فتحت صلحًا لما وقع من هذا التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم ولأن الغانمين لم يملكوا دورها وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها وحجة الأولين ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه السلام بأنها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسي به في ذلك وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها وتترك لهم دورهم. قال وأما قول النووي واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر لأن الذي أشار إليه إن كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن إسحاق فإن ذلك لا يسمى صلحًا إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشًا لم يلتزموا ذلك لأنهم استعدوا للحرب وإن كان مراده بالصلح وقوع عقد به فهذا لم ينقل ولا أظنه عنى إلا الاحتمال الأول وفيه ما ذكرته انتهى. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكًا عظيمًا فقال العباس ويحك إنه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم. وروي أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعًا لله لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن رأسه ليكاد يمس رحله شكرًا وخضوعًا لعظمته إذ أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده. وفي البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس وفي المحكم هو ما يجعل من فضل درع الحديد على

الرأس

الرأس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه. وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم الحويرث ابن نقيذ وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح قال فأما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث. وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال أربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فذكرهم لكن قال عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المرأتين وقال فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارًا وكان أشب الرجلين فقتله الحديث. وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي عثمان النهدي أن أبا برزة الأسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وإسناده صحيح مع إرساله. ورواه أحمد من وجه آخر وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله وبه جزم البلاذري وغيره من أهل الأخبار وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم أبو برزة ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام في السيرة بأن سعيد بن حريث وأبا برزة الأسلمي اشتركا في قتله. وإنما أمر بقتل ابن خطل لأنه كان مسلمًا فبعثه صلى الله عليه وسلم مصدقًا وبعث معه رجلًا من الأنصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلمًا ونزل منزلًا فأمر المولى أن يذبح تيسًا ويصنع له طعامًا ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركًا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه أنه كان يسمى عبد العزى فلما أسلم سمي عبد الله وأما من قال هلال فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال. وفي رواية أبي داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر فذكرهم ثم قال وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت عن بيعته فيقتله فقالوا يا رسول الله ما ندري ما في نفسك ألا أومأت إلينا قال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين الحديث. قال مالك كما في رواية البخاري ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرمًا انتهى. وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازمًا به أخرجه الدارقطني في الغرائب. ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام. وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة إلا محرمًا إلا يوم فتح مكة. وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقًا وفي قول يجب مطلقًا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وأولى بعدم الوجوب. والمشهور عن الأئمة الثلاثة الوجوب وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله أعلم. وقد زعم الحاكم في الإكليل أن بين حديث أنس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما رآه ويؤيده أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء أخرجه مسلم أيضًا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضي عياض وقال غيره يجمع بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر أو كانت تحت المغفر وقاية لرأسه من صداء الحديد فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهبًا للحرب وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم. وفي البخاري عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح يا رسول الله أين تنزل غدًا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك

لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث المؤمن الكافر وفي رواية اخرى له قال عليه السلام منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي رواية اخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل في بيت ام هاني ثم صلى الضحى ثماني ركعات قالت لم اره صلى صلاة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود واجارت ام هاني حموين لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هاني والرجلان الحارث بن هشام وزهير بن امية ابن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان اخوها علي بن ابي طالب اراد ان يقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيباً في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً او يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيراً اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يوسروا والطلق الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التي فيها احلت له عليه السلام ما بين اول النهار ودخول وقت العصر كما قاله في فتح الباري ولقد اجاد العلامة ابو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت في امم ... يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ... في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب ... عرمرم كزهاء الليل منسجل
وانت صلى عليك الله تقدمهم ... في بهو اشراق نور منك مكتمل
تنير فوق اغر الوجه منتجب ... متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا ... ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بها العز حين سمت ... بها المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السماء بما ... ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق ... والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها ... والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الاقلام من قدر ... وسابق من قضاء غير ذي حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب ... وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت ... له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت ... بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه ... كالاسد تزار في انيابها العصل
فويل مكة من آثار وطاته ... وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم ... تلمم ولا باليم اللوم والعذل

اضربت بالصفح صفحا عن عوائلهم ... طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها ... تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف ... مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها ... واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به ... من كان عنه قبيل الفتح في شغل

والجحفل الجيش العظيم وقذف الارجاء اي متباعدها واللجب الضجة من كثرة الاصوات والعرموم الضخم الكثير العدد وقوله كزهاء الليل شبهه بالليل في شدة الافق واسوداده بالسلاح والمنسجل بالجيم المهملة الماضي في سيره يتبع بعضه بعضا وقوله في بهو اشراق النور الذي يغشاه عليه السلام يبهو احاط به والبهو البناء العالي كالايوان ونحوه والمنتجب المتخير من اهل نجيب كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف تهتز والزهو الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته اي كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ والجدل جمع جديل وهو الزمام المضفور وثنى الجدل ما انثنى على اعناق الابل اي انعطف وثهلان اسم جبل معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل ايضا والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت اي جفت ويبست وتهليلا اي جبنا وفزعا يعني لولا ما سبق في تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الجزع والفرق وقوله شعبت اي جمعت واصلحت وقذفتهم اي فرقت مخافة شعوب وشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعب اي فرقت فهو من الاضداد والشعاب الطرق في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل رؤوس الجبال يعني انه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بعد ما انصدعوا اي تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد تزار في انيابها العصل اي المعوجة والله اعلم انتهى ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفا رافعاً يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً احب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية عن ابي نعيم قد الزقها الشياطين بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي ان الله تعالى لما اعلمه بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدائه وفتحه لمكة واعلاء كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول جاء الحق وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثمائة وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء الجهاد ودفع الشرك وقال مقاتل جاء عبادة الله وذهب عبادة الشيطان

وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستين صنما كانت تماثيل لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اى رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله اليه اني ساحدث لك ضربة جديدة يزفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في عينه او بطنه بمخصرته ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي ثم [illegible] صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر يعني نحاس فقال يا علي ارم به فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل رواه البخاري وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو مردف اسامة حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ايتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر ايضا قال كان بنو طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة ابن ابي طلحة ابن ابي العزى ويقال له الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان ابن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين المهملة وتخفيف الفاء وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان ابن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ايتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت قلت بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير ان هذه الاية ان الله تعالى يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان ابن طلحة الحجبي امره عليه السلام ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله الاية وامر صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان محمدا رسول الله فجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته قايمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى ابنه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولاده الى يوم القيامة قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان ممن اسلم قال هذا كان قديما وعن الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال

العباس

العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم ان يا عثمان تؤمن بالله وباليوم الاخر فهاته فقال هاكه بامانة الله فاعطاه اياه ونزلت الاية قال ابن ظفر وهذا اولى بالقبول وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة ابن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب علي ان اساله كم صلى وفي رواية جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة اعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة اعمدة وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما اخرجه الدارقطني في الغرايب ولفظه وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة اذرع وفي كتاب مكة للفاكهي والازرقي ان معاوية سال ابن عمر اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد الاتباع في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كانت ثلاثا سواء او تقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم وفي رواية عن ابن عباس قال اخبرني اسامة انه عليه السلام لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث ابن عمر ان اسامة اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة رواه احمد والطبراني بان اسامة حيث اثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما في علمه لكونه لم يره حين صلى ويكون ابن عمر ابتدا بلالا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستيثاق فسال اسامة ايضا قال النووي قد اجمع اهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه علم فوجب ترجيحها واما نفي اسامة فسببه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فراى اسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في جهة اخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبي صلى الله عليه وسلم فراه بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله بالدعاء وجاز ان تعقبه بالطول ذكره واقرب ما قيل في الجمع انه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة فاثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم رؤيته ويؤيده ما رواه ابو داود الطيالسي عن اسامة ابن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وراى صورا فدعا بدلو من ماء فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات وافاد الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم اقام خمسة عشر ليلة وفي رواية تسع عشرة وفي رواية ابي داود سبع عشرة وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل اقام بها بضع عشرة يقصر الصلاة وقال الفاسي في تاريخ مكة كان فتح مكة لعشر بقين من شهر رمضان ثم سرية خالد بن الوليد عقب فتح مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رايت شيا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع فجرد سيفه فخرجت اليه امراة عجوز عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد ييست ان تعبد ببلادكم ابدا ثم سرية عمرو بن العاص الى سواع منهم هذيل على ثلاثة اميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمها فقال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت حتى

وهل تسمع او تبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رايت قال اسلمت لله ثم سرية سعد بن زيد
الاشهلي الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها
قال السادن ما تريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت امراة عريانة سوداء ثائرة الراس
تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه وانصرف
راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة قبيلة
من عبد القيس اسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء بعثه عليه السلام لما رجع
من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى
اليهم قال ما انتم قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وفي البخاري لم يحسنوا ان يقولوا ذلك
فقالوا صبانا فقال لهم استاسروا فاستاسر القوم فامر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان
السحر نادى منادي خالد ~~من كان السحر نادى منادي~~ خالد من كان معه اسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان
بايديهم واما المهاجرون والانصار فارسلوا اسارهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني ابرا اليك
من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم قال الخطابي يحتمل ان يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام
ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متاولا وانكر عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم
ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير وهو واد بقرب ذي المجاز وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال
قرب الطائف وتسمى غزوة هوازن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة
اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن
عوف النصري فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست خلون من شوال في اثني عشر
الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفان ممن اسلم من اهل مكة وهم الطلقاء يعني الذين خلي عنهم يوم فتح مكة
واطلقهم فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة
عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية [illegible]
استعار منه مائة درع باداتها فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة
نفر ياتونه بخبر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم وفي حديث سهل بن الحنظلية
عند ابي داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجاء رجل فقال اني انطلقت
بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن على بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم
صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى وقوله على بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة
وتوفر العدد وليس هناك بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت هنا وقوله بظعنهم اي نسائهم و
واحدتها ظعينة واصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار وقيل للمراة ظعينة لانها تظعن مع
زوجها حيثما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للمراة بلا هودج وللهودج
بلا امراة ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم
من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة
فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي
فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكة والناس فلم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن
مولية

عبد

عبد المطلب وعلي بن ابي طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر واسامة
بن زيد في اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى العدو لانه
صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه وجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس
ناد يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ان لا يفروا عنه فجعل ينادي تارة
يا اصحاب السمرة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس اقبلوا كانهم
الابل اذا حنت على اولادها وفي رواية مسلم قال العباس فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر
على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم
يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه
السلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الان
حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره وهذه من فصيح الكلام
الذي لم يسمع من [illegible] قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال
شاهت الوجوه اي [illegible] ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك القبضة وفي
رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل ان يكون اخذ قبضة
واحدة مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد وابي داود والدارمي من حديث ابي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال
فولى المسلمون [illegible] كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ورسوله
ثم اقتحم عن فرسه [illegible] كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب به وجوههم وقال
[illegible] قال يعلى بن عطاء [illegible] عن ابي [illegible] عن ابي عبد الرحمن الفهري فحدثني ابناؤهم
[illegible] لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة [illegible] كامرار الحديد
على الطست الحديد بالجيم قال في النهاية وصف الطست وهو مؤنث بالحديد وهو مذكر لان تانيثها
غير حقيقي فاوله على الاناء والظرف او لان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تانيث [illegible] المذكر نحو امراة
قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت بغلته صلى الله عليه وسلم فمال السرج فقلت [illegible]
ارتفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار
سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن
بن صولي عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في اثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه
ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر ارخوها بين
اكتافهم وفي البخاري عن البراء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين [illegible]
[illegible] فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا
على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث
اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل
معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني
الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار واما ما في رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع من قوله فارجع منهزما الي

قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزمًا فقال لقد رأى ابن الاكوع فزعًا فقال العلماء قوله منهزمًا حال من ابن الاكوع كما صرح اولًا بانهزامه ولم يرد ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه السلام ما انهزم ولم ينقل احد قط انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحارث آخذين بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية ما حكاه القاضي عياض في الشفاء ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب يعني الحكم فان تاب والا قتل وان آخر العلماء البساطي تعقبه بان لفظة هذا القايل ان كان في اصل المسئلة يعني حكم الساب ... وجه وان كان على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال بعضهم وقد كانت ركوبه عليه ... البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقًا لنبوته لما كان الله تعالى ... به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من راكب الطمانينة ولا تصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلًا على الله تعالى وقد الملايكة في الحرب معه عليه السلام على الخيل لا غير لانه بصدد ذلك عرفًا دون غيرها من المركوبات لا لتيمنهم في الحرب الا الخيل والسر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابن ابي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق معه عليه السلام الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم ... من بني ... وابو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب وليس يقبل نحوه ... باسناد حسن من حديث ... لقد رايتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول ... الله عليه وسلم مائة رجل ... ثبت معه عليه السلام اثنا عشر رجلًا ... ووقع في شعر العباس بن ... المطلب الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك في قوله ... ونصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر عنه فاقشعوا وعاشرنا لاقى ... في الانهزام المنهي عنه هوما وقع على غير نية العود وانما ... ذلك ... قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فقال ... فقال العلماء انه ليس بشعر لان الشاعر ... شاعر الوجوه منها انه شعر القول وقصده واهتدى اليه واتى به كلامًا موزونًا على طريقة العرب مقفًى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرًا ولا يكون قايله شاعرًا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرًا وان كان موزونًا واما قوله عليه السلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه السلام وكان عبد المطلب مشهورًا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه السلام عن ذلك ... وقال من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه واستلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلًا وقال ابن القيم في الهدي النبوي كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجًا ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان يجمعوا ويتألبوا لحرب عليه السلام ليظهر امر الله تعالى وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنايمهم

شكوا

شكوانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه ان اذاق المسلمين اولًا مرارة الهزيمة والكسرة مع عدوهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤوسًا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه السلام واضعًا راسه منحنيًا على مركوبه تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عنده تعالى وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئًا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودًا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوايزه انما تفاض على اهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض قال وبهاتين الغزاتين اعني حنينًا وبدرًا قاتلت الملايكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصباء فيهما انتهى وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس واستشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن ابن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلًا ثم سرية ابي عامر الاشعري وهو عم ابي موسى الاشعري وقال ابن اسحاق ابن عمه والاول اشهر بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان معه سلمة ابن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة مبارزة ثم برز له العاشر فضرب اباعامر فقتله فخلفه ابو موسى الاشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه وكان في التسع اخوة عليه السلام ابنه وقيل قاتل ابي عامر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر واجعله من اعلى امتي في الجنة وفي رواية البخاري قال يعني ابا عامر لابي موسى ... اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي ثم مات ورجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلًا كريمًا قال ابو بردة احداهما لابي عامر والاخرى لابي موسى ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة في شوال لما اراد عليه الصلاة والسلام السير الى الطايف ليهدمه ويوافيه بالطايف فخرج سريعًا فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا اقدم من ميلادكا ... اني حششت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربع مائة سراعًا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطايف بعد مقدمه باربعة ايام وقدم معه اربعة مسلمون ثم غزوة الطايف وهي بلد كبير على ثلاث مراحل او اثنتين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه وقيل ان اصلها ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطايف فسمي الموضع بها وكانت اولًا بنواحي صنعاء واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنايم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم بالطايف واغلقوا عليهم بعد ان ادخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فمر في طريقه بقبر ابي رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنًا من ذهب ونزل قريبًا من الحصن

وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميًا شديدًا كانه رجل جراد حتى اصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم
اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن ابي امية ورمي عبد الله بن ابي بكر الصديق يومئذ بسهم فاندمل ثم نقض بعد
ذلك فمات منه في خلافة ابيه وارتفع صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطايف اليوم وكان معه من
نسايه ام سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطايف كله فحاصرهم
ثمانية عشر يومًا ويقال خمسة عشر يومًا ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمي به في الاسلام وكان
قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال فامر
صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سالوه ان يدعها لله وللرحم فقال
عليه السلام اني ادعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلام ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر
قال الدمياطي فخرج منهم بضع عشرة رجلا فيهم ابو بكرة وعند مغلطاي ثلاثة وعشرون عبدا وفي
البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وابا بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندي
رجلان اما احدهما فاول من رمى بسهم في سبيل الله واما الاخر فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة وعشرين
من الطايف الحديث واعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع منهم كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق
ذلك على اهل الطايف مشقة شديدة ولم يوذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطايف وامر عمر بن الخطاب
فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطايف فقال عليه السلام فاغدوا
على القتال فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله تعالى فسروا واذعنوا
وجعلوا يرحلون ورسوله صلى الله عليه وسلم يضحك قال النووي فقصد صلى الله عليه وسلم الشفقة
عليهم والرفق بالرحيل عن الطايف لصعوبة امره وشدة الكفار الذين فيه
ويفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد اقام وجد في القتال
فلما اصابتهم الجراح رجع الى ما كان قصده اولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما راوا من المشقة الظاهرة ووافقوا
على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رايهم وفقئت عين ابي سفيان صخر بن حرب يومئذ ذكر
ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده ايما احب اليك عين في الجنة او ادعو الله ان
يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الاخرى يومئذ
ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قولوا لا اله الا الله
وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون عابدون لربنا حامدون
فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما
يحتاج اليه من آلات الجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الجهاد
والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام يتعرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره
بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
وانظر الى قوله عليه السلام وهزم الاحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا هو
معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو لله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر واعان
واجرى الامور على يد من شاء ومن اختار من خلقه فكل منه واليه ولو شاء الله ان يبيد اهل الكفر من
غير قتال لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب الصابرين
ويجزل الثواب للشاكرين قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم

فعلى

فعلى المكلف الامتثال في الحالتين امتثال تعاطي الاسباب والرجوع الى المولى والسكون اليه بساحة
الكرم كما كان صلى الله عليه وسلم ياتي بالاسباب اولا تادبا مع الربوبية وتشريعا لامته ثم يظهر
الله تعالى على يديه ما يشاء من قدرته التي ادخرها له عليه السلام قاله ابن الحاج في المدخل
ولما قيل يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم وكان عليه السلام قد امر ان
يجمع السبي والغنائم مما افاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله الى الجعرانة فكان بها الى ان انصرف
عليه السلام من الطايف وكان السبي ستة الاف راس والابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من اربعين
الف شاة واربعة الاف اوقية فضة واستانى صلى الله عليه وسلم بهوازن اي انتظر وتربص ان يقدموا عليه
مسلمين بضع عشرة ثم بدا بقسم الاموال وفي البخاري وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا المائة من
الابل فقال ناس من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ثم قال لهم
اما ترضون ان يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول
الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينما انا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال
اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا رواه
البخاري وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف نزل
الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف والمعروف
عند اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بها
ثلاث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة
ليلا فاحرم بعمرة ودخل مكة وفي تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه السلام احرم من وراء الوادي حيث
الحجارة المنصوبة وعند الواقدي من المسجد الاقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكانت
صلاته عليه السلام اذ كان بالجعرانة به والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي
ثمانية عشر ميلا وسمي بامراة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد
غاب عنها شهرين وستة عشر يومًا وبعث عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة الى ناحية اليمن في اربع
مائة فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء حين مروره عليهم في الطريق فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسال
عن ذلك البعث فاخبر فقال يا رسول الله انا وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومي فردهم النبي صلى الله
عليه وسلم من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يومًا فاسلموا وتاتي قصة وفودهم في الفصل الحا
من المقصد الثاني ان شاء الله تعالى وبعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم بالسقيا وهي ارض بني تميم في المحرم
سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في
صحراء فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذوا منهم احد عشر رجلا ووجدوا في المحلة احدى
عشرة امراة وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من رؤسائهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع
بن حابس فجاءوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه وسلم واقام بلال الصلاة
وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد
فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم

فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي وفي البخاري عن عبد الله ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امّر القعقاع بن معبد ابن زرارة فقال عمر بل امّر الاقرع ابن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حتى انقضت اي لا تقدموا القضاء في امر قبل ان يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار صاحبه فنزل فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة ابن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم فرحا به تعظيما لله ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ الى اخر الاية فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم القران وبعث معهم عباد ابن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القران وفي شرف المصطفى للنيسابوري ما ذكره مغلطاي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو بن حارثة وقيل حارثة ابن عمرو قال وهو لا يصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام فابوا ان يجيبوا واستخفوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم بناحية بيشة قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال

وبعث معه عشرين رجلا وامره ان يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وكانت سهمانهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس ثم سرية الضحاك ابن سفيان الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع الى القرطاء فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا ثم سرية علقمة ابن مجزز المدلجي الى الحبشة في ربيع الاخر وقال الحاكم في صفر سنة تسع وذكر ابن سعد ان سبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراآهم اهل جدة فبعث اليهم علقمة ابن مجزز في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فامّر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابي سعيد الخدري وبوّب عليه البخاري فقال سرية عبد الله ابن حذافة السهمي وعلقمة ابن مجزز المدلجي ويقال انها سرية الانصاري ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال اليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا نارا فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر في قوله

ويقال

ويقال انها سرية الانصاري اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرها ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التاويل يبعده وصف عبد الله ابن حذافة السهمي القرشي المهاجري بكونه انصاريا ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم واما ابن الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمي قال في فتح الباري ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى وقال النووي وهذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل ان هذا الرجل عبد الله ابن حذافة السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال في الرواية التي بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى ثم سرية علي ابن ابي طالب الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طيء ليهدمه في ربيع الاخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان في السبي سفانة بنت حاتم اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سبب اسلام عدي وعند ابن سعد ايضا ان الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم سرية عكاشة بن محصن الى الجناب ارض عذرة وبلي وقيل ارض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه عليه السلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحاق وعبد الملك بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الانباري دخل حديث بعضهم ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى اتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبي الذي يبعث في اخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا قال ابن اسحاق فلما قدم صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة ابن ابي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجائك وكان كعب قد قال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ... على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا ... عليه ولا تلفي عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست باسف ... ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المامون كاسا روية ... فانهلك المامون منها وعلكا

قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق وانه لكذوب وانا المامون ولما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال عليه السلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه كعب بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين ابي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا
هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف
الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامن منك تائبا مسلما فهل انت قابل منه
ان انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحاق وحدثني
عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال
صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم
وذكر انه لم يتكلم فيه

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
انبئت ان رسول الله اوعدني * والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة ال * قران فيه مواعيظ وتفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة ولم * اذنب ولو كثرت فيّ الاقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما اسلموا زولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل

وفي رواية ابي بكر ابن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحاق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما عنى معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي يقول فيها

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهري باذرع * كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين باعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
قوم اذا خوت النجوم فانهم * للطارقين النازلين مقاري

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام ابن عقبة

غزوة تبوك

مكان معروف وهو نصف طريق المدينة الى دمشق وهي غزوة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطا او من النساخ وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك لم يور عنها كعادته في ساير الغزوات وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتاهبوا لذلك وروى الطبراني من حديث عمران بن الحصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة وكان عثمان قد جهز عيرا الى الشام فقال يا رسول الله هذه مايتا بعير باقتابها واحلاسها ومايتا اوقية

قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروي عن قتادة انه قال حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم خرجه الترمذي وقال حسن غريب وعند الفضائلي والملا في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة الاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كاين الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها ولما تاهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وارسل عليه السلام الى مكة وقبايل العرب يستنفرهم وجا البكاؤون يستحملونه فقال عليه الصلاة والسلام لا اجد ما احملكم عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض ابن سارية وهرم ابن عبد الله وعمرو بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحضرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله فيهم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي وفي البخاري عن ابي موسى قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شي ورجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي فرجعت الى اصحابي فاخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم البث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادي اين عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته قال خذ هذين القرينين وهاتين القرينين لستة ابعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فانطلق بهن الى اصحابك فقل ان الله او ان رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث وقام علبة ابن زيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم انك امرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه واني اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها في مال او جسد او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ابشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلايل وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم في التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد اخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراة على الله ورسوله وهو قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة قال الدمياطي وهو عندنا اثبت من قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمة علي ابن ابي طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وهو في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص انتهى ورجح ابن عبد البر وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال ابن امية وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى عليه السلام ابا ذر الغفاري وكان عليه السلام نزل عليه في بعض الطريق فقال يمشي وحده ويعيش وحده ويبعث

ويموت وحده فكان كذلك وأمر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبائل من العرب ان يتخذوا
لواء او راية وكان معه عليه السلام ثلاثون الفا وعند ابي زرعة سبعون الفا وفي رواية عنه ايضا اربعون
الفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولما مر عليه السلام بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا
من مائها شيئا ولا يخرجن احد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا ان رجلين من بني ساعدة خرج
احدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره فاما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذي خرج في طلب
بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيئ فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ثم دعا
للذي خنق على مذهبه فشفي واما الآخر فاهدته طيئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي
صحيح مسلم من حديث ابي حميد انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهب عليكم الليلة
ريح شديدة فلا يقم منكم احد فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح
حتى القته بجبل طيئ وروى الزهري لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته
ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم رواه الشيخان ولما كان عليه
السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر
السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم
الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا
حتى تاتوني بها فانطلقوا فجاءوا بها رواه البيهقي وابو نعيم وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم وردوا عين تبوك
وهي تبض بشيء من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه
ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس الحديث ويأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما انتهى صلى الله عليه
وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا بجيم واذرح بالذال المعجمة والراء والحاء
المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة ايام فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجه هرقل بحمص فارسل
خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عليها بدومة الجندل في اربعمائة وعشرين فارسا
في رجب سرية وقال له عليه السلام انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة
مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستاسر اكيدر وقتل اخاه حسانا
وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع واربعمائة
رمح وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب الاجابة ولم
يجب رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس وفي مسند احمد ان هرقل كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب هو على نصرانيته وفي كتاب الاموال لابي عبيد بسند صحيح من مرسل بكر بن
عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها
بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي ومن قبله ابن سعد عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا وبني في
طريقه مساجد واقبل عليه السلام حتى نزل بذي اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة
ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال انطلقا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه وذلك بعد ان انزل الله والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية قال الواحدي قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير

الذين

حاشية: فرس ظ
حاشية: اي طريقه صح
حاشية: ان تسيل قليلا ق
حاشية: ودومة الجندل بضم الدال وفتحها وقيل الضم ارجح موضع بين الشام والحجاز والاكيدر مصغرا ق
حاشية: انه اسلم ظ
حاشية: اي ساعة

الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا منافقين يضارون به مسجد قبا وذلك انهم قالوا في طائفة
من امتنا فتبني نحن مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند
ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة
المطيرة ونحن نحب ان تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء
الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت هذه الآية ولما دنا صلى الله عليه
وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن ۝ طلع البدر علينا ۝
من ثنيات الوداع ۝ وجب الشكر علينا ۝ ما دعا لله داع ۝ وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال
انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم
من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا توجه الى الشام كما قدمت ذلك وفي البخاري لما رجع صلى الله عليه وسلم من
غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم
العذر وهذا يؤيد معنى ما روي نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء ابلغ من اعمالهم فانها بلغت بهم
مبلغ اولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات
والهمم لا بالحركات والاعمال ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه
ولما دخل قال العباس يا رسول الله ائذن لي امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال ۝

من قبلها طبت في الظلال وفي ۝ مستودع حيث يخصف الورق ۝ ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق ۝ بل نطفة تركب السفين وقد ۝ الجم نسرا واهله الغرق
[...] صالب الى رحم ۝ اذا مضى عالم بدا طبق ۝ وردت نار الخليل مكتتما
في صلبه انت كيف يحترق ۝ حتى احتوى بيتك المهيمن من ۝ خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الار[ض] ۝ وضاءت بنورك الافق ۝ فنحن في الضياء وفي النور
وسبل الرشاد نخترق ۝ عاليا تدرك الرفيع وفي ۝ معناك حسنا عليه النسق
تبدا ثغرك والقوام اذا ۝ غضنا وطيبا قوامك الرشيق ۝ ووجهك البدر ان يضيء ومن
سعدك الليل يجلي الغسق ۝ اضاء من الوجود نورا سنا ۝ وفاح مسكا بمسك العبق ۝

وقوله من قبلها طبت الى آخره اي في ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب آدم حيث كان في الجنة وقوله من قبلها اي من
قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اي لما اهبط الله
آدم الى الدنيا كنت في صلبه غير بالغ هذه الاشياء وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده
قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله حتى احتوى بيتك المهيمن الى آخره النطق جمع
نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح واوساط منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس
ضربه مثلا في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته
اي احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف التي وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف
عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجا امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وضاقت عليهم انفسهم وظنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال

حاشية: النفس الكبير [...] ق
حاشية: هنالك م
حاشية: خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان ابن عمران ام اولاد الياس بن مضر ق

ابن امية ومرارة بن ربيعة قالوا ولما قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امراته حبلى فلاعن بينهما ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره باسناد صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد فيما اخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعدما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي القعدة الحجة على هذا والله اعلم وكان مع ابي بكر ثلثماية رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي ابن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة فاذن معنا في اهل منا ببراءة ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الاية وقد دلت هذه الاية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح المومن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا ستوي في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاخباث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروى النسائي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر على الحج فاقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقراها على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها وهذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة تسع واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع والاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه وفي هذه السنة مات عبد الله بن ابي بن سلول فجا ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر رضي الله فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل

علي

على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون رواه الشيخان والنسائي وفي هذه السنة ايضا الى صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتى يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك اليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جيتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيايهم فترد على فقرايهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرايم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخاري والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة واخره فاء بلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمل الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى ثم ارسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر وفي الاكليل في ربيع الاخر وقيل في جمادى الاولى الى بني عبد المدان قبيلة بنجران فاسلموا ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر فيما ذكره المهاجي وعقد له لواء وعممه بيده واخرج ابو داود واحمد والترمذي من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الاخر الحديث فخرج في ثلثماية فارس ففر واصحابه فاتوا بنهب وغنايم ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من روساهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ويسمى حجة الاسلام وحجة البلاغ وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبا الى ان توفاه الله تعالى وفي البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسعة عشر غزوة وانه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال ابن اسحاق وبمكة اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان اول الشهر يوم الخميس ولا يمكن ان يكون خروجه يوم الخميس بل ظاهر الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلاثين فاتفق ان جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبها تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات وقوي هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة

او اربع وصرح الواقدي بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه
من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت من حديث عايشة وذكر يوم الاحد وهذا
يؤيد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى
وخرج معه عليه السلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي
وياتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان شا الله تعالى ثم سرية اسامة
ابن زيد بن حارثة الى اهل ابنا بالشراة ناحية بالبلقا وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى
عشرة وهي اخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم واول شي جهزه ابو بكر الصديق رضي الله لغزو الروم مكان
قتل ابيه زيد فلما كان يوم الاربعا بدي برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد
لاسامة لوا بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين
والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فخرج صلى الله عليه
وسلم وقد عصب راسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة
بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولين طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه
من بعده لخليق للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته
وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجا المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه
فدخل اسامة من عسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطاطا اسامة فقبله ورسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السما ثم يضعها على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ورجع
اسامة الى معسكره يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل
فبينا هو يريد الركوب اذا رسول ام ايمن قد جاء يقول ان رسول الله يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي
عليه السلام حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول واستشكل السهيلي ومن تبعه وذلك انهم
اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة تواما او نواقص او بعضها لم يصح قال
الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله واجاب البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان
اهل مكة والمدينة اختلفوا في روية هلال ذي الحجة فراه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت
الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة واخره السبت واول
المحرم الاحد واخره الاثنين واول صفر الثلثا واخره الاربعا واول ربيع الاول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين
قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمي احد الثقات
بان ابتدا مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع
الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم
ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول
وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الاول فتغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع
بعضهم بعضا من غير تامل انتهى ثم ان وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن
في حديث ابن مسعود في حادي عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم انتهى وسياتي ان شا الله
تعالى حديث الوفاة الشريفة في المقصد الاخير ولما توفي عليه الصلاة والسلام دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف

الى

الى المدينة فدخل بريدة بلوا اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عند
بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللوا الى بيت اسامة ليمضي لوجهه
فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال ربيع الاخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنا فشن عليهم
الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل ابيه في الغارة ثم رجع الى
المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم

المقصد الثاني في ذكر اسمائه الشريفة المنبية عن كمال صفاته المنيفة

وذكر اولاده الكرام الطاهرين

وازواجه الطاهرات امهات المومنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام ومكاتبته الى الملوك وغيرهم من الانام وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم

وفيه عشرة فصول

الفصل الاول في ذكر اسمائه الشريفة المنبية عن كمال صفاته المنيفة

اعلم ان الاسما جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازا مسمى متى اطلقت فهم
منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشيا الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية
فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود
تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات
والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي
مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله
تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب
معنى سبح اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معنى اذكر
سبح عكس الاول قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا اخر
واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشي الى نفسه واجيب بان الاسم هنا
بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هي اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم
عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى واجيب
ان المعنى يا ايها الشخص الغلام الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال
العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم باسما
كثيرة في القران العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله
عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل له ما سميت ولدك قال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك وقومك فقال لاني ارجو ان يحمده
اهل الارض كلهم وذلك لرويا كان راها عبد المطلب كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتابه البستان قال
كان عبد المطلب قد راى في المنام كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق وطرف
في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها
فعبرت له بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا مع
ما حدثته به امه آمنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن ابن
عباس قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته

محمدا وام نسمه باسم ابابه فقال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي على قدمي بتخفيف اليا
على الافراد وبالتشديد على التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري وزماني ورسالتي
وفي رواية نافع ابن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والاوسط والحاكم في مستدركه وصححه وابو نعيم في
الدلايل وابن سعد انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال اتحصي اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان
جبير ابن مطعم يعدها قال نعم هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم وفي حديث
حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وماحي فاما حاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد واما عاقب فانه اعقب الانبيا واما
ماحي فان الله عز وجل محا به سيات من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره
الراوي بالمعنى وفيه نظر لتصريحه في الحديث لي خمسة اسما والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسما اختص بها لم
يتسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاشكال الوارد وهو ان
المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بما هو اكثر يدل على انه ليس حصرا
مطلقا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران
سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جا من القابه صلى الله عليه وسلم واسمائه
في القران عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة
لعدد اسما الله الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمايه الحسنى
بنحو من ثلاثين اسما وقال ابن دحيه في كتابه المستوفى اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث
وفى الثلثمايه انتهى ورايت في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر بن العربي قال بعض الصوفيه لله تعالى الف
اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم انتهى والمراد الاوصاف فكل الاسما التي وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى
الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب عليه ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين
بالمشاهدة لا يخفى واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسما بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر والذي رايته في
كلام شيخنا في القول البديع والقاضي عياض في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس
وغيرهم يزيد على الاربعمايه وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهي ا الابر بالله الابطحي اتقى الناس الاجود
اجود الناس الاحد الاحسن احسن الناس احمد احيد بضم اوله وكسر المهملة ثم تحتانية او هو بفتح الهمزة
وسكون الحاء الاخذ بالحجزات اخذ الصدقات الاخر الاخشى لله اذن خير ارجح الناس عقلا ارحم الناس
بالعيال اشجع الناس الاصدق في الله اطيب الناس ريحا الاعز الاعلى الاعلم بالله اكثر الناس تبعا
الاكرم اكرم الناس اكرم ولد ادم الاكليل امام الخير امام الرسل امام المتقين امام النبيين الامام
الامي الامين امنة اصحابه الامين انعم الله اول شافع اول مشفع اول المسلمين اول مشفع اول المومنين
اول من تنشق عنه الارض ب البر البارقليط الباطن البرهان بشرى بشرى عيسى البشير البصير البليغ
بالغ البيان البينة ت التالي المذكر التقي التنزيل التهامي ث ثاني اثنين ج الجبار الجد الجواد
جامع ح حاتم حزب الله الحاشر الحافظ الحاكم بما اراه الله الحامد حامل لوا الحمد الحايد لامته عن
النار الحبيب حبيب الرحمن حبيب الله الحجازي الحجة الحجة البالغة حجة الله على الخلايق حرز الاميين الحرمي

حريص

عام
حمحق

حريص الحريص على الايمان الحسيب الحفيظ الحق الحكيم الحليم حماد حمطايا او قال حمياطا حمعسق حنفي
الحميد الحنيف خ الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين الخاتم الخازن لمال الله الخاشع الخاضع الخالص
خطيب الانبيا خطيب الامم خطيب الوافدين على الله الخليل خليل الرحمن خليل الله الخليفه خير الانبيا
خير البريه خير خلق الله خير العالمين طرا خير الناس خير هذه الامة خيرة الله د دار الحكمة الداعي الى
الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات ذ الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق
العظيم ذو الصراط المستقيم ذو القوة ذو مكانة ذو فضل ذو المعراج ذو المقام المحمود ذو الوسيله ر
الراضح الراضي الراغب الرافع راكب البراق راكب البعير راكب الجمل راكب الناقة راكب النجيب الرحمة رحمة
للامة رحمة للعالمين رحمة مهداة الرحيم الرسول رسول الراحه رسول الرحمة رسول الله رسول الملاحم
الرشيد الرفيع الذكر رافع الرتب رفيع الدرجات الرقيب روح الحق روح القدس الرووف ركن المتواضعين
ز الزاهد زعيم الانبيا الزكي الزمزمي زين من وافى القيامة س السابق السابق بالخيرات سابق
العرب الساجد سبيل الله السراج المنير الصراط المستقيم السعيد سعد الله سعد الخلايق السميع السلام
السيد سيد ولد ادم سيد المرسلين سيد الناس سيد الكونين سيد الثقلين سيف الله المسلول
ش الشارع الشافع الشاكر الشاهد الشكور الشمس الشهيد ص الصابر الصاحب صاحب الايات
صاحب المعجزات صاحب البرهان صاحب البيان صاحب التاج صاحب الجهاد صاحب الحجة صاحب الحطيم صاحب
الحوض المورود صاحب الخاتم صاحب الخير صاحب الدرجة الرفيعة صاحب الردا صاحب الازواج الطاهرات
صاحب السجود للرب المحمود صاحب السرايا صاحب السلطان صاحب السيف صاحب الشرع صاحب الشفاعة الكبرى
صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات صاحب العلو والدرجات صاحب الفضيلة صاحب الفرج صاحب النقيب
صاحب القضيب الاصفر صاحب قول لا اله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر صاحب اللواء صاحب المحشر
صاحب المدينه صاحب المغفر صاحب المغنم صاحب المظهر المشهود صاحب المقام المحمود صاحب المنبر صاحب المبر
صاحب النعلين صاحب الهراوة صاحب الوسيلة الصادع بامر الصادق الصبور الصدوق صراط الله
صراط الذين انعمت عليهم الصراط المستقيم الصفوح عن الزلات الصفوة الصفي الصالح ض الضارب
بالحسام المثلوم الضحاك الضحوك ط طاب طاب الطاهر الطبيب طسم طس الطيب طه الطيب ظ
الظاهر الظفور من الظفر وهو الفوز ع العابد العادل العظيم العافي العاقب العالم علم الايمان علم
اليقين العالم بالحق العامل عبد الله العبد عبد الكريم العدل العربي العروة الوثقى العزيز العفو العطوف
العليم العلي عين العز عبد الجبار عبد الحميد عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد
الخالق عبد القادر عبد المهيمن عبد القدوس عبد الغياث عبد الرزاق عبد السلام عبد المومن
عبد الغفار غ الغالب الغفور الغني الغني بالله الغيث الغوث الغياث ف الفاتح الفارقليط فرط
بالبا وتقدم الفارق فاروق الفتاح الفجر الفرط الفصيح فضل الله فواتح النور ق القاسم القاضي
القانت قايد الغر المحجلين القايل القايم القتال القتول قثم القثوم قدم صدق القرشي
القريب القرم القيم ومعناه الجامع الكامل وصوابه بالمثلثة بدل البا ك القوي كافة الناس الكفيل
الكامل في جميع اموره الكريم كهيعص ل اللسان م الماجد ماذ ماذ المزمل الماحي المامون المانع
المانح المعين المبارك المبتهل المبرا المبشر مبشر البايسين المبعوث بالحق المبعوث المبلغ المبيح
المنير المتبين المتبتل المتبسم المتربص المترحم المتوسط المتضرع المتقي المتلو المتهجد المتوكل

عليهم

المثبّت مجاب بجيب المجتبي المجير المحرّض المحرّم المحفوظ المحلّل محمد المحمود المخبر المختار المخصوص بالشرف المخصوص بالعز المخصوص بالمجد المخلص المدثر المدني مدينة العلم المذكر المذكور المرتضى المرتّل المرسل المرجّى المرحوم المرفّع الدرجات المزمّل وهو الرجل الكامل المرفوع المزكي المزمّل المتبّع المستغفر المستغني المستقيم المسرى به المسعود المسلّم المسلّم المشاور المشفّع المشفوع المشفّع المشهود المشير المصباح المصادع المصافح مصحح الحسنات المصدوق المصطفى المصلح المصلّى عليه المطاع المطهّر المطلع المطيع المظفّر المعزّر المعصوم المعطي المعقّب المعلم معلم امته المعلم المعلن المعلّى المفضّل المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقتفي بمعنى قفّا النبيين المقدّس المقرّي المقتصد المقسط المقسم المقصوص عليه المقفّى وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم مقيل العثرات مقيم السنة بعد الفترة المكرّم المكتفي المكفي المكين المكي الملاحم ملقّي القرآن الممنوح المنادي المنتصر المنجي المنذر المنزّل عليه المنحمنا المنصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدي المهدي المهداة المهيمن المومن الموتى جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموقّر الموفي المومن المؤيّد الميسّر ن نون الناس الناجز الناس لقوله تعالى يحسدون الناس المبتسم به عليه السلام الناسخ الناشر الناصح الناطق الناهي نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة نبي الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي المرحمة نبي الملحمة نبي الملاحم النبي النجم النجم الثاقب نجي الله النذير النسيب نصيح ناصح النعمة نعمة الله النقيب النقي النور نور الامم ابي الهادي لها الذي اوصلها نور الله الذي لا يطفا الهادي هدى هدية الله الهاشمي و الوجيه الواسط الواسع الواصل الواضح الواعد الواعظ الورع الوسيلة الوفي الوافي ولي الفضل الولي ي اليثربي ياسين وكنيته المشهورة ابو القاسم كما جاء في عدة احاديث صحيحة و يكنى بابي ابراهيم كما جاء في حديث انس في مجيء جبريل اليه عليهما الصلاة وقوله السلام عليك يا ابا ابرهيم و بابي الارامل فيما ذكره ابن دحية و بابي المومنين فيما ذكره غيره واعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب شرح جميع هذه الاسما الشريفة اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى الغرض وعن غرض الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح الله به مما يدل على سواه وبالله نستعين فاول ذلك ما له عليه السلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبي عن ذاته الذي ساير اسما اوصاف قدر راجعة اليه وهو في المعنى واحد وله في الاشتقاق صيغتان الاسم المبني صيغته على صيغة افعل المنبية عن الانتهاء والى غاية ليس وراها منتهى وهو اسمه احمد و الاسم المبني على صيغة التفعيل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهي له الاحصا وهو اسمه محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى و اما احمد و هو اسمه عليه السلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد قال واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل ان يسمى به علم من اعلام نبوته عليه السلام اذ كان اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد

كما

كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فبا احمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضي عياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع في الوجود لان تسميته احمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته محمد وقعت في القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده الناس انتهى و هذا موافق لما قاله السهيلي وقد ذكره في فتح الباري واقره عليه وهو يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون محمد في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل ما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى غيره فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصايله المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد وقال القاضي عياض في باب تشريفه تعالى له عليه السلام بما سماه به من اسمايه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد ثم انه في اسمه محمد خصايص منها كونه على في لتوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدد الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل انما اكرم به الادمي وقع على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول راسه والحا جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل فلا يدخل النار من يستحق دخولها الا اذا انه منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاها ابن مرزوق والاول ابن العماد في كتابه كشف ومنها انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال حسان ابن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي ابن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد

ومنها انه سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي الفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله تعالى انزل على ادم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب اجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملايكة فاكثر ذكره فان الملايكة تذكره في كل ساعاتها بيت مفرد

بدا مجده من قبل نشاة ادم • فاسماوه في العرش من قبل تكتب

وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد

محمد رسول الله وابو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكره في الشفا وعلى حجر
بالخط العبراني باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران
ذكره ابن ظفر في النشر عن معمر عن الزهري وشوهد كما ذكره في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله ابن صوحان عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند
فأرستنا في جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب النسيم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي تاريخ ابن العديم عن علي بن ابي عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة
سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت في ذلك
وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تتفتح فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه كثير واهل تلك القرية يعبدون
الاحجار لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة توالتها غيسلة — يقال لها
او تشيلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوبة
عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضي
ابو البقاء الضيائي في منسكه وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز
له قشران اذا كسر خرج منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية
وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة بضم
الهمزة والموحدة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها
في الماء احتراما لها وعن بعضهم ما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الابوصيري انه اتي بسمكة من بحر اخرى
شحمة اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله وعن جماعة انهم رأوا ببطيخة صفراء فيها خطوط شتى
بالابيض خلقية ومن جملة الخطوط مكتوب بالعربي في احد جنبيها الله وفي الاخر احمد بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط
وانه وجد في سنة تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون اسود محمد وفي كتاب النطق
المفهوم لابن طغربك السيافي عن بعضهم انه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة
والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله
الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا
وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشرت به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما
قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث يجعل
رسالاته ٥ ما كل من زار الحمى سمع الندا ٥ من اهله اهلا بذاك الزائر ٥ ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء وقد عدهم القاضي عياض ستة ثم قال لا سابع لهم وذكر ابو عبد الله بن خالويه في كتاب ليس
والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب من تسمى محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثا قال الحافظ
ابو الفضل ابن حجر رحمه الله وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متأخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف
على كلامه قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر في بعضهم
ووهم في بعض فتلخص منهم خمسة عشر نفسا واشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد

مناة

مناة بن تميم التميمي السعدي ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف
اللام آخره مهملة الاوسي ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة
ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة البكري العتواري ومحمد بن الحارث بن خديج بن حويص ومحمد بن
حرماز بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران بن ابي حمران ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعي
ابن علقمة ابن حرابة السلمي من بني ذكوان ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي
ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي ومحمد بن الفقيمي ولم يدرك الاسلام منهم الا الاول
ففي سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما وفيمن ذكره عياض محمد بن مسلمة الانصاري
وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه
المتقدم محمد بن محمد الماضي فصار من عنده ستة لا سابع لهم انتهى واما اسمه عليه السلام محمود
فاعلم ان من اسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمي الرسول
صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واما الماحي ففسر في الحديث بمحو الكفر ولم
يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان
ويهود ونصارى وضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ومن عباد الكواكب وعباد النار وفلا
سفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر دينه على كل دين وبلغ دينه
ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران
كان اسمه عليه السلام فيها الماحي واما الحاشر ففسر ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه
اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله اي يجمعون اليه في القيامة وقد كان
حشره لاهل الكتاب بالجلاء لهم من حصونهم وبلادهم من مهجره الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء
في دار الدنيا الى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه
يلجأون في محشرهم وقيل على سنته واما العاقب فهو الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي لان
العاقب هو الاخر اي عقب الانبياء قيل وهو اسمه عليه السلام في النار فاذا جاءها خمدت شفاعته خمدت
النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد النار وتنزوي عنهم واما المقفي فكذلك اي قفا آثار من سبقه من الرسل
وهي لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت فالمقفي
اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم واما الاول فلانه اول النبيين خلقا كما مر وكما انه اول
في البداءة فهو اول في العود فهو اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة وهو اول شافع واول مشفع
كما كان في وليات البدء في عالم الذر اول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على الذرية الادمية
فاشهدهم على انفسهم الست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم الاول من ذلك كله على الاطلاق واما الاخر فلانه اخر الانبياء
في البعث كما في الحديث واما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو الظاهر في
وجوه الظهور كلها واما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة ما يوحيه الله تعالى واما الفاتح الخاتم
ففي حديث الاسراء عن ابي هريرة من طريق الربيع ابن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث
ابي هريرة ايضا في الاسراء قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد
ان كان مرتجا وفتح به الاعين العمي والاذان الصم والقلوب الغلف وفتح به امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به

طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والاخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد يكون المراد
المبتدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث
واما الرؤوف الرحيم ففي القران لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين
رؤوف رحيم وهو فعول من الرافة وهي ارق من الرحمة قاله ابو عبيد والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤوف
بالمطيعين رحيم بالمذنبين واما الحق المبين فقال الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى
وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام
وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمحقق صدقه وامره والمبين البين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم واما المومن فقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي
ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المومن واما المهيمن فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ان ابن ابي نجيح روى عن مجاهد ومهيمنا عليه قال محمد موتمن على القران قال
فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في
قوله حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وروي ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل اراد
يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري واما العزيز فمعناه جلالة القدر او الذي لا نظير
له او المعز لغيره وقد استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله
النبي صلى الله عليه وسلم بالعزيز والمعز لحصول العزة والقايل ان يقول هذا الوصف ثابت للمومنين لشموله
فلا اختصاص للنبي صلى الله عليه وسلم والغرض اختصاصه قال البرهان وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا واما
العالم والعليم والمعلم ومعلم امته فقد قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشيء العالم بحقيقته وقيل المخبر قال الله تعالى الرحمن
فاسال به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا فيما ذكره في الشفا المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسوول
الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من
العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به انتهى واما العظيم فقال
الله تعالى في شانه وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل واما الشاكر والشكور
فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فيكون الفا للسببية وقال القاضي عياض شكورا
اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم
واما الشكار فهو ابلغ من شاكر وفي حديث ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم رب اجعلني لك شكارا واما الكريم والاكرم
والاكرم بني ادم فسماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم اي محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به
جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا
يصفون جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سياتي بيانه
ان شا الله تعالى في مقصد اي التنزيل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم واما الولي والمولى فقال
عليه السلام انا ولي كل مومن رواه واما الامين فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعد
وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في السماء والارض واما الصادق و

والمصدوق بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في فقد ورد في الحديث تسميته بهما ومعناه
غير خفي وكذلك الاصدق وروي انه عليه السلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم يعلمون انك صادق
واما الطيب وماذ ماذ بميم ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رايته لبعض العلما ونقل
العلامة الحجازي في حاشيته على الشفا عن السهيلي تمام واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدود وقال
نقلته عن رجل اسلم من علما بني اسرايل وقال معناه طيب وكاريب انه صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين وحسبك
انه كان يوخذ من عرقه ليتطيب فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفحه في الوجود فتعطرت به الكاينات وتمت
واغتذت به القلوب فطابت وتسميته الارواح فنمت واما الطاهر والمطهر والمقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها
كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة
والاوصاف الدنية واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما في القران والتوراة والانجيل
كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند البخاري ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح وامره تعالى بالعفو
وقال فاعف عنهم واصفح واما العطوف فهو الشفوق وسمي به عليه السلام لكثرة شفقته على امته ورافته بهم
واما النور فقال تعالى قد جاكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران فهو نور الله الذي لا يطفا واما
السراج فسماه الله تعالى به في قوله وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جاء به
فهو بين في ذاته منير لغيره فهو السراج الكلام في الاضاة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذي ينير من غير
احراق بخلاف الوهاج واما الهادي فمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى
فيه وداعيا الى الله باذنه واما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
معجزاته وقيل القران واما النقيب فروي انه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بني النجار ابو امامة اسعد بن زرارة
وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيبا بعده وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم
وناظرهم وضمينهم واما الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا
وقد قال القاضي عياض نفى الله تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار واما
الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى بهما في قوله انا ارسلناك شاهدا اي على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وضلالهم وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وروي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا
فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى
بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالمزكي لهم واما الناشر
فسمي به لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام واما المزمل فاصله المتزمل فادغمت التا في الزاي وسمي به لما روي
انه عليه السلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه وقيل اتاه وهو في قطيفة وقال السدي معناه ايها
النايم قال وكان تزمل قطيفة بثياب نومه وعن ابن عباس يعني المتزمل بالقران وعن عكرمة بالنبوة وقيل من الزمل يعني
الحمل ومنه الزاملة اي المتحمل باعباء النبوة وعلى هذا يكون التزمل مجازا وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمايه
تعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك
المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وقد نام ولصق جنبه

بالتراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة واما ما روي عن عايشة انها قالت
كان متزملا بمرط لها نصفه علي وانا نايمة ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة في اول مبعثه ودخوله بعايشة
كان بالمدينة واما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء في الدال روي انه عليه السلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت
الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قد تدثرت
هذا الامر فقم به وقيل ناداه بالمزمل والمدثر في اول امره في شرع خاطبه الله بالنبوة والرسالة واما طه
فروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسما فذكر منها طه وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل
يا انسان وقيل يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي وقيل معناه يا مطمع الشفاعة
للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب بتسعة والها بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر
وهذه من محاسن التاويل لكن المعتمد انها من اسما الحروف واما يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عنه عليه السلام
انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر منها يس وقد قيل معناه يا انسان بلغة طي وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية
واصله كما قاله البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل
يس لكن تعقب بانه لا يعلم ان العرب قالوا في تصغير انيسين وان الذي نقل عنهم في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها
الف وبان التصغير من التعظيم الممتنع في حق النبوة لنصهم على ان التصغير لا تدخل في الاسما المعظمة شرعا وياتي
مزيد لذلك ان شا الله تعالى في الفصل الرابع من النوع الخامس من انواع المقصد السادس وعن ابن الحنفية معناه
يا محمد وعن ابي العاليه يا رجل وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه
السلام وفيه على من تعظيمه على تقدير انه يا سيد ما فيه واما الفجر فقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال ظ مزيد
عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان وهو بعيد ولم يعرب لم ير لغيره والصواب انه الفجر المعتبر
بالصبح في قوله والصبح اذا تنفس واما القوي فقال الله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين فقيل محمد وقيل
جبريل عليهما السلام وسياتي في المقصد السادس ما في ذلك واما ما قاله ابن عطا في قوله تعالى ق والقران
المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو
حاله فلا يخفى ما فيه واما النجم فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم انه محمد صلى الله عليه
وسلم اذا هوى اذا نزل في السما ليلة المعراج وحكى السلمي في قوله تعالى والسما والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح ان المراد النجم على ظاهره وسمي عليه
السلام بالنجم لانه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم واما الشمس فسمي بها صلى الله عليه وسلم لكثرة
نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى يا ليت الراي له ان ينظر
اليه ملء عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الرتبة ارفع من غالب الكواكب لانها في السما الرابعة ولا انتفاع بها
اكثر من غيرها كما لا يتي ولا يدرك بها البصر لكبر جرمها وايضا فلما كانت ساير الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته عليه ظ ناسب
السلام بها لان نور الانبيا مستمد من نوره واما النبي والرسول فمن خصايصه انه خاطبه تعالى بهما في القران
دون ساير انبيايه ثم ان النبوة بالهمز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اي ان الله تعالى
تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبا او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما
اطلعه الله عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة شريفة
ومكانة عند الله منيفة قال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة وكان نافع يقرا النبي جميع القران والانبيا
في ك
تركه

تركه وهو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جا في الحديث ان رجلا قال يا نبي الله يعني بالهمز فقال لست نبي الله ولكني
نبي الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام وقال الجوهري والصاغاني انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة
الى المدينة يقال نبات من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى وقد تكلم جماعة من القراء في هذا الحديث وقد رواه الحاكم في
المستدرك عن ابي الاسود عن ابي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما قاله نظر فان فيه حمرانا الجعفي وليس من شرطهما ورواه
ابو عبيد حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا الحديث وهذا منقطع انتهى والرسول انسان بعثه الله
الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها واختلف هل هما بمعنى او بمعنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما
ارسلنا قبلك من نبي ولا رسول فاثبت لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقال اخرون بالثاني وانهما يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الارسال وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وذهب اخرون الى
ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح ان كل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا نعم نوزع في هذا بانه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من الملايكة المكرمين
بالرسالة رسل لا انبيا فلا انتقاد عنه بان يقيد الفرق بين الرسول والنبي بالرسول البشري ثم ان الرسالة والنبوة ليستا ذاتا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك خلافا للكرامية وقال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق وتجدد
كثير ان النبوة مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست نبية على الصحيح مع انه تعالى يقول فارسلنا اليها
روحنا الاية وان الله يبشرك ونحو مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج في زيارة اخ له في الله تعالى
وقال له ان الله يعلمك انه يحبك لحبك له في الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايجاب الله لبعض خلقه انسانا يختص
به كقوله اقرا باسم ربك فهذا تكليف يختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا
التكليف بغيره ايضا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا انتهى واما المذكر فقال
تعالى فذكر انما انت مذكر واما البشير والمبشر والنذير والمنذر فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا لاهل طاعته
بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات واما المبلغ فقال تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك واما الحنيف فقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا كذا قاله بعضهم واما نبي التوبة فلان الامم
رجعت بهدايته عليه السلام بعدما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم واما رسول الرحمة ونبي الرحمة ونبي المرحمة
فقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمومنين روف رحيم فبعثه تعالى رحمة لامته ورحمة
للعالمين وروى البيهقي مرفوعا انما انا رحمة مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مومنهم وكافرهم وهذا الاسم من احق
اسمايه وقد كان حظ ادم من رحمته سجود الملايكة له تعظيما له اذ كان في صلبه ونوح خروجه من السفينة سالما و
ابراهيم كانت النار عليه بردا وسلاما اذ كان في صلبه فرحمته عليه السلام في البدء والدوام والختام لما ابلغ الله له من
دعوة الشفاعة ولما كانت نبوته رحمة دايمة مكررة مضاعفة اشتق له من اسم الرحمة واما نبي الملحمة والملاحم وهي الحروب
فاشار الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي وامته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التي وقعت
بين امته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار واما صاحب القضيب
فهو السيف كما وقع مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذي كان يمسكه واما صاحب الهراوة فهي في اللغة العصا وقد كان عليه السلام يمسك في يده القضيب كثيرا وكان يمشي
بين يديه العصا وتغرز له في الارض فيصلي اليها قال القاضي واراها العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه

السيف اللطيف الدقيق [illegible] الممشوق بالكسر [illegible] معشوق به

بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم راعيا للخلق سائقا لجميعهم الى مواردهم كان صاحب الهراوة
يرعى بها اهل الطواعية وصاحب السيف يقذف به من لا تزيده الحياة الا شرا واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم
تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجانها واما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من
الدروع على قدر الراس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه في حروبه واما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهيل بن عبد الله هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم
واما نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها يعني يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي عن مجاهد والسدي وقال به الزجاج واما الصراط
المستقيم فقال ابو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد واما العروة الوثقى فحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها انه محمد صلى الله عليه وسلم واما ركن المتواضعين فلانه عمادهم وقد ظهر
عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره فكان يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما جمعه من كتاب
شعيا ما يدل صريحا في البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة
بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفا واما قثم وقثوم بالقاف والثا المثلثة ففسره القاضي
عياض بالجامع للخير وقال ابن الجوزي مشتق من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اذا اعطاه وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق نديا واسخاهم يدا واما البارقليط والفارقليط بالموحده وبالفا بدلها وفتح الراء
والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعجمة
والعلمية فوقع في الانجيل بيوحنا ومعناه روح الحق وقال ثعلب الذي يفرق بين الحق والباطل وفي نهاية ابن الاثير في صفته
عليه السلام ان اسمه في الكتب السالفة فارقليطا اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث محمد فرق بين الناس اي
يفرق بين المومنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه واما حمطايا فبفتح الحا المهملة وسكون الميم قال الهروي اي حامي الحرم
وقال ابن الاثير في حديث كعب انه قال في اسما النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة محمد واحمد وحمطايا بفتح الحاء المهملة
ثم ميم ساكنة ثم مثناه تحتيه فالف فطا مهملة فالف قال ابو عمر وسالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم
من الحرام ويوطي الحلال واما احيد وهو بفتح بهمزة مضمومة ثم حا مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا
وجدته في بعض نسخ الشفا المعتمده والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحا المهملة وبفتح المثناه التحتيه وفي نسخة وبفتح
وكسر الحاء وسكون المثناه فقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي
في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم واما المنحمنا
وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحا المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصور وضبطه بعضهم بفتح
الميمين فمعناه بالسريانية محمد واما المشفح وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين
ثم حا مهملة وروي بالقاف بدل الفا في كتاب شعيا في البشارة به عليه السلام يفتح العيون العور والاذان الصم
ويحيي القلوب وما اعطيه لا اعطي احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية احمد واما مقيم السنة
ففي كتاب الشفا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة واما المبارك فمبدا الكون
ونماؤه كاين من بركته المستمدة من بركة الله ومن كمال بركته نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل
ببركته حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سياتي ذلك ان شا الله تعالى في مقصد معجزاته

معجزاته واما المكين فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى ومن ذلك ان قرن سبحانه
ذكره باسمه فما اذن باسم احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه الا اياه فاعلن في السابقة على ساق العرش
واذن به في اللاحقة في منار الايمان واما الامي فهو من اخص اسمايه وقال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يقرئه ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلية
في اللوح والواح قدسه فيغنيه بذلك عن ان يقرا ما يكتب الخلق واما المكي فقد كان بداية ظهوره عليه السلام
في الارض في مكة التي هي حرم الله وهي مهد البركة ومنشا الهدى فهو عليه السلام مكي الافاق ومبدا النبوة
ومكي الاعادة وكان من اية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه السلام المكي الذي لم يبرح وجودا
وقصدا او المرء حيث قصده لا حيث جسمه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة ومن اذن ما للشي فهو
لما او رماءه ولذلك صحت الصلاة ايماء واما المدني فلان المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة له عنها
وخص تربتها بان ضمت اعضاءه المقدسة واما عبد الكريم فذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه شوق العروس
وانس النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم وعند اهل النار
عبد الجبار وعند اهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملايكة عبد المجيد وعند الانبياء عبد الوهاب
وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن
وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام
وعند البهايم عبد المومن وعند الطيور عبد الغفار وفي التوراة موذ موذ وفي الانجيل طاب طاب وفي الصحف
عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المومنين محمد صلى الله عليه وسلم قال وكنيته ابو القسم
لانه يقسم الجنة بين اهلها واما عبد الله فسماه الله تعالى به في اشرف مقاماته فقال وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله وقال
تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال
فاوحى الى عبده ولو كان له اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية ولما رفعه الله تعالى الى حضرته
السنية ورقاه الى المعالي العلوية الزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم
يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفهات كلها في ملبسه وماكله ومبيته ومسكنه اظهارا
لظاهر العبودية فيما يناله العيان صدقا عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا للمعنى الذي جا به
بالصدق وصدق به ولما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فاختار
ما هو الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا
عبد الله ورسوله فاستثبت ما هو ثابت له واسلم لله ما هو له لا سواه وليس للعبد الا اسم العبد ولذا
كان عبد الله احب الاسماء الى الله

صح

الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة القسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه و اختلف فيما سوا هولاء فعند ابن اسحاق الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة ذكور واربع اناث و قال الزبير ابن بكار كان له عليه السلام سوى ابراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة اسما وهو قول اكثر اهل النسب قاله ابو عمر و قال الدارقطني هو الاثبت وسمي عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلثة ذكور و قيل عبد الله غير الطيب والطاهر حكاه الدارقطني وغيره فيكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور و قيل كان له الطيب والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على هذا احدى عشر و قيل ولد له صلى الله عليه وسلم ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف فيكونون على هذا اثني عشر و كلهم سوى هذا ولدوا في الاسلام بعد المبعث و قال ابن اسحاق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام ~~ومات البنون قبل الاسلام~~ وهم يرتضعون وقد تقدم من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابراهيم و ستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر و الاصح انهم ثلثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن و كلهن من خديجة بنت خويلد الا ابراهيم فاما القسم فهو اول ولد ولد له عليه السلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى و قيل عاش سنتين و قال مجاهد مكث سبع ليال وخطاه الغلابي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا و قال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث و في مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي في الاسلام وهو اول من مات من ولده عليه السلام و اما زينب فهي اكبر بناته بلا خلاف الا ما لا يصح واما التي بعدها الخلاف وفي القاسم ايهما ولد اولا و عند ابن اسحاق انها ولدت في سنة ثلثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت و ماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابي العاصي لقيط وقيل مقسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه ورددها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد سنتين و قيل بعد ست سنين و قيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة و في حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع و ولدت له عليا مات صغيرا قد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى الله عليه

وسلم على ناقته يوم الفتح و ولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود اعادها و تزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة و اما رقية فولدت سنة ثلاث وثلثين من مولده عليه السلام وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني والنسابة و الاصح الذي عليه الاكثرون كما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة ابن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب راسي من راسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رائع وذكر الدولابي ان تزويجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه و توفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر و عن ابن عباس لما عزي صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي و اما ام كلثوم فلا يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة ابن ابي لهب كما قدمته ففارقها قبل الدخول وروي ان عتيبة لما فارق ام كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسال الله ان يسلط عليك كلبه و في رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم لها فقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقا ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل امي هو والله اكلي كما دعا علي محمد اقاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام فعدى عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه فقدعه و في رواية فجا الاسد فجعل يتشمم وجوههم ثم تقاذفه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات و في رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة فقدعه ذكره الدولابي و لما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الخجندي و كان تزوج عثمان بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة و روي انه عليه السلام قال له والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى هذا جبريل اخبرني ان الله يامرني ان ازوجكها رواه الفضائلي و ماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه السلام ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة بن زيد و في البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل فنزل في قبرها و قد روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه السلام لم يكن حاضرا دفنها بل كان في غزوة بدر كما قدمته و غسلتها اسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه السلام اغسلنها ثلاثا او خمسا او سبعا او اكثر من ذلك ان رايتن بماء وسدر واجعلن في الاخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فالقى الينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون والقيناها خلفها و الحقو الازار و اشعرنها اي اجعلنه شعارها الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار و اما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة واحد واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو عمر وهو مغاير لما رواه ابن اسحاق ان اولاده عليه السلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم وقال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت و روي مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة اخرجه الحافظ الدمشقي و روي الغساني مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير و تزوجت بعلي ابن ابي طالب في السنة الثانية و قيل بعد احد و قيل بعد بنايه عليه السلام بعائشة باربعة اشهر ونصف و بنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف و قيل في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا و كان تزويجها بامر الله ووحيه

توفي غرة السمرقندي

وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الاول قال ابو عمر
وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة احب اهله صلى الله عليه وسلم اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه
واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال عليه السلام فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني رواه
البخاري وقال لها اوما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين رواه مسلم وفي رواية احمد افضل نساء اهل الجنة وتوفيت
بعده عليه السلام بستة اشهر ليلة الثلاثا لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة
قاله المديني وقيل توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل غير ذلك والاول اصح كذا قالوه و فهو غير منتظم مع السابق
فليتامل وروي انها قالت لاسما بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح ة الثوب فيصفها فقالت — علي المراة
اسما يا بنت رسول الله الا اريك شيئا رايته بارض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت
فاطمة ما احسن هذا تعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت فاغسليني انت وعلي ولا يدخل علي احد الحديث خرجه ابو عمر وفي
حديث ام سلمى انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها
ثم استقبلت القبلة وقالت اني مقبوضة الان فلا يكشفني احد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فاخبر بالذي
قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصر
وهو مضاد لخبر اسما المتقدم قال ابو عمر فاطمة اول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في حديث اسما المتقدم
ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك وولدت لعلي حسنا وحسينا ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين
الحسن والحسين فقط ويقال للمنسوب للاول منهما حسني وللثاني حسيني وقد يضم للحسيني من يكون من ذرية اسحاق بن
جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب لا سحاقي فيقال الحسيني اسحاقي
واسحاق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا
وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر بعون
ابن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت باخيه عبد الله بن جعفر ثم ماتت عنده
ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب
بنت فاطمة فولدت له عدة من الاولاد منهم علي وام كلثوم وتزوج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن
جعفر بن ابي طالب فولدت له عدة اولاد منهم فاطمة زوج حمزة بن عبد الله ابن الزبير ابن العوام وله منها عقب
وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم ابني زينب بنت ابراهيم ويقال لكل من ينسب لهؤلا
جعفري وكان بينهم لهؤلا شرفا واما الحاصل فالمنسوبون لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان
من ولده من زينب الزهرا فهو اشرف من غيرهم مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما وكذا
يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم قال الحافظ ابن حجر في الالقاب وقد لقب به بغير الشرف كل — يعني في الزمن بعض البلدان
عباسي ببغداد وعلوي بمصر وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي وابو عبد الله فقيل مات
صغيرا بمكة فقال العاصي بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر واختلف هل
ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان له كما تقدم واما ابراهيم فمن — ظ المقصد
مارية القبطية وسياتي ذكرها في سراريه عليه السلام ان شاء الله تعالى في الفصل الثالث لهذا وامهات المؤمنين
وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت سلمى زوج ابي رافع مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم

سابعة

سابعة بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ودفنوا
شعره في الارض وفي البخاري من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام فسميته باسم ابي ابراهيم
ثم دفعه الى ام سيف امراة قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقي عندها الى ان مات والقين الحداد ويجمع
بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما في حديث انس هذا ثم ظهرت فيه واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده — [illegible]
عند الترمذي مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا تؤخر عن السابع لا انها لا تكون الا فيه بل هي مشروعة
من الولادة الى السابع قال الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن يرضع ابراهيم عليه السلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية
له عليه السلام فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البرا ابن اوس فكانت ترضعه بلبنها في بني مازن
ابن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان مات
فيحتمل ان يكون اعطاه اولا لام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان توفي لكن قد روي انه توفي عند ام بردة
فيرجع في الترجيح الى التصحيح وعن انس بن مالك قال ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم
مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فياخذه فيقبله ثم يرجع الحديث رواه
ابو حاتم وفي حديث جابر اخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فاتى به النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فاخذه
صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول
ما يسخط الرب خرجه بهذا السياق ابو عمرو بن السماك ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود في — ظ الربيع
الاول يوم الثلاثا لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام وقيل سنة وعشرة اشهر وستة ايام و
حمل على سرير صغير وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي ان عائشة
قالت دفنه عليه الصلاة والسلام ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه ان يصلوا عليه او لم
يصل عليه في جماعة وروي ان الذي غسله ابو بردة وروي الفضل بن العباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل في قبره الفضل
واسامة والنبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة قال الزبير وهو اول قبر رش وانكسفت
الشمس يوم موته فقال الناس انما كسفت لموت ابراهيم فقال عليه السلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ت
ابراهيم فقال عليه السلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد رواه الشيخان قيل
والغالب ان الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر فلذلك
قالوا كسفت لموته وقال عليه السلام ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجه وقد روي من حديث انس بن مالك انه قال
لو بقي يعني ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم اخر الانبيا اخرجه ابو عمر وقال الطبري
وهذا انما يقوله انس عن توقيف يخص ابراهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه السلام وقال
النووي في تهذيب الاسما واللغات واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام
على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا في كتابه المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري
ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يلزم — وفيه ان الكلام في ولد النبي بلا واسطة
من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى وكانه سلف النووي وقال ايضا عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده عن
ثلاثة من الصحابة قال وكانه لم يظهر له وجه تاويله فقال في انكاره ما قال وجوابه ان القضية الشرطية لا تستلزم
الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق الثلاثة احدها ما اخرجه ابن ماجه وغيره
من حديث ابن عباس لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو
عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده ابو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه

اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب ثانيها ما رواه ابراهيم السدي عن انس قال كان ابراهيم قد ملأ
المهد ولو بقي لكان نبيا الحديث ثالثها ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل ابن ابي خالد قال قلت لعبد الله ابن ابي
اوفى رايت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي ان يكون بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده واخرجه
احمد عن وكيع عن اسمعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه انتهى الفصل الثالث في ذكر
ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي
ازواجه عليه السلام امهات المؤمنين سواء من مات عنها او ماتت عنده وهي تحته وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن
لا في نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباؤهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن واخواتهن اخوال
وخالات قال البغوي كن امهات المؤمنين دون النساء روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها وهو جار على الصحيح عند
اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النساء لا يدخلن في خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال والنساء ويجوز ان
يقال ابو المؤمنين في الحرمة وفضلت زوجاته عليه السلام على النساء وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سؤالهن
الا من وراء حجاب وافضلهن خديجة وعائشة رضي الله عنهما وفي افضلها خلاف ياتي تحقيقه ان شاء الله تعالى فوائد
واختلف في عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل
بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق عليه انهن احدى عشرة امراة ست من قريش خديجة بنت خويلد
ابن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وعائشة بنت ابي بكر ابن ابي قحافة ابن عامر بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قرط بن رياح
ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي وام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن
كعب بن لؤي وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي و
واربع عربيات زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وميمونة
بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية و
واحدة غير عربية من بني اسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان خديجة
وزينب ام المساكين ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ولا خلاف في ان اول امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه
صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا حين الشروع في ذكرهن على الترتيب فاما ام المؤمنين خديجة
وامها فاطمة بنت زائدة بن الاصم فكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وكانت تحت ابي هالة النباش ابن ابي زرارة فولدت
له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا
على ابي هالة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة وبعض اخرى وكان سنه عليه
السلام احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت نفسها عليه فذكر
ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها
عشرين بكرة وزاد ابن اسحاق من طريق اخر وحضر ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب وقد قدمت خطبته في
المقصد الاول عند ذكر تزويجه له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي
عشرة اوقية ذهبا وكانت خديجة كما قدمته اول من آمن من الناس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان جبريل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام
من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف قال ابن اسحاق كان

صلى

صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة اذا رجع اليها
تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت وعن عبد الرحمن بن زيد قال قال آدم عليه السلام اني
لسيد البشر يوم القيامة الا رجلا من ذريتي نبيا فضل علي باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت
زوجي علي عونا واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني خرجه الدولابي كما ذكره الطبري وخرج الامام احمد عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية
امراة فرعون قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي خديجة افضل امهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة انتهى
وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في شرح بهجة الحاوي وافضلهن خديجة وعائشة وفي افضلهما خلاف
صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال
لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسئل ابن داود ايهما افضل
فقال عائشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان
محمد فهي افضل قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا
اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة
نساء اهل الجنة الا مريم واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من انها في الاخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة
مع علي فيها وسئل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم
عائشة ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه ولما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة
بنت محمد ثم آسية امراة فرعون واجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة
واختار السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها انتهى وقال ابو امامة ابن النقاش ان
سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد لا عا
ئشة ولا غيرها من امهات المؤمنين وتاثير عائشة في آخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة ما لم
يشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل باربع
وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز وكانت مدة مقامها مع النبي
صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين سنة واما ام المؤمنين سودة بنت زمعة وامها الشموس
بنت قيس فاسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو واسلم معها قديما
وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه
وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عائشة هذا قول قتادة وابي عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها
بعد عائشة وجمع بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة
والتزويج يطلق على كل واحد منهما وان كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت سودة اراد صلى
الله عليه وسلم طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع
وخمسين واما ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس
من بني مالك بن كنانة فكانت مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قاله ابن
اسحاق اربع مائة درهم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين
واعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل بعد سبعة
اشهر من مقدمه عليه السلام وخرج الشيخان عن عائشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فاتتني امي ام رومان واني
لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى وقفتني على باب الدار وانا انهج
حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن
على الخير والبركة فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمنني اليه وانا يومئذ
بنت تسع سنين واخرجه ابو نعيم حاتم بتغيير بعض الفاظه قال ابو عمر كان نكاحه عليه السلام لعايشة في شوال
وابتنى بها في شوال وكانت تحب ان تدخل النساء من اهلها واحبتها في شوال على ازواجهن وكانت احب نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه وكانت اذا هويت الشيء تابعها عليه وفقدها عليه السلام في بعض اسفاره فقال
واعروساه خرجه احمد وقال لها عليه السلام كما في الصحيحين رايتك في المنام ثلث ليال جاني بك الملك في سرقة من
حرير فيقول هذه امراتك فاكشف عن وجهك فاقول ان يك من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير او البيضا وفي
الترمذي ان جبريل جاءه عليه السلام بصورتها في خرقة حرير خضرا وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة وفي رواية عنده
قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة ابي بكر ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين
ومات عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين
وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لما كبرت لها كما تقدم
ولنسائه ليلة ليلة وكان يدور على نسائه ويختم بعايشة وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدي ليلة
الثلاثا لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة واوصت ان تدفن بالبقيع
ليلا وصلى عليها ابو هريرة وكان يوميذ خليفة مروان على المدينة في ايام معاوية ابن ابي سفيان وكانت
عايشة تكنى ام عبد الله يروى انها اسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح انها
كانت تكنى بعبد الله ابن الزبير ابن اختها فانه عليه السلام تفل في فيه لما ولد وقال لعايشة هو عبد الله
وانت ام عبد الله قالت فما زلت اكنى بها وما ولدت قط خرجه ابو حاتم واما ام المومنين حفصة
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وامها زينب بنت مظعون فاسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة بن حذافة السهمي هاجرت
معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تايمت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما الى زواجها
فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها اياه في سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم
راجعها نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من
الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معوية وقيل سنة احدى واربعين
وهي ابنة ستين سنة وقيل انها ماتت في خلافة عثمان واما ام المومنين ام سلمة هند وقيل رملة
والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب فكانت قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحت ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت هي وزوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له بها
زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل هي اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل
غيرها ومات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم
تصيبه مصيبة فيقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات
ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي سلمة ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبني

بلغه

بلغه بخطبتي له وفي رواية فخطبها ابو بكر فابت وخطبها عمر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا
برسول الله ان في خلالا ثلاثا انا امراة شديدة الغيرة وانا امراة مصبية وانا امراة ليس لي ههنا احد من اوليائي فيزوجني
فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشد مما غضب لنفسه حين ردته فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما ما ذكرت من غيرتك فاني ادعو الله ان يذهبها عنك واما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت
من اوليائك فليس احد من اوليائك يكره هني فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه قال صاحب السمط
الثمين رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة وخرج احمد والنسائي طرفا منه ومعناه في الصحيح وفيه دلالة على ان
للابن ولاية العقد على امه وعندنا انه انما زوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن
عبد الله وام سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره وكانت ام سلمة من اجمل الناس وتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة
اثنتين وستين والاول اصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها اربعا وثمانين
سنة واما ام المومنين ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والاول اصح وامها صفية بنت
ابي العاص فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات
هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد
فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست فروي انه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ليخطبها
عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربع مائة دينار وبعث بها اليه شرحبيل بن حسنة وروي ان النجاشي ارسل اليها
جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجكه وانها ارسلت الى خالد بن
سعيد بن العاص فوكلته واعطت ابرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر
ابن ابي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقها اربع مائة دينار ذهبا ثم سكب
الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت
الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا
ان يوكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا خرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة سبع
من الهجرة قال ابو عمر واختلف فيمن زوجها فروي انه سعيد بن العاص وروي عثمان ابن عفان وهي ابنة عمته وذكر البيهقي
ان الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن ابن عم ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو الذي زوجها
فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر يريد السنة الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول
وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وقيل سنة اثنتين واربعين واما ام المومنين زينب بنت جحش وامها اميمة بنت
عبد المطلب بن هاشم فكانت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سياتي في
الخصايص ان شاء الله تعالى فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت
فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر

ربي عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن اخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امراة ابنه فانزل الله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية وكانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اباؤكن وزوجني
الله من فوق سبع سموات رواه الترمذي وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه السلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيأ للقيام فلم يقوموا
فلما راى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا
فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وكان تزوجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة
وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات من ازواجه بعده وقالت عائشة في شانها ولم تكن امراة خيرا منها في الدين واتقى لله
واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه
مسلم وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهي
اول من جعل على جنازتها نعش واما ام المؤمنين زينب بنت خزيمة ابن الحرث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية ام
المساكين لاطعامها اياهم فكانت تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب قتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره
الفضائلي وقيل كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحرث ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحرث وقتل عنها يوم احد
شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اصح وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت بالبقيع قال
الطبري كذا ذكره الفضائلي وانما يكون هذا على حكاية من انها مكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر اما على حكاية
ابي عمر فلا يصح اذ العقد كان في سنة ثلاث فمدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلاثة فلا يصح ان تكون وفاتها
في ربيع الاخر انتهى فليتامل واما ام المؤمنين ميمونة بنت الحرث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحرث بن حماطة
ابن حمير فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع غزوة خيبر وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت
العباس بن عبد المطلب واختها لامها اسماء بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة وكانت جعلت امرها الى العباس
فانكحها النبي عليه السلام وهو محرم فلما رجع بنى بها بسرف حلالا كذا ذكره ابو عمر وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى
الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله تزوجها حلالا وبنى بها حلالا وماتت بسرف فيحمل قوله
وهو محرم اي داخلا الحرم ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة
اميال من مكة كذا قاله الطبري وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وكانت
ميمونة قبله عند ابي رهم بن عبد العزى ويقال بل عند عبد الله ابن ابي رهم وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى وقيل فروة
بن عبد العزى قال ابن اسحاق ويقال انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه السلام انتهت
اليها وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع
الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلث وستين وصلى عليها
ابن عباس ودخل قبرها واما ام المؤمنين جويرية بنت الحرث ابن ابي ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت
مسافع بالسين المهملة والفاء ابن صفوان المصطلقي وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شماس
الانصاري في غزوة المريسيع وهي غزوة المصطلق في سنة خمس وقيل سنة ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا جويرية بنت الحرث وكان من امري ما لا يخفى عليك ووقعت

ب

في سهم ثابت بن قيس بن شماس واني كاتبته على نفسي فجئت اسالك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهل لك الى ما هو خير قالت وما هو يا رسول الله قال اؤدي عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع
الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم وقالوا اصهار رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رايت امراة كانت اعظم بركة على قومها منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من
بني المصطلق خرجه ابو داود من حديث عائشة وقال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن
قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربعمائة درهم وعن ابن شهاب سبى صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث
لانه اعتقها
يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية
وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة
ست وخمسين واما ام المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء
المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بني اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد
الراء بنت سموال بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة ابن ابي الحقيق بضم الحاء
خيبر
المهملة وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة قال انس لما افتتح صلى الله
عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت
حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح
الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال واعتقها
وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام
سليم فاهدتها له من الليل فاصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به قال فبسط نطعا
قال فجعل الرجل يجيء بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية فقال الناس لا ندري اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهي امراته وان
لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها وفي رواية فانطلقنا حتى اذا راينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا
مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه واليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرجت
فسترها قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم
مر بها
وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتي بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها واخاها وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه
صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله
خرجه في الصفوة واخرج تمام في فوائده من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت
يا رسول الله لقد كنت اتمنى ذلك في الشرك فكيف اذا امكنني منه في الاسلام واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر راى صلى الله
ابن
الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة فقالت كان راسي في حجر ابن ابي الحقيق وانا نائمة فرايت
قمرا وقع في حجري فاخبرته بذلك فلطمني وقال تتمنين ملك يثرب وبنى بها صلى الله عليه وسلم بالصهباء وماتت في رمضان
سنة خمسين في زمن معاوية وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين اهل
السير والعلم بالاثر وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشرة امراة الاولى الواهبة
نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف من هي فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي
وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي وقيل بنت داود بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم

اختلف في دخوله بها وقيل هي ام شريك غزية بنت نصارية من بني النجار . وفي الصفوة هي ام شريك غزية بنت جابر
الدوسية قال والاكثرون على انها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة
في المعارف عن ابي اليقظان ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمية ويجوز ان تكونا وهبتا انفسهما من غير تضاد وقال
عروة ابن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان
تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت عايشة يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع لك في هواك ورواه الشيخان
وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى
الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد ابن الجون بفتح الجيم الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد
ابن اوس بن كلاب الكلابية قال ابو عمر وهذا اصح تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه فقال لها
لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة ابن زيد فمتعها بثلثة اثواب قال ابو عمر هكذا روي عن عايشة وقال قتادة
كان ذلك في امراة من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكر ابن قتيبة وسياتي وقال
في عمرة هذه ان اباها وصفها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه السلام ما لهذه عند الله
من خير فطلقها الرابعة اسما بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم بن الحرث الكندية وهي الجونية اجمعوا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعال انت وابيا ان
تجي وقال بعضهم قالت اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك
فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال قد عذت
بمعاذ وطلقها ثم سرحها الى اهلها وكانت تسمي نفسها الشقية وقال الجرجاني قلن لها ان اردت ان تحظي عنده فتعوذي
بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها قاله ابو عبيدة ويجوز ان تكونا تعوذتا وقال اخرون
كان باسما وضح فقال لها الحقي باهلك وقد قيل في اسمها اميمة وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم
هي التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلا السادسة
فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا
ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن
اسحاق لكن قال ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه
بدا بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن و
قيل انه عليه السلام تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال عليه السلام لا حاجة لي بها السابعة
عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من ذكرها وقال ابو
سعد طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة
التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندي زوجه اياها اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت
فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته
بشهرين وقال قايلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت
من امهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة ابن ابي جهل بحضرموت
فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت ان احرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي من امهات المؤمنين ما دخل
بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال بعضهم لم يوص فيها عليه السلام بشيء ولكنها ارتدت حين
ارتد اخوها وبذلك احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما انها ليست من امهات المؤمنين بارتدادها التاسعة

سنا

سنا بنت اسما بن الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة والسلام وماتت قبل ان يدخل بها وعند ابن اسحاق
طلقها قبل ان يدخل بها العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة الكلبية اخت
دحية الكلبي تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه السلام بها الحادية عشرة ليلى بنت الخطيم
بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها
فاكلها الذيب وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم الثانية عشرة امراة من غفار تزوجها صلى الله
عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فراى بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك ولم ياخذ مما اتاها شيا اخرجه
احمد فهولاء جملة من ذكر من ازواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن
بعده كما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امراة دخل ببعضهن دون بعض ماتت منهن
عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة وماتت منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل
باتفاق واختلف في مليكة وسنا هل ماتتا او طلقها مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل
بها وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسماء والغفارية
واختلف في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها والمفارقات
باتفاق سبع واثنتان على خلف والميتات في حيوته باتفاق اربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر
واحدة لم يدخل بها وروي انه صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة الاولى منهن امراة من بني مرة بن عوف
ابن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب فرجع البرص بها ويقال ان ابنها شبيب ابن البرصا ابن
الحرث بن عوف ذكره ابن قتيبة كما قاله الطبري وعند ابن الاثير في جامع الاصول جمرة بنت الحرث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم
ابوها سوا ولم يكن بها شيء فرجع اليها ابوها وقد برصت فلد وهي ام شبيب ابن البرصا الشاعر الثانية
امراة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان يتضغو صبيتي لي يتضغوا ويبكوا
عند راسك فدعا لها وتركها الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها في سبي فخيرها
بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها الرابعة ولم يذكر اسمها قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت
استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك الخامسة ام هانئ فاختة
بنت ابي طالب اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها السادسة ضباعة بضم الضاد
المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم
الى ابنها سلمة بن هشام بن هاشم فقال حتى استامرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد اذنت له سكت
عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها السابعة امامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة اخي من
الرضاعة الثامنة عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة
تحت النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة تزوج الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امراة من جندع
وهي ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وانكر بعض الرواة فهولاء النساء اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن
او دخل بهن او لم يدخل بهن او عرضن عليه واما سراريه فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين
المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية
وكسر الراء وبالنون اخرها وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي
دلدل وحمارا اشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا في عسل
بنها بالبركة قال ابن الاثير بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس اليوم

اليوم ينحون الباء انتهى و وهب صلى الله عليه وسلم سيرين من حسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان ومارية هي ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من بني النضير والاول اظهر وماتت قبل وفاته عليه السلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع وكان عليه السلام وطيها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيره واخرى وهبتها له زينب بنت جحش الرابعة اصابها في بعض السبي

الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته

قال صاحب ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو السقا الضخم وقال الدارقطني بتقديم الحا وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا وقيل تسعة فاسقط قثم فاما حمزة فامه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السما السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله وكان اسلامه في السنة الثانية من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه السلام دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة ايام وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى بن عقبة وقيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحاق واول لواء عقده عليه السلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها وقال عليه الصلاة والسلام خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي وروى ابن السري مرفوعا سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد في وقعة احد قتله وحشي و[illegible] ابن المسيب كان يقول العجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا في الخمر رواه الدارقطني على شرط الشيخين وقال ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] بكا فلما راى ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه السلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر والمخلص وصاحب الصفوة وعند ابن هشام انه عليه السلام قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعن ابن شاذان من حديث ابن مسعود ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكايه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكا يقول يا حمزة يا عم رسول الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله والنشغ الشهيق حتى يبلغ به الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى انس بن مالك ان شهدا احد لم يغسلوا ودفنوا بدمايهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وابو داود فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جراح حال الحرب ولم يمت حتى نقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد واما العباس وكنيته ابو الفضل فامه نتلة ويقال نتيلة بنت خباب بن كليب بن النمر ابن قاسط ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة كان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل بثلث سنين وكان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه السلام يثق به في امره كله ولما شدوا وثاقه في الاسرى

بدر

بدر سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم ذكره ابو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها فاسره كعب بن عمرو وفادى نفسه ورجع الى مكة وقيل انه اسلم يوم بدر ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطايف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك وقال السهمي في الفضايل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وكان عليه السلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه السلام فقال اجود الناس كفا واحناه عليهم رواه الفضايلي وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو ابي من اذاه فقد اذاني وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح وذكر السهمي في الفضايل ان العباس اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شا فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت عمي وصنو ابي وبقية ابائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي وقال له عليه السلام يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيك فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم اشتمل عليهم بملاته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت فقال امين امين امين رواه ابن عيلان والسهمي ورواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدر ولا باب الا امن ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ [illegible] ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال حسن غريب وروى البغوي انه عليه السلام قال اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وعند الباغندي من حديث ابي هريرة [illegible] وروى السهمي في الفضايل انه عليه السلام قال يا عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك وفي المناقب للامام احمد ان العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السما من نجم قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك وروى السهمي من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي فقال عليه السلام ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا ومن حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمي ابو الخلفا اجود قريش كفا واجله ومن حديث ابي هريرة فيكم النبوة والمملكة ومن حديث ابن عباس انه عليه السلام قال يا ابا بكر هذا [illegible] ان من ولده السفاح والمنصور والمهدي وذكر ابو حسان [illegible] وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن في ولده يعني العباس ملوك يكونون امراء امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن الدارقطني هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر [illegible] وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان قبل قتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل اربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القران وهو ابو الخلفا ويروى ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وقال اذهبي بابي الخلفا رواه ابن حبان وغيره وقد ملا عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا في زمن المامون ستمائة الف واستبعد فالله اعلم وكان العباس اصغر اعمامه عليه السلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة واسنهم الحارث واما عماته صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن فست

الغيداق

عبد المطلب ابن هاشم فجملتهن ست عاتكة واميمة والبيضا وهي ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية
ام الزبير بلا خلف واختلف في اروى وعاتكة فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما وعدهما في الصحابة وذكر الدارقطني
عاتكة في جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحاق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية فاما صفية
فاسلمت باتفاق كما ذكرنا وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم وامها
هالة بنت وهيب ابن عبد مناف فهي من هذه شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب
ابن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام ابن خويلد اخو خديجة ام المومنين فولدت له الزبير والسايب وعبد
الكعبة وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع
واما عاتكة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ فتكون شقيقة عبد الله ابي النبي صلى
الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة وهي صاحبة الرويا في قصة بدر واما اروى المختلف
ايضا في اسلامها فامها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب وكانت تحت عمير ابن وهب بن عبد
قصي فولدت له طليبا ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي واسم طليب وكان سببا في اسلام
امه كما ذكره الواقدي واما ام حكيم البيضاء فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما برة
فامها فاطمة ايضا وكانت عند ابي رهم ابن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي
فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واما اميمة فامها
وكانت تحت جحش ابن رياب فولدت له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد
جحش ابن رياب واما جدات عليه الصلاة والسلام من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن
عمران بن مخزوم وام عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة ابن الجلاح
ابنا احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه وام هاشم هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم
وام عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم وام قصي فاطمة بنت سعد من
ازد الشراة وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب
من فهر وام كعب سلمى بنت محارب من فهر وام لوي وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة وام غالب
سلمى بنت سعد بن هذيل وام غالب حذلة ابنة الحارث الجرهمي وام مالك هند بنت عدوان ابن عمرو بن قيس بن عيلان
وام النضر برة بنت مر اخت تميم بن مر ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال فالجدة
الاولى مخزومية والثانية نجارية والثالثة سلمية والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية
والسادسة كنانية والسابعة فهمية والثامنة فهمية ايضا وغيرته آخر في الاصل بوه
والعاشرة هذلية والحادية عشر جرهمية والثانية عشر قيسية والثالثة عشر مرية واما جداته عليه الصلاة
والسلام من امه فام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب برة بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب
وام ابيها وهب عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة
وقال ابو عمر ويعرف ابوها بابي كبشة الذي كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن ابي
كبشة وينسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد من العرب يعبدها غيره فلما جاء عليه السلام بخلاف
ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة ولم يقصدوا ذمه عليه السلام بذلك وقيل لم ينسب الى وهب
ابي امه كان يدعى بها وقيل كان يدعى بها ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه وام برة
هام حبيب قاله ابن قتيبة وقال ابو سعد ام سفيان بنت اسد ابن عبد العزى بن قصي ابن كلاب بن مرة وام حبيب

هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب وام برة قلابة بنت عوف بنت الحارث بن صعصعة
ابن عائذ بن لحيان من هذيل وام قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعد انها بنت مالك
ابن عثمان من بني لحيان فالجدة الاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه السلام قرشيات وام ابي امه
سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية ففي كل قبيلة من قبايل العرب له عليه السلام علقة نسب
واما اخوته عليه الصلوة والسلام من الرضاعة فحمزة ابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية
ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية
وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة وقد روي ان خيلا له عليه السلام اغارت على هوازن
فاخذوها في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك
فرحب بها وبسط لها رداه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال عليه السلام ان احببت فاقيمي عندي مكرمة محببة
وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية
واما امه من الرضاعة حليمة بنت ابي ذويب من هوازن وهي التي ارضعته
ونعاوشا ذكره ابو عمر وابن قتيبة وكذا ثويبة جارية ابي لهب
حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها وبسط رداه لها فجلست عليه وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم
ايضا واختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت
بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكانت حاضنته عليه السلام ام ايمن بركة بنت ثعلبة ابن حصن ابن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت
بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى
باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد الله ابن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب
وقيل كانت لامه عليه السلام وكان عليه السلام يقول ام ايمن امي بعد امي وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه
ايضا مع امها حليمة السعدية الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن
عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه اما خدمه فمنهم انس ابن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد
الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين وعشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفي
في سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب
وضوئه توفي سنة ثلاث وستين ومنهم ايمن ابن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله
ابن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء بن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوسادة والسواك
والنعلين والطهور وكان يلي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعليه واذا جلس جعلهما في ذراعه
حتى يقوم وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة ثلاث ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني
وكان صاحب بغلته يقود به عليه السلام في الاسفار روينا عنه انه قال بينا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب
من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون
معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرابهما
الناس فقلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه وكانت عقبة عالما
بكتاب الله وبالفرايض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين
ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد فلم يثبت ويروى عنه ابن ماجه ومنهم ابو

الربذة محركة قرية قرب المدينة

ذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنتين وثلثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم ابن ربيعة الاسلمي ومنهم ابو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحرث وابن ظفر نزل حمص توفي بها ومنهم ابو السمح خادمه عليه السلام واسمه اياد ومن النساء بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه وخولة جدة حفص وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونة بنت سعد وام عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يضرب الاعناق بين يديه علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح والضحاك بن سفيان وكان قيس ابن سعد بن عبادة بين يديه عليه السلام بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته ومعيقيب ابن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك على ثقله واذن عليه في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما حراسه فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرا واحدا والخندق فرمي فيه بسهم عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم بلال اسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتابع فانه ان شاء الله تعالى وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين رواه ابن السماك في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف يوم الحديبية وكان يحرسه عليه السلام ايضا عباد بن بشر فلما نزل والله يعصمك من الناس ترك ذلك واما مواليه صلى الله عليه وسلم فمنهم اسامة ابو زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها ذكر قصته محمد بن اسحاق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفدياه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده فاختار ان يبقى عنده عليه السلام وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا ابدا واستشهد زيد في غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى سنة اربع وخمسين ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدرا وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قاله الحافظ ابن حجر وقال كاظمة مات في خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الراء والموحدة الاسود وكان ياذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشربة كما تقدم ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون ن وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع واسمه اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه توفي قبل قتل عثمان رضي الله عنه بيسير ورفاعة بن زيد الجذامي وسفينة واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا في السفر ومابور القبطي وواقد ابو واقد وانجشة الحادي ويأتي ذكره في حداته عليه السلام ان شاء الله تعالى وسلمان الفارسي ابو عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان وقيل من رامهرمز اول مشاهده الخندق ومات سنة اربع وثلثين يقال

بلغ

من قرب التاريخ وصلى عبد الله بن مسعود على ابي ذر ومات بعده في ذلك اليوم قال ظ

النعل متاع المسافر

بلغ ثلثمائة سنة وشمعون ابن زيد ابو ريحانة قال الحافظ ابن حجر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس وابو بكرة نفيع ومن النساء ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابي رافع ومارية وريحانة وقيصر اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلاثة واربعون واماؤه احدى عشرة.

الفصل السادس في امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام

اما كتابه فالخلفاء الاربعة ابو بكر الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الاسلام عبد الله وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لانه عتيق من النار وولي الخلافة سنتين ونصفا وسنه سن المصطفى عليه السلام وتوفي مسموما واسلم ابوه ابو قحافة يوم الفتح وتوفي في خلافة عمر واسلمت امه ام الخير سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم وعمر بن الخطاب ابن نفيل ابن عبد العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتله ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة ابن شعبة وعثمان بن عفان ابن ابي العاص ابن امية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحدى عشر او ثلاثة عشر يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروي عن عايشة فيما ذكره الطبري في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الي وان جبريل ليوحي اليه القران وانه ليقول له اكتب يا عثيم رواه احمد وروى السهمي عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب واقام في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله احد العشرة استشهد يوم الجمل سنة ست وثلثين وهو ابن ثلث وستين والزبير بن العوام ابن خويلد احد العشرة ايضا قتل سنة ست وثلثين يوم الجمل وابن ابي وقاص وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الارقم مات في خلافة عثمان وولاه عمر بيت المال وابي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة من سباق الانصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم واحد الستة الذين حفظوا القران على عهده صلى الله عليه وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه السلام توفي بالمدينة سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي كما سياتي ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس ابن شماس استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سياتي ان شاء الله تعالى وحنظلة ابن الربيع الاسيدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد وابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية ولي لعمر بن الخطاب الشام واقره عثمان قال ابن اسحق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وروينا في مسند الامام احمد من حديث العرباض ابن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين واخوه يزيد ابن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات بها سنة عشرين بالطاعون وزيد بن ثابت ابن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتابة الوحي مات سنة خمسين او ثمان واربعين وقيل بعد الخمسين وكان احد فقهاء الصحابة واحد من جمع القران في خلافة ابي بكر ونقله في المصحف في خلافة عثمان وشرحبيل بن حسنة وهي امه والعلاء ابن الحضرمي وخالد بن الوليد ابن المغيرة المخزومي سيف الله اسلم بين الحديبية والفتح مات سنة احدى او اثنتين وعشرين وعمرو بن العاص بن وائل السهمي اسلم عام الحديبية وولي امرة مصر من قبل عمر وهو الذي فتحها ومات بها سنة نيف واربعين وقيل بعد الخمسين والمغيرة ابن شعبة الثقفي اسلم قبل الحديبية وولي امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري احد السابقين شهد بدرا واستشهد بمؤتة ومعيقيب بقاف وآخره موحدة مصغرا ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد مات في خلافة عثمن او علي وحذيفة ابن اليمان من السابقين صح في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي استشهد باحد ومات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلثين وحويطب ابن عبد

كاتب ظ

هد اخبره

العزى العامري أسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك
وأخصهم به كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره وتبعه عليه قال الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي
ابن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى
الإسلام يوم الفتح وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص بن أمية وقد كتب صلى الله عليه
وسلم إلى أهل الإسلام كتبا في الشرائع والأحكام منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر لأنس لما وجهه إلى البحرين
ولفظه كما عند البخاري وأبي داود والنسائي بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن
سئل فوقها فلا يعط في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس
وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت
لبون أنثى فإذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة طروقة الجمل فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة
فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا
الجمل فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس
فيها صدقة إلا أن يشاء ربها فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة وصدقة الغنم في سائمتها فإذا بلغت أربعين إلى
عشرين ومائة شاة شاة فإن زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ففيها شاتان فإذا زادت على مائتين إلى ثلاث
مائة ففيها ثلاث شياه فإن زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة
شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما
كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا أن يشاء المصدق
وفي الرقة ربع العشر فإن لم يكن إلا تسعين ومائة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها ومن بلغت عنده من الإبل صدقة
الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة فإنها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين إن استيسرتا له أو عشرين
درهما ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده وعنده الجذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين
درهما أو شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده إلا ابنة لبون فإنها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين
أو عشرين درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فإنها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهما
أو شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض فإنها تقبل منه بنت مخاض ويعطي
معها عشرين درهما أو شاتين ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فإنها تقبل منه
بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون
فإنه يقبل منه وليس معه شيء قوله وفي الرقة أي الدراهم المضروبة والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة
من الورق قاله ابن الأثير في الجامع وقال في فتح الباري هي بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت
مضروبة أو غير مضروبة **ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب** رضي الله
عنه في نصب الزكاة وغيرها كما رواه أبو داود والترمذي عن سالم عن أبيه كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة
ولم يخرجه إلى عماله حتى قبض فعمل به أبو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه في خمس من الإبل شاة وفي عشر
شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين فإن
زادت واحدة ففيها حقة إلى ستين فإن زادت واحدة ففيها جذعة إلى خمس وسبعين فإن زادت واحدة
ففيها ابنتا لبون إلى تسعين فإذا زادت واحدة ففيها حقتان إلى عشرين ومائة فإذا كانت الإبل أكثر من

ذلك

ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت
واحدة فشاتان إلى مائتين فإذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففي
كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما
كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الأثير في النهاية والخليط
يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو أن يكون لأحدهما مثلا أربعون بقرة وللآخر ثلاثون
بقرة ومالهما مختلط فيأخذ الساعي عن الأربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا فيرجع باذل المسنة بثلاثة أسباعها على
شريكه وباذل التبيع بأربعة أسباعه على شريكه لأن كل واحد من السنين واجب على الشيوع كأن المال ملك واحد انتهى
وقال في فتح الباري واختلف في المراد بالخليط فعند أبي حنيفة أنه الشريك واعترض عليه بأن الشريك قد لا يعرف
عين ماله وقد قال إنهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على أن الخليط لا يستلزم أن يكون شريكا قوله تعالى وإن
كثيرا من الخلطاء وقد بينه قبل ذلك بقوله إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن
الحنفية بأنهم لم يبلغهم هذا الحديث أو رأوا أن الأصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة يغاير
هذا الأصل فلم يقولوا به وقال أبو حنيفة لا يجب على أحد منهم فيما يملك إلا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلط
وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم لهذا أربعون شاة وقال الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث إذا بلغت ماشيتهما
النصاب زكيا والخلطة عندهم أن يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة أخص منها انتهى **ومنها**
كتابه عليه السلام إلى أهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من أنواع الفقه من الزكاة والديات والأحكام
وذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج
الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا
وأبو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن وكان في كتابه أن من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتول
وفيه أن الرجل يقتل بالمرأة وفيه في النفس الدية مائة من الإبل وعلى أهل الذهب ألف دينار وفي الأنف إذا أوعب
جدعه الدية مائة من الإبل وفي الأسنان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب
الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية وفي المأمومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية
وفي المنقلة خمس عشرة من الإبل وفي كل إصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل وفي السن خمس من الإبل وفي
رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الإبل ومنها كتابه
إلى بني زهير **وأما مكاتباته عليه السلام إلى الملوك وغيرهم** فروي أنه لما رجع عليه السلام من الحديبية
كتب إلى الروم فقيل له إنهم لا يقرؤون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر
محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختوما خوفا من كشف أسرارهم
وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وعن أنس أن ختم كتاب السلطان
والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم فكتب إلى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك
الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون رواه البخاري وكان عليه
السلام أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل في آخر سنة ست بعد أن رجع من الحديبية كما قاله الواقدي

ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله كان سنة خمس والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح
الحديبية كما في حديث البخاري في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح الحديبية وكانت
سنة ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة
التاليف قوله يؤتك الله اجرك مرتين لكونه مومنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله فان عليك اثم الاريسيين اي
فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه السلام كتب هذه الاية يعني يا اهل الكتاب قبل
نزولها فوافق لفظها لما نزلت لان هذه الاية نزلت في قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة
تسع وقصة ابي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد
والله اعلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام
على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك
بداعية الله فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فعليك
اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق ملكه وفي البخاري من
حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي في البخاري هو الصحيح وفي كتاب
الاموال لابي عبيد من مرسل عمير بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرا
الكتاب مزقه واما قيصر فلما قرا الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هولاء فيمزقون واما
هولاء فسيكون لهم بقية وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه ولما جاء جواب هرقل قال ثبت ملكه
وذكر في فتح الباري عن سيف الدين فليح المنصوري انه قدم على ملك الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب
الى ملك الفرنج في شفاعة وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب فاخرج منها كتابا
قد زالت اكثر حروفه وقد الصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن واوصانا اباؤنا
عن آبائهم الى قيصر انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى
ليدوم الملك فينا انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك
الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن واشهد ان عيسى ابن مريم روح
الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى
الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتومن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله
تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب مع عمرو بن امية الضمري فقال
النجاشي اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ثم كتب
النجاشي جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة سلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى فورب
السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا فاشهد انك رسول الله صادقا
وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين انتهى والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر وقد وهم
من قال ان النجاشي الذي صلى الله عليه وسلم وقد غلط راويه فانهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشي وليس بالذي صلى عليه وكتب عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ملك مصر

والاسكندرية بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وبعث به مع حاطب ابن ابي بلتعة فلما دخل عليه قال له انه كان قبلك رجل
يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال
ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافي به الله ما سواه ان هذا
النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى
الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليهم وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي
ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك
به فقال المقوقس اني قد نظرت في هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر
الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان
من القبط عظيم وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم وكتب عليه السلام الى المنذر بن
ساوى ذكر الواقدي باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا فيه
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ابن الحضرمي الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام
فكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد يا رسول الله فاني قرات كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب
الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي يهود ومجوس فاحدث الي في ذلك امرك فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد
اليك الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه
من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد
اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم
وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وكتب صلى الله عليه وسلم الى ملك
عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعبد ابني الجلندى السلام على من
اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام ~~اسلما تسلما~~ اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب ابي بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها
عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخي المقدم
علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرا كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له
وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه
قدوة قلت مات ولم يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رايه حتى هداني
الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسالني اين كان اسلامك فقلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد اسلم

قال فكيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول
انه ليس من خصلة في رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال فاخبرني ما الذي يامر به
وينهى عنه قلت بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن
الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الوثن والصليب قال ما احسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعني لركبنا حتى
نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرايهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر
وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت
ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال
دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا ان يدعوني فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما
ففض خاتمه وقراه حتى انتهى الى اخره ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل قراءته الا اني رايت اخاه ارق منه فقال الا
تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت
الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم
احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطيك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك
الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه حتى
اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما
دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس
كقتال من لاقى قلت وانا خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو
واخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني
وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي وارسل به مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر
فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله
وحياه واقترا عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه
واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل الي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم
بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرا النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض
ما فعلت باد وباد ما في يديه فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة مات
فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبا يقتل بعدي فكان كذلك وكتب صلى الله عليه
وسلم الى الحارث بن ابي شمر وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وامن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا
شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب وكتب صلى الله عليه وسلم ليحنة بن روبة صاحب ايلة لما
اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله
ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة واهل ايلة اساقفهم وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن
كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب

لمن

لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل
ابن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه
الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل اذرح انهم امنون
بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان
الى المسلمين ومن لجا اليهم من المسلمين من المخافة وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك اجائعة انت ام عارية فقالت يا رسول الله فرق بيني
وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفرق بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذي عنده ضميرة فدعا
فابتاعه منه ببكر قال ابن ابي ذيب ثم اقراني وانا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقهم وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان احبوا رجعوا الى قومهم فلا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم
خيرا وكتب ابي بن كعب وكتب عليه السلام الى اهل وج شياتي في وفد ثقيف من الفصل العاشر في هذا
المقصد ان شا الله تعالى وكذا كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة وكتب عليه السلام لاكيدر ولاهل
دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية
من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور والمعن
لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك
عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفا شهد الله ومن حضر من المسلمين الضاحي البارز والظاهر والضحل الما
القليل والبور الارض يستخرج والمعامي اغفال الارض والحصن دومة الجندل والضامنة النخل الذي معهم في
الحصن والمعين الظاهر من الما الدائم وباع صلى الله عليه وسلم للعدا عبدا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى العدا بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى عبدا او امة شك لا داء ولا غايلة ولا خبثة بيع
المسلم المسلم رواه ابو داود والدارقطني والغايلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال ابن ابي عروبة بيع اهل
غير المسلمين وكان اسلام العدا بعد فتح خيبر وهذا يدل على مشروعية الاشهاد في المعاملات قال الله تعالى واشهدوا
اذا تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب وقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ورهن درعه عند يهودي
ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله اعلم واما امراؤه عليه السلام
فمنهم باذان ابن ساسان من ولد بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو اول امير في الاسلام على اليمن
واول من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت
وولى ابا موسى الاشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب نجران وولى ابنه
يزيد تيماء وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة مكة واقامة الموسم
والحج بالمسلمين وولى علي بن ابي طالب القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص عمان واعمالها وولى ابا بكر الصديق رضي الله عنه
اقامة الحج سنة تسع وبعث في اثره عليا فقرا على الناس براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج ابو بكر الى الحج
وقيل اردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق اميرا او مامورا واما الرافضة فقالوا بل عزله وهذا لا
يتعجب من بهتهم وافترايهم وقد ولى عليه السلام الصدقات جماعة كثيرة ولما رسله صلى الله عليه وسلم فقد
روي انه صلى الله عليه وسلم بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض في الشفا وعزاه
للواقدي انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم انتهى وكان اول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن

امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام ويتلو عليه القرآن فاخذه النجاشي
ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان آتيه لاتيته
وفي الكتاب الآخر ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها كما تقدم في ذكر الازواج ودعا بحق من عاج فجعل
فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره وليس كذلك فان النجاشي الذي صلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو الذي كتب اليه كما قدمته وبعث عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو احد
الستة الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فامسك وبعث
عبد الله السهمي الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس فاكرمه وبعث الى النبي صلى
الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدي الى ملك البلقا الحارث
ابن ابي شمر الغساني وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري الى هوذة والى ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة
وبعث العلا بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق
وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان فاسلما وصدقا وبعث المهاجر بن ابي
امية المخزومي الى الحارث بن كلال الحميري باليمن فقال سانظر في امري وبعث اباموسى الاشعري ومعاذ بن جبل
الى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم غالب اهلها من غير قتال ثم بعث
علي بن ابي طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع وذي عمرو
يدعوهم الى الاسلام فاسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمري الى مسيلمة الكذاب
بكتاب وبعث الى فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الى الاسلام فاسلم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الظرب وحمار يقال
له يعفور وبعث اليه اثوابا وقباء سندس مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر وبعث
المصدقين لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث بريدة ويقال
كعب بن مالك الى اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص
الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب وبعث بشر بن سفيان الكعبي ويقال النحام العدوي الى بني كعب وبعث
عبد الله ابن اللتبية الى ذبيان وبعث رجلا من سعد هذيم الى قومه الفصل السابع في مؤذنيه وخطبائه
وحداته وشعرائه اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة بلال بن رباح وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول
من اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن بعده لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال
فتذكر الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار اكثر باكيا من يومئذ وتوفي بلال سنة سبع عشرة او ثمان
عشرة او عشرين بدارين باب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشي
العامري وهاجر الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واذن له عليه السلام بقبا سعد بن عائذ او ابن عبد الرحمن المعروف
بسعد القرظ وبالقرظي مولى عمار بقي الى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة اربع وسبعين وبمكة ابو محذورة واسمه
اوس الجمحي المكي ابو معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك
وكان منهم من يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي باقامة بلال واهل مكة
اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة واخذ
احمد واهل المدينة باذان بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة واما شعراؤه
عليه السلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان ابن ثابت

بن

ابن المنذر بن عمرو ابن حرام الانصاري دعا له عليه السلام فقال اللهم ايده بروح القدس فيقال اعانه جبريل بسبعين
بيتا وفي الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عني وهو بالحاء المهملة اي دافع والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على
اشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد
ابيه حرام كل واحد منهم مائة وعشرين سنة وتوفي حسان سنة اربع وخمسين ولما جاء عليه السلام بنو تميم وشاعرهم
الاقرع ابن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد عليه السلام
على ان قال ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام
ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع ابن حابس شاعرهم فقال
اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ؛ اذا خالفونا عند ذكر المكارم ؛ وانا رؤوس الناس في كل معشر
وان ليس في ارض الحجاز كدارم ؛ فامر صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقال
بني دارم لا تفخروا ان فخركم ؛ يعود وبالا عند ذكر المكارم ؛ هبلتم علينا تفخرون وانتم ؛ لنا خول
ما بين ظئر وخادم ؛ وكان خطيبه عليه السلام على الكفار حسان وكعب
وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه السلام على الكفار حسان وكعب
ثابت بن قيس ابن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة وهو خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة
خطيبه وخطيب الانصار واستشهد اليمامة سنة اثنتي عشرة وكان يحدو بين يديه عليه السلام في السفر عبد الله
ابن رواحة وفي الترمذي في الشمائل عن انس انه عليه السلام دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه
ويقول خلوا بني الكفار عن سبيله ؛ اليوم نضربكم على تنزيله ؛ ضربا يزيل الهام عن مقيله ؛ ويذهل الخليل عن خليله
وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو
وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد يوم خيبر ومرت قصته في غزوتها وانجشة العبد الاسود
وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان حسن الحداء قال انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال
وانجشة يحدو بالنساء وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما في رواية البراء بن مالك
عند مسلم رويدك رفقا بالقوارير اي النساء شبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها الكسر فلم يامن عليه
السلام ان يصيبهن او يقع في قلوبهن حداؤه فامره بالكف عن ذلك وفي المثل الغناء رقية الزنا وقيل اراد ان الابل
اذا سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عن شدة
الحركة الفصل الثامن في آلات حروبه عليه السلام كدروعه واقواسه ومنطقته واتراسه اما اسيافه
عليه السلام فكان له تسعة اسياف مابور وهو اول سيف ملكه صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقال انه عليه
السلام قدم به الى المدينة في الهجرة والعضب ارسله اليه سعد ابن عبادة حين سار الى بدر وذو الفقار
لانه كان في وسطه مثل فقارة الظهر ويجوز في فائه الفتح والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاص ابن
منبه وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب يشهدها وكانت قائمته وقبيعته
وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة والقلعي بفتح القاف وفتح اللام وهو الذي اصابه
من قلع موضع بالبادية والبتار اي القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع والرسوب اي
يمضي في الضريبة ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب اذا ذهب الى سفل واذا ثبت اصابها من الفلس
بضم الفاء واسكان اللام صنم كان لطيئ والقضيب واما ادراعه فسبعة ذات
الفضول بالضاد المعجمة لطولها ارسل بها اليه سعد ابن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد وهي التي
رهنها عند ابي الشحم اليهودي على شعير وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وذات الوشاح وذات الحواشي

والسغدية ويقال بالعين وهي درع عكبر القينقاعي قيل وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابهما من بني قينقاع والبتراء لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه السلام صلى الله عليه وسلم يوم احد درعان ذات الفضول وفضة وكان عليه يوم خيبر درعان ذات الفضول والسغدية واما اقواسه عليه السلام فكانت ستة الزوراء وثلاث من سلاح بني قينقاع قوس تدعى الروحاء وقوس تدعى الصفراء وشوحط والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت له جعبة تدعى الكافور وكانت له منطقة من ادم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة واما اتراسه فكان له عليه السلام ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وترس اهدي اليه فيه صورة تمثال عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك التمثال واما ارماحه عليه السلام فالمثوي قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت المطعون به من الثوي وهو الاقامة انتهى والمتثني ورمحان اخران وله عليه السلام حربة كبيرة اسمها البيضاء وكانت له عليه السلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز يقال لها العنزة وكانت تركز امامه ويصلي اليها وكان له عليه السلام مغفر من حديد يسمى السبوغ واخر يسمى الموشح تكبير وكان له عليه السلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه على بعيره بين يديه وكانت له مخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق وكان له قدح يسمى الريان واخر يسمى مغيثا وقدح مضبب بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع واخر من عيدان واخر من زجاج وتور من حجارة يسمى المخضب وركوة تسمى الصادرة ومخضب من نحاس ومغتسل من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المراة ومشط من عاج وهو الذبل ومكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم عليه السلام وكانت له قصعة تسمى الغراء باربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم فضة فصه منه يجعله في يمينه وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى يساره منقوش عليه محمد رسول الله واهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب وجبة سندس اخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه

الفصل التاسع في ذكر خيله عليه السلام ولقاحه ودوابه

اما خيله عليه السلام فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الماء يسكبه وهو اول فرس ملكه اشتراه عليه السلام بعشرة اواق وكان اغر محجلا طلق اليمين كميتا وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين والضرب اهداه له فروة بن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداه له ربيعة بن ابي البراء سمي به لسمنه وكبره كانه يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يتحققه والمعروف بالحاء المهملة قاله في النهاية واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولزبه الشيء اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذا اهداه له المقوقس والورد وسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن التين فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا وكان سرجه دفتاه من ليف وكان له عليه السلام من البغال دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس

وفضة

وفضة اهداها له فروة بن عمرو الجذامي واخرى اهداها له ابن العلماء صاحب ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي قيل واهدى له كسرى بغلة اخرى وفي ذلك نظر وكان له عليه السلام من الحمير عفير اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو ويقال هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه وكان له عليه السلام من اللقاح القصواء وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب وقيل العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام ان حقا على الله ان لا يرتفع من الدنيا شيئا الا وضعه وغنم عليه السلام يوم بدر جملا لابي جهل في انفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له خمس واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكان له سبعة اعنز منائح ترعاهن ام ايمن

الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه

قال النووي الوفد الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة في اخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحاق بعد غزوة تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما ذكره البخاري وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف في شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال ساطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين احب اليكم السبي ام المال قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فلكم وسوف اكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم وفي رواية ابن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد ۞ امنن علينا رسول الله في كرم ۞ فانك المرء نرجوه وندخر ۞ الابيات المشهورة الاتية ان شاء الله تعالى وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته عن زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاء اتيته فانشأت اقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله في كرم ۞ فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ۞ مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن ۞ على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ۞ يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ۞ اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها ۞ واذ يزينك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ۞ واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت ۞ وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ۞ من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ۞ عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه ۞ هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما انت راهبه ۞ يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لك وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله ومن ابن الطبراني وزهير لا يعرف لكن يقوي حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع وقد زاد الطبراني على ما اورده ابن اسحاق خمسة ابيات وذكر الواقدي ان وفد هوازن كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدي فقال يا رسول الله ان هذه الحظائر لامهاتكم وخالاتكم وحواضنكم ومرضعاتكم فامنن علينا من الله عليك فقال قد استانيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبي **وقدم عليه السلام وفد ثقيف** بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ولما انصرف عنهم اتبع اثره عروة ابن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع الى قومه بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم وراوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا واجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الاحلاف وثلاثة من بني مالك عثمان ابن ابي العاص واوس بن عوف ونمير بن خرشة فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذي كتبه وكان فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم عليه السلام الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم من الصلاة والا يكسروا اصنامهم بايديهم فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم واما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه فلما اسلموا وكتب لهم الكتاب امر عليهم عثمان ابن ابي العاص وكان من احدثهم سنا لكنه كان من احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد ومن وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبي محمدا وان هذا امر النبي محمد رسول الله فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله **ووج** واد بالطائف واختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة في حرم المدينة **و**قال الشافعي في احد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم والثاني حديث عروة ابن الزبير عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام احمد وابو داود ولكن في سماع عروة من ابيه نظر وان كان قد رآه **و**في مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله ابن عبد الرحمن الطائفي عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان ابن ابي العاص قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك اني كنت قرات سورة البقرة فقلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده اريد حفظه **و**في صحيح مسلم عن عثمان ابن ابي العاص قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني **وقدم عليه وفد**

بني

بني عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق ولما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه فدخلوا في دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه السلام بنو عامر فيهم عامر بن الطفيل واربد ابن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن اسلم ابن مالك وكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لاملانها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال عليه السلام اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك به فقال والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه افاضربك بالسيف ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر ابن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله **و**في صحيح البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك بين ثلاث خصال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن في بيت امراة فقال اغدة كغدة البكر في بيت امراة من بني فلان ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه **وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه** وهي قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن اعمى ابن دعمي بضم المهملة وسكون المهملة ايضا وكسر الميم بعدها تحتانية وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل ناخذ به ونامر به من وراءنا وندخل به الجنة قال آمركم باربع وانهاكم عن اربع آمركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن اربع عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه القصة ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك ما ينيف على مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج في هذه الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا احد ما يحتج به على ان الحج لم يكن فرض بعد وانه انما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكاة انتهى **و**قد كانت لعبد القيس وفادتان احداها قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه السلام حال بيننا وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما اما في سنة خمس او قبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان عدد الوفد الاول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سالوه عن الايمان وعن الاشربة وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه السلام ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة رواه مسلم من حديث ابي سعيد **واخرج** البيهقي بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه قال سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه السلام ثم مشى معهم حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرموا بانفسهم عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث واخرجه البخاري في الادب المفرد فيمكن ان يكون احد المذكورين غير راكب او مرتدفا **وثانيتهما** كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة الصباحي عند ابن منده ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه آخر انه عليه السلام قال لهم ما لي ارى الوانكم تغيرت ففيه اشعار بانه كان رآهم قبل التغير وفي قولهم يا رسول الله دليل على انهم كانوا حين المقالة مسلمين وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم وتدل على سبقهم

الى الاسلام ايضا ما في البخاري ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد
القيس بجواثى من البحرين وهي قرية لهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم قال في فتح الباري فدل على انهم سبقوا جميع
القرى الى الاسلام وما جزم به ابن القيم من ان السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض هو المعتمد وقد
قدمت الدليل على قدم اسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بان قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد
لان فرض الحج كان سنة ست على الاصح ولكنه اختار كغيره انه فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه انه
على الفور شيء وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج كان بعد الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم قادرا على كان
الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في سنة عشر وسياتي في حجه عليه السلام من مقصد عباداته مزيد لذلك
ان شا الله تعالى فان قلت كيف قال اربع والمذكورات خمس اجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن
بطال بان الاربع ما عدا اداء الخمس قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان ثم اعلمهم بما
يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة مسببة
عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله
وان تعطوا معطوف على قوله باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع والاتيان
بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضي ابو بكر بن العربي يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلاة
والزكاة واحدة لانها قرينتها في كتاب الله وتكون الرابعة اداء الخمس وانه لم يعد الخمس لانه داخل في عموم
ايتاء الزكاة والجامع بينهما انه اخراج مال معين وقال البيضاوي في الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير
للايمان وهو احد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخرى حذفها الراوي اختصارا او نسيانا
وتعقب بانه وقع في صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربع شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة
فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان اول الاربع المامور بها اقام الصلاة وانما القرطبي
ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا منصبا
سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين
مقرين بكلمتي الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليهما كما كان الامر في صدر الاسلام
قال ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر انتهى ملخصا من فتح الباري وقدم عليه الصلاة
والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان منزلهم في دار امراة من الانصار من
بني النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع
اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله العسيب جريدة من النخل والسعفة جريدة اغصان النخل ج سعف
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتكه وذكر حديثه ابن اسحاق
على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة من بني حنيفة انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة
في رحالهم فلما اسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا يعني لحفظه ضيعة اصحابه ثم انصرفوا فلما
قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبا وقال اني اشركت في الامر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة
للقران لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك
الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك
وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولم يعرف المخذول

انه

انه محروم على المطلوب وسياتي في اوائل مقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته
هنا ان شا الله تعالى وقيل انه ادخل بيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر ان النوشادر
اذا ضرب في خل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه البيضة يلين يومها يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة
ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم مج في بير فكثر ماؤها وتفل في عين علي وكان
ارمد فبري فتفل اللعين في بير فغار ماؤها وفي عين بصير فعميت ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس
ضرعها ولله در الشقراطسي حيث يقول يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في • عصر البيان فضلت اوجه الحيل • سالتهم سورة في مثل حكمته
بغي سعي فلم يحسن ولم يطل • منتج بركيك الافك ملتبس • ملجلج بزري للزور والخطل
يمج اول لحوف سمع سامعه • ويعتريه كلال العجز والملل • كانه منطق الورها شذبه
لبس من الخبل ومس من الخبل • امرت البير واعورت بمجتنبه • فيها واعمى بصير العين بالتفل
وايبس الضرع منه شوم راحته • من بعد ارسال رسل منه منهمل •

فشبه هذا الكلام الذي عارض به
مسيلمة بكلام امراة ورها وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم فهي تهذي بكلام مذبذب مختلط لا يقترن بعضه
ببعض ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون الموحدة اي فساد او مس من الخبل بفتحها اي جنون ثم ان اللعين
وضع عن قومه الصلاة واحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه نبي وقد كان كتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت معك في الامر وان لنا
نصف الامر ولقريش نصف الامر فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفي الصحيحين من حديث نافع ابن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فاقبل
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على
مسيلمة في اصحابه فقال ان سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك الله واني
لاراك الذي اريت فيه ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسالت عن قول النبي صلى الله عليه
وسلم انك الذي اريت فيه ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايت في يدي
سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحي الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي انفخهما
فكان احدهما العنسي صاحب صنعا والاخر مسيلمة فان قلت كيف يلتيم خبر ابن اسحاق مع الحديث
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه انه لو ساله القطعة من الجريدة ما اعطاه ٥
اجيب ان المصير الى ما في الصحيح اولى ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رييس بني حنيفة
ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم او القصة واحدة وكانت اقامته
في رحالهم باختياره انفة منه واستكبارا ان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه السلام معاملة الكرم
على عادته في الاستيلاف فقال لقومه انه ليس بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم واراد استيلافه
بالاحسان بالقول والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم عند
الله تعالى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الاسلام
فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه السلام ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا زيد

عنه الخيل فانه لم يبلغ كلما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلما انتهى الى ماء من مياه نجد اصابته الحمى فمات قال
ابن عبد البر وقيل مات في اخر خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال
اهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين او ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا
جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير
في اعناقكم فشقوه فنزعوه والقوه وقدم عليه زاده الله شرفا لديه الاشعريون واهل اليمن قيل هو من عطف
الخاص على العام وقال الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت
في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميري انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من حمير فقالوا
اتيناك لنتفقه في الدين الحديث والحاصل ان الترجمة مشتملة على طايفتين وليس المراد اجتماعهما في الوفادة فان قدوم جمع
يمن كان مع ابي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولهذا اجتمع مع بني
تميم وروى يزيد بن هرون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم
الاشعريون فجعلوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في اهل الغنم والفخر والخيلاء
في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم وفي البخاري ان نفرا من بني تميم جاوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا
البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسالك عن هذا
الامر فقال كان الله ولم يكن شي غيره وكان عرشه على الما وكتب في الذكر كل شي وقوله وجاء نفر من اهل اليمن هم
الاشعريون قوم ابي موسى وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدي فاسلم
وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره عليه السلام على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم اهل الشرك من قبايل
اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبايل من قبايل العرب فحاصروهم فيها
قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى اذا كان في جبل لهم وظنوا انه انما ولى عنهم منهزما خرجوا
في طلبه حتى ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلين منهم فبينا هما عنده عليه السلام عشية فقال لهما عليه السلام ان بدن الله لتنحر عند شكر اي المكان
الذي وقع به قتل قومهم قال فجلس الرجلان الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله بنعي لكما قومكما فخرجا
الى قومهما فوجداهم قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر فخرج
وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا وحمى لهم حول قريتهم وفد بني الحرث بن كعب
قال ابن اسحق بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الاخر او جمادى الاولى سنة عشر الى بني الحرث
ابن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا
فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس
اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد
ابن عبد الله وقال لهم عليه الصلاة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ احدا
بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية من شوال او من ذي القعدة فلم يمكثوا
الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم مالك بن

النمط

النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات
والعمايم العدنية على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم وذكروا له كلاما
كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم
من قومه وامره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه وروى البيهقي باسناد صحيح عن البراء ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن
الوليد فاقمنا ستة اشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب فامره ان
يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا
واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال
السلام على همدان السلام على همدان واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير
على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطايف قاله ابن القيم في الهدي النبوي وفد مزينة روى البيهقي عن النعمان
ابن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود
القوم قال ما عندي الا شي من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله
ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في اخر من
خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها وفد دوس وكان قدومهم عليه السلام صلى الله عليه وسلم بخيبر قال
ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال قريش وكان
الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت
امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى ما قد دخل
علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين
غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شي من قوله قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم
يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل امياه والله
اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلته
وان كان قبيحا تركته قال فمكثت حتى انصرف عليه السلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يا محمد ان
قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونني امرك حتى سددت اذني بكرسف ان لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان
يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القران فلا
والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرو
مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي اية قال فخرجت الى قومي حتى اذا كنت
بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا مثلة وقعت
في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في راس سوطي كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم واصبحت
فيهم فلما نزلت اتاني ابي [illegible] بيرا فقلت اليك عني يا ابت فلست منك ولست مني قال لم يا بني قلت قد اسلمت
وتابعت دين محمد قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت
قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك عني فلست
منك ولست مني قالت لم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا عليه الصلاة والسلام قالت فديني دينك

الحاضر القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه

فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطوا علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله انه قد غلبني
على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت
اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت المدينة بسبعين
او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامه
وقد جزم ابن ابي حاتم بانه قدم مع ابي هريرة بخيبر وكانها قدمته الثانية وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد
نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم فقال
عليه السلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا منهم من اشرافهم اربعة وعشرون رجلا من اشرافهم
والاربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح
والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل قد
... شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وكان يعرف امر النبي صلى الله
عليه وسلم وشانه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار على النصرانية لما يرى من تعظيمه
ووجاهته عند اهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلا عليهم القران فامتنعوا فقال ان انكرتم ما اقول
فهلم اباهلكم وفي البخاري من حديث حذيفة جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدان ان يلاعناه يعني يباهلاه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل وعند ابي نعيم ان القائل ذلك هو السيد وعند
غيره بل الذي قال ذلك هو العاقب لانه كان صاحب رايهم وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي ان الذي قال
ذلك شرحبيل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه يعني باهلناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود
ابدا ثم قالا انا نعطيك ما سالتنا وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا
امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن
الجراح فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة وفي رواية يونس بن بكير انه صالحهم على الفي حلة الف في رجب
والف في صفر ومع كل حلة اوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولا وذكر ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد ذلك
واسلما وفي قصة هذا الوفد ... مباهلة المخالف اذا اصر بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا
وعرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسول
فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم وكان منزله معان باسلامه واهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه
اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء وقدم عليه صلى
الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر روى البخاري من حديث انس بن مالك قال بينما نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال ايكم محمد والنبي صلى الله عليه
وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الابيض المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اجبتك فقال اني سائلك فمشدد عليك في المسالة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك فقال اسالك بربك ورب من قبلك
الله ارسلك الى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال انشدك بالله الله امرك ان نصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال
انشدك بالله الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
نعم فقال الرجل امنت بما جئت به وانا رسول من ورائي من قومي وانا ضمام بن ثعلبة اخو بني سعد بن بكر وزاد
ابن اسحق في مغازيه فقال الله امرك ان نعبده ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التي كان اباؤنا يعبدون
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلا جلدا اشعر ذا غديرتين ثم اتى بعيره واطلق عقاله ثم خرج
حتى

حتى اتى قومه فاجتمعوا اليه وكان اول ما تكلم به ان قال بئست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص
والجنون والجذام فقال ويلكم انهما لا تضران ولا تنفعان ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به واني اشهد
ان لا اله الا الله وانه محمدا عبده ورسوله واني قد جئتكم من عنده بما امركم به ونهاكم عنه فوالله ما امسى في ذلك اليوم
في حاضره رجل ولا امراة الا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام بن ثعلبة وفد طارق بن عبد
الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال اني لقائم بسوق ذي
المجاز اذ اقبل رجل وهو يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا ايها الناس
انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم انه رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل به
هذا قالوا عمه عبد العزى قال فلما اسلم الناس وهاجر خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها
ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل في طمرين له فسلم وقال من اين اقبل القوم قلنا من الربذة قال واين تريدون
قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعوني
جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما
صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا اخذنا له ثمنا فقالت المراة التي معنا والله لقد رايت رجلا كان وجهه قطعة
القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية ابن اسحق قالت الظعينة فلا تلاوموا لقد رايت وجه رجل لا يغدر بكم
ما رايت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه اذ اقبل رجل فقال انا رسول رسول الله اليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا
واكتالوا واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب
الناس فادركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وقدم عليه صلى الله
عليه وسلم وفد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم
واكرم منزلهم وامر بلالا ان يحسن ضيافتهم ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع
مما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو احدثنا سنا قال ارسلوه الينا فلما اقبل
الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة اصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله
ما اخرجني من بلادي الا ان تسال الله ان يغفر لي ويرحمني وان يجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه
واجعل غناه في قلبه ثم امر له بمثل ما امر لرجل من اصحابه ثم انطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما راينا مثله قط ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو ان
الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة روى الواقدي
عن ابي النعمان عن ابيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا ناحية
من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا اصغرنا فبعث عليه السلام
في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال
اصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله خيرنا واقرانا للقران لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امره
علينا فكان يؤمنا ولما رجعنا الى قومنا رزقهم الله الاسلام وفد بني فزارة قال ابو الربيع بن سالم في كتاب
الاكتفاء ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة
ابن حصن والحر بن قيس ابن اخي عيينة بن حصن وهو اصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف فسالهم
عن بلادهم فقال احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا واجدب جناننا وغرث عيالنا فادع لنا ربك

يعيننا واشفع لنا ولنشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انا شفعت الى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه السلام ان الله عز وجل يضحك من شففكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا طبقا واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء الحديث رواه ابن سعد والسهيلي ويأتي بتمامه ان شاء الله تعالى في الاستسقاء من مقصد عبادته عليه السلام

المغيث المنقذ من الشدة — هو الذي يطبق وجه الارض

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم يا رسول الله انا نشهد ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك ولم تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين **وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد بهراء** من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا يردد دون ذلك عليهم وما تخيف حتى جعلوا يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه وتعلموا بركة اصابعه عليه السلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرائض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوائز وانصرفوا الى اهليهم

الحيس طعام يتخذ من تمر واقط وسمن

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد اجيزوا **وقدم عليه سلام الله عليه وفد بلي** فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم

بلي كرضي قبيلة ق

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحرث بن عوف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف البلاد فقالوا والله انا لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقدم عليه زاده الله شرفا لديه وفد خولان** في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال عليه السلام اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم قال عليه السلام ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله ما جئت به الا ان عجوزا وشيخا كبيرا يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه السلام فرائض الدين وامرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم

خولان قبيلة باليمن ق

وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبائل يدعوهم الى الله فجاء عليه السلام منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم **وقدم عليه عليه السلام**

صداء كغراب حي باليمن

وفد صداء في سنة ثمان وذلك انه لما انصرفوا من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في اربع مائة وامره ان يطأ ناحية من اليمن فيها صداء فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي انه الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وانه عليه السلام قال له يا اخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي فقال صبه فصببته في قعب ثم وضع عليه السلام كفه فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه عينا تفور **وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان** في شهر رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا واجازهم عليه السلام بجوائز وانصرفوا راجعين **وقدم عليه وفد سلامان** في شوال سنة عشر كما قال الواقدي وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة **وقدم عليه وفد بني عبس** فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا فقال عليه السلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا **وقدم عليه وفد غامد** سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرانا واجازهم عليه السلام وانصرفوا **وقدم عليه وفد الازد** ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة وابو موسى المديني من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني قال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما راى من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنون فتبسم عليه السلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها امرتنا رسلك ان نؤمن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لا اله الا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ثم قال وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا تزائلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها **وقدم عليه وفد بني المنتفق** روى عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق فوافياه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد خبأت لكم صوتي منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه الا واني مسؤول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا

الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول الله علام أبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيئا الحديث وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم آخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم في نصف المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل فنزلوا دار الأضياف ثم جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجبا قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جديا أسفع أحوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يا رسول الله ما باله أسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورأيت عجوزا شمطاء خرجت من الأرض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس إمامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء إن مات ابنك أدركت الفتنة وإن مت أنت أدركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى ملخصا من الهدي النبوي والله أعلم وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن

المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته إليه صلى الله عليه وسلم وفيه أربعة (ثلاثة) فصول

الأول في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن من تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم أخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس ولله در الأبوصيري حيث قال

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لأنه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره وإلا لما كان حسنه تاما لأنه إذا انقسم لم ينله إلا بعضه فلا يكون تاما وفي الآثار أن خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الأحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال أما إني أفصل فلا فقال الرجل أجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير في أسرار الإسراء فمن ذا الذي يصل قدره أن يقدر قدر الرسول ويبلغ من الاطلاع على ما تأثر المأمول والسول وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن الأبوصيري أيضا حيث قال

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله

إنما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء

وأشار بقوله تظهر إلى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد تبرأ من عيب التشبيه بها على الإطلاق أبو النواس حيث قال

تتيه الشمس والقمر المنير * إذا قلنا كأنهما الأمير
لأن الشمس تغرب حين تمسي * وأن البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه السلام إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فذاته أعلى

وأما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وابن حبان قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري سئل البراء أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال بل مثل القمر أي في التدوير ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وإنما قال مستديرا للتنبيه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول أو اللمعان فرده المسؤول ردا بليغا ولما جرى التعارف أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبا الإشراق والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرها فقوله وكان مستديرا أشار به إلى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة وروى الترمذي والبيهقي عن علي أنه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان في وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل وفي حديث علي عند أبي عبيد في الغرائب وكان في وجهه تدوير قال أبو عبيد في شرحه يريد ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب في حديث أبي هريرة عند الذهبي في الزهريات في صفته صلى الله عليه وسلم كان أسيل الخدين قال ابن الأثير الأسالة في الخد الاستطالة وأن لا يكون مرتفع الوجنة قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر وهو يقابل على من سأل أكان وجهه مثل السيف وأخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه أي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عائشة مسرورا تبرق أسارير وجهه ولذلك قال قطعة قمر وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كأنه دارة قمر ويسأل عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قائل هذا من شعراء الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمة وما قيل في ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي لأن المراد بتشبيهه ما في القمر من الضياء والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها أقل مما في القطعة المجردة فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر أخرجه أبو نعيم وروى البيهقي عن أبي إسحاق عن امرأة من همدان قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وما أحسن قول سيدي

علي ابن وفا حيث قال • الا يا صاحب الوجه المليح • سالتك لا تغيب فانت روحي •
متى ما غاب شخصك عن عياني • رجعت فلا ترى الا ضريحي • بحقك جد لرقك يا حبيبي •
وداوي لوعة القلب الجريح • ورق لمغرم في الحب امسى • واصبح بالهوى دنفا طريح •
محب ضاق بالاشواق ذرعا • واوى منك للكرم الفسيح • وفي النهاية انه عليه السلام كان اذا
سر فكان وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه وقيل والملاحكة شدة الملائمة اي يرى شخص
الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وذلك لان
القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس
التي تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما قال
لو كنت من شيء سوى بشر • كنت المنور ليلة البدر • وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا من اسمائه صلى الله
عليه وسلم البدر ولهذا انشدوا لما قدم المدينة • طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • ولقد احسن من قال
كالبدر والكاف ان انصفت زائدة • فيه فلا تظننها كاف التشبيه • وما احلى قول ابن الحلاوي
يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه • وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط • كما شبهوا غصن النقا بقوامه
لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا • فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه
التشبيهات الواردة في صفاته عليه السلام انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه المحدثات
تعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا حيث قال
كم فيه للابصار حسن مدهش • كم فيه للارواح راح مسكر • سبحان من انشاه من سبحاته •
بشرا باسرار الغيوب يبشر • فاسوء جهلا بالغزال تغزلا • هيهات يشبهه الغزال الاحور •
هذا وحقك ما له من مشبه • واري المشبه بالجهالة يكفر • باني عظيم الذنب في تشـ
لولا رتب جماله يستغفر • فخر الملاح بحسنهم وجمالهم • وبحسنه كل المحاسن تفخر •
فجماله مجلى لكل جميلة • وله منار كل وجه نير • جنات عدن في جنا وجناته •
ودليله ان المراشف كوثر • هيهات الهو عن هواه بغيره • والغير في حشر الاجانب يحشر •
كتب الغرام علي في اشفاقه • كتبا توقف بالهوى وتفسر • فدع الدعي وما ادعاه في الهوى •
فدعيه بالهجر فيه يقهر • وعليك بالعلم الحليم فانه • لخطيبه في كل خطب منبر •
واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار
في الضوء • رواه البخاري وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى
في الضوء • رواه البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله
ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري • رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس
انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي
ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه
وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه
الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة
وهذا بالنسبة الى القديم العالي اما المخلوق فتتوقف صحة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة

بالاتفاق

بالاتفاق ولهذا خرق عادة في حقه عليه السلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي
وهذه الاية قد جعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة امره في الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته
لما عرف بربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله وعلى ما وراء الوقت مما تاخر من امر الله
فلما كان تعلي ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في
مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى
ومن الغريب ما ذكره الزاهدي مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله
عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب • وقيل بل كانت صورهم تنطبع
في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشارع عليه السلام بطريق
صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام راي على انه لا فائدة في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم
وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحي الله اليه
كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم
ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان
صح فالمراد به منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان واجيب بان الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص
ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال
لكن نفي العلم هنا عن الغيب وذاك مشاهدة فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من
المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفي العلم في هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب
مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الـ
ويدل على ذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه
يخبر بخبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي
وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
فصح انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره الا ما علمه ربه تبارك وتعالى • وذكر القاضي في الشفا انه صلى الله عليه
وسلم كان يرى في الثريا احدى عشر نجما وعند السهيلي اثنا عشر وفي حديث ابن ابي هالة واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق
العين الذي يلي الصدغ واما الذي يلي الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق
النظر وقيل لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر
جميعا قاله ابن الاثير وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين
بحمرة رواه البيهقي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس
العقبين رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود واما الشهلة فانها حمرة في سوادها
وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين وعند الترمذي في حديث عن علي انه نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان في وجهه تدوير ابيض مشرب ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث والادعج
الشديد سواد الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهي شعر العين وعنده ايضا عن علي قال كان اسود الحدقة
اهدب الاشفار وعن علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فاني لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار يهود واقف
بيده سفر ينظر فيه فلما رآني قال صف لنا ابا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث • وفيه قال علي

ثم سكت فقال الحبر فاذا قلت هذا ما يحضرني قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه والله
صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر آبائي واني اشهد انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث
واما سمعه الشريف فحسبك انه قد قال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطت
السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي
من رواية ابي ذر وما رواه ابو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال
لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع
شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم واما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون
الحاجبين بهذا وصفه علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه والقرن
اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن
الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القائل • جبينه مشرق من فوق طرته • يتلو الضحى ليله والليل كافره •
بالمسك ختمت على كافور جبهته • من فوق نوناتها سبحان طابعه • بكمل الخلق ما خص خصائصه •
منتشر الحسن قد قلت نظائره • وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمتقوس الطويل الوافر
الشعر ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلئ دما اذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا اذا در
قاله في النهاية وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اسمع واطع يا ابن الطاهرة
البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران اني
انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين و
الجعد [illegible] هدب الاشفار ادعج العينين المقرون الحاجبين الاقنى الانف الواضح الخد
اللحية [illegible] لوح ريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق
العين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين وما وصفه ابن ابي هالة بخلافه
وما في حديث ام معبد فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين قال
صفته يعني سوابغ في غير قرن والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وقد وصفه
صلى الله عليه وسلم غير واحد بانه كان عظيم الهامة اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال
علي ابن ابي طالب في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية البخاري
وكان عليه السلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤوس العظام كما وصفه به علي في حديث الترمذي وقال
في رواية للترمذي جليل المشاش والكتد وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين
والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجمع الكتفين وكان عليه السلام دقيق العرنين اي على الانف
به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر وفي رواية ايضا عن ابن عمر بن وصف علي له ايضا اقنى الانف
بالسائل المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم والاشم الطويل
قصبة الانف واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم
يعني واسعه وكذا وصفه به ابن ابي هالة وزاد يفتتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة فمه والعرب تمدح به
على وتذم بصغر الفم وقال شمر عظيم الاسنان وفي حديث عند البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين واما صفة اسنانه صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها وافلج الاسنان اي متفرقها وقال علي مفلج الثنايا بالموحدة اخرجه

ابن

ابن سعد من حديث ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه رواه الترمذي في الشمائل والدارمي والطبراني في الاوسط
وكان عليه السلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم • يحسب من الشهد في فيه مراشفه • ياقوتة صدف فيه جواهره •
وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي فلما رجعنا قالت لي امي وخالتي يا بني
ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما وراينا كالنور يخرج من فيه واما ريقه الشريف ففي
الصحيح عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها
قال اين علي ابن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه واتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم
صب في البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد وابن ماجه من حديث وائل بن حجر وبزق
في بئر في دار انس فلم يكن في المدينة بئر اعذب منها رواه ابو نعيم وكان عليه السلام يوم عاشورا يدعو برضعائه
ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزئهم رواه البيهقي و
دخلت عليه عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها
كل واحدة قطعة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه وسلم بيده
الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم اطيب منه رائحة رواه الطبراني
واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماؤه فمصه حتى روي رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي
حيث يقول • جنى النحل بره فيه وفيه حياتنا • ولكنه من ولي يلثم لثامه • رحيق الثنايا والمثاني تنفست •
اذا ما السن فتح بطيب ختامه واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه
وسلم افصح خلق الله [illegible] واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان كلامه ياخذ القلوب ويسلب
الارواح • ينظم دررا [illegible] له • فيا حسنه في نثره ونظامه • يناجي فيبجي من يناجي من الجوى •
فكل كليم برمزه في كلامه • ففصاحة لسانه عليه السلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها
وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده
فهو ينطق بحكمه عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا
يقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته
ولا اجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه واقام به الحجة على عباده ببيانه
وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق
جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان عليه السلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده
العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا
كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وكان يقول انا افصح العرب
وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول
الله ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظتها
رواه ابو نعيم وروى العسكري في الامثال من حديث علي بسند ضعيف جدا قال قدم بنو نهد على النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو

أب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن ادبي ونشأت في بني سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن بن الزهري عن ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ايدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان مُلْفَجاً فقال له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال ايماطل الرجل اهله قلت له نعم اذا كان مفلساً قال ابو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت افصح منك قال ادبني ربي ونشأت في بني سعد رواه السرقسطي في الدلايل بسند واه وكذا اخرجه ابن عساكر قال في القاموس وداله اي ماطله انتهى وقوله ملفجا بضم الميم وفتح الفاء اسم فاعل من الفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو مسهب في الفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن عمرو وقال ابن الاثير لم يجي الا في ثلثة احرف اسهب واحصن والفج وقال غيره معناه ايداعب الرجل امرأته يعني قبل الجماع وسماه مطلا لكونه غرضها الاعظم الجماع قال اذا كان عاجزا ليكون ذلك يحرك الشهوة ولعجزه سمي مفلسا وأما ما يروى انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لا اصل له انتهى لكن معناه صحيح والله اعلم وقد حدوا الفصاحة خلوص الكلمة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدائره مستشزرات الى العلا فان السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج والغرابة كون الكلمة لا تدل على المراد من اول وهلة لاحتمال معنى آخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قياس كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلي الاجلل والفصاحة يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته عليه السلام الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المرتبة والزيادة التي تصدع القلوب قبل الاذهان وتقرع الجوانح قبل الآذان ما يروق ويفوق ويثبت له على ساير البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدايع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والامثال السايرة والغرر المتلالية والدرر المنثورة والقراري المأثورة والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة والآداب التي هي على العقول محكمة والحجج التي هي للد الخصام مفحمة ملجمة وقليل هذا الوصف في حقه صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه وقد روى الحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين وفي كتاب الشفا للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل كقوله المرء مع من احب وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما لم يذكر القاضي رحمه الله قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات رواه الشيخان وغيرهما ليس للعامل من عمله الا ما نواه رواه وتحت هاتين الكلمتين كنوز العلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله حديث الاعمال بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال بعض الايمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين قول وعمل ونية وقوله نية المؤمن خير من عمله رواه الطبراني لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال ورواه القضاعي عن اسمعيل بن عبد الرحمن الصفار نا علي بن عبد الله الفضل نا محمد بن الحنفية الواسطي نا محمد بن عبد الله الحلبي نا يوسف وعطية عن ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن ابلغ من عمله قال وهذا سند لا اصل

عليه

علي ويوسف ابن عطية متروك الحديث ورواه عثمان بن عبد الله الشامي من حديث النواس بن سمعان وقال نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدي عثمان ابن عبد الله الشامي له احاديث موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزي لا يصح رفعه قال ومعناه ان النية سر والعمل ظاهر والسر افضل وهو يقتضي انه لو نوى ان يذكر الله او يتفكر تكون نيته الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح وقيل ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية لم يكن فيه خير اصلا وقيل النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فان القلب امير الجوارح وبينه وبينها علاقة فاذا تألمت تألم القلب واذا تألم القلب تألمت فانه تعوت الفرايص وتغير اللون فالقلب الملك الراعي والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك ابلغ من عمل رعيته وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها ولبها والاعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدا وغير الصالح تجعله صالحا مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب على العمل فلذا كانت نية المؤمن خيرا من عمله وقوله يا خيل الله اركبي رواه ابو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكري عن انس وابن عائذ في المغازي عن قتادة ولفظه عند ابن عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يعني يوم الاحزاب ينادي يا خيل الله اركبي قال العسكري وهذا على المجاز والتوسيع اراد يا فرسان خيل الله اركبي فاختصر وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو بفتح الفا حمار الوحش رواه الرامهرمزي في الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند العسكرية وقال جوفا وجنب وقوله الحرب خدعة رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى وقوله خدعة مثلثة الخاء اشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال ثعلب وغيره وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخاء واسكان الدال والثالثة ... دال قال النووي اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما امكن الا ان يكون فيه نقض عهد وقوله واياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي في الكامل والقضاعي ... دينار عن ابي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثي عن ابي سعيد مرفوعا قيل يا رسول الله وما ذا قال المرأة الحسناء في المنبت السوء قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره نكاح الفاسدة وقال ان اعراق السوء تنزع اولادها وتفسير حقيقته ان النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا فالدمن جمع دمنة وهي البعرة وانشد زفر ابن الحارث وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة وينطويان على البغضاء والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا الكرب اولى بزماننا اشار اليه شيخنا وقوله والانصار كرشي وعيبتي رواه البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي ويقال عليه كرش من الناس اي جماعة ووقع في رواية الترمذي الا ان عيبتي التي آوي اليها اهل بيتي وان كرشي الانصار وقوله ولا يجني على المرء الا يده رواه احمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الاحوص لا يجني جان الا على نفسه وقوله ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعني انه اذا ملكها فقد كان قهر اقوى اعدايه وشر خصومه ولذلك قال اعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد وابن

معنى نية المومن

وافصح من نطق بالضاد ... اي متنافرات

وقوله

منيع والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانة رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده
عن علي رفعه عن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهي امانة رواه ابو داود في سننه والترمذي في جامعه
وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم فهي هاتين الكلمتين من الحمل على اداب العشرة واداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن
العهد واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي الاذهان البلاء
وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد من رواية ابراهيم عن ابن مسعود ورواه
الديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق واورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث ابي الدرداء وابن
مسعود قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه وشبهه بالوضع ومعناه قوله
صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس على شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه
وسلم فقال الاعرابي هي حمى تفور على شيخ كبير فنعم اذا واُنشد في معناه لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون
وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة رواه وقوله اي داء ادوى من البخل رواه البخاري
وقوله لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقوله الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع
الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو عبد الرحمن السلمي
في اداب الصحبة له عن عقبة ابن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله فضل العلم خير
من فضل العبادة رواه الطبراني والبزار وقوله الخيل في نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن
عمر رفعه بلفظ الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة وفي لفظ الخير معقود بنواصيها الخير وقوله اعجل
الاشياء عقوبة البغي رواه وقوله وان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية صخر بن
عبد الله بن بريدة عن ابيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا
وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله ان من البيان سحرا فالرجل
يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحبه فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا
فتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس
ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق
قال الطبري وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر من مزامير الشيطان وعن ابي
امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال رب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث
واهية وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن يزيد الالهاني وهو ضعيف وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط
فيه والاكثار منه ويدل على الجواز احاديث كثيرة منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه
استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية ابن ابي الصلت فانشدته مائة قافية وقوله الصحة والفراغ
نعمتان رواه البخاري وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود رواه الطبراني في معاجمه
الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه الخلعي عن علي مرفوعا استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان بها وقوله
المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن ابي هريرة ومعناه ان ذا المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا
لله لانه اذا مكر غدر واذا غدر خدع واذا فعلها اوبق وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في النار وقوله
من غشنا فليس منا رواه مسلم في صحيحه وقوله والمستشار مؤتمن رواه احمد وغيره ومعناه ان من افضى اليك بسره
وامنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه كالامانة للرجل
الذي لا يامن على ايداع ماله الا الثقة في نفسه والسر الذي ربما كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل

لا عند

طهورا ان شاء الله فقال الاعرابي ... كالابل الحمي ... صح

وبأن

... يعتبرون فيها ... من الناس صح

لا عند الموثوق به وقوله الندم توبة رواه الطبراني في الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه العسكري
وابن جميع ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان والمعنى ان من دلك على خير وارشدك اليه فكانه فعل ذلك الخير
وقوله حبك الشيء يعمي ويصم رواه ابو داود والعسكري من حديث بقية ابن الوليد عن ابي بكر بن عبد الله ابن ابي
مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن ابي الدرداء عن ابيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه وابن ابي
مريم ضعيف وقد حكم الصغاني عليه بالوضع وتعقبه العراقي وقال ان ابن ابي مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا
سكوت ابي داود عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكري اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن سماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من
عقل او دين اصمه حبه عن العدل واعماه عن الرشد وكذا قال بعض الشعراء
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة وقوله عليه السلام العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي
والزعيم غارم رواه الترمذي وابو داود وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخاري وقوله عجب
ربك من كذا وهي في عدة روايات عند البخاري وغيره ومعناه كما قاله ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه اعلم
الله انه انما يتعجب الادمي من الشيء اذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه
الاشياء عنده وقيل معنى عجب ربك اي رضي واثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة والاول الوجه وقوله
قتل صبرا رواه غير واحد وقوله وليس المسؤول باعلم من السائل رواه مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك
عن اهلك ادبا رواه احمد اي لا تدع تاديبهم وجمعهم على طاعة الله
المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم من الفساد قاله ابن الاثير وقوله ان
مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم رواه البخاري وذكره ابن دريد وقال انه من الكلام الفرد الوجيز الذي لم يسبق
صلى الله عليه وسلم الى معناه اي كل ما انبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز والمنبت في الحقيقة هو
الله تعالى وليست من للتبعيض وحبطا بفتح الحاء المهملة والموحدة والطاء المهملة ايضا وهو انتفاخ البطن
من كثرة الاكل حتى تنتفخ فتموت ويلم بضم الياء اي يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا المانع
من اخراجها في وجهها وقوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة رواه ومعناه عين ماء
تجري ليلا ونهارا وصاحبها نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله عليه السلام من ابطا به عمله لم يسرع
به نسبه رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحارث ابن ابي اسامة
عن ابي هريرة مرفوعا وفي بعض احاديث الباب انه قيل يا ابا هريرة اين كنت امس قال زرت ناسا من اهلي
فقال يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه
ابو يعلى والبزار من طرق احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن
الخلق وقوله الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي وقوله
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي في سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا
وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة في ارساله ووصله وفي رفعه ووقفه ثم في الصحابي اهو جابر او عائشة او عمر
ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الارسال ومعناه انه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض وطره

الظاهر ان المراد ... هو الفضل ...

المنبت الذي انقطع به في سفره وعطبت راحلته والفعل انبت مطاوع بته من البت القطع

وقد أعطب ظهره والوغول الدخول فكأنه قال ان هذا الدين مع كونه يسيراً سهلاً شديد فابالغوا فيه بالعبادة
لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك ان يمل حتى ينقطع
عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره
فلا هو الذي قطع الارض التي اراد ولا هو ابقى ظهره سالماً ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه السلام من يشاد هذا
الدين يغلبه رواه العسكري عن بريدة وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
مرفوعاً ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وشيء من الدلجة وقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله الاماني رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بان ابن ابي مريم واه
وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجه وقوله عليه السلام تنكح المراة لجمالها ومالها ودينها
وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث ابي هريرة وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره
فصامه وطال ليله فقامه رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصراً والعسكري بتمامه كلهم من حديث دراج عن ابي
الهيثم عن ابي سعيد وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في
ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المؤمن يقدر على صيام نهاره من
غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحس فيه مشقة الصيام وقوله
عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني في الاوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر
عن جابر والقضاعي بدون وكنز لا يفنى عن انس وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن في القنع الا التمتع
بالعز لكفى صاحبه وكان من دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني وانشد بعضهم
ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قانعاً ما عاش مفتقرا وقوله عليه السلام الاقتصاد في
النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم رواه البيهقي في الشعب
والعسكري في الامثال وابن السني والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعاً وضعفه
البيهقي لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن
الخلق نصف الدين وكذا اخرجه الطبراني وابن لال ومن شواهده ايضاً ما للعسكري عن انس رفعه السؤال
نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ في اقتصاد وللديلمي من حديث ابي امامة رفعه السؤال
نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب وله
ايضاً وللعسكري عن علي مرفوعاً التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد اي ما افتقر من انفق
قصداً ولم يجاوز الى الاسراف وقوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس رواه الترمذي وقوله
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعاً وعن ابي
موسى ومسلم عن جابر وقوله قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس وقوله عليه السلام اد الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابي صالح
وللخرائطي من رواية الحسن كلاهما عن ابي هريرة وقال الترمذي حديث حسن غريب واخرجه الدارمي في مسنده والدار
قطني والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال ابو حاتم انه
منكر وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم

عسفه خبطه على غير هدى ق والام عسوف اي جائر ظلوم ق

الدلجة بالضم والفتح السير من اول الليل ق

القنوع السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضد ... ونعوذ بالله من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع ق

من

من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها يقوى الحديث انتهى وقوله الرضاع يغير الطباع رواه ابو الشيخ من حديث
ابن عمر وقوله عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما
والبيهقي في الشعب عن انس وقوله عليه السلام حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة
قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت فقالت جثامة المزنية فقال انت
حسانة كيف انتم كيف كنتم بعدنا قالت بخير يا رسول الله بابي انت وامي فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل
على هذه العجوز هذا الاقبال فقال انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان وقال
انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه
القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر ابي حاتم بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر
مرفوعاً واخرجه ايضاً الخطيب وابو طاهر وفي اسناده احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي والديلمي من
حديث جابر رفعه الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكري من حديث العباس قلت
يا رسول الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه وقوله عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في المدخل عن القاسم قال قال
ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان
واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما
وبمجموعها يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لا فقر اشد من
الجهل ولا مال اعود من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن ماجه وقوله عليه السلام الذنب
لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه السلام ما
جمع شيء الى شيء احسن من حلم الى علم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن
الحسين عن علي به مرفوعاً بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله
حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضاً من حديث
جابر مرفوعاً ما اوى شيء الى شيء احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى الحلم وقوله عليه السلام
التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في مسند ابي يعلى عن عائشة والمراد الزرع وانشدوا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها ... لعلك يوماً ان تجاب فترزقا
وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور رواه البيهقي
في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعاً في حديث واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم
وقوله عليه السلام صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم
تزيد في العمر خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن وقوله عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا
والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة وروى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد
الله عبداً بعفو الا عزاً وما تواضع احد لله الا رفعه الله وروى القضاعي عن ابي سلمة عن ام
سلمة مرفوعاً ما نقص مال من صدقة ولا عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزاً وروى الديلمي من حديث
ابي هريرة مرفوعاً والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله
عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر فتنة الغنى رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وقوله عليه السلام الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل

وقوله النساء حبائل الشيطان رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر مرفوعاً

مالا

وفي بعض الروايات ... وشر فتنة الفقر

الباطل فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها رواه أبو نعيم في الحلية من
حديث شداد وقوله عليه السلام أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره رواه وقوله
عليه السلام إن من كنوز البر كتمان المصائب رواه وقوله عليه السلام اليمين حنث أو ندم رواه
أبو يعلى وابن ماجه إلا أنه قال الحلف وقوله عليه السلام لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك
رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة وقال حسن غريب وهو عند الطبراني أيضا وفي رواية لابن
أبي الدنيا فيرحمه الله بدل فيعافيه الله وقوله عليه السلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة
والهالك من دخل النار رواه وقوله عليه السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له
على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري به والمراد بما بين لحييه اللسان وما يأتي به النطق وبما بين
رجليه الفرج قال الداودي المراد بما بين اللحيين الفم فيتناول الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يتأتى
بالفم وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له
الجنة حفظ وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ولحييه ورجليه أتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ آخر
من تكفل لي تكفلت وللديلمي بسند ضعيف عن أنس من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له
الجنة ولفظ الإحياء وقي يعني البطن من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن وكأنها حكاية ذلك الصوت ويجوز أن
يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه والذكر واللسان فهذا وأشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك أنه صلى
الله عليه وسلم قد رقي من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره
صلى الله عليه وسلم ومما عد من وجوه بلاغته ما ذكر أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الإسلام في
أربعة أحاديث وهي حديث إنما الأعمال بالنية رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه مسلم وحديث
البينة على المدعي واليمين على من أنكر وحديث لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان فالحديث الأول
يشتمل على ربع العبادات والثاني على ربع المعاملات والثالث على ربع الحكومات والخصومات والرابع على ربع
الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات قال ابن المنير ومما عد أيضا من أنواع بلاغته كلامه
عليه السلام مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للألفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من القضب
فانظر إلى دعائه لأهل المدينة وقد سألوه ذلك فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم
ومدهم وفي حديث آخر بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم
إني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه
في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب فقال أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة بأكوار
الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام
من أرض غائلة النطا غليظة الموطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك
الهدي ومات الودي برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام
وشريعة الإسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان
مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة

ثم

ثم كتب معه كتابا إلى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني نهد ابن زيد السلام على من آمن
بالله عز وجل وبرسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب
فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وتحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى التفسير
فالميس شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة هو
سحاب أبيض متراكب متكاثف أي نستدر السحاب ونستخلب بالخاء المعجمة الخبير بالخاء المعجمة أيضا ثم الموحدة النبات
والعشب شبه بخبير الإبل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والخبير يقع على الوبر والزرع
والأكار قاله ابن الأثير ونستعضد البرير أي نقطعه ونجنيه من شجره للأكل وهو بموحدة وراء بينهما مثناة تحتية
ثمر الأراك إذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا يأكلونه في الجدب ونستخيل بالخاء المعجمة
الرهام بكسر الراء وهي الأمطار الضعيفة واحدتها رهمة أي نتخيل الماء في السحاب القليل وقيل الرهمة أشد
وقعا من الديمة ونستجيل بالجيم أي نراه جائلا تذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بالجيم أي السحاب الذي فرغ
ماؤه ومن رواه نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلت إخال إذا ظننت أي لا نتخيل في السحاب حالا إلا المطر
وإن كان جهاما لشدة حاجتنا إليه ومن رواه بالحاء المهملة وهو الأشهر أراد لا ننظر من السحاب في حال إلا إلى
جهام من قلة المطر وأرض غائلة بالغين المعجمة والنطا بكسر النون أي مهلكة للبعد يقال بلد نطي بعيد ويروى
المنطي وهو مفعل منه والمدهن نقرة في الجبل والجعثن بالجيم والمثلثة أصل النبات ويقال أصل الصليان
خاصة وهو نبت معروف والعسلوج بضم العين وبالمهملة آخره جيم هو الغصن إذا يبس وذهبت
طراوته وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج و
الأملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو
نوى المقل وفي رواية وسقط الأملوج من البكارة بالكسر جمع البكر يريد أن السمن الذي قد علا بكارة الإبل
بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماها باسم المرعى إذ كان سببا له وهلك الهدي بفتح الهاء وكسر الدال المهملة
والتشديد كالهدي بالتخفيف وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم لتنحر فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا
تسمية للشيء ببعضه يقال كم هدي بني فلان أي كم إبلهم ومات الودي بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت
الإبل ويبست النخيل وبرئنا إليك من الوثن والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال عن لي الشيء أي اعترض
كأنه قال برئنا إليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وما طما البحر أي ارتفع بأمواجه وتعار بكسر
التاء المثناة الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل ولنا نعم همل أي مهملة لا رعاء لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي
كالضالة والإبل الأغفال لا لبن فيها وقوله عليه السلام في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أي خالص لبنها
ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وأخذ زبده ومذقها بفتح الميم وسكون المعجمة بالقاف أي ممزوج بالماء وابعث
راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة ساكنة ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير وافجر له الثمد
بفتح المثلثة الماء القليل أي صيره كثيرا وودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان إذا
أعطى كل واحد منهم عهده للآخر لا يغزوه وقيل ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام
أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط ووضائع الملك جمع وضيعة وهي الوظيفة التي
تكون على الملك وهي ما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها
عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيئا ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءان الأولى مكسورة والثانية

الإمّاق ظ

الأكار الزراع

بجزومة على النهي اي لا تنبعوا و لا تلحد في الحياة بفتح المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة اخره دال مهملة
اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه القتيبي لا نلطط ولا نلحد على النفي للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة
ورواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا يلطط في الزكاة ولا يلحد في الحياة قال الحافظ ابو
السعادات الجزري وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله و قوله لا تثاقل عن الصلاة اي لا تتخلف و
الوظيفة الحق الواجب و الفريضة اي الهرمة المسنة اي لا ناخذ في الصدقات هذا الصنف كما انا لا ناخذ خيار
المال و الفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة و الفريش بفتح الفاء آخره شين معجمة وهي من الابل كالنفساء من بنات
ادم اي لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه و ذو العنان بكسر العين سير اللجام و الركوب بفتح الراء الفرس الذلول
الضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة اخره مهملة المهر العسر الصعب اي متن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ورديها
و لا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي
اي لا يدخل عليكم احد في مراعيكم و لا يعضد طلحكم اي لا يقطع و لا يحبس دركم اي لا تحبس ذوات الدر عن المرعى الى
ان تجتمع الماشية ثم تعد او نامنعناه ان ياخذها الساعي وذلك عن الاضرار و الاماق بالميم اي ما لم تضمروا الغيظ
والبكاء مما يلزمكم من الصدقة قاله في القاموس و قال الزمخشري المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار
في دين الله وفي رواية الرماق بالراء والميم اي النفاق يقال رامقته رماقا وهو ان ينظر اليه شزرا نظر العداوة
يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق وعيش رمق ومرمق اي يمسك الروح والرمق بقية الروح
واخر النفس و تاكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة اي الا ان تنقضوا العهد و استعار الاكل لنقض العهد لان
البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرى فيشد به خلصت من الرباط و الربوع بكسر الراء وفتحها وضمها
اي الزيادة يعني من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعاء والكتاب
الذي انطبق على لغتهم وجاد ... عليها في الجزالة والبداوة اين هذا من كتابه عليه الصلاة والسلام لانس في الصدقة
واين ذلك من كتابه بين قريش والانصار انهم امة واحدة دون الناس من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم
الاولى ويفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المومنين وان المومنين المتقين ايديهم على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة
ظلم وان سلم المومنين واحد على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط مومنا
قتلا فهو قود الا ان يرضى ولي المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن
كذا في مختصر حديث ابن شهاب و قوله دسيعة ظلم اي عظيمة من الظلم وربعتهم امرهم القديم الذي كانوا عليه
و يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى اي يكونون على ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل
الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها اي مراتبهم وحالاتهم و لا يوتغ اي لا يهلك و يعقب
بعضهم بعضا اي يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف ان تعود ثانية حتى تعقبها غيرها
واين هذا اللين في التنول وقرب الماخذ في اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من
كتابه لذي المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط يا رسول الله
نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة
لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور
بصلع فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف
الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا
الصلاة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة

ولهم

ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيه الصالغ والقارح
قوله نصية من كل حاضر وباد قال ابن الاثير النصية من ينتصي من القوم اي يختار من نواصيهم وهم الرؤس والاشراف
ويقال للرؤساء نواص كما يقال للاتباع اذناب و اتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة
الشابة و النواج السراع و قوله متصلة بحبائل الاسلام اي عهوده واسبابه و خارف بالخاء المعجمة و يام
بالمثناة التحتية قبيلتان و لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل اي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد كما يقال لا
افسد ما بيني وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم في الفساد والسنة الطريقة والسنن ايضا و العنقفير بفتح
العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف الداهية اي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل
لعلع جبل و ما جرى اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير
واليا زائدة و بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها و قوله عليه السلام واهل
جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع وحقاف الرمل اسم بلادهم و فراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة
اي ما علا من الجبال والارض و وهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط
وبه سمي الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور
بها و عزازها بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن وانما يكون في اطرافها و ياكلون علافها
بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تاكله الماشية و عفاها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد اي المباح
و من دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز قال في المجمل نتاج الابل والبانها والانتفاع بها و صرامهم بكسر الصاد المهملة
وتخفيف الراء اي من نخلهم و الثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبالموحدة ما هرم من ذكور الابل وتكسرت اسنانه و الناب
بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها و الفصيل بالمهملة التي انفصل عن امه و الفارض بالفاء المسن من الابل و الداجن
بالمهملة والجيم الداجنة التي تالف البيوت و الكبش الحوري بالحاء المهملة ثم واو مفتوحتين فراء مكسورة الذي في صوفه
حمرة و الصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تمت اسنانها و القارح بالقاف والراء والحاء
المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة انتهى وهذا من جنس كتابه لقطن ابن حارثة العليمي من كلب
هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم مع قطن ابن حارثة العليمي باقام الصلاة
لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية ابن خليفة
الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية
وفي الشوي الوري مسنة حامل او حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفي العثري شطره بقيمة الامين لا
تزاد عليهم وظيفة ولا يفرق شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت ابن قيس ابن شماس و تفسير غريبه ان قوله
ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمز آخره هاء اي عطفه عليه و عليهم في الهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بانفسها ولا
تستعمل فعولة بمعنى مفعولة و البساط التي معها اولادها والظؤار ان تعطف الناقة على غير ولدها
والحمولة المائرة لهم لاغية يعني الابل التي يحمل عليها الميرة وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يوخذ منها زكاة لانها
عوامل و في الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاه و الوري السمينة
ومن هذا النمط كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل ابن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة
والاروع المشابيب وذكر الفرائض فقال في التيعة شاة مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في
الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال و فسر الاقيال وهو بالقاف والمثناة

من بحث بالرؤساء الذين دون الملوك و العباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون
والأرواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيآت الحسان الوجوه و المشابيب
بفتح الميم والشين المعجمة وبائين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤوس الحسان الوجوه و في التيعة بكسر المثناة الفوقية
وسكون التحتية وبالعين المهملة اربعون من الغنم وفي القاموس والنهاية أدنى ما تجب فيه الصدقة من
الحيوان و لا مقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو و لا الياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخره طاء مهملة أي
مسترخية الجلود لكونها هزيلة و لا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهي المكتنزة اللحم و أنطوا بقطع الهمزة
أي أعطوا و الثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار
المال ولا من رذالته و في السيوب بضم المهملة وآخره موحدة أي الركاز قاله الهروي وقيل المال المدفون
في الجاهلية أو المعدن و من زنا مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لأن أصله من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما
وهي ساكنة فأدغمت النون فيها والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الأثير أي من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة
ميما أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميما في النطق نحو عنبر وشنباء وأما مع غير الباء فإنها
لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى و فاصقعوه بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة وفتح القاف
وضم العين المهملة أي اضربوه و استوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة أي غربوه وانفوه و
فضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم و بالأضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة أي أدموه بالضرب بجماهير الحجارة
و لا توصيم بصاد مهملة مكسورة أي لا كسل عن إقامة الحدود و لا غمة بضم المعجمة وتشديد الميم أي لا يستر ولا يخفى و
ترفل بتشديد الفاء المفتوحة يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله و قريب
من هذا كتابه لأكيدر وأهل دومة كما قدمته في مكاتباته عليه السلام و قال عليه السلام في حديث عطية
السعدي فإن اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا
و قد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بلغته على اختلاف لغة
العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها . وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي
وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية لأنه بعث إلى الكافة طرا وإلى الخليقة سودا
وحمرا ولا الكلام باللسان يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته إلا قاصرا في الترجمة نازلا عن صاحب
الأصالة في تلك اللغة إلا نبينا وسيدنا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فإنه زاده الله تكريما وشرفا تكلم في كل لغة
من لغة العرب أفصح وأنصع بلغاتها منها بلغة شينها و جدير به ذلك فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة درجة
على الناس مع اختلاف الأصناف والأجناس مما لا ينضبط بقياس ولا يدخل في حقيقته إلباس انتهى وأما صوته الشريف
فعن أنس قال ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه
حسن الصوت رواه ابن عساكر و روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب و روي أنه كان إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه
و قد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع
العواتق في خدورهن رواه البيهقي و قالت عائشة رضي الله عنها جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال
للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه رواه أبو نعيم و قال عبد الرحمن بن معاذ التيمي
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا وفي لفظ ففتح الله أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في
منازلنا رواه ابن سعد و عن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا
على عريشي رواه ابن ماجه وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا

الشنب محركة رقة وبرد وعذوبة في الأسنان ... وهي شنباء عن سيبويه ق

قط

قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم أي ما رأيته مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته
على الضحك و اللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم و هذا لا ينافي ما في حديث أبي هريرة
في قصة المواقع أهله في رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري وهي بالجيم والذال
المعجمة الأضراس ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك لأن عائشة إنما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر بما شاهده والمثبت
مقدم على النافي و قد قال أهل اللغة التبسم مبادي الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور
فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة وإلا فالضحك وإن كان بلا صوت فهو التبسم وقال ابن
أبي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد و قال [illegible]
الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم
وربما زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار قال
ابن بطال والذي ينبغي أن يقتدى من أفعاله ما واظب عليه من ذلك و قد روى البخاري في الأدب المفرد وابن
ماجه عن أبي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب وقال أبو هريرة وإذا ضحك تلألأ في الجدر رواه
البزار والبيهقي أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط أي يشرق نوره عليها إشراقا كإشراق الشمس
وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان إذا خطب وذكر الساعة
اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم وكان بكاؤه عليه السلام من جنس ضحكه
لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت
وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي و قد
حفظه الله تعالى من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم ما تثاءب النبي
قط لكن في رواية عند ابن أبي شيبة ما تثاءب نبي قط وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد
بأنه كان شثن الكفين أي غليظ أصابعهما و بأنه عبل الذراعين رحب الكفين و قد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر
بن سمرة قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار رواه مسلم و في حديث وائل بن حجر عند الطبراني
والبيهقي لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب
رائحة من المسك وقال يزيد بن الأسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب
ريحا من المسك رواه البيهقي و عن المستورد بن شداد عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده
فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج رواه الطبراني و دخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص بمكة يعوده وقد
اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل إلي أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة
رواه مسلم و في البخاري من حديث أنس ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو من باب عطف العام على الخاص لأن الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث
يخالف ما وقع في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم قال فيه كما تقدم كان شثن الكفين
والقدمين أي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما وكذا وصف
عائشة له عند ابن أبي خيثمة والجمع بينهما أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته
وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير أنها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس قال
وأما قول الأصمعي الشثن غلظ الكف مع خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذي فسر به الخليل أولى قال
وعلى تسليم ما فسر به الأصمعي الشثن يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كف النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا عمل بكفه في الجهاد

من ذلك خ

او في مهنة اهله صار كفه خشنا للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة وقال القاضي عياض فسر ابو عبيد الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بانه ثبت في وصفه عليه السلام انه كان سائل الاطراف انتهى ويؤيد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها باللين والتحقيق في الشثن انه الغلظ من غير قيد قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه قد ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم انه لين الكف فآلى على نفسه ان لا يفسر شيئا في الحديث انتهى وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار ردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط الين من جلده صلى الله عليه وسلم واصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له وكان اثر يده ... ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكنون قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته مع اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان القرب وحسبك من تواضعه عليه السلام ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع فلم يأكل متكئا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام انه كان لا ينهر خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده واماؤه ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا التأييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رأيت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسئلت عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه رواه وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه الا قال لبيك رواه وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم اركب فأبيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت ... بيده عليه السلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر واخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن ابيه عن جده بشر بن معوية بن ثور انه قدم مع ابيه معوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه مسحة النبي صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيئا الا برأه ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مدلوك ابي سفيان فكان ما مر يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه والبيهقي وكذا وقع له عليه السلام في رأس السائب رواه البغوي والبيهقي وابن منده واخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه السلام بيده على رأسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات ومسح عليه السلام رأس حنظلة بن حذيم بيده وقال له بورك فيك فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد والبخاري في التاريخ وابو يعلى وغيرهم وقد جاء في عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه فعن انس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض ابطيه وقال الطبري من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون غيره ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه لكن تبع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر وقد قال عبد الله بن اقرم الخزاعي وقد صلى معه صلى الله عليه وسلم كنت انظر الى عفرة ابطيه حسنه الترمذي والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وغيره ويأتي مزيد لذلك في الخصائص ان شاء الله تعالى وعن رجل من بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك رواه البزار ووصفه علي فقال ذو مسربة ونشر يحيط الشعر بين الصدر والسرة وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي طويل المسربة وعند البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره ووصفت بطنه ام هانئ فقالت ما رأيت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض رواه الطيالسي والطبراني وقال ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان المشاش هي رؤوس العظام كالركبتين والمنكبين ومفاض اي واسع البطن وقيل مستوي البطن مع الصدر واخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وكان صلى الله عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين رواه البخاري اي عريض الصدر ووقع عند ابن سعد من حديث ابي هريرة رحب الصدر واما قلبه الشريف فاعلم ان القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدي وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر وما سمي الانسان الا لانسه وما القلب الا انه يتقلب وقال الزمخشري مشتق من القلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه الا ترى الى ما روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد وسط القلب سمي به لتفؤده اي توقده وفسر الجوهري القلب بالفؤاد وفسر الفؤاد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب

والقلب جنة وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وهو اولى من قول
بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيثما ذكر
الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الله الصدر فاشارة
الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلماء وقد خلق الله تعالى للانسان وجعل له
قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا صلح قلبه صلح سائره واذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب
محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فاول قلب اودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو اولهم وآخرهم وقد جعل الله تعالى اخلاق
القلوب للنفوس اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله وكذلك جعل الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فيكون علاماتها حقيقتها اختصاصه بثبته ايات دالة على احوال نفسه
الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم اوسع قلب
اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان هو اولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني
قلب عبدي المؤمن ولما كان كالم قبل الاسرا بمنزلة سائر المؤمنين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه
وزره ورفع له ذكره وقد صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فاعاده في مكانه قال انس فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما
خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها اتماما ثم نزعها امرا طارئا بعد ذلك قاله السبكي
وعند احمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما ايتني بماء ثلج فغسلا به
جوفي ثم قال ايتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ايتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه
وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي ان ملكين جاءا في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح
احدهما صدري ومج الاخر بمنقاره فيه وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة قال
اني لفي صحراء امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق
صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج
شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرأفة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه
فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير رواه عبد الله بن
الامام احمد في زوائد المسند وابو نعيم وقال تفرد به معاذ عن ابيه وتفرد بذكر السن وعند ابي نعيم في
حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليها ذرورا ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع
فيه عيناه بصيرتان واذنان سميعتان وانت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك
مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم وهذا الشق روي انه وقع له عليه السلام مرات منها في حال طفوليته ارهاصا
وتقدم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص ومثل هذا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير وبه يجاب عن
استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم على النبوة قاله الرازي والذي
عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي كما ينبه عليه في اوائل الكتاب ويأتي تحقيقه ان شاء الله
تعالى في المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة
والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها منها انه لما بعث الى الاحمر والاسود من جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع

الهموم

الهموم وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر
مشتغل باداء ما كلف فان قلت لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة
الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح لا جرم خص
ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده
الشيطان يجيء الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء
حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية وههنا دقيقة قال الله تعالى حكاية
عن موسى رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك اعطي بلا سؤال ثم انه تعالى
نعته عليه السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير قابلا للنور والسراج
المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال الدقاق كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح
لي صدري ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم واما جماعه
صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
الراوي قلت لانس وكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري وعند الاسمعيلي
عن معاذ قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة وعن انس مرفوعا يعطى المؤمن
في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول الله او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذي
صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا اربعين في مائة بلغت
اربعة آلاف وذكر ابن العربي انه صلى الله عليه وسلم كان له القوة الظاهرة على الخلق في الوطء وكان له في الاكل
القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتبارية وطاف على نسائه التسع ليلة رواه ابن سعد وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع وروي انه عليه السلام
اعطي قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحرث ابن ابي اسامة وقد حفظه الله من الاحتلام فعن ابن
عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام من الشيطان رواه الطبراني واما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم
فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما رواه الترمذي وغيره وعن ميمونة بنت كردم
قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على سائر اصابعه رواه احمد والطبراني
وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقي وقد اشتهر على
الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما
ذلك في اصابع رجليه انتهى قال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلفهم في ذلك الكمال الدميري وهو خطأ
نشأ عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كذا رواه ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم
انها سمعت ميمونة ابنة كردم تخبر انها رات اصابع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فقصرت ما وقع فيها من
الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وحينئذ منه صلى الله عليه وسلم لذلك بناء على ان القصد
ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند الامام احمد من حديث يزيد بن هرون
المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وهو عند
البيهقي ايضا في الدلائل من طريق يزيد ولفظها رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة
وانا مع ابي فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع

قدميه السبابة على سائر اصابعه وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص
رواه البيهقي وعن ابي امامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها رواه ابن عساكر وقال
ابن ابي هاله خمصان الاخمصين مسيح القدمين قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالارض منها عند
الوطئ والخمصان المبالغ منه اي ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض وسئل ابن الاعرابي عنه فقال
اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا استوى او ارتفع جدا فهو
ذم فيكون معناه ان اخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص
وقوله مسيح القدمين اي ملسا وان لينتنا ليس فيهما تكسر ولا شقاق فاذا اصابهما الماء نبا عنهما كما قال ابن ابي هالة ينبو
عنهما الماء وهو معنى حديث ابي هريرة وعن عبد الله بن بريدة كان صلى الله عليه وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد.
واما طوله صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول اقرب رواه البيهقي
وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد و
عن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول اقرب رواه البزار وقوله ربعة اي مربوعا
والتانيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الاتي بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن
المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن ابي هالة اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بمعجمتين
مفتوحتين ثانيتهما مشدد اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث لم يكن بالطويل الممغط وهو
بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته واصله منمغط والنون
للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عايشه قالت لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد
من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصايص انه كان اذا جلس يكون
كتفه اعلى من جميع الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا
واما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي رواية قال كان رجلا ليس بالسبط
ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه وفي اخرى الى انصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن
عايشه قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة
رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذن وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر
وهو بفتح الرا وكسر الجيم اي يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة
اذنيه اذا هو وفره والعقيقة بالقافين شعر راسه الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد وهو الشعر المعقوص وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان اهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان
يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه. رواه الترمذي في الشمايل
وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله على الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق
فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلما والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق
والسدل لكن الفرق افضل وعن عايشه كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي

وفي

وفي حديث انس كان الى اذنيه وفي حديث البراء يضرب منكبيه وفي حديث ابي رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه وفي رواية
ما رايت من ذي لمة احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين واللمة التي المت
بين المنكبين قال القاضي عياض والجمع بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه
هو الذي يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها
كانت الى انصاف الاذنين وكانت تطول وتقصر بحسب ذلك وعن ام هاني بنت ابي طالب قالت قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله اربعة غداير رواه الترمذي في الشمايل والغداير بالغين المعجمة والدال
المهملة هي الذوايب واحدتها غديرة وفي مسلم عن انس كان في لحيته عليه السلام شعرات بيض وفي رواية عنده
لم ير من الشيب الا قليلا وفي اخرى له ايضا لو شئت ان اعد شمطات كن في راسه ولم يخضب وعنده ايضا لم
يخضب عليه السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم النون وفتح البا الموحدة وبفتح
النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي رواية اخرى ما شانه الله ببيضا قال الشيخ عبد الجليل في
شعب الايمان فيما حكاه عنه القسطلاني انما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم
شيا كفر وقال في النهاية قد تكرر في الحديث جعل الشيب هاهنا عيبا وليس بعيب فانه قد جاء في الحديث انه وقار
وانه نور والشيب ممدوح وذكر عجيب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه
السلام لما راى ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من
عادته قال ما شانه الله ببيضا بناء على هذا القول وحملا له على هذا الراي ولم يسمع الحديث الاخر ولعل احدهما ناسخ
للاخر انتهى وفي رواية ابي جحيفة عنده رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضاء ووضع الراوي
بعض اصابعه على عنفقته وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب ما كان في راسه ولحيته الا سبع عشرة
بيضاء وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري وفي الصحيحين ان ابن عمر راى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة
وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضا رواه الترمذي وروي ايضا عن ابن عباس
قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
وفي حديث جابر عنده لم يكن في راسه عليه السلام شيب الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن واراهن الدهن
وفي رواية البيهقي اسود اللحية حسن الثغر واختلف العلما هل خضب عليه السلام ام لا فانكر القاضي عياض منعه الاكثرون
وهو مذهب مالك وقال النووي المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق
قال وهذا التاويل كالمتعين لحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويل له واما اختلاف الرواية في قدر
شيبه فالجمع بينهما انه راى شيئا يسيرا فمن اثبت شيبة اخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه اراد انه لم يكثر فيه كما قال
في الرواية الاخرى لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم راسه
ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين واذا شعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي وعن انس
كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته رواه البغوي في شرح السنة وقد وصفه عليه السلام
ابن ابي هاله بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسياتي ان شاء الله تعالى قصة حلق راسه الشريف
في حجة الوداع ولم يرو انه صلى الله عليه وسلم حلق راسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته فتبقية الشعر
في الراس سنة ومنكرها يجب تاديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وقد رايت بمكة المشرفة في ذي القعدة

سنة سبع وتسعين وثمان مائة شعرة عند الشيخ ابي حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم
ومن بعدها صحبة المقام القرشي خليل العباسي والى الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا
من شعر النبي صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس قال لان يكون عندي شعرة منه احب الي
من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من لحيته
من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي وقال حديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده ايضا من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم ياخذ شاربه
فليس منا وفي الصحيحين حديث خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب واختلف في قص الشارب وحلقه
ايهما افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفى الشارب
ويعفى اللحا وليس احفاء الشارب حلقه وارى تاديب من حلق شاربه وعن اشهب ان حلقه بدعة قال
وارى ان يوجع ضربا من فعله وقال النووي المختار في قص الشارب انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا
يحفه من اصله وقال الطحاوي لم يجدوا عن الشافعي شيئا منصوصا في هذا وكان المزني والربيع يحفان
شاربهما واما ابو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في شعر الراس والشارب ان الاحفاء افضل من التقصير
واما احمد فقال الاثرم رايته يحفي شاربه شديدا وقد اختلفوا في كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه
ايضا وهما المسميان بالسبالين ام تترك السبالان كما يفعله كثير من الناس قال الغزالي في الاحيا ولا باس
بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه
غمر الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفي السبال الا في حج او عمرة
وكره بعضهم ابقاه لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا اولى بالصواب
لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم
يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز سباله كما يجز الشاة او البعير وروى احمد في مسنده
في اثناء حديث لابي امامة فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم
فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثا المثلثة
وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة ففي حديث انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجة والبيهقي ورجاله
ثقات ولكن اعل بالارسال واحمد صححه من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدا بعانته فطلاها
بالنورة وسائر جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع
باتفاق اهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته عليه
السلام واخرج البيهقي من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان ياخذ من
اظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي ايضا
في الشعب وسيل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال الحافظ
ابو الفضل ابن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب قص
الظفر يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شي ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم وما
يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة
ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع من الظفر لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الى حد يمنع من

وصول

وصول الماء الى ما يجب غسله في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح
وقطع الغزالي في الاحياء بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا
يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل
منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه رواه ابن ماجه والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل
ان ينام وكان يكتحل في كل عين بثلاثة اميال وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي فقال سالت عائشة
اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر واما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن
علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب رواه البيهقي والترمذي وصححه البيهقي
والتكفو الميل الى سنن المشي وعند البزار من حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه وطي بكلها وعند الترمذي في الشمايل
من حديثه وما رايت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراءه
فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى انه كان اذا مشى مشى مجتمعا اي قوي الاعضا غير مسترخ في المشي وقال علي رضي
الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا
مشى كانما ينحط من صبب وفي رواية اذا زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل اي كان يزول قالعا
لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح وقال الهروي قرات هذا الحرف في كتاب غريب الحديث
لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قراته بخط الازهري وهو كما جاء في حديث اخر كانما ينحط من صبب
والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال
استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشية اي واسع الخطو قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع
من الارض بجملته كحال المنحط من الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء
فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج وهي مشية
مذمومة وهي علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد ان المشاة
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف الذي
لا يزعج الماشي واما مشيه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري
للملايكة وهو معنى قول القايل وكان يسوق اصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة ومشى عليه السلام في بعض غزواته
مرة فجرحت اصبعه وسال منها الدم فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت رواه ابو داود
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله
عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعايه
واجعلني نورا واما لونه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه السلام جمهور اصحابه بالبياض منهم
ابو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي
وابن مسعود والبراء وعايشة وانس في احدى الروايتين عنه فاما لفظ ابي جحيفة فقال كان ابيض رواه
البخاري واما ابو الطفيل فقال كان ابيض مليحا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية مسلم ابيض مليح الوجه وفي
رواية الطبراني ما انسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر ابي طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل وقال علي رضي الله عنه ابيض مشرب
والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية الاخرى ابيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول انس في صحيح

مسلم ازهر اللون. وفي النسائي من حديث ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والامغر المشرب حمرة والمرتفق المتكي على مرفقه وفي البخاري من حديث انس ليس بابيض امهق قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداودي تبعا لرواية المروزي امهق ليس بابيض وفي رواية عند ابي حاتم وعنه اسمر واستشكله بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات متدافع وبعضها ممكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بالحمرة والازهر وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض على الداودي رواية امهق ليس بابيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي عياض انها وهم قال وكذلك رواية من روى انه ليس بالابيض ولا الآدم وليس بصواب قال الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالادم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك اسمر ولهذا جاء في حديث انس عند احمد والبزار وابن منده باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمر واخرجه البيهقي في الدلايل من وجه اخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم ابيض بياضه الى السمرة. وفي حديث ابن عباس في صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض اخرجه احمد. وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة والمنفي ما لا يخالطه وهو الذي تكرهه العرب لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية المروزي امهق ليس بابيض مقلوبة على انه يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد نقل عن روبة ان المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث ابي جحيفة اطلاق كونه كان ابيض. وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي. وفي حديث سراقة عند ابن اسحاق فجعلت انظر الى ساقه كانها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة. وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوي ويجمع بينها بما تقدم وقال البيهقي فيقال ان المشرب منه حمرة والى السمرة ما ضحى للشمس والريح اي كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره ابن ابي خيثمة عقب حديث عايشة في صفته صلى الله عليه وسلم بابسط من هذا وزاد ولونه الذي لا يشك فيه الابيض الازهر انتهى والله اعلم. وقد تعقب بعضهم قول من قال وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه بان انسا لا يخفى عليه امره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه ولم يكن عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه في وقت غيرته الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة في رواية انس على الحمرة التي تخالط البياض كما قدمته تنبيه في الشفا حكاية عن احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى وهذا يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص وذكر كما في مسلتنا هذه فان الاسود لون مفضول واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فقد كانت الرايحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الامام احمد. وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رايحة النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة بن فرقد السلمي قالت كنا عند عتبة اربع نسوة فما منا امراة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا

اطيب

اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد في الطيب ولانت اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال اخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يوميذ رواه الطبراني في معجمه الصغير وروى ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شي فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين. وقال جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرفه وعرقه ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له. رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم ولله در القايل. فلو ان ركبا يمموك لقادهم. نسيمك حتى يستدل به الركب. وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رايحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق. رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح. وما احسن قول القايل. لها سحرا من حبه نسماته. تنفسه في الوقت انفاس عصره. فمن طيبه طابت له طرقاته. تروح له الارواح حيث تنسمت. وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللولو اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم وفي رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها وليست فيه قالت فجاء يوما فنام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبي نايم في بيتك على فراشك قالت فجاء وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين يا ام سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المراة ما يعز عليها من متاعها واما ما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق فقال شيخنا في الاحاديث المشتهرة قال النووي في لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو في مسند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني حدثنا الحسن ابن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا هشام ابن عمار عن الزهري عن انس به مرفوعا ثم قال ابو مسعود حدث ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي وبكي تفرد به انتهى وزاد وله طريق اخرى رواه ابو الحسين ابن فارس اللغوي في الريحان والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع. ابو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا ابي عن جعفر ابن سليمان عن مالك ابن دينار عن انس يرفعه لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رايحتي فليشم الورد الاحمر ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير ما كرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب ام لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها رواه وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها واوا سليلة مستديرة مغشاة. وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للاخباريين ومن الف في الشمايل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان

اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغايطه وفاحت لذلك رايحة طيبة قال غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي كما هو في بعض نسخ الشفا قالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشي اصل ابن جبير بل من حواشي غيره عن عايشه رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيا من الاذى فقال يا عايشه او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شي انتهى وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضاء الحاجة تاملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ار له اثر غايط ولا بول ورايت في ذلك الموضع ثلاثة احجار فاخذتهن فوجدت لهن رايحة طيبة وعطرا قلت وقد سيل الحافظ عبد الغني المقدسي هل روي انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه تبتلعه الارض فقال قد روي ذلك من وجه غريب والظاهر يويده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير واحد وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقي واما الحديث الذي اخرجه ابو الحسين ابن بشران اخبرنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسمعيل الصايغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغايط دخلت في اثره فلا ارى شيا الا اني كنت اشم رايحة الطيب فذكرت ذلك له فقال يا عايشه اما علمت ان اجسادنا نبتت على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين ابن لا ينبغي ذكره في الاحاديث الصحيحة والمشهور في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروي انه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحايط فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا احتسى دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحايط قال اين غيبته قلت يا رسول الله نفست على دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو ابن السايب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى نقاه ولاح ابيض فقيل مجه فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث عامر ابن عبد الله ابن الزبير عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته فاتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته فقال ويل لك من الناس وويل للناس منك وعند الدارقطني من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار واخرج الحسن ابن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي مالك النخعي عن الاسود ابن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا يتجعن بطنك ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شي فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جات معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وروى ابو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية انهما قصتان وقعتا لامراتين وقد وضح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي ذهب اليه شيخ الاسلام البلقيني وفي هذه الاحاديث

دلالة

دلالة في طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين ان ابا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث ابي طيبة وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطني وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا قال القاضي حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العيني وابو طيبة بفتح الطا المهملة وسكون اليا المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها وهو ابن مسعود الانصاري وقال شيخ الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الايمة ذلك من خصايصه انتهى قال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم واما سيرته عليه الصلاة والسلام في البراز ففي حديث عايشه عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما منذ انزل عليه القران وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسايي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقال انظروا اليه يبول كما تبول المراة وحكى ابن ماجة عن بعض مشايخه انه قال كان من شان العرب البول قايما ويويده ما في حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قايما ثم دعا بما فتوضا رواه البخاري وفي رواية عنه بال قايما ففحج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة بضم المهملة وبعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البايل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه اضرار او نقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار وهو صريح في رواية ابي عوانة في صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح او غيره او لكونه مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز له التصرف في مال امته دون غيره لانه اولى بالمومنين من انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر واما مخالفته صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضا الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن روية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو في البول اخف من الغايط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر وروى الطبراني من حديث عصمة ابن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني فذكر الحديث فظهر منه الحكمة في ادنا حذيفة في تلك الحالة وقيل انما بال قايما لانها يومن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويويده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال البول قايما احصن للدبر وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما لجرح كان بمابضه والمابض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني والبيهقي والاظهر انه فعل ذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عايشه المتقدم والصواب انه غير منسوخ والجواب عن حديث عايشه انه مستند الى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت واما غير البيوت فلم تطلع هي عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة

وهو جائز في غير كراهة اذا اتى الرشاش كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخاري من حديث انس والخبث بضم المعجمة والموحدة ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه السلام يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبيل الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقوله في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذي وابو داود والدارمي وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري من حديث ابي ايوب الانصاري وهذا في الصحراء واما في البنيان فلما روي عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا اذا اهرقنا الماء قال ثم رايته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال في فتح الباري الحق انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على انه راه في بناء او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي واسحاق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي حنيفة واحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم يصححوا حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فليرجع الى اصل الاباحة وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اجيء انا وغلام معنا اداوة من ماء يعني يستنجي به وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تأتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعتها الى جنبه فلما قضى حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فامرني ان اتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجده فاخذت روثة فاتيته بها فاخذ الحجرين والقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنج احدكم باقل من ثلاثة احجار وقد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث بهذا فاشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة مع مراعاة الانقاء اذا لم يحصل بها فيزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في ابي داود حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الانقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد فان العدد مطلوب وقال الطحاوي لو كان العدد مشترطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان فيه فالقى الروثة وقال انها ركس ايتني بحجر ورجاله ثقات اثبات واستدلال الطحاوي فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث لان المقصود بالثلاثة ان يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح الباري

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية

اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام وسكونها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح

بالهيئات

بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم ~~ارزاقكم الحديث رواه~~ بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مشتمل على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية مالك في الموطأ بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال بعض العارفين وقد علم ان القرآن فيه المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به اي اقررناه في نصابه واقررناه من خلف حجابه وتقلدنا سيف الحجة به ولكن في قرانه

وما كونه مما تحصل معلمة ولا حدة مما يحصل الا تامل

وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى فكما ان معاني القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ في كل حالة من احواله تتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته قال الحرالي وهو كما في القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر واسمه علي بن احمد بن

الحسن ذو التصانيف المشهورة * ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربي عرفت
كل شي كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها
على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكان الربوبية تعم العالمين فالخلق
المحمدي يشمل جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل الى الملايكة ايضا وسياتي
الكلام في ذلك مستوفى ان شا الله تعالى وهو المستعان * وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق
الكريمة في اصل خلقته الزكية النقيه لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهي * ولهذا لم يزل تشرق انوار
المعارف في قلبه حتى وصل الى الغاية العليا * والمقام الاسنى * واصل هذه الخصال الحميده والمواهب المجيدة كمال
العقل لان به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل * فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة * والبصيرة للروح بمثابة
القلب والعقل بمثابة اللسان * قال بعضهم لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر * واما
ما روي ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اشرف فادبر
منك فبك آخذ وبك اعطي فقال شيخنا قال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى * وفي
زوايد عبد الله ابن الامام احمد على الزهد لابيه عن علي بن مسلم عن سيار ابن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد
وكان جماعا للرقايق * وقال القواريري انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك
ابن دينار عن الحسن البصري مرسلا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت خلقا
احب الي منك بك آخذ وبك اعطي واخرجه داود ابن المحبر في كتاب العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر
والوارد في اول ما خلق الله حديث اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث العقل * ولابي الشيخ عن قرة بن اياس
المزني رفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم * وقد اختلف في ماهية العقل اختلافا
طويلا بطول استقصاوه * وفي القاموس ومن خط مؤلفه نقلت العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها
ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن او
تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلامه * والحق انه روحاني به
تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ
انتهى * وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه * ولهذا كانت معارفه
عظيمة وخصايصه جسيمة حارت العقول في بعض ما افاضه من غيبه لديه * وكلت الافكار في معرفة بعض ما
اطلعه الله عليه * وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلأ قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من اسرار
الالهية * ومعرفة ربوبيته * وتحقق عبوديته * قال وهب ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في
جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رملة من بين جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا
رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر * وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف الكل والعقل مائة
جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في ساير المؤمنين * ومن تامل حسن تدبيره للعرب
الذين هم كالوحش الشارد * والطبع المتنافر المتباعد * وكيف ساسهم واحتمل جفاهم * وصبر على اذاهم الى
ان انقادوا اليه * واجتمعوا عليه * وقاتلوا دونه اهليهم واباهم وابناهم * واختاروه على انفسهم وهجروا في
رضاه اوطانهم واحباهم * من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين * تحقق انه اعقل
العالمين * ولما كان عقله عليه السلام اوسع العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن
شي

شي فمن ذلك اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة * وصبره عليه السلام على ما يكره * وحسبك صبره وعفوه
عليه السلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له في اشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون *
قال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعا لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب
ولو اجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله * وقد روي عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الايه ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
وهنا دقيقة وهي انه عليه السلام لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم
الخندق قال اللهم املا بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه
دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه * واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل
الله تعالى النفس على التاثر بما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور في القسمة لكنه
عليه السلام حلم على القايل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يأجرهم بغير حساب وصبره عليه السلام
على الاذى انما كان فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له
تعالى يا ايها [illegible] جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب
مختلفة مرجعها [illegible] الى ذلك كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره انما كان فيما يتعلق
بنفسه الشريفة [illegible] الله عليه وسلم * وقد روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة
والنون المفتوحة [illegible] به عبد الغني وذكره الدارقطني بالمثناة التحتية ثبت في الشفا وصحح عليه مولفه بخطه وهو الذي
ذكره ابن اسحا[illegible] كما قاله النووي اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شي الا وقد [illegible]
الطبراني وابو [illegible] الحاكم والبيهقي عن زيد نظرت اليه الا اثنتين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
عليه الا حلما فكنت [illegible] تلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل
بيومين او ثلاثة [illegible] فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله
انكم يا بني عبد [illegible] مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر
فوته لضربت [illegible] راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج
الى غير هذا [illegible] مر ان تامرني بحسن الادا وتامره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما رعته * [illegible] قلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين
لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا * وعن ابي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد
ادركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني
من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني
من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه
هذين على بعير تمرا وعلى الاخر شعيرا * رواه ابو داود * ورواه البخاري من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت

فيه حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء وفي هذا
بيان حلمه عليه السلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفا من يريد تالفه على الاسلام وعن عايشه لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي اي لم يكن له الفحش خلقا
ولا مكتسبا وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وفي روايته ايضا من حديث
انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل في القول
والفعل والصفة لكن استعماله في القول اكثر والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عايشه ان
رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال بيس اخو العشيرة وبيس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى
الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عايشه يا رسول الله حين رايت الرجل قلت له كذا وكذا
ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم
القيمة من تركه الناس اتقاء شره رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر
الفزاري وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق ابي عامر
الخزاعي عن عايشة قالت جاء مخرمة ابن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بيس اخو العشيرة الحديث
والمراد بالعشيرة الجماعة والقبيلة وانما تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جمع
هذا الحديث كما قاله الخطابي علما وادبا وليس قوله عليه السلام في امته بالامور التي يسميهم بها ويضيفها اليهم من المكروه
غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم
فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم
يجبه بالمكروه ولتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال
القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق او الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك الى المداهنة
في دين الله ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين
او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من
دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فعله فان قوله فيه قول حق وفعله
معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقرير الاشكال ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ اسلم فلم
يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك لئلا يغتر به من لم
يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه
به عليه السلام من علامات النبوة واما الانة القول بعد ان دخل فعلى سبيل الايتلاف وفي فتح الباري ان عيينه
ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر رضي الله عنه انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه
رواه البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة ابن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما
ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله وما انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات
الله وقيل اراد بانه لا ينتقم اذا اوذي في غير السبب الذي يخرج الى الكفر كما عفا عن الاعرابي الذي جفا في رفع صوته
عليه وعن الاخر الذي جبذ بردائه حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال واما
العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيا قط الا ان يضرب في سبيل الله ولا سيل شيا قط
فمنعه الا ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي الا ان ينتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روي

من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه لطوايف المنافقين الذين كانوا يؤذونه اذا غاب ويتملقون
له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها الربانية وكان عليه السلام كلما اذن له في التشديد عليهم
فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى انزل الله عليه استغفر لهم او لا تستغفر
لهم فقال عليه السلام خيرني ربي فاخترت ان استغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وامره كذا الذي تولى كبره النفاق والاذى منهم بتر ابيه ولما مات
كفنه في ثوب خلقه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول يا رسول
الله اتصلي على راس المنافقين فنتر ثوبه عن عمر وقال اليك عني يا عمر فخالف قوما ولينا في حقهم فوقع
وكل ذلك رحمة منه لامته وقال النووي قيل انما اعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه
كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس
العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد
علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال
الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك انه عليه السلام لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفا
عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من الرواية والله تعالى يرحم القايل
وما الفضل الا خاتم انت فصه وعفوك نقش الفص فاختم به عذري ومن ذلك اشفاقه صلى
الله عليه وسلم على اهل الكباير من امته وامره اياهم بالستر فقال من بلي بهذه القاذورات بشي من المحرمات
فليستتر وامر امته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه ولا يعنفوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا
اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنه مرة فقال لا تلعنوه فانه
يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب
ثم يتوضا بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته مع ذويه
اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة
في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو اثارها وسكون
وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطانه القرب وحسبك من تواضعه عليه
السلام ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكيا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام انه كان لا ينتهر
خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال
لي لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده واماييه ما ضرب منهم احدا
قط وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا امراة ولا خادما
الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شي قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شي من محارم الله فينتقم لله رواه
مسلم وسيلت عايشه كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا
وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه رواه

ما دعاه احد من اصحابه الا قال لبيك رواه ... وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت المراة فقال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمراة صفية والرديف والردف الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه قطيفة فدكية واردف اسامة وراءه ولما قدم عليه السلام مكة استقبلته اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وقال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخاري وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه فقال يا ابا هريرة احملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر ابو هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه السلام كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر يا رسول الله علي سلخها وقال آخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ولم ار هذا الخبر للطبري بعد التتبع نعم رايت في جزء تمثال النعل الشريف لابي اليمن ابن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف فانقطعت شسعه فقلت يا رسول الله ناولنيها اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يوثر اذا اعطى والاثرة الاستيثار وهو الانفراد بالشيء قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح نعله فيحوز فضيلة الخدمة فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه على من يصحبه ويويده ما روي انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه في شيء فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت انكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه صلى الله عليه وسلم انتهى ثم رايت شيخنا في الاحاديث المشتهرة حكى ذلك والله الموفق وعن ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم ذكره في الشفاء وفي البخاري عن انس كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير وان اهلي امروني ان آتي النبي صلى الله عليه وسلم فاساله الذي كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه السلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب في عنقي تقول كلا والذي لا اله الا هو لا يعطيكهم وقد اعطانيها او كما قالت

والنبي

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثاله او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة قلبها في استرداد ذلك فلاطفها ولا زال يزيدها في العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم واكرام لها لما لها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله عليه وسلم وجاءته صلى الله عليه وسلم امراة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك وفي رواية مسلم حتى اقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان هذا كله من تواضعه صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وقال ابن ابي اوفى كان عليه السلام لا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة رواه النسائي وفي رواية البخاري ان كانت الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية احمد فتنطلق به في حاجتها وعنده ايضا ان كانت الوليدة من ولائد اهل المدينة لتجيء فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع من المبالغة في التواضع لذكره المراة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اي امة كانت وبقوله حيث شاءت اي من الامكنة والتعبير بالاخذ باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعدها على ذلك وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو يصلي فركب على ظهره فابطا في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله لقد اطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري وكان عليه السلام يعود المرضى ويشهد الجنائز اخرجه الترمذي في الشمائل وحج عليه السلام على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذي وكان عليه السلام حسن العشرة مع ازواجه وكان عليه السلام ينام مع ازواجه قال النووي وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع والله اعلم وقد كان عليه السلام يسرب الى عائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع فمها رواه مسلم ايضا وكان يتكي في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه رواه البخاري ورواه الترمذي بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه فقال لي اما شبعت اما شبعت قالت فجعلت اقول لا لا وقال حسن صحيح غريب وروي انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها قال هذه بتلك ورواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني قال هذه بتلك السبقة وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا فاكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته قد رات الصحفة التي اتي بها

فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء رواه الطبراني في الصغير وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فارسلت احدى امهات المومنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحيحة الى التي كسرت صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت وعند احمد وابي داود والنساي قالت عايشة ما رايت صانعة طعاما مثل صفية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت نفسي ان كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم فاخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت امكم فلم يثرب عليها فوسع خلقه الكريم اثار طغيان اثار غيرتها ولم يتاثر وقضى عليها بحكم الله في التغاير وهكذا كانت احواله عليه السلام مع ازواجه لا ياخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدل اقامه [illegible] بغير قلق ولا غضب بل رووف رحيم يحرص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث اشارة الى عدم مواخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة الغضب الذي اثارته الغيرة وقد اخرج ابو يعلى بسند لا باس به عن عايشة مرفوعا ان الغيرى لا تبصر اسفل الوادي من اعلاه انتهى وعن عايشة رضي الله عنها اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت فقلت لها لتاكلين او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تامل سيرته عليه السلام مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقرا والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وانه كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه بما يوجب حبه في القلوب كان له رجل من البادية يسمى زاهرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية مما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافيه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قايما فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فاحس زاهر بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء بركته • وفي رواية الترمذي في الشمايل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال ارسلني من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يالو ما الصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زاهر يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم انت عند الله غال • وفي رواية الترمذي ايضا لكن عند الله لست بكاسد او قال انت عند الله غال • واخرج ابو يعلى عن زيد بن اسلم ان رجلا كان يهدي النبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يتبسم ويامر به فيعطى • ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويامر لصاحبه

زاهر بن حرام

بثمنه

بثمنه • وكان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا كما روى ابو هريرة وقد قال له رجل كانت فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه عليه السلام من القول بما عساه ان يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال انا حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل تلد الجمل الا الناقة روى حديثه الترمذي وابو داود • وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة • وفي رواية الترمذي عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله لي ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخل وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وكان عليه السلام يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويونسهم وياخذ معهم في تدبير امورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وهو مع ذلك بسره في الملكوت يجول حيث اراد الله به والدعابة بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الالف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره وقد اخرج الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا وما ورد عنه عليه السلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من ذلك هو المباح فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه السلام فهو مستحب وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراه حزينا فقال ما شانه فقالوا مات نغره فقال يا ابا عمير ما فعل النغير رواه البخاري ومسلم وفي رواية الترمذي قال انس ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير قال الجوهري النغير تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طاير صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان • وكان قد اوتي عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس انما اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن عليه السلام روعه شفقة لانه بالمومنين رووف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية بقوله فاني لست بملك لما بلغ من الخير فيه وقال انما انا ابن امراة تاكل القديد تواضعا لان القديد مفضول وهو ماكول المتمسكنة ولما راته عليه السلام قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء ارعدت من الفرق رواه ابو داود • وروى مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملات عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه لما قدرت او كما قال واذا كان هذا قوله وهو من جلة اصحابه ولولا انه عليه السلام كان يباسطهم ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه عليه السلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة يبين ذلك ويوضحه ما روي انه عليه السلام كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عايشة ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلاة وما ذاك الا انه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر ان يلقاه ولا يباشره وكان عليه السلام يتحدث مع عايشة او يضطجع بالارض حتى يحصل له التانيس بجنسهم وهو التانيس مع عايشة او جنس اصل الخلقة التي هي الارض ثم يخرج اليهم وما ذاك الا رفقا بهم وكان بالمومنين رحيما قاله ابن الحاج في المدخل وقد جاء في الحديث انه لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر عليه السلام الى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع فاختار عليه السلام العبودية فلما كان تواضعه عليه السلام الى الارض حيث اشار جبريل ورثه الله تعالى رفعته الى السماء ثم الى الرفرف

الا على الحصير فان مومنين اوادني ووقف بين يديه محمود ابن الربيع وهو صغير ابن خمس سنين فمج عليه السلام في وجهه مجة من ماء من دلو بئر في دارهم بها وكان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر روية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري ودخل عليه ربيبته زينب بنت ام سلمة وهو في مغتسله فنضح الماء في وجهها وكان في ذلك من البركة في وجهها انه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور في فقد علمت انه عليه السلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل احد من اصحابه انه احبهم اليه وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل ويقتدون بهديه صلى الله عليه وسلم وقد كانت مجالسه عليه السلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القران او بما اتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة كما ذكره ابو هريرة بما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال قلنا يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل الاخرة فاذا خرجنا من عندك فعافسنا اهلنا وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملايكة في بيوتكم الحديث ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة الله تعالى لا تعاب وصنعة الادميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن اداب الطعام المتاكدة ان لا يعاب كقوله مالح قليل الملح غليظ دقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المومن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ لا يسب بنو ادم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار وعند مسلم من حديث بلفظ لا يسب احدكم الدهر ومحصل ما قيل في تاويله ثلاثة اوجه احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر اي المدبر للامور ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر وثالثها التقدير مقلب الدهر ولذلك عقبه بقوله في رواية البخاري بيدي الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه باهل الكفر في الاطلاق وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدين لانه لا اثم فيها وابهم فاعل خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينيذ يختار الاشد وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامراة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلي من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا

للنبي

بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف وجمع بينهما بانه كان عليه السلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا ففيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذكر لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استاذن لي لكن يحتمل ان يكون سبب استيذان عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستيذانه عليه فلما اذن له اطمان وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا وذهب اخرون الى الجواز وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال اخرون بل يستحب ذلك حينيذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم واما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها والعذراء هي البكر والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها والظاهر ان المراد تقييده اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه والحيا بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب احيى كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحيي خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحيى الله من نظره اليه في تلك الحالة لكرامته عليه فيستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده وفي الشاهد شاهد بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم وللحيا اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه عليه السلام من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه واحس به في وجهه فلا يدري ما سببه ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها حياء المومن من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسان تستحيي احداهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بان يستحيي من غيره اجدر والحياء كما قال عليه السلام لا ياتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري قال القاضي عياض وغيره وانما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكون غريزيا قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها وقال القاضي عياض وروي عنه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد

واما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم ان الخوف والوجل والهيبة والرهبة الفاظ متقاربة غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الاحكام وهذا سبب الخوف لا انه نفسه • وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره • والخشية اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوها له حالتان احداها حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المومنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري من حديث ابي هريرة • وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى عليها غيره من المخلصين من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده لو رايتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رايت يا رسول الله قال رايت الجنة والنار فقد جمع الله له ما بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجمع لغيره ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وهو في الصحيح من حديث عايشة • وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ كازيز الرحى اي حنين من الخوف بالجيم وهو صوت البكا وقيل هو ان يجيش جوفه ويغلي بالبكاء

واما ماروي من شجاعته عليه السلام ونجدته وقوته في الله وشدته •

فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما راينا من شيء وان وجدناه لبحرا وانه لبحر وكان فرسا بطيا رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وللبخاري ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا

فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم وقوله لن تراعوا اي روعا مستقرا او روعا يضركم وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيا وهو معنى قوله عليه السلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وفيه قطاف يقال قطف الفرس في مشيه اذا تضايق خطوه واسرع مشيه قال القاضي عياض وقد كان في افراسه عليه السلام مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن اسحاق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينا هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه وكما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارايت ان صرعتك اتومن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيا للمصارعة قال تهيات فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب ورواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع عليه السلام جماعة غير ركانة منهم ابو الاسد الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومن وفي قصته طول وفي البخاري من حديث البراء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحرث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب • وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله عليه وسلامه عليه • وفي حديث كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قداما واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه

واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه فاعلم ان السخا صفة غريزية وفي مقابلته الشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن وقي الشح بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة والسخا اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخا الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الريا وياتي به الانسان متطلعا الى غرض من الخلق او الحق بمقابلة من الثناء او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الريا الى السخا لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض اشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود افعل من التفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الافعال وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك يكون اجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات

بالباقيات الصالحات واقتصار انس على هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلام لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة • وفي رواية لمسلم عنه ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وعنده ايضا عن صفوان بن امية قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة • وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يوميذ واديا مملوا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي ورحم الله ابن جابر حيث قال

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا • يعطي ولو كثر الانام وداموا • واذا ابن الانعام اعطى املا • فتحيرت لعطايه الاوهام •

وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدوا وهو الاحسان فعالجه به حتى برا من داء الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته ورافته عليه السلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة وخرج ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني ادم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جايعهم ووعظ جاهلهم وقضا حوايجهم وتحمل اثقالهم ولقد احسن ابن جابر حيث قال • يروي حديث الندى والبشر عن يده •

• ووجهه بين منهل ومنسجم • من وجهه احمد لي بدر ومن يده • بحر ومن فمه در لمنتظم •

• يمم نبيا تباري الريح انمله • والمزن من كل هامي الودق مرتكم • لو عامت الفلك فيما فاض من يده •

• لم تلق اعظم بحر منه ان تعم • تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ • به ودع كل طامي الموج ملتطم •

• لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت • كل الانام وروت قلب كل ظمي • فسبحان من اطلع انوار الجمال من

افق جبينه • وانشا امطار السحاب من غمايم يمينه وروى البخاري من حديث جابر ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا • وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شي من امر الدنيا فمنعه

الفرزدق • ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد كانت لاوه نعم • لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ ابو الفضل ابن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء سايغا والا سكت وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سيل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطا ولا يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول لا اجد ما احملكم وبين لا احملكم انتهى • وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري لما ساله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم لكن يشكل عليه انه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا سيل ما ليس عنده والسايل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت مع الحالة الواقعة او من حال السايل كان لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السايل لتمادى على السوال مثلا ويكون القسم على ذلك تاكيدا لقطع طمع السايل والسر في الجمع بين قوله لا اجد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سيله لم يكن موجودا عنده

والثاني

والثاني انه لا يتكلف الاجابة الى ما سيل بالقرض مثلا او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينيذ وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه وذكر ابن فارس في كتابه في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امراة فانشدت شعرا تذكر ايام رضاعه في هوازن فرد عليهم ما اخذوا واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف الف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود • وفي البخاري من حديث انس انه اتي بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاءه العباس فقال اعطني فاني فاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه انت قال لا ثم نثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه السلام وثم منها درهم وفي رواية ابن ابي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان مائة الف وانه ارسل به العلاء بن الحضرمي من خراج البحرين قال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم وساومه جابر على جمل له فقال له عليه السلام بعني جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي انت وامي قال بل بعنيه فباعه اياه وامر بلالا ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما • مكافاة لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعا بالبركة فيهما وحديثه في البخاري ومسلم وغيرهما وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفي ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال تارة لفقير او محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به على الاسلام من يتقوى الاسلام باسلامه وكان يوثر على نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقرا فياتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤونة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امراة ببردة فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فراها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذها محتاجا اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسال شيا فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل بن سعد وفي رواية ابن ماجه والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وارسل بها اليه وافاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح انه صلى الله عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها وفي هذا الحديث من الفوايد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده • واستنبط منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سودا ذات علم رواه لكن

قال شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شي من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه

لبس خرقة التصوف

صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها
وكلما يروى صريحا في ذلك فباطل قال ثم ان من الكذب المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري فان
ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي والذهبي والعلائي
ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة منهم لبسوها والبسوها تشبها بالقوم نعم ورد
لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من غير خلف في صحبته له
بين ائمة الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب
رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم
المتبولي وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين التلقين للذكر واخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالة ريحان القلوب قراتها على
ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب الدين ابن القسطلاني ارتقاء الرتبة
في اللباس والصحبة والله يهدينا الى سواء السبيل

الفصل الثالث فيما تدعوا ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذايه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

وفيه اربعة انواع **النوع الاول** في عيشه صلى الله عليه وسلم
في الماكل والمشرب اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية
وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة
الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة
الملايكة يستعان بها على عمارة الاخرة وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى الله
الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفوا سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات
والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه
نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم
والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى فان
ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر انوار الدين وادابه وسننه التي يزم العبد بزمامها
ويلجم المتقي بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مرفعة للوزر
ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسايي وابن ماجة وصححه الحاكم
من حديث المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من
بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
قال القرطبي في شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه
الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها وهل
المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلاثة اقسام متقاربة محل احتمال وقد صح المومن ياكل
في معا واحد وهو بكسر الميم مقصورا المصارين والكافر ياكل في سبعة امعاء وليست حقيقة العدد
مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى ان المومن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب
العبادة ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما يسد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا من حساب
ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها
متصلة بها البواب ثم الصايم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ
وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله سبعة امعاء لكل ادمي معدة بوابها مع صايم

ثم

ثم الرقيق اعور قولون مع المستقيم مسلك المطاعم فيكون المعنى ان الكافر لكونه ياكل بشرهه لا يشبعه
الا ملء امعايه السبعة والمومن يشبعه ملء معا واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مومن وكافر فقد يكون
في المومنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون في الكفار من ياكل قليلا
اما لمراعاة الصحة على راي الاطبا واما للتطبا للرياضة على راي الرهبان واما لعارض كضعف المعدة ويحصل القول
ان من شان المومن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المومن يسمي الله عند طعامه
فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمومن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن
اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فتمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه
من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه
وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن ملا
بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح
حال نفسه وقلبه ومن تملا من الطعام ساء غذاء بدنه واشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه
وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غدا في الاخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة وقالت عايشة لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شربه رواه وقولها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة
ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم
بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وليس المراد الشبع المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه
وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا ورووا قال النووي
فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع ال محمد صلى الله عليه
وسلم من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه وفي
حديث مسعر عند مسلم ما شبع ال محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران بن يزيد المدني
حدثني والدي قال دخلنا على عايشة فقالت خرج تعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملا بطنه في يوم من طعامين
كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير ولبس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله
عليه وسلم القثا بالرطب كما سياتي ان شا الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما امسى في ال محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان تتاسى به امته
رواه الدمياطي في السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا الطيب
والنساء والطعام فاصاب اثنتين ولم يصب واحدة اصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي وفي الشمايل
للترمذي عن النعمان ابن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد
من الدقل ما يملا بطنه وقالت عايشة ان كنا ال محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الما والتمر وقال عتبة ابن
غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا
وفي رواية البخاري ومسلم كانت عايشة تقول لعروة والله يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة
اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان

التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله ~~ولا راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله~~ رواه البخاري والمرقق الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرغيف الموسع قاله القاضي عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميذ وما يصنع منه من كعك وغيره وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذه من الرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها ~~ولا~~ والحوارى بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الخالص الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالماء السخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن وهو فعل المترفين من وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه وثانيهما ان المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط هو المشوي لكن التانية ذكر ان اصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح وعن ابي حازم انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية له هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما راى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قال شيخ الاسلام ابن حجر اظنه احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر في تلك المدة الى الشام تاجرا وكانت الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم كثير وكذا المناخل وغيرهما من الات الترفه ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كانت اقراصه صلى الله عليه وسلم صغارا ام كبارا فلم اجد في ذلك شيئا بعد التفتيش نعم روي الامر بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عايشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال ان المتهم به جابر ابن سليم وروي عن ابن عمر مرفوعا البركة في صغر القرص وقيل عن النسائي انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة وكذا حكى البزار عن ابراهيم بن عبد الله ابن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ولعل هذا سند شيخي وقدوتي وانسان عين بصيرتي العارف الرباني برهان الدين ابي اسحق ابراهيم المتبولي في تصغير ارغفة سماطه كالشيخ ابي العباس احمد البدوي والسادات اكابر معارف السعادات اولي المواهب العلية والحقائق المحمدية اعاد الله من بركاتهم علينا وواصل امدادهم الينا وعن عايشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم وعندهما ايضا قالت توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا

فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السوال سوال تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر ابن عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلقا من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شيء من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة فما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروي عن ابن بجير قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة يوم القيمة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابي الدنيا وعن انس بن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر قال كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع وفي قصة جابر يوم الخندق حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر كما تقدمت وما احسن قول الابوصيري وشد من سغب احشاءه وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فيتعلق بها كثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من يراه لا يظن ان به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان جسمه حينيذ يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الابهام بقوله مترف الادم وقد انكر ابن حاتم ابن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم اني اطعم واسقى قال وانما معناها الحجز بالزاي وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه الصلاة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغنيه يعني الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب واهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب وقد استشكل كونه عليه السلام واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري بان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج ابن حبان في صحيحه عن عايشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى

المدينة كان أكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منايحهم كما تقدم • وقد قال عليه السلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اتت علي ثلثون من يوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه • نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك • وحكمة هذا التفصيل لا ستلذاذ بالخطاب والا فالله تعالى عالم بالاشيا جملة وتفصيلا • وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلثا • رواه الطبراني باسناد حسن • فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فابا ذلك واختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها • ونفس زكية كريمة ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال • وراودته الجبال الشم من ذهب • عن نفسه فاراها ايما شمم • واكدت زهده فيها ضرورته • ان الضرورة لا تعدو على العصم • وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم • اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرر عن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها • وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها انتهى • وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بما قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى • واما ما يروى انه عليه السلام قال الفقر فخري وبه افتخر فقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر هو باطل موضوع

واعلم انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده باكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سياتي فاكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي • والحلوى بالقصر والمد كل حلو • وقال الخطابي اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة • وقال ابن سيده هو ما عولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه عليه السلام لها على معنى

كثرة

كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا احضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه • ووقع في كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولم يصح ورود انه عليه السلام كان يحب السكر ولا انه تصدق به ولا انه راه لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام الا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وقضى به على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهبة لكن قال البيهقي بعد روايته الحديث وهذا الاثبت ثم قال وروي من حديث عايشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شيء وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عون ابن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به وشيخها لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتين هذا وخالد بن معدان عن معاذ منقطع ولا حجة في منقطع فهذه ثلاث علل بضعف الحديث بدونها وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح الحنبلي اليوسفي والله اعلم • وعن ليث بن ابي سليم قال اول من خبص في الاسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل فاستطابه قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضايل عثمان • وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حواري وسمن وعسل فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد ينضج ثم انزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام في فوايده والطبراني في معجمه • واكل عليه السلام لحم الضان وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة وافة • واللحم سيد طعام اهل الجنة وفي رواية هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي مرفوعا سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي واكله يزيد سبعين قوة قاله الزهري • وعن علي انه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه اربعين ليلة ساء خلقه • ولابي الشيخ ابن حيان من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل ~~وهو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا~~ • وقال الامام الشافعي ان اكله يزيد في العقل • وكان عليه السلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه عن ابي رافع انه اهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا ابا رافع فقال شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر فقال ناولني الذراع يا ابا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الاخر فناولته الذراع الاخر فقال ناولني الذراع الاخر فقال يا رسول الله انما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم اما انك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل اطراف اصابعه ثم قام فصلى الحديث رواه احمد والدارمي والترمذي عن ابي عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع فقال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت • وقالت عايشة رضي الله عنها وكان الذراع احب اليه وكان لا ياكل اللحم الا غبا وكان يعجل اليها لانها اعجل نضجا رواه الترمذي • وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا الا الرقبة واني لاستحي ان ارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية

هادية الشاة واقرب الشاة الي الخير وابعدها من الاذي رواه ولا ريب ان اخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو اخف علي المعدة واسرع انهضاما وفي هذا مراعاة الاغذية التي تجمع ثلاثة امور احدها كثرة نفعها وتاثيرها في القوي الثاني خفتها علي المعدة وسرعة انحدارها عنها الثالث سرعة هضمها وهذا افضل ما يكون من الغذاء وقال عليه السلام اطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي واما حديث انه صلي الله عليه وسلم كان يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث ابي بكر محمد بن عبد الله ابن الشخير من حديث ابن عباس باسناد فيه انتهي وكان عليه السلام ينتهش اللحم اي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم او غيره وينتشله اي يقتلعه من المرق والنهش بعد الانتشال وفي البخاري انه عليه السلام احتز من كتف شاة في يده فدعي الي الصلوة فالقاها والسكين الذي يحتز بها ثم قام الي الصلاة ولم يتوضا قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث ابي معشر عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عايشه رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنا وامرا قال ابو داود هو حديث ليس بالقوي قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان ابن امية اخرجه الترمذي بلفظ انهشوا اللحم نهشا فانه اهنا وامرا وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الكريم انتهي قال وعبد الكريم هو ابن ابي المخارق ابو امية ضعيف لكن اخرجه ابن ابي عاصم من وجه اخر عن صفوان بن امية فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده ابو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين واكثر ما في حديث صفوان ان النهش اولي انتهي ويمكن الجمع بان النهش ما علي العظم الصغير والاحتزاز ما علي الكبير واكل صلي الله عليه وسلم الشوي فعن ام سلمة انها قربت الي النبي صلي الله عليه وسلم جنبا مشويا فاكل منه ثم قام الي الصلاة وما توضا قال الترمذي حديث صحيح واكل عليه السلام القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت للنبي صلي الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم ازل اطعمه منه الي المدينه واكل عليه السلام من الكبد المشوية واكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي وغيرهم واكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان واكل لحم الجمل سفرا وحضرا رواه مسلم واكل من دواب البحر رواه [illegible] واكل الثريد وهو بفتح المثلثه ان يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن امثالهم الثريد احد اللحمين وروي ابو داود من حديث ابن عباس قال احب الطعام الي رسول الله صلي الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس واكل عليه السلام بالسمن واكل الخبز بالزيت وعن حذيفة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان جبريل اطعمني الهريسة يشد بها ظهري لقيام الليل رواه الطبراني في الاوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث واكل عليه السلام الدباء وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدباء من يومئذ رواه مسلم قال النووي فيه انه يستحب ان تحب الدباء وكذلك كل شيء كان يحبه صلي الله عليه وسلم وكذلك اكل عليه السلام السلق مطبوخا بالشعير قال الترمذي حديث حسن غريب واتي الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر الي سلمي فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلي اصنعيه لنا قال فقامت فاخذت شيئا من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا مما كان يعجبه صلي الله عليه وسلم ويحسن اكله رواه الترمذي واكل عليه الصلاة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق علي هيئة العصيدة لكنه ارق منها قاله الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتبي وتبعه الجوهري ان يوخذ اللحم فيقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيده وقيل مرقة تصفي من بلالة النخالة ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة يعني بالاهمال من اللبن وقال عتبان غدا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه علي خزيرة صنعناه واكل عليه السلام الاقط كما قاله ابن عباس فيما رواه

وهو

وهو جبن اللبن المستخرج زبده اكله وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو اشبه شيء بالكشك واكل عليه السلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي وغيرهما واكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحده وبعد الالف مثلثه النضيج من ثمر الاراك وقيل ورق الاراك وتعقبه الاسمعيلي فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير بموحده بوزن الحرير فاذا اسود فهو الكباث وفي النهاية لابن الاثير انه عليه السلام كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين اي الجمار وهو شحم النخل واحدتها جذبة واما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال اتي النبي صلي الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمي وقطع رواه ابو داود وكان عليه السلام يراعي صفات الاطعمة وطبايعها واستعمالها علي قاعدة الطب فاذا كان في احد الطعامين ما يحتاج الي كسر وتعديل كسره وعدله بضده ان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل كبير في المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله علي حاجة وداعية من النفس من غير اسراف وروي ابو داود من حديث ابي اسامة عن هشام انه صلي الله عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ورواه يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة بتقديم الطاء كما للنوقاني وبتاخيرها كما للنسائي في الوليمة فكانه كان عند هشام باللفظين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم عن ابي [illegible] سمعت حميدا يحدث عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم كان ياكل الطبيخ او البطيخ بالرطب وقال عقبة الشك من احمد وتقدم ان الطبيخ لغة في البطيخ صاحب المحكم وقد كان ابن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلي الله عليه وسلم له وروي الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين النبي صلي الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة وفي سنده ضعف واخرج فيه وفي الطب لابي نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضا واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن انس قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحده بعدها زاي نوع من البطيخ الاصفر وفي هذا تعقب علي من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر واعتلوا بان الاصفر فيه حرارة كما في الرطب وقد ورد في التعليل بان احدهما يطفي حرارة الاخر والجواب عن ذلك بان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة والله اعلم وفي رواية للنسائي ايضا بسند صحيح عن عايشة ان النبي صلي الله عليه وسلم اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج ابن ماجه عن عايشة ان امي عالجتني للسمنة لتدخلني علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتي اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائي وقال بالتمر كان الرطب واما فضايل البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرده النوقاني في جزء كما قاله الحفاظ والله اعلم وكان عليه السلام ياكل التمر بالزبد ويحبه فعن عبد الله وعطية ابني بشر قالا دخل علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه ابو داود وابن ماجه وسمي صلي الله عليه وسلم اللبن بالتمر الاطيبين رواه احمد وكان ياكل الخبز مادوما وحوله اداما فتارة باد امه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة وتارة بالبطيخ رواه وتارة بالتمر فانه وضع تمرة علي كسرة من خبز الشعير وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم وهذا من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب علي اصح القولين فادم خبز الشعير به من احسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادام الخل رواه مسلم وتقدم قال الخطابي والقاضي عياض معناه مدح الاقتصاد في الماكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مونته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهي وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضي الحال

الحاضر لا تفضيل له على غيره كما ظنه بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يوما فقدموا له خبزا فقال
ما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود ان اكل الخبز مع الادم من اسباب حفظ الصحة
بخلاف الاقتصار على احدهما وسمي الادم ادما لاصلاحه الخبز وجعله ملايما لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على
اللبن واللحم والعسل والمرق ولو حضر لبن او لحم لكان اولى بالمدح منه فقال هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه له لا
تفضيلا له على ساير انواع الادم وكان عليه السلام ياكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من اكبر اسباب
الصحة فان الله تعالى بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته فيكون تناوله من اسباب
صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من اسقم الناس وابعدهم
من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعا وقد روي
ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل العنب خرطا رويناه في الغيلانيات لكن قال ابو جعفر العقيلي
كما حكاه في الهدي لا اصل لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه
ويخرج عرجونه عاريا منه قال وجاء في بعض الروايات خرصا يعني بالصاد بدل الطاء واما البصل فروى ابو داود
في سننه عن عايشة انها سيلت عن البصل فقالت ان اخر طعام اكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت
عنه في الصحيحين انه منع اكله من دخول المسجد وكان عليه السلام يترك الثوم دايما لانه يتوقع مجي الملايكة والوحي
كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا في حكم الثوم في حقه عليه السلام وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض
اصحابنا هي محرمة عليه والاصح عندهم انها مكروهة كراهة تنزيه ليست محرمة لعموم قوله عليه السلام لا في جواب
قوله احرام هي ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبه موافقته عليه الصلاة والسلام
في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه السلام فان من اوصاف المحب الصادق ان يحب ما احبه محبوبه ويكره
ما كرهه وكان عليه السلام ياكل باصابعه الثلاث رواه الترمذي في الشمايل وهذا كما في الهدي انفع ما يكون من الاكلات
فان الاكل باصبع اكل المتكبر ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح الات الطعام والمعدة بما ينالها
في كل اكلة فياخذها على اغماض كما ياخذ الرجل حقه حبة حبة او نحو ذلك فلا يلتذ باخذه والاكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام
الطعام على الاته وعلى المعدة وربما انسدت الالات فمات وتغصب الالات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له
لذة ولا استمراء فانفع الاكل اكله صلى الله عليه وسلم واكل من اقتدى به بالاصابع الثلاثة وكان عليه السلام يلعق اصابعه
اذا فرغ ثلاثا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها وفي رواية انه امر بلعق الاصابع
والصحفة وقد روى الترمذي عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن ناكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من اكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجه واحمد وابن شاهين والدارمي
وغيرهم وقال الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة للاحسها وفي حديث جابر مرفوعا
عند ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط من الخوان او القصعة امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق
وللديلمي من طريق الرشيد عن ابايه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط من المايدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر
واورده الغزالي في الاحيا عليهم بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وكلها مناكير لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعا
اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق
اصابعه لانه لا يدري في اي طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل باصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى ثم رايته يلعق اصابعه الثلاث
قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي كان السر فيه

ان الوسطى

من الاكلات

حبة

وهو نبيشة بن عمرو بن عوف رضي الله عنه

ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في مرسل
ابن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس تجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال
وقد جاءت علة اللعق مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة وفي الحديث رد على من كره
لعق الاصابع استقذارا ممن ينسب الرياسة والامرة في الدنيا نعم يحصل ذلك لو فعله في اثناء الاكل لانه يعيد
اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح
كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن ساير اجزايه مستقذرا لم
يكن الجزء اليسير منه مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل انه لا باس بذلك
فقد يتمضمض الانسان فيدخل اصبعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان ذلك قذارة وسوء ادب
انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم يخشى عليه امر عظيم فنسال الله
تعالى بجاهه ووجهه الكريم ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم
لا ياكل متكيا كما صح انه قال لا اكل متكيا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما ياكل العبد وروى
ابن ماجه والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه ياكل فقال له اعرابي
ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
تواضعا لله ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته قبلها فقال ان ربك
يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاوما اليه ان تواضع فقال
بل عبدا نبيا قال فما اكل متكيا وهذا مرسل او معضل وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي
عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيا قط واخرج
ابن ابي شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكيا الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التي
في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو وقد اخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبريل راى
النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيا فنهاه وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح
على وجهه وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا قال وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند
المحققين انتهى والاقعا ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة
وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسره به حكاه في الاكمال عن الخطابي وقال ان الخطابي خالف في هذا التاويل اكثر
الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رايته يعزى للخطابي يحسب العامة
ان المتكي هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته انتهى وقد فسر ايضا بالميل
على احد الشقين وبه جزم ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد على الشي وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد
اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال مالك
هو نوع من الاتكا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد الاكل فيه
متكيا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على احد الشقين تاوله على مذهب
الطب وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة
ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء واما الاعتماد على الشي فهو من جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال

والتقعد

المستوفز

قال مالك

عليه السلام آكل كما ياكل العبد وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسايد والوطاء الذي تحت الجالس كما ذكره عن الخطابي فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد متكئا على الاوطئة والوسايد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني آكل من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز المراد الجلوس على وركيه غير متمكن واختلف السلف في حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم وتعقبه البيهقي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله ماخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد ابن الوليد ومحمد بن سيرين وعطا ابن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا لله عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه انتهى واخرج ابن ابي شيبة من طريق ابراهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاة مخافة ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى واما قول النووي في آداب الاكل من الاذكار والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة فقال في فتح الباري لم ار لما ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه السلام يحمد الله في آخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذي وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى بفتح النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو ربنا ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعني وقال ابن الجوزي بالنصب على النداء مع حذف اداة النداء وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه السلام يحب التيامن في شانه كله وقال عليه السلام يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع آخر من الام على الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفي في شرح الرسالة ونقل البويطي في مختصره ان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر حرام ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين ابن السبكي في شرحه بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان عاصيا آثما قال وقد جمع والدي نظاير هذه المسالة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسايل الخمس ونص على ان الامر فيها للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكره ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه السلام كان يتتبع الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما يلي فالجواب انه يحمل الجواز على ما اذا علم رضى من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما يليه قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما جاز

ذكر

ذلك لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم وحديث عكراش عند الترمذي الذي فيه التفصيل بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة رواه الترمذي وفي رواية له انه عليه السلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده فحمل الوضوء الاول على الشرعي والثاني على اللغوي وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لا يوذي من حذاه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما حارا فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال بن ابي هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية انتهى وعند ابي نعيم في الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا وان الحار لا بركة له الحديث ولاحمد وابي نعيم من حديث اسما انها كانت اذا بردت غطته بشي حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة لكن عند البيهقي بسند صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له عليه السلام قدح من خشب مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه السلام بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل وفي البخاري عن سهل بن سعد فاقبل ~~عليه السلام بهذا القدح الشراب~~ النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز قد ولي حينئذ امرة المدينة وعند البخاري من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار قال قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح اكثر من كذا وكذا وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فاراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه وفي فرض الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابي حمزة ثم قال قال علي بن الحسن وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى في بعض النسخ القديمة من البخاري قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري من ميراث النضر ابن انس بثمانماية الف ووقع عند احمد من طريق شريك عن عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة وقوله من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود من كل شي ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل الى الصفرة ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذي والخوان بكسر المعجمة يجوز ضمها المايدة ما لم يكن عليها طعام واما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان عليه السلام ينهى عن النوم على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم وكذا قال الاطبا كما في الهدي من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشا ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا والصلاة بعد الاكل تسهل هضمه واما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان يستعذب له الماء الحلو قالت عايشة رضي الله عنها كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا رواه ابو داود وهي بضم المهملة وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف واما شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون وليس في شرب الماء الملح فضيلة وقد كان عليه السلام يشرب العسل الممزوج بالماء البارد قال ابن القيم وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته افاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن وقالت عايشة

النبيذ

كان احب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد رواه الترمذي ويحتمل ان يريد به الما الممزوج بالعسل والذي
ينقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجي والغد الى العصر
فان بقي منه شي سقاه الخادم او امر به فصب رواه مسلم وهذا النبيذ هو ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم
في زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان عليه السلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة
مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد وعن
جابر انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائط فقال
صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ما بات في شنة والا كرعنا فقال عندي ما بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح
ما ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه السلام الحديث رواه البخاري وكان عليه السلام يقول ليس يجزي من الطعام
والشراب الا اللبن قال الترمذي حديث حسن وللترمذي ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاث لا ترد الكتب والوسادة والدهن
وانشد بعضهم ۝ قد كان من سيرة خير الورى ۝ صلى عليه الله طول الزمن ۝ ان لا يرد الطيب والمتكا ۝
۝ واللحم ايضا يا اخي واللبن ۝ قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما ان كان
الما حارا او باردا فانه رديء جدا انتهى وكان عليه السلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفي رواية له
ايضا انه نهى عن الشرب قايما وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي وفي الصحيحين من حديث
ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من زمزم فشرب وهو قايم وفي حديث علي عند البخاري انه شرب وهو
قايم قال ان ناسا يكرهون الشرب قايما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت وكل هذه الاحاديث صحيحة
ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب
ان النهي محمول على كراهة التنزيه واما شربه عليه السلام قايما فلبيان الجواز فان قلت كيف يكون الشرب قايما
مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها
بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم واما قوله عليه السلام فمن نسي فليستقي فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب
لمن شرب قايما ان يتقايا لهذا الحديث الصحيح الصريح سوا كان ناسيا او لا قاله النووي وقال المالكية لا باس بالشرب
قايما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق يشرب قايما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب
وعثمان وعلي انهم كانوا يشربون قياما واجابوا عن حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم قايما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق
قال ان في اسناده عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف انتهى وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف
لمن اتى اصحابه بما فبادر لشربه قايما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم اخرهم شربا وقال بعض الشيوخ
الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قال والاظهر لي ان احاديث شربه قايما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على
الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل لان في الشرب قايما ضررا ما فكره من اجله وفعله لامنه منه قال
وعلى هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب فليستقي على ان ذلك يحرك خلطا يكون القي دواه ويويده قول
النخعي انما نهي عن ذلك لداء البطن انتهى وقال ابن القيم للشرب قايما افات عديدة منها انه لا يحصل به
الري التام ولا يستقر في المعدة حتى تقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها
ويسرع النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قايما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند احمد
عن ابي هريرة انه راى رجلا يشرب قايما فقال له قه فقال لمه قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك
من هو شر منه الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلثا ويقول انه اروى وامرا وابرا رواه
مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشرب واخرج الطبراني في الاوسط بسند

حسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره
حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وفي هذا الشرب حكم جمة وفوايد مهمة نبه عليه السلام على مجامعها بقوله انه اروى وامرا
وابرا فاروى من الري بكسر الرا من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرا افعل من البرء بالهمز وهو الشفاء اي
يبري من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت
الاولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد وهلة
واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وامن غايلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف
منه ان يطفي الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته او يضعفها فيودي ذلك الى فساد المعدة والكبد والى
امراض ردية خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيها وهلة واحدة مخوف عليهم
جدا وقوله امرا بالهمز افعل من مري الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع
انتهى وقال بعضهم والمعنى انه يصير هنيا مريا اي سالما او مبريا من مرض او عطش واذى ويوخذ من ذلك
انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن افات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب
لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن من ذلك وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الما مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف
وتخفيف البا وجع الكبد ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء الوارد في الحديث لان المنهي عنه
التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم بماكول مثلا او لبعد عهده
بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار المعدة وهاهنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز
الشرب بنفس واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه السلام اذا دعي لطعام وتبعه احد اعلم
به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شيت رجع وكان يكرر على اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا وفي حديث ابي
هريرة في قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له
مسلكا رواه البخاري وكان عليه السلام اذا اكل مع قوم كان اخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد
عن ابيه مرسلا وفي حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة والبيهقي اذا وضعت المايدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى
يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة وكان عليه السلام اذا اكل عند قوم لم يخرج
حتى يدعو لهم فدعا في منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم و
دعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة رواه ابو داود
وسقاه اخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضا رواه ابن السني النوع الثاني
في لباسه عليه السلام وفراشه قال البخاري باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع
فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه او يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر وقال القاضي عياض كان عليه
السلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في غالب احواله
الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر
اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب
والتوسط في جنسه وكون لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه انتهى وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من
كرامة المومن على الله عز وجل نقا ثوبه ورضاه باليسير وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا وسخة
ثيابه فقال اما وجد هذا شيا ينقي به ثيابه فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن واخفه عليه

فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي تؤذي حاملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة
التي تقصر عن وقاية الراس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقي العنق الحر
والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها وقد
اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل
سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما يلبس جديدا وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل
التحنيك والعذبة وتصغير العامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة
قليلا لاجل حر او برد فيتسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك
بان تتسرول قاعدا وتتعمم قائما انتهى ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كانت كم قميصه الى
الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر صلى الله
عليه وسلم عن هذا فتبرز للحر والبرد وقد روي عن اسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الرسغ رواه الترمذي وكان ذيل قميصه وردائه الى انصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد
ولم ينقص عن عضلة ساقيه فيتاذى بالحر والبرد اشار اليه في زاد المعاد واخرج الترمذي عن الاشعث ابن سليم قال
سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وانقى فاذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه
واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال
يا ابن عمر كل شيء لمس الارض من الثياب في النار وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
اسفل من الكعبين من الازار في النار قال الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب
عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب عقوبة بالنار وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره
او حل فيه وتكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين
وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار والازرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار
مثل الركبة والجلسة واعلم طول الله ثوبك وثوبك وتم سترك وسترك ان هذا الاطلاق يحمل على ما ورد من
قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق وقد اخرج اصحاب السنن الا الترمذي واستغربه وابن ابي
شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء الحديث فبين في هذه الرواية ان الحكم
ليس خاصا بالازار وان جاء في اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبري وانما ورد الخبر بلفظ الازار
لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الازار في
النهي قال ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة
نظر الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال
وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن
العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك قال ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج
وعمائم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس
الخيلاء انتهى وقال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة ان كم بعض من ينتسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي
عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار

يعرفون

يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر
الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث
ابي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيامة
وفي الطبراني وابي داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته وهذا
الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي
والترمذي وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين
شبرا فقالت اذن تنكشف اقدامهن قال يرخينه ذراعا لا يزدن عليه وحاصل ما ذكر في ذلك ان للرجال حالين حال
استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو
ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة
وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال النووي وظواهر الاحاديث
في تقييدها بالخيلاء تدل على ان التحريم مخصوص بالخيلاء قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى تنبيه قال
العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين او من
الحد المستحب وهو انصاف الساقين او حده من اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة
الذي رواه ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المراة من ذيلها
قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال ذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان
المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما في سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات
المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع الماذون فيه شبران وهو الذراع الذي يقاس به
الحصر اليوم انتهى وانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثني وقد كان له عليه السلام
عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون
وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل ياء تحتية وقد تبدل الفاء وتفتح السين فيقال قلنساة وقد تحذف النون من هذه
فيقال قلساة وقد تضم اولها قاله القزاز في شرح الفصيح وقال ابن هشام هي التي يقول لها العامة
الشاشية وفي المحكم هي من ملابس الرؤوس معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي تغطى بها العمائم وتستر من
الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس انتهى وروى الزهري عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية انس عند البخاري دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر
الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وجمع بينهما بان العمامة السوداء كانت
فوق المغفر وجمع بينهما القاضي عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد
ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند
باب الكعبة بعد تمام الفتح قال الولي ابن العراقي وهو اولى والظاهر في الجمع من الاول وقد تقدم نحو ذلك في غزوة
فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذي في الشمائل زاد مسلم وقد ارخى
طرفها بين كتفيه وروى ابو محمد بن حيان في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرزها من ورائه ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث
عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا عن
جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذؤابة فدل انه لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه لكن قد يقال انه دخول

مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان
وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام
الذي راه بالمدينة لما راى رب العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت
ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسال عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الغداة ارخى الذؤابة بين
كتفيه قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم قال ولم ار هذه الفايدة في شان الذؤابة لغيره
انتهى وعبارة غير الهدي وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع
بالعذبة انتهى لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وروى ابن ابي شيبة عن علي قال عممني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملايكة معممين هذه العمة
وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين قال عبد الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها
ويتحنك به فان كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلما واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة
فيها وقيل لانها كذلك كانت عمايم الشياطين وجات الاحاديث في ارسال طرفها على انواع منها ما تقدم انه
ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن ابن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين
يدي ومن خلفي ذكره ابو داود وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسماء اي سودا
رواه الترمذي وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس
رواه الترمذي ايضا وعن ابي كبشة الانماري قال كانت كمام اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا رواه الترمذي
ايضا وفي رواية اكمة وهما جمع كثرة وقلة للكمة القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منتصبة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضا رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم
القميص كما في الشمايل للترمذي من حديث ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
القميص وعن معوية بن قرة عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق
الازرار او قال زر قميصه مطلق قال فادخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي
وعن انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين رواه الدمياطي
وعن انس بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذي
والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة وعن ابي رمثة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
بردان اخضران رواه الترمذي وعن عطاء بن ابي يعلى عن ابيه قال رايته صلى الله عليه وسلم يطوف
بالبيت مضطبعا ببرد اخضر رواه ابو داود وعن عروة ابن المغيرة بن شعبة عن ابيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي وعن ابي ذر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه ثوب ابيض رواه البخاري وعن عايشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة
وعليه مرط شعر اسود رواه الترمذي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف
وكان له صلى الله عليه وسلم كسا ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان
فان قلت قد علم من هنا ومن سير السلف الصالح بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية
من الصوفية يخالفون فقراهم وملابسهم وطريقهم الاقتدا بالسنة الشريفة والسلف الصالح اجاب
سيدي علي الوفوي اذا قنا الله حلاوة مشربه ومن خطه الكريم نقلت باللفظ ذلك لانهم نظروا الى
المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا اهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة

تفاخروا

تفاخرا بدنياهم واطمينانا اليها واشعارا بانهم من اهلها خالفوهم اظهارا لحقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون
فكان اطمارهم يوميذ تقول الحمد لله الذي اغنانا به عما افتقر نفسه اليه من قهره دنياه فلما طال الامد وقست
القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئة حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار
مخالفة هولاء في ذلك لله هو قول السلف وطريقهم كما تقدم قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي قدس
الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته من اصحاب الرثاثة يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد
لله وهيئتك هذه تقول اعطوني شيا من دنياكم والقوم افعالهم دايرة مع الحكمة الربانية يراد لهم مرضاة
ربهم انتهى ما قاله سيدي علي وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
وفي الحديث الاخر ان الله يحب النظافة وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي عن ابيه قال رآني النبي صلى الله عليه
وسلم وعلي اطمار وفي رواية للنسائي وعلي ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت
من كل ما اتى الله من الابل والشاء قال فلتر نعمته وكرامته عليك وفي رواية للنسائي قال فاذا اتاك الله مالا
فليرى اثر نعمة الله عليك وكرامته وفي حديث جابر انه عليه السلام راى رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال
ما كان يجد هذا ما يسكن به راسه وراى رجلا عليه ثياب وسخة فقال اما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه رواه
احمد وفي السنن ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده فانه من الجمال
الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب ان يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن
بالشكر عليها ولاجل محبته تعالى للجمال نزل على عباده لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى يجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني
ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير وقال في اهل الجنة ولقاهم نضرة
وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه
كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض
القبيح واهله ويحب الجمال واهله ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه تعالى جميل
فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيا قالوا ومن راى الكاينات منه راها
كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه وهولاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم والبغض
في الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثاني قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصورة
وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر
الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وانية الفضة
وذكر من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
وفي الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس
وفصل النزاع ان يقال الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه
ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فالمحمود منه ما كان لله واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره والاستجابة له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس الة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب
والخيلا فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلا كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة
والفخر والخيلا وان يكون هو غاية العبد واقصى مطلبه فان كثيرا من الناس ليس له همة في سوى ذلك واما
ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى
يحب من عبده ان يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار
نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة والختان وتقليم الاظفار وغير ذلك

ما وردت به السنة والله اعلم وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه صلى
الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمرا فاذا هو احسن عندي من القمر رواه الدارمي والترمذي وعن عون بن ابي جحيفة
عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كاني انظر الى بريق ساقيه قال سفيان اراه حبرة وعن البراء
ابن عازب قال ما رايت احدا من الناس في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي وفي رواية
البخاري ومسلم رايته في حلة حمرا لم ار شيا قط احسن منه وفي رواية لابي داود ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من ذي لمة بكسر اللام اي شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين
فاذا زادت فهي الجمة وفي رواية النسائي ما رايت رجلا احسن في حلة حمرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس
الحلة بالضم ازار ورداء برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وقال ابن القيم وغلط من ظن انها كانت
حمرا بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمرا بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمنية وهي
معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت منهي عنه اشد النهي ففي صحيح البخاري انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو قال راى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال ان هذه
لباس الكفار فلا تلبسها ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صباغا احمر قال وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرها
نظر واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس الاحمر القاني كلا لقد اعاذه الله منه وانما وقعت
الشبهة من لفظ الحلة الحمرا والله اعلم انتهى وقال النووي اختلف العلما في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة
بعصفر فاباحها جميع العلما من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي وابو حنيفة ومالك ولكنه قال
غيرها افضل منها وفي رواية عنه انه اجاز لباسها في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق ونحوها
وقال جماعة من العلما هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لانه ثبت انه عليه السلام لبس حلة حمرا وفي
الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج او العمرة وقد اتقن
البيهقي المسالة في معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر واباح له المعصفر قال الامام الشافعي وانما رخصت
في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
نهاني ولا اقول نهاكم قال البيهقي وقد جات احاديث تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذا من لباس
الكفار واحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شا الله تعالى ثم ذكر باسناده ما صح
عن الشافعي انه قال اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي قال البيهقي قال الشافعي
وانهى الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر ان يغسله قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها
في المعصفر اولى به انتهى ورايت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم الحنفية ومحققها كراهته للتحريم
مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند الحاكم وقال صحيح على شرطهما عن ابن عمرو بن
العاص قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال من اين لك هذا قال صنعته لي اهلي
فقال عليه السلام احرقه انتهى وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بردة الاحمر
في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه
ورداءه وعمامته رواهما الدمياطي وهو عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا
رواه من حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن لا يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله
اعلم واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم فعن ابي بردة ابن ابي موسى الاشعري قال اخرجت الينا عايشة
رضي الله عنها كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية

ازار

ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية كساء ملبدا قال ابن الاثير اي
مرقعا يقال لبدت القميص البده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد الذي ثخن
وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم من حديث عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة
وعليه مرط مرحل من شعر اسود والمرط بكسر الميم واسكان الراء كسا من صوف او خز يوتزر به والمرحل بتشديد الحاء
المهملة المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير رحل
قال وتفسير الجوهري اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في مادة رجل وبرد مرجل
كمعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي عليه
صور رحال الابل ولا باس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم وعن
عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة ايضا ان ثوب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد رداء اخضر في طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى
قال حدثنا محمد بن هلال قال رايت على هشام ابن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن ابي حبيب انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي
الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتزر تحت سرته
وتبدو سرته ورايت عمر يأتزر فوق سرته رواها كلها الدمياطي وعن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
عند عايشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه مسلم

فصل

قوله جبة طيالسة باضافة جبة الى الطيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والرا مفتوحة نسبة الى كسرى
ملك الفرس ولبنة بكسر اللام واسكان البا رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد
بالنهي عن الحرير المتمحض منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منها قاله
النووي لطيفة قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا طيب كان ابدا ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له
ثوب فما اتسخ له ثوب قط قيل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع من الشفا والسبتي في اعذب الموارد واطيب
الموالد لم يكن القمل يوذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي في الشمايل
عن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شي يوذي
في الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك وقد يجاب بان التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم
يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان اذى القمل هو غذاؤه من البدن تعلقها اجرى الله العادة
واذا امتنع الغذا لا يعيش الحيوان عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض
واما الطيلسان وهو بفتح اللام واحدة الطيالسة والها في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب وهو الساج ايضا وقال ابن
خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي المجمل لابن فارس الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل
عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة وراى انس جماعة عليهم
الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود خيبر قال ومن هنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم
في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا
واما ما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة

يختفي بذلك للحاجة ولم تكن عادته التقنع وقد ذكر انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله
للحاجة من الحر ونحوه انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع معروف وهو تغطية الراس
بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج في المدخل واما قناع الرجل فهو ان يغطي راسه بردائه ويرد
طرفه على احد كتفيه انتهى واما قول ابن القيم انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى
الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي وللبيهقي في الشعب ايضا وابن سعد في طبقاته من حديث
انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه السلام انه لبسه واما قوله ولا احد
من اصحابه فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى قال فقمت فاذا هو عثمان بن عفان
واخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلا قال رايت الحسن بن علي يصلي وهو مقنع راسه واخرج ابن
سعد عن سليمان بن المغيرة قال رايت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان قال رايت على الحسن طيلسانا
اندقيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي
تكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام
في امثلة البدعة المباحة وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروءة وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة
لانها كانت صفرا والله اعلم واما الخاتم ففي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق
وكان في يده ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر اريس وفيهما ايضا عن انس ابن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه واخرج احمد والنسائي
والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في يد رجل خاتما من حديد فقال ما لي اجد منك
ريح الاصنام ثم قال له اتخذه من فضة ولا تزده على مثقال وقد اختلف العلماء في لبسه في الجملة فاباحه كثير من اهل العلم
من غير كراهة ومنهم من كره هذا اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا لذي سلطان لحديث ابي داود والنسائي عن
ابي ريحانة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم الا لذي سلطان وكانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب
التي بعثها الى الملوك كما في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له انهم لا يقبلون كتابا
الا بخاتم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه ابو بكر لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا احتجاجا
بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمائل للترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من
فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفي الصحيحين من حديث انس انه راى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما
واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم من ورق ولبسوها فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم
والصواب القول الاول فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم انما كان في الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها
الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه اصحابه معه ولم ينكر عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة ن
واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض اصحابنا ان الامام احمد ضعفه واما ما
جاء في حديث الزهري عن انس انه صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة اجوبة احدها
انه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب
كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وانس ايضا الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه السلام لم يكن كله فضة
وانما كان حديدا عليه فضة ثم روى ابو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان
خاتم

خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ~~النبي صلى الله عليه وسلم~~ من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه يوما
واحدا ثم طرحه ولعله هو الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه انما كان لئلا يظنوا انه سنة مسنونة
فانهم اتخذوا الخواتيم لما راوه قد لبسه فنبههم بطرحه انه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم يكون تارة من فضة
وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة من صفر او رصاص ونحوها وتارة من عقيق فاما الذهب ففي الصحيحين
عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وانية الذهب وفيهما عن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب
فجعله في اصبعه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الائمة الاربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد واكثر
العلماء ورخص فيه طائفة منهم اسحاق بن راهويه وقال مات خمسة من اصحابه عليه السلام خواتيمهم من ذهب
قال مصعب بن سعيد رايت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب وعن حمزة بن ابي اسيد والزبير بن المنذر
بن ابي اسيد انهما نزعا من يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما البخاري في تاريخه وروى
النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب ما لي ارى عليك خاتم الذهب فقال قد راه من هو خير منك
فلم يعبه قال من هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء ولبسه
صلى الله عليه وسلم وجماعة من اصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها وكتب
اصحابنا طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال للابس خاتم الحديد ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله من اي شيء اتخذه قال من ورق ولا تتمه
مثقالا وخرجه ايضا النسائي والترمذي وقال غريب وخرجه الامام احمد وابو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة بجالس
في الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المروزي ابا طيبة وهو صدوق مشهور وتصحيح ابن حبان الحديث
دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة الحسن والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم
الا ما رخص فيه فاذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه
من الكفاية وينبغي ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا وساق الحديث وقوله ينبغي
يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا نصرف النهي عن حقيقته الا
بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكاة النقد فرع في ابي داود وصحيح
ابن حبان من حديث بريدة انه عليه السلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين
الاصحاب وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي التوسط للاذرعي لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج
عنه كان اسرافا كما قالوا في الخلخال للمراة ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه هذا
لفظه وهو يشير الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه ان لا يبلغ
به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه
فيكره ان يبلغ به وزن مثقال قال وفي رواية ابي داود في رواية صاحب المعالم ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست
هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الى ان يكون قيمة مثقال
فهو داخل في النهي ايضا انتهى وقد افتى العلامة السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ به مثقالا وان ما زاد عليه حرام
واما خاتم الحديد فاخرج ابو داود في الخاتم من سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه
من طريقه والنسائي في الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو

بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال مالي اجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه الترمذي كذلك قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى قال النووي في شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره الخاتم من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد او رصاص او نحاس لحديث بريده وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة نفسها اطلب ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه وفي سنن ابي داود باسناد جيد عن معيقيب الصحابي كان خاتمه عليه السلام من حديد ملوي عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين الحديثين وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المراة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه القاضي ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الى هذا ومنه حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن واما خاتم العقيق فعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفي سنده مجهول وروي بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر وروى يعقوب بن ابراهيم عن عايشه مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب متروك وروى ابو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لا يثبت وكذا ورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء وروى ابن فنجويه في كتابه الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف واما فص خاتمه عليه السلام فروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال النووي قال العلما يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والاخر فصه فضة وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلى الله عليه وسلم كان له في وقت خاتم فضة منه قال وفي حديث اخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه السلام انه لبس خاتما كله عقيقا واما نقش خاتمه عليه السلام ففي صحيح مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما من ورق فنقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا عليه نهى ان ينقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك وانه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب المعتاد فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا واما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق يعني الجلالة اعلى الاسطر الثلاثة ومحمد من اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من الاحاديث بل رواية الاسمعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب وفي لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بير اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له خاتما عوضه

وانا كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى تنبيه قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقا ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك هو يجوز تعداد الخواتم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري فقال المتجه انه لا يجوز للرجال ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احداهما لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي انه يجوز له ان يلبس زوجا في يد وفردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا فقال الصيدلاني في الفتاوي لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصار على الكراهة يدل على الحرمة واذا تقرر ذلك فالمسألة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب الطبري فان نصا اعتمد عليها افتى به الصيدلاني انتهى ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف الناس في افضلها فقيل اليسار وهو قول الامام احمد في رواية صالح قال التختم في اليسار احب الي وهو مذهب الامام ملك ويروى انه كان يلبسه في يساره ولذلك الامام الشافعي وفي صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره وروى اسمعيل بن مسلم عن السليطي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة قمراء كاني انظر الى عكن بطنه وكانها القباطي واني وبيص خاتمه في يساره واسمعيل هذا قال البخاري تركه ابن المبارك وربما روى عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كالحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار مروي عن عامة الصحابة والتابعين ورجحت طائفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى حماد بن ابي سلمة قال رايت ابن ابي رافع يتختم في يمينه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه ورواه احمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال قال محمد يعني البخاري هذا اصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وفي الشمايل للترمذي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وهذا فيه ضعف الحال عبد الله بن ميمون ويروى من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا وروى البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم بن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه وعبيد هذا كذاب قال الحافظ ابن رجب وقد جا التصريح بان تختمه عليه السلام في يساره كان اخر الامرين في حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الى يساره وقال وكيع التختم في اليمين ليس بسنة ونص الامام احمد انه يكره التختم في السبابة والوسطى وروي عن علي انه قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او هذه او ما الى السبابة والوسطى والله اعلم وفي اللباب وكان عليه السلام يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط يستذكر به الشيء ورواه ابن عدي بسند من ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة اوثق في خاتمه خيطا وروى ابو يعلى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث واما السراويل فاختلف هل لبسها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلما بانه عليه السلام لم يلبسه ويستانس له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في كتاب تهذيب الاسما واللغات انه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله فانهم كانوا احرص شيء على اتباعه صلى الله عليه وسلم لكن قد ورد في حديث عند ابي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جدا عن ابي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة

باسمعتها من احد قال ابو هريرة فقلت له كيف بكى الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان ونبت الحبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه فقال له يا هذا انما تفعل هذه الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت
لاحمله عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله
فانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه وكذا اخرجه
ابن حبان في الضعفاء عن ابي يعلى ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في الضعفاء وصدا رد على
يوسف بن زياد الواسطي لكن قد صح شراء النبي صلى الله عليه وسلم له وفي الهدي والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه
وقد روي انه لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه وقد اورد ابو سعيد النيسابوري ذكر الحديث في تجارته
صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخاري في اللباس من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه
لم يرد فيه شيء على شرطه قال ابو عبد الله الحجازي في حاشيته على الشفا وما قاله في الهدي من انه صلى الله عليه وسلم لبس
السراويل قالوا سبق قلم والله اعلم واما الخف فروى الترمذي عن بريدة ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وعن المغيرة ابن شعبة قال اهدى دحية للنبي صلى الله عليه
وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم اذكيان هما ام
لا واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففي البخاري عن قتادة عن انس ان
نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين
وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذي في الشمايل وفيها ايضا
عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى ابن طهمان قال اخرج الينا انس ابن مالك نعلين
جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن انس انهما كانتا نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر
رايتك تلبس النعال السبتية قال اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فانا احب
ان البسها وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفين وعن عايشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال
صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدأ باليمين واذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل وآخرهما تنزع
وكان صلى الله عليه وسلم ينهى ان ينتعل الرجل قايما رواه ابو داود والترمذي وقد ذكر ابو اليمن ابن عساكر تمثال
نعله الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم في جزء مفرد رويناه قراءة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو اسحاق
ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس وكذا غيرهما ولم اثبتها هنا لانكالا على شهرتها
وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركاتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن عبد
المجيد وكان شيخا صالحا قال حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة صاحب
هذا النعل عجبا اصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم ارني بركة صاحب
هذا النعل فشفاها الله للحين وقال ابو اسحاق قال ابو القاسم [illegible] ومما جرب من بركته ان من امسكه عنده متبركا به
كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المراة الحامل بيمينها
وقد اشتد عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته ولله در ابي اليمن ابن عساكر حيث قال

يا منشدا في رسم ربع خال … ومناشدا للدوارس الاطلال
دع تذكار آثار وذكر مآثر … لاحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا … ان فزت منه بلثم ذا التمثال

اتراه نعلونا اثر لها … شغل الخلي بحب ذات الخال
فبل لك الاقبال نعلي اخمص … حتى الهلاك بها تحل قبال
الصق بها قلبا تقلبه الهوى … وجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة … في تربها وجدا وفرط فعال
سيبل حجوا نوا بجوانح … في الحب ما جنحت الى الابلال
مايشبه نعل المصطفى روحي الفدا … لمحلها الاسمى الشريف العالي
حملت لمراكب العيوب وقد ناى … من مى العيان بغير ما اهمال
وتذكرت عهد العقيق فما ترى … شوقا عقيق المدمع الهطال
ما زال بالي منه في بلبال … وصبت فواصلت الحنين الى الذي
اذكرتني قدما لها قدم العلا … والجود والمعروف والافضال
اذكرتني من لم يزل ذكرى له … يغتادني بالابكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر في الدنا … والدين في الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذى لها نعلا لها … لبلغت من نيل المنى آمالي
اوان اجفاني لوطي نعالها … ارض سمت عزا بذل الاذلال

وما احسن قول ابي الحكم ابن المرحل في قصيدة له ذكرها ابو
اسحاق ابن الحاج في وصف حبيبي طرز الشعر ناظمه … وتمم خد الطرس بالنقش راقمه

رؤوف عطوف اوسع الناس رحمة … وجادت عليهم بالنوال غمايمه
له الحسن والاحسان في كل مذهب … فاثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم … وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لو انه … تقاسمه قومي كفتهم قسايمه
كان فؤادي كلما مر ذكره … من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه … ومن لفؤادي كان تهب نسايمه
فانشق مسكا طيبا وكانما … نوافحه جاءت به ولطائمه
وما دعاني والدعاوى كثيرة … الى الشوق ان الشوق ما انا كاتمه
مثال لنعلي من احب حويته … فها انا في يومي وليلي الاثمه
اجر على راسي ووجهي اديمه … والثمه طورا وطورا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشى … فتنصرع عيني وما انا حالمه
احرك خدي ثم احسب وقعه … على وجنتي خطوا هناك يداومه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي … لماش علت فوق النجوم براجمه
ساجعله فوق الترايب عوذة … لقلبي لعل القلب يبرد جاحمه
واربطه فوق الشؤون تميمة … لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
الا بابي تمثال نعل محمد … لطاب لحاذيه وقدس خادمه
بود هلال الافق لو انه هوى … تراجمنا في لثمه وتزاحمه
وماذاك الا ان حبه نبينا … يقوم باجسام الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا … وغنت باعضان الاراك حمايمه

ولابي بكر بن احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي

ونعل خضعنا هيبة لبهائها … وانا متى نخضع لها ابدا نعلوا
فضعها على اعلى المفارق انها … حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية … على التاج حتى باهت المفرق الرجل
شفاء لذي سقم رجاء لبايس … امان لذي خوف كذا يحسب الفضل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر … وانهار الجود من فيضها خلوا
سلونا ولكن من سواها وانما … نهيم بمعناها الغريب وما نسلوا
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها … جميم ولا مال كتيم ولا نسل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعو ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله عليه السلام فراش للرجل وفراش لامراته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم فكل مذموم يضاف للشيطان لانه

يرتضيه ويوسوس به ويحثه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل واما تعداد
الفرش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عايشه انما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان وروى البيهقي من حديثها
قالت دخلت علي امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف
فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عايشه قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات
فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عايشة فوالله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضه واخرج احمد وابن
حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على
حصير قد اثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا اوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب
سار في يوم صايف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني ولفظه دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام وهو نايم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت
يا رسول الله كسرى وقيصر يطوون على الخز والديباج والحرير وانت نايم على هذا الحصير قد اثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد
الله فان لهم الدنيا ولنا الاخرة وقوله كانها بيت حمام بتشديد الميم اي ان فيها من الحر والكرب كما في بيت الحمام وعن ابن عباس
قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا
عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت
عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال يا نبي الله وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزاينك لا ارى
فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك قال يا ابن الخطاب اما
ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال
عمر رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة وانه لمضطجع على خصفة
وان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة محشوة ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفي ناحية المشربة
قرظ فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير
فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا وعن عايشه
رضي الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي
فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم عليه فلما راهما استوى جالسا فنظرا فاذا اثر السرير
في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا
كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه السلام لا تقولا هذا فان فراش كسرى وقيصر في النار
وان فراشي وسريري هذا عاقبته الى الجنة رواه ابن حبان في صحيحه وروي انه عليه السلام ما عاب
مضجعا قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتقدم قوله عليه السلام باللحاف قال عليه السلام ما اتاني
جبريل وانا في لحاف امراة منكن غير عايشة رواه
النوع الثالث في سيرته عليه السلام في نكاحه
فقد كان صلى الله عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكمل مما تحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس وتحصل به مقاصد
النكاح التي وضع لاجلها فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة اشيا هي مقاصده الاصليه احدها حفظ النسل ودوام
النوع الانساني الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم الثاني قضا الوطر ونيل
اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفايدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلا

الاطباء يرون ان الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغي اخراج المني الا في طلب النسل او اخراج المحتقن منه
اذا دام احتقانه احدث امراضا رديه منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبري استعماله من
هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا رديه قال محمد بن زكريا
من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها وتقلص ذكره قال ورايت جماعة تركوه لنوع من
التقشف فبردت ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كابة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم اشار اليه في زاد
المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمراة فهو ينفع نفسه
في دنياه واخرته وينفع المراة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية و
لذلك كان صلى الله عليه وسلم يتبعا هذه ويقول كما في حديث انس عند الطبراني في الاوسط والنساي في سننه حبب
الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة اي لما جاته فيها ربه تعالى زاد الامام احمد في الزهد
اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن محبة النساء والنكاح من كمال الانسان هذا خليل الله ابراهيم امام
الحنفا كان عنده سارة اجل النساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وذكر سعد بن البراق شغفا بها وقلة
رغبتها وهذا داود عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المايه
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة تنبيه وقع في الاحيا للغزالي وتفسير ال عمران
من الكشاف وفي كثير من كتب الفقها حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام قال ثلاث ولم يذكر الا
اثنتين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر ان الاجامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح واطلي بالزعفران فلا ازال مولعا وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجها واطنب
في ذلك لكن هذا يسمى عندهم طيا وهو ان يذكر جمع ثم يوتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم وانشد الزمخشري
عليه كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها وفايدة الطي عندهم تكثير ذلك الشي لكن
ابن القيم وغيره من رواه حبب الي من دنياكم ثلث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست
من امور الدنيا التي تضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة قال شيخ
الاسلام والحفاظ ابن حجر في تخاريج الكشاف ان لفظ ثلاث لم يقع في شي من طرقه وزيادته تفسد المعنى وكذا
قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في اماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شي من كتب الحديث
وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد
الحسنة واقره وقال ابن الحاج في المدخل انظر الى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل احببت وقال
من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه السلام فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى وجعلت قرة عينه
في الصلاة فكان عليه السلام بشري الظاهر ملكي الباطن وكان عليه السلام لا ياتي الى شي من احوال البشرية الا تانيسا
لامته وتشريعا لها لا انه يحتاج الى شي من ذلك الا ترى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك فقال لكم ولم يقل اني لست بملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اعني في معانيه عليه السلام لا في ذاته
اذ انه عليه السلام يحوي بشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ ابو الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر لا كالبشر
كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للمفهوم فدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه انتهى وهنا لطيفة روي انه عليه السلام لما قال حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا النظر الى وجهك وجمع
المال للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر والقيام بامر الله • وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا اشباع الجايع وارواء الظمآن وكسوة العاري • وقال علي ابن ابي طالب وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الصوم في الصيف واقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف • قال الطبري خرجه الجندي كذا قال والعهدة عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وشدة البطش رواه الطبراني و قال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل وهن احدى عشرة قلت لانس اوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري من طريق قتادة وقال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعيد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخاري من طريق سعيد ابن ابي عروبة ايضا بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما ابن حبان في صحيحه فانه حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله ان الاولى كانت في اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية في آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عايشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هولاء جمع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن يحمل رواية هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا وعن طاوس ومجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد وفي رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث ابن ابي اسامة وعند احمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد ابن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة وعن صفوان ابن سليم مرفوعا اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد ولما كان عليه السلام ممن اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير منه ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة اكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيده بهذه الامة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فانه كان اكثر نساء و وقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن انس ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نساء قيل المعنى خير امة محمد عليه السلام من كان اكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضايل قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني والذي يظهر ان مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة الخصا من اصحابه وكانه اشار الى ان ترك التزوج مرجوح اذ لو كان راجحا ما آثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزوج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان ما يجد ما يتمتع به من القوت غالبا وان وجد فكان يوثر به الكثير ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهي عنده عليه السلام نادرة او معدومة وقال بعض العلماء لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح الامة قالوا ومن فوايد ذلك زيادة التكليف في القيام به مع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره ومنها ان النكاح في حقه عبادة و منها نقل محاسنه الباطنة وقد تزوج عليه السلام ام حبيبة وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل اباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن الى ابايهن وقرابتهن فكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله ظاهرا وباطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا • وقد رغب عليه السلام في النكاح فروى ابو داود والنسائي من حديث معقل ابن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود

فاني

فاني مكاثر بكم الامم وفي ابن ماجه عن ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ وارشد عليه السلام من لم يستطع البآءة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده المرء من الحرارات القوية التي تبعثه على النكاح وخص الشباب في قوله يا معشر الشباب لان الشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه صلى الله عليه وسلم لم يامر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح ينوي به التناسل لتطول تكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لآتي النساء ومالي اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله مني من يكاثر به محمد الامم يوم القيامة ذكره ابن ابي جمرة وانظر كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس ظهري مع ما طبعت عليه بشريته من حب الجماع وكيف لم يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام لم يكن ياتيهن الا على مشروعيتها وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا رهبانية في الاسلام وهي ترك النساء ولو كان تركهن افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال عليه السلام ان سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة الحديث رواه البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امراة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى لسليمان عليه السلام القوة على ذلك وكان فيها معجزة واظهار قدرة وابداء حكمة ردا على من ربط الاشياء بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فالقى الله تعالى في صلب سليمان ماية رجل وكان له ثلثماية زوجة والف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ما اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لان من بينه نبينا عليه الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد وسليمان عليه السلام تمنى ان يكون ملكا فاعطي ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان يخساوه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طلب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد بخرق العادة في النوع الذي اختار وهو الفقر والعبودية فكان عليه السلام يربط على بطنه الحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيئا والناس ابدا اذا اخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في المعجزة قاله في بهجة النفوس •

النوع الرابع في نومه عليه السلام كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك ويتوضا ولم يكن ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه كان ينام على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلي البدن من الطعام والشراب التشوق واضطجاعه على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه فالولو كثرة النوم على الجانب الايسر وان كان اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه فتنصب المواد واما قول المعافى عباض في الشفا وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم الخ ففيه شي لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسوا كان نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه وحينيذ فالاحسن تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر و ازدري النوم على الظهر ولا يضر الا مستلقيا لحليه للراحة من غير نوم وازدراه منبطحا على وجهه وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم او اقعد فانه نومة جهنمية وكان عليه السلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة كان عليه السلام ينام على الفراش مشيخ ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ

مفتحقة وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي رواية يوم تجمع عبادك وقال
ابو قتادة كان عليه السلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع راسه
على كفه وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا نام نفخ وعن حذيفة كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال اللهم باسمك
اموت واحيا وقالت عايشه كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وقال
انس كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا وكم ممن لا كافي له ولا مووي
روى ذلك الترمذي (١/١) وقد كان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث عايشه قالت
لها عليه السلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه السلام لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة
لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن احيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك
بحسب نصيبه منها فيستيقظ القلب وغافله كمستيقظ اليوت ونايمه والى هذا الذي ذكرناه اشار صاحب المعارف
العلية والقابي السنية سيدي علي بن سيدي محمد وفا • عيني تنام لكن قلبي • والله ما ينام •
وكيف ينام عاشق متيم • في الحب مستهام • ناظر الى وجه الحبيب • شاخص على الدوام • اين يجي الرسوم • اتاه في المعنى مرسوم
فقام بالحي القيوم • يا بعد من يقوم • وقد جمع العلما بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله
عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير قال النووي له
جوابان احدهما ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نايمة
والقلب يقظان والثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر
فصادف هذا اي قضية النوم عن الصلاة قال والصحيح المعتمد هو الاول والثاني ضعيف قال في فتح الباري
وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا
مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر الى ان حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول
يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق
صلى الله عليه وسلم حالة القا الوحي في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس
كما في قصة سهوه في الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع
ففي النوم بطريق الاولى او على السوا وقال ابن العربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلف حاله
من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملايكة في كل طريق • ان نبي فاكرم من المنتحل • وان نام
فبقلبه ونفسه على الله اقبل • ولهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ
لانا لا ندري ما هو فيه فنومه عن الصلاة او نسيانه لشي منها لم يكن عن افة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة
مثلها لتكون لنا سنة انتهى وقد اجيب عن اصل الاستشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله
لا ينام قلبي اي لا يخفى عليه حالة انتقاض وضويه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث
وهذا قريب من الذي قبله قال ابن دقيق العيد كان قايل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض
وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عايشة اتنام
قبل ان توتر وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فتحمل
يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع في النوم مطمين القلب به وبين من شرع فيه متعلقا
باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحمل انه اطمان في نومه لما اوجبه

نعب

اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك ... عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم ان النوم لا ...

مهم

تعب السير معتمدا على من وكله بكلاة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه
وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا ويويده قول بلال له كان مستغرقا
وقد اعترض عليه بان ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب واجاب بانه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد
اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم
بذلك لمصلحة التشريع والله اعلم انتهى المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق
رسالته وما خص به من خصايص اياته وبدايع كراماته وفيه فصلان الاول في معجزاته اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك الله بي وبك مناهج سنته واماتنا على محبته بمنه ورحمته ان المعجزة هي الامر
الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبيا عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان فعلم
بمثلها ان لها شروطا احدها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الما من بين الاصابع وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم الثاني ان تكون مقرونة بالتحدي
وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي القاموس
نحوه وفي الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحتدا بها حداء اذا غنى ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم
للغلبة واصله الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال توقاه
بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق به كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل واحد
منهما صاحبه بمعنى يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي على الكشاف
وقال المحققون التحدي الدعوى للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة ان لا ياتي احد بمثل ما اتى به
المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرساله مع امن المعارضه وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة
لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو
الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم
قبل دعوى الرساله وكلام عيسى في المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فانها ليست معجزات
انما هي كرامات ظهورها على الاولياء جايز والانبيا قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاوليا فيجوز ظهورها عليهم ايضا
وحينيذ يسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب
جمهور ايمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية
وخرج ايضا بامن المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف هل السحر
قلب للاعيان واحالة الطبايع ام لا فقال بالاول قايلون حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا وذهب
اخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لانبيايه وان الساحر والصالح لا يقلبان
عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان لجاتم الى ما ذكره القاضي ابو بكر ابن الباقلاني
من الفرق بالتحدي فقط فيرد عليكم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب
ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع وما تعرى عن الدليل فهو باطل الثاني ان اكثر اياته صلى الله عليه وسلم واعمها
واغلبها كانت بلا تحد كنطق الحصا ونبع الما ونطق الجذع واطعامه المئين من صاع وتفله في العين وتكليم الذراع
وشكوى البعير وكذا ساير معجزاته العظام ولعله لم يتحد بغير القران وتمني الموت قالوا فالقول لا يسمى من الايات
ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلغي معجزاته كالبحر المتلاطم بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا ايات
فهو الى الكفر اقرب منه الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود اية من هذه الايات اشهد ان

اجتهاد

رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق قوله في الاخبار عن الذي نكى في المشركين قتلا في المعركة انه من اهل
النار فقتل نفسه بمحضر ذلك الذي اتبعه من المسلمين، قالوا والوجه الثالث وهو الواضح لهذا القول
قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون فسمى تلك المعجزات المطلوبات
من الانبياء ايات ولم يشترط تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدي باطل محض انتهى ملخصا من تفسير ابي امامة ابن
النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الاصلي للتحدي
بل يكفي دعوى الرسالة والله اعلم

الرابع من شروط المعجز ان يقع على وفق دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي
او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة بكذبه فقالت كذب وليس هو نبي فان الكلام الذي خلقه الله تعالى دال
على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما يروى ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل
في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة ولا يقال قضية ما
قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا تظهر الا على ايدي الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال
يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لان ما ذكر في مدعي الرسالة
وهذا يدعي الربوبية وقد قام الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى
الادلة على صدق مخلوق اخبر عنه بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال
الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب الارباب ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

فان قلت اي الاسمين احق واولى بما اتت به الانبياء هل لفظ المعجز او لفظ الاية او الدليل فالجواب
ان كبار الائمة يسمون معجزات الانبياء دلائل النبوة وايات النبوة ولم يرد في القران لفظ المعجز بل ولا في السنة
ايضا وانما فيها لفظ الاية والبينة والبرهان كما في قصة موسى فذانك برهانان من ربك في العصا واليد وفي حق
نبينا عليه السلام قد جاءكم برهان من ربكم واما لفظ الايات فكثير بل هو اكثر من ان نسرده هنا كقوله تعالى واذا
جاءتهم اية وان في ذلك لايات واما لفظ المعجز اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر المراد به وذكرت
شرايطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن اثبت للاولياء خوارق عادات سماها
كرامات والسلف كانوا يسمون هذا معجزا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا
يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فان الدليل مستلزم للمدلول
يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهى واذا علمت هذا فاعلم ان دلائل نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهور معجزاته شهيرة فمن دلائل نبوته ما وجد في التوراة والانجيل
وساير كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من
الامور العزيزة العجيبة القادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب المنوهة بذكرهم
كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان
كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته واوصافه
وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من امكنتها الى ساير ما روي ونقل في الاخبار
المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه
وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الراي ظاهرة والدين الذي

والنكال ظ

دعا اليه

حـ وسن

دعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادي
والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم نظر في عاقبته ولا خوف
عقوبة ولائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وترادفت
الايدي فصاروا البا واحدا في نصرته وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم
في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم
ولا اموال افاضها عليهم ولا عوض في العاجل اطمعهم في نيله يحوزونه او ملك وشرف في الدنيا يحوزونه بل كان
من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور ويتفق مجموعها
لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب
عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن دلايل نبوته انه كان عليه السلام اميا
لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد في قوم اميين ونشأ بين اظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج
في سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كان ذهب معالم
تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل
ثم حاج كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيأ لهم
نقض ذلك وهذا ادل دليل على انه امر جاءه من عند الله تعالى ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من
الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه قال بعض
الحكماء ان الذي اورده عليه السلام على العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية واوضح
في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين
في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه
ولا في ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل
ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح قال ابو سليمان
الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع
القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم
يأذن له عقله ان يقطع القول في شيء بانه لا يكون او هو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال في هذا المجال
وابدعه واكمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض في المناقضة صارخا بهم
على رؤوس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد فقال لو كان بما
القي اليهم عليما خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا فرضيت هممهم الشريفة وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدماء وهتك الحريم وقد ورد
من الاخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة
واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في
نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه
امورا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت

لعله يرجونه

صابر

يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
حتى بلغ قرانا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها والقى بيديه خلف ظهره
معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا
الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط
والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فوالله ليكونن
لقوله الذي سمعت نبأ قال فاجابه بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت وناشدته الرحم ان يكف وقد
علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب ه رواه البيهقي وغيره وفي احديث اسلام
ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم
وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه
لصادق وانهم لكاذبون ه رواه مسلم والبيهقي وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى آخر الاية
قال اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ه وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم مني بالاشعار ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه
الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة ه وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو
وما يعلى وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم قائلون
من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل رواه ابن اسحاق والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحق حدثني اسحاق بن يسار
عن رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرا عليه
الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا قال يا ابت واحسن من
هذا وقال بعضهم ان هذا القران لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت
العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق وابرهم
وانقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه انتهى ه
واعلم ان وجوه اعجاز القران لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على ستة اوجه احدها ان
وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني
كلام كثير وحكي ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام
وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
الاصمعي انه راى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين
ولم يجر عليك قلم فقالت ه استغفر الله لذنبي كله ه قتلت انسانا لغير حله ه مثل غزال ناعم في دله ه انتصف الليل ولم اصله

فقلت

فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو
برجل قائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع
رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وقد رام قوم من اهل الزيغ
والالحاد او تواطؤا من البلاغة وحظا من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول
مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والعصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان
التحامل يقع في التاليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع
بنت ضفدعين نقي ما تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا
الكلام قال انه لكلام لم يخرج من ال اي قال ابن الاثير اي ربوبية وال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد اي لم
يجئ من الاصل الذي جاء منه القران ولما سمع مسيلمة عليه اللعنة والنازعات قال والزارعات زرعا والحاصدات
حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما
سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيان مما ذكرت في الوجه من المقصد الثاني بعضه والله اعلم وقال اخر لم تركيب
فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال اخر الفيل وما الفيل وما ادراك ما الفيل
له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا
خفاء به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم والثاني ان اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من
النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس
كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم فلا ريب
انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة
ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي من الملحدين الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب
وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن تصدى لذلك انه اعترته روعة وهيبة كفته
عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكم الغزال بتخفيف الزاي وقد تشدد وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيئا
من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته منه خشية ورقة حملته على
التوبة والانابة وحكي ايضا ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه
سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ولله در القائل سيدي محمد وفا
حيث قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم والقران المعظم ه
له اية الفرقان في عين جمعه ، جوامع ايات بها اتضح الرشد ، حديث نزيه عن حدوث منزه . قديم صفات الذات ليس له ضد ،
بلاغ بليغ للبلاغة معجز ، له معجزات لا يعد لها عد ، تحلت بروح الوحي حلة نسجه ، عقود اعتقاد لا يحل لها عقد ،
وغاية ارباب البلاغة عجزهم ، لديه وان كانوا هم الالسن اللد ، فاما كمثل بالا فكالاعياء عنه ، يصدي وللاسماع عن غيه صد ،
فلا الله اقوال يهاجرها ، هوانا بها الورهاء والبهم البلد ، تلاها فتل المحش في القبح وجهها ، وعز بها الالباب تنزهها الزهد ،
لقد فرق الفرقان شمل فريقه ، بجمع رسول الله واستعلن الرشد ، اتى بالهدى صلى عليه الهه ، ولم يلفه بالاهواء اذ جاءه الجد ،

والثالث انّ وجه اعجازه هو ان قارئه لا يملّه وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضًّا طريًّا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يملّ مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه وما لم يعلموه فاذا سالوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشان موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلونه فلم يفعلوا وتعقب بان الغيوب التي اشتمل عليها القران وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنا زعموا وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القران والتحدي منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر يصير سورة لا غيب فيها والسادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا اشتمل عليها كتاب بيّن الله تعالى فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المكلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث واياته والانباء بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر عليه احد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء في قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما ما عدا القران من معجزاته عليه السلام كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحدي ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي وان كانت افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالاثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من الصحابة مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا

الانكار

الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن على من روى شيئا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجد منهم من غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو ذلك والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر اياته وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والاجل الى غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع بالغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والتور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين العوراء ونطق العير والذئب والجمل وكالنور المتوارث من ادم الى جبهة ابيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الجملة ونقلتها عن السنة اولي النقلة مما لو اعملنا انفسنا في حصرها لفنى المدا في ذكرها ولو بالغ الاولون والاخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه ولكان المنتهى ساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمحبيه ان ينشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لخليق بان ينشد

فما بلغت كف امرئ متناولا * من المجد الا والذي نال اطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة * ولو حذقوا الا الذي فيه افضل

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفا وشفا بقوله

ما شئت قل فيه فانت مصدق * فالحب يقضي والمحاسن تشهد

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعني ان المداح وان انتهوا الى اقصى الغايات والنهايات لا يصلون الى شاوه اذ لا حد له وقيل انه رئي الشيخ عمر بن الفارض في النوم فقيل له لم لا امتدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اري كل مدح في النبي مقصرا * وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو اهله * عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال الشيخ بدر الدين الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه صلى الله عليه وسلم عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير يضيق على البليغ مجال النظم وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الى من قرضت له وجدتها صادقة في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعراء على صفاته عليه السلام كانوا يقصدون والى امداحه كانوا يقصدون وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى الى ما اطرت النصارى به عيسى بن مريم من اتخاذه الها قال البيضاوي لانهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي وانا ولدته فخففوا الاول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكفرة فان قلت هل ادعى احد في نبينا عليه السلام ما ادعى في عيسى اجيب بانهم قد كادوا ان يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له عليه السلام الا نسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جاء في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل الثناء الا من مكافئ اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه وقال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له عليه صلى الله عليه وسلم منة فيكافئه الاخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به

حقيقة

قال وانما المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ثم حاصل معجزاته وباهر اياته وكراماته كما نبه عليه
القطب القسطلاني يرجع الى ثلاثة اقسام ماض وجد قبل كونه فقضى بمجده ومستقبل يقع بعد مواراته في لحده وكاين معه
من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله الى محل فضله وموطن جمعه فاما القسم الاول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره
الى هذا الوجود فقد كثرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته
قال الامام الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله يعني في
سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال انتهى وقد تقدم اول هذا المقصد
ان الذي عليه جمهور ائمة الاصول وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تاسيسا للرسالة
وكرامة للرسول عليه السلام واما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ في كل حين يقع
لصالحي امته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكثير ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما سياتي
ان شا الله تعالى في المقصد الاخير في اثنا الكلام على زيارة قبره الشريف واما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته
الى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى اضاء له قصور الشام واسواقها حتى رؤيت اعناق الابل ببصرى ومسح الطاير على فواد
امه حتى لم تجد لشي لولادته الما والطواف به في الافاق الى غير ذلك وكانشقاق القمر عند اقتراحهم عليه وانضمام الشجرتين لما دعاهما
اليه وكاطعام الجيش الكثير من الزاد اليسير في عدة من المواضع واستيلاء الجوامع وغير ذلك مما امده تعالى به من المعجزات
واكرمه به من خوارق العادات تاييدا لامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا لسيادته في كل امة ولست بقادر لان اذكر
بعد امة مما تشعبه تخرج عن مقصود الاختصار اذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكني اتيه من ذلك على نبذة يسيرة واتو
في اثنائها بجملة خطيرة فاقول وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله
تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الاية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك يوم القيمة
واذا تبين ان قوله ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وانه المراد بالاية التي زعموا انها سحر وثبت ذلك صحيحا
في حديث ابن مسعود وغيره والمعجزات القمر لم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من امهات معجزاته عليه السلام
وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم لان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه اية
تدل على صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا تقدر البشر على ايجاد مثلها دلالة على صدقه عليه السلام
في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة التي يعبدون باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما
تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر اية عظيمة لا يكاد يعدلها شي من ايات الانبياء وذلك انه ظهر في
ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك
صار البرهان به اظهر انتهى وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة
وروى ذلك عنهم امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا ويتايد بالاية الكريمة انتهى وقال العلامة
ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القران مروي في الصحيحين وغيرهما
من طرق من حديث شعبة عن سليمن عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق اخر شتى بحيث لا يمترى في تواتره
انتهى وقد جات احاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس
وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم فاما انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس
سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد واما انس فكان ابن اربع او خمس بالمدينة واما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك
وفي الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم

انشقاق

انشقاق القمر شقتين حتى راوا حرا بينهما وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة اي نصفين ومن حديث ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهدوا وروى الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وعند الامام احمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على
هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس وعن عبد الله بن
مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة قال فقالوا
انظروا ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجا السفار فاخبروهم بذلك رواه ابو داود
والطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد
صدق وان لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر فسالوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رايناه وعند ابي نعيم في الدلايل
من وجه ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وابو جهل
والعاص بن وايل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراوهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق
لنا القمر فرقتين فسال ربه فانشق وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته ففي بعض طرقه انه حمل
الحديث عن ابن مسعود وعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراهم انشقاق القمر مرتين وكذا في مصنف عبد
الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند
احمد وفي حديث ابن عمر فلقتين بالفا كما قدمته وفي لفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية عن ابن
عباس عند ابي نعيم في الدلايل فصار قمرين ووقع في نظم السيرة للحافظ ابي الفضل العراقي وانشق مرتين بالاجماع قال الحافظ ابن
حجر واظن قوله بالاجماع يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علما الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولعل قايل مرتين اراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد وقع في رواية البخاري
من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول انس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه السلام كان ليلتئذ
بمكة فالمراد ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم وقد انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة
كجمهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيا فيها الانخراق والالتيام وكذا قالوه في فتح ابواب السما ليلة الاسرا
الى غير ذلك وجواب هولا ان كانوا كفارا ان يناظروا اولا على ثبوت دين الاسلام فاذا ثبت اشتركوا مع غيرهم
ممن انكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وايضا فلا سبيل له الى انكار ما ثبت
في القران من الانخراق والالتيام في القيمة واذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة لنبي الله صلى الله عليه وسلم
وقد اجاب القدما عن ذلك فقال ابو اسحق الزجاج في معاني القران انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق
القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشا كما يكوره يوم القيمة ويفنيه انتهى واما قول بعض الملاحدة
لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر عن حس ومشاهدة
فالناس فيه شركا والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير
والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره فاجاب عنه الخطابي وغيره بان هذه القصة
خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شي طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل
ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين في الابنية والبارز منهم بالصحرا اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان في ذلك الوقت

ليلتئذ

مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراكز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه فقد يجوز أنه وقع ولم
يشعر به أكثر الناس وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن انتظر وقوعه ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد
يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف
أهل بلد دون أهل بلد آخر وقال أبو سليمان الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن
بما حاصله أن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث
رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث فيهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة
الأفهام ولو كان إدراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا أجاب ابن عبد البر بنحوه تنبيه
ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين
الزركشي عن شيخه العماد بن كثير وأما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروي عن أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الطحاوي في مشكل
الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفاء وقال قال الطحاوي إن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وإن أوهم تخريج القاضي له في
الشفاء عن الطحاوي من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال إنه موضوع بلا شك وفي سنده أحمد بن داود
وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني وقال ابن حبان كان يضع الحديث قال ابن الجوزي وقد روى هذا
الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال وهذا حديث باطل قال ومن تغفيل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة
فيها فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء انتهى وقد أفرد ابن تيمية تصنيفا مفردا
في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم
الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وقال شيخنا قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن
الجوزي فأورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث
أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن كما
حكاه شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع عليه السلام رأسه في حجر علي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت
الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبراني أيضا في معجمه الأوسط بإسناد حسن عن
جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي
عن ابن إسحق مما ذكره القاضي عياض في الشفاء لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في
العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرونه وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح لم
تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ
منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم ويحتمل الجمع بأن المعنى لم تحبس
على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع والله أعلم وكذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم أيضا يوم الخندق حين

شغل

شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع وذكر البغوي في تفسيره أنها
حبست لسليمان عليه السلام أيضا لقوله ردوها علي ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الآية فالمراد الصافنات
الجياد والله أعلم قال القاضي عياض واختلف في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت على أدراجها وقيل
وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى وأما ما روي من طاعات
الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار فمنها تسبيح الطعام والحصا
في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم خرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال أخبرنا أبو اليمان قال أنا شعيب
عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر
قال هجرت يوما من الأيام فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت
عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأني حينئذ أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال
ما جاء بك قلت الله ورسوله فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير
فجاء أبو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال جاء بي الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس
فجلس إلى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على
حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ثم
ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ثم
ناولهن عثمان فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن قال الحافظ
ابن حجر وقد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى ففي حديث أبي ذر قال تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن
في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن أخرجه
البزار والطبراني في الأوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا
قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر
والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن انتهى وفي
وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس وما أحسن قول سيدي محمد وفا
لتسبيحه ذاك الوجه قد سبح الحصى ومن سح سحب الكف قد سبح الرعد وقول الآخر
يا حبذا لو تمشي كفا قد سبحت وسطها الحصاة وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه
الحافظ أبو الفضل في فتح الباري واعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة
ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصاة والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار
خلق الكلام فيه خلق الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة
الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم
خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن
أبعث إني لأعرفه الآن وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الأسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس
يتبركون بلمسه ويقولون إنه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به وقد ذكر الإمام أبو عبد الله
محمد بن رشيد بضم الراء في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين أحمد بن أبي بكر بن خليل قال أخبرني عمي سليمان
قال أخبرنا محمد بن إسمعيل بن أبي الصيف قال أخبرني أبو حفص الميانشي قال أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر الأسود
يعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال كنت

امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله رواه البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه عليه السلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعدما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت امين امين امين رواه البيهقي في الدلائل وابن ماجة مختصرا ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي وابو حاتم قال ابن المنير قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه احد جبل يحبنا ونحبه رواه البخاري ومسلم واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة كما قال تعالى واسأل القرية اي اهلها قاله الخطابي وقال العلامة البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراؤه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها انتهى ما نقله الحافظ المنذري وقالها البغوي جيد وعن ثمامة عن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان خرجه النسائي والترمذي والدارقطني والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل وركضه برجله اي ضربه بها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا خرجهما مسلم وانفرد بذلك وخرجه الترمذي في مناقب عثمن ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكان اسكن وقال حديث صحيح وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا وكذا رواه الخلعي عنه بنحو ولم يذكر ابا عبيدة ابن الجراح ورواه ايضا الحافظ ابو اسحق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والاباء عن الابناء ولله در القائل

ومال حراء تحته فرحا به ◦ فلولا مقال اسكن تقضقض وانقضا

وحراء وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات محمول على انها قضايا تكررت قاله الطبري وغيره لكن رجح الحافظ ابن حجر انه احد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحرث بن ابي اسامة عن روح بن عبادة فقال فيه احد او حرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده صحيح واخرجه ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي الاحتمال تعدد القصة واخرج مسلم من حديث ابي هريرة ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه كان على حرا ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم فلما طلبته عليه الصلوة والسلام قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حرا الي يا رسول الله رواه في الشفا وهو حديث مروي في الهجرة من السير وحرا مقابل لثبير والوادي بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحرا قبلي ثبير مما يلي الشمس وهذه الواقعة غير واقعة ثور فخبر الهجرة هذا هو الظاهر

والله اعلم ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة فقال له ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك اية فقال نعم قال فنظر الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي من حديث انس وعن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال الحديث حسن غريب وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال هل من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشق الارض وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك رسول الله قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى ابن مرة الثقفي ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها الحديث رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتئمتا الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين والتئام الاجتماع ولله در الابوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ◦ تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت ◦ فروعها من بديع الخط في اللقم

فشبه اثار مشي الشجرة لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه زاده الله شرفا لديه وتامل قول الاعرابي له ايذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فراى انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه الصلوة والسلام انه لا يكون الا لله الحق على كل مؤمن ان يلازم السجود للحق المعبود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاديث

المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روي حديث حنين الجذع عن جماعة من
الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب
والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية ابي حباب عن ابيه عن
ابن عمر ورواه ابن ماجه وابو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط
مسلم ورواه الترمذي وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم بلفظه اخرجاه من رواية
اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني
وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي وابو يعلى وابن ماجه وغيرهم
من رواية الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد
الجوهري من رواية عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري ثم قال ولسنا ندعي ان التواتر حاصل مما
علمت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت في
الشاهد منها او بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري
حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا وقال البيهقي قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة
التي حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى نبينا محمدا عليه الصلوة والسلام
فقيل له اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث
حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضع عشر منهم ابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب ابن ابي وداعة انتهى فاما حديث ابي فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن ابي بن كعب
عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى الجذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع
فقال رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلث
درجات هي التي على المنبر فلما صنع وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر فرواه
البخاري من طرق وفي لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت
امرأة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر
فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي
على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي لفظ قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر
العين النوق الحوامل وفي حديث ابن الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة
الخلوج انتهى والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة واخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها والحنين هو
صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلاء والعقل
والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا
حن وان قال قيل مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ان الاصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا العقل
فاجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحياة لازمة للاصوات الشوق الى الحق شوقا معنويا عقليا لا طبعا بهيميا وعند
الشيخ ابي الحسن ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزم الحياة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني
وجدت في الجذع والطلق الحاضرون حنينه على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والمقام الحبيب

عنه ان عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واعزته يبرد غليل شوقهم
اليه واسفهم عليه ولله در القائل وحن اليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فخطب الناس فجاءه
رومي فقال الا اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذي وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجه والامام احمد من طريق
الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس
قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة
تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها
فسكنت ورواه ابو القاسم البغوي وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله
تحن الخشبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ولله در القائل
والقى حتى والجمادات حنه فكانت لاهداء السلام له تهدا وفارق جذعا كان يخطب عنده فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا اما نحن اولى ان نحن له وجدا اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة فليس وفاء ان نطيق له بعدا
واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ورواه
ابن ماجه واما حديث ابن عمر ففي البخاري واما حديث ابي سعيد الخدري فعند ابن حميد واما حديث عائشة فعند
البيهقي وفي اخره انه خير الجذع بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة واما حديث بريدة فعند الدارمي وفيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال له ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال
اختار دار البقاء على دار الفناء واما حديث ام سلمة فعند ابي نعيم في الدلائل والقصة واحدة وما في الفاظها مما ظاهره
التعارض هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم واما كلام الحيوانات
وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاءوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل
والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين
يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول الله
هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر لو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه احمد والنسائي والحائط هو
البستان وقوله نسني عليه بالسين والنون المهملة اي نستقي عليه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما راه جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال
اما ما ذكرت من امره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوي في شرح السنة والجزاء

متواتر
عيني
خ ابي
لعله محله
خ لمي
خ عبد
ط ينبت

باسناد ضعيف

بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره وروى الامام احمد قصة اخرى نحو ما تقدم من حديث
جابر ضعيفة والبيهقي باسناد جيد وكذا روى الطبراني قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف
والامام احمد ايضا من حديث يعلى بن مرة واخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال
اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس قال وكان
احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حايش نخل فدخل حايطا لرجل من الانصار فاذا
جمل فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه وفي رواية فسكن
ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجا فتى من الانصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال الا تتقي الله في هذه
البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه قال في المصباح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو
داود عن موسى بن اسمعيل عن مهدي بن ميمون والحايش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل لا
واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور هو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند اذنه
ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حايطا للانصار ومعه
ابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجود لك من هذه الغنم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد رواه ابو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب
دلائل النبوة باسناد ضعيف وذكر القاضي عياض في الشفا وذكر ايضا عن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها ه
ومنها قصة كلام الذيب وشهادته له صلى الله عليه وسلم اعلم انه قد جا حديث قصة الذيب في عدة طرق
من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر وابي سعيد الخدري فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد بسند جيد ثم
ولفظه قال عدا الذيب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعى الذيب على ذنبه وقال الا تتقي الله
تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال الراعي يا عجبا ذيب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك
باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها
الى زاوية من زواياها ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي
بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم واما حديث ابن عمر فاخرجه ابو سعيد الماليني ه
والبيهقي واما حديث انس فاخرجه ابو نعيم في الدلايل واما حديث ابي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه
قال جا الذيب فاقعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا وافد الذياب جا يسالكم ان تجعلوا له من اموالكم شيا قالوا والله لا نفعل واخذ رجل من القوم حجرا
فرماه به فادبر الذيب وله عوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وروى البغوي في
شرح السنة واحمد وابو نعيم بسند صحيح عن ابي هريرة ايضا قال جا ذيب الى راعي غنم فاخذ منها شاة فطلبه
الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذيب على تل فاقعى واستثفر وقال عمدت الى رزق رزقنيه الله اخذته ثم
انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رايت كاليوم ذيب يتكلم فقال الذيب اعجب من هذا رجل في النخلات بين
الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كاين بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره واسلم
فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم انها امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج
فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده واستثفر بالسين المهملة والمثناة والفا اخره را
اي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب قاله القاضي عياض وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال
الذيب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب
الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال
الراعي من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده

النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذيب شاة منها وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب
وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
بضم الخا المعجمة اي فاسدة متغيرة يعني بيع النسا والنعير في اهلها ومن ذلك الحمار اخرج ابن عساكر عن ابي منظور
قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه
الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من جدي ستين حمارا كلهم نسل
لا يركبه الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبيا غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي
وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فياتي الباب فيقرعه براسه فاذا خرج اليه صاحب الدار اوما اليه
ان اجب رسول الله فلما قبض صلى الله عليه وسلم جا الى بير كانت لابي الهيثم ابن التيهان فتردى فيها جزعا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه ابو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته عليه السلام ما هو اعظم من كلام الحمار وغيره ومن ذلك حديث الضب
وهو مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزي لا يصح اسنادا
ولا متنا وذكره القاضي عياض في الشفا وقد روي من حديث عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من اصحابه اذ جا اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه وياكله فلما راى الجماعة
قال من هذا قالوا نبي الله فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل انه موضوع لكن معجزاته عليه السلام فيها
ما هو ابلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الايمة فنهايته الضعف لا الوضع والله اعلم ومن
ذلك حديث الغزالة روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الايمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضا
وذكره القاضي عياض في الشفا ورواه ابو نعيم في الدلايل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضي الله
عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلث مرات
فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نايم في الشمس فقال ما حاجتك قالت صادني هذا
الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت عذبني الله
عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابي
وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهي تضرب برجليها
الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري
حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكاة ونقل شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوي عن ابن كثير انه لا اصل له
وان من نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكنه ورد في الجملة في عدة احاديث يتقوى بعضها
ببعض اوردها شيخ الاسلام ابن حجر في المجلس الحادي والستين من احاديث المختصر والله اعلم وفي شرح مختصر
ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسليم الحجر رواه الطبراني وابن ابي عاصم من حديث ابي ذر وتسليم الغزالة
رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهاني والبيهقي في دلايل النبوة ونحن نقول بهما ايمانا وان لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما
استغني عنهما بنقل غيرهما او لعلهما تواترا اذ ذاك انتهى ومن ذلك داجن البيوت وهو ما الف
من الحيوان كالطير والشاة وغيرها روى قاسم بن ثابت عن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا

الخشف مثلثة ولد الظبي اول ما يولد او اول مشيه والجمع خشوف

نحو: لتركتها خلوفا

صح
ف
يعفور
خ
ح
نعلاه
ن

ط
٢

كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وهو أشرف
المياه فقال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة
ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن
غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه ونقل ابن عبد البر عن المزني
أنه قال نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا
فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى وقد روى حديث
نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند
آخرهم وفي البخاري كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ له فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم
قال فقلنا لأنس كم كنتم قال كنا ثمانين وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم قال الكرماني حتى للتدريج ومن للبيان
أي توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند آخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى في لأن عند وإن كانت للظرفية
الخاصة لكن المبالغة تقتضي أن تكون لمطلق الظرفية فكأنه قال الذين هم في آخرهم وقال التيمي المعنى توضأ
القوم حتى وصلت النوبة إلى الآخر وقال النووي من بمعنى إلى وهي لغة وتعقبه الكرماني بأنها شاذة
قال ثم إن إلى لا يجوز أن تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي أن لا يدخل الأخير لكن ما قاله الكرماني من
أن إلى لا تدخل على عند لا يلزم مثله في من إذا وقعت بمعنى إلى وعلى توجيه النووي يمكن أن يقال عند زائدة
قاله في فتح الباري وروى هذا الحديث أيضا عن أنس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وإبلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن
بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال فرأيتها تخلل عيونا بين أصابعه قال فسقينا إبلنا ودوابنا
وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا قال
خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه
الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال للقوم هلموا إلى الشراب قال أنس بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه
فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر ففي الصحيحين قال عطش النبي صلى الله
عليه وسلم وبين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به
ولا ما نشربه إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا
قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وقوله يفور أي يغلي ويظهر متدفقا وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله
عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب عليه جابر وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي من أحد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وروى حديث جابر أيضا الإمام أحمد
في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيء من الماء
ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه
وفي لفظ من حديثه أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الإناء ثم قال بسم الله ثم قال أسبغوا
الوضوء قال جابر والذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

فما رفعها حتى توضؤا أجمعون ورواه أيضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فأصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع
من بين أصابعه كأنه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم
كنتم قال ألفا وخمسمائة وأخرجه ابن شاهين من حديث جابر أيضا وقال أصابنا عطش بالحديبية فجهشنا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وأخرجه أيضا عن جابر أحمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل بإداوة فيها
شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف
وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت
العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه وأما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء
ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا أن الماء كان ينبع من بين أصابعه
بالنسبة إلى رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الإناء فيراه الرائي
نابعا من بين أصابعه وظاهر كلام القرطبي أنه نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم
ويؤيده قول جابر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفي رواية فرأيت الماء ينبع من أصابعه وهو الصحيح وكلاهما
معجزة له صلى الله عليه وسلم وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع إناء تأدبا مع الله تعالى إذ هو المنفرد
بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال
لا والله ما وجدت الماء قال فهل من شن فأتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت تحت يديه عين فكان ابن مسعود يشرب
وغيره يتوضأ رواه الدارمي وأبو نعيم وكذا رواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى الأنصاري وأبو نعيم من طريق القسم
ابن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ومن ذلك تفجر الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته روى مسلم في صحيحه
عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي
النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء
من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن
يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين
بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا
أي بساتين وعمرانا وهذا أيضا من معجزاته عليه السلام ورواه القاضي عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك في الموطأ
وزاد فقال قال في حديث ابن إسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث
المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه
وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال
يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بالمثلثة والتحريك الماء القليل وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة
أي يأخذونه قليلا قليلا والبرض الشيء القليل وقوله فما زال يجيش بفتح المثناة التحتية وبالجيم آخره شين معجمة أي يفور
ماؤه ويرتفع وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي
أبي الأسود عن عروة أنه توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في
البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الأمرين وكذا
روى الواقدي من طريق أوس بن خولي وهذه القصة غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم
مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع

يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين
انتهى فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ما هو اعم
من ذلك ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من اصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي
بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها انتهى وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع
عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم قال
في رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر
ما حول البئر وبالكسر ما جمعت فيه من الماء وقوله وركابهم اي الابل التي يسار عليها وفي الصحيحين عن عمران بن
الحصين قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو
رجاء ونسيه عوف ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او سطيحتين
من ماء فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه
من افواه المزادتين او السطيحتين واوكأ افواههما واطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من   افواههما
سقى واستقى من شاء وهي قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملأة منها
حين ابتدأ فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها
طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا
ولكن الله هو الذي اسقانا فاتت اهلها فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له
الصابئ ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم او انه لرسول الله حقا فقالت لقومها فهل لكم في الاسلام الحديث
وعن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء غدا
ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي احد على احد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي
انتصف فمال عن الطريق فوضع راسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه   انتصف
وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من
ماء فتوضأنا منها وضوءا قال وبقي شيء من ماء ثم قال احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبأ ثم اذن بلال بالصلاة
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار
وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة فجعل يصب وابو قتادة
يسقيهم فلم يعد ان راى الناس ما في الميضاة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملأ
كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم
اخرهم فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه   كالعم
وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال
فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم   القزعة قطعة من الغيم
ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام
ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا
ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا
ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون

الاود

الاودية ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما
واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بافاق المدينة
والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا
عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع
حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرحل فلا يرجع حتى نظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحبون
ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها
تجاوز العسكر قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة
احد الائمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم وعتبة
فيه مقال انتهى وقد رواه القاضي عياض في الشفا مختصرا وروى ابو اسحق في مغازيه نحوه وروى صاحب مصباح الظلام
عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز فادركني العطش فشكوت
اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال يا عم اعطشت
فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا انا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك
تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه عن جابر في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امراتي فقلت هل عندك شيء
فاني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها
وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا
بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع
سورا فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجاء فاخرجت له عجينا
فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها
وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري
ومسلم وقوله فانكفأت اي انقلبت وقوله داجن يعني سمينة وقوله فذبحتها بسكون الحاء وطحنت بسكون
التاء يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امراته سهيلة بنت مسعود الانصارية وقوله سورا بضم المهملة
وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية وقوله فحي هلا كلمة
استدعاء فيه حث اي هلموا مسرعين وقوله واقدحي اي اغرفي وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء
المهملة اي تغلي ويسمع غطيطها وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا فلفت الخبز
ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي ادارت بعض الخمار على راسي مرتين كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليهم
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم
عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن ل

لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال
ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم لعشرة فأكل القوم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم
والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق
وفي رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا
ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أي بقية وهو بالهمز وفي رواية للبخاري قال أدخل علي
عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر هل نقص منها شيء وفي رواية يعقوب أدخل علي
ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فأكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد القصة
فإن أكثر الروايات فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله الحافظ ابن حجر قال وظاهره أنه عليه السلام
دخل منزل أبي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل وفي رواية يعقوب عن أنس فقال أبو طلحة يا رسول الله إنما أرسلت أنسا يدعوك
وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى وفي رواية عمرو بن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة إنما هو قرص فقال إن الله
سيبارك فيه قال العلماء وإنما أدخلهم عشرة عشرة والله أعلم لأنها كانت قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة أن
يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة ليتنالوا من الأكل ولا يزدحموا وأما قوله عليه السلام
أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أن أبا طلحة
استدعاه إلى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس أن يأخذه
النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له أن يدعو
النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من
أرسله عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية أن لا يكفي ذلك النبي هو ومن
معه وقد عرفوا إيثاره عليه السلام وأنه لا يأكل وحده وقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس
عند أبي نعيم وأصله عند مسلم فقال لي أبو طلحة يا أنس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قام
فدعه حتى يتفرق عنه أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فقل له إن أبي يدعوك وفيه فقال أبو طلحة يا رسول
الله إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك ه
وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج
ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص
في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن أنس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة وعرف بهذا
المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله أن يقول وفي رواية أنس عند أحمد أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طاويا وعند أبي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن أنس أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعام فآجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاءه الحديث وفي رواية عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة
عند مسلم وأبي يعلى قال رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب بطنا لظهر وفي رواية يعقوب
ابن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم أيضا عن أنس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع أصحابه
يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته فدخل على أم سليم
فقال أعندك شيء فإني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على
بطنه حجرا وعن أبي هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم
ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر

بكسرة

بكسرة بشيء يسير ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما
تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم وعن أنس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته
في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام
فقال صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى
ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله قيل لأنس عدد كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله
وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم قال لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين
وضعت كان أكثر أم حين رفعت رواه البخاري ومسلم وعن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم
في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال
لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم وعنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير
فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام
لكم رواه مسلم أيضا والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة وإعدام الشعير حين كاله أن عصرها
وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الإحاطة بأسرار
حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي وعن أبي العلاء سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من أي شيء تعجب ما كانت تمد
إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء رواه الترمذي والدارمي وعنه أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال فما كانت تمد إلا من ههنا وأشار إلى
السماء رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وأبو نعيم وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث أنه عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير رواه البخاري وعن أبي هريرة قال أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها
حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم وعن علي بن أبي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه رواه في الشفاء

ومن ذلك إبراء ذوي العاهات

وإحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة روى البيهقي في الدلائل عن أنه صلى الله عليه وسلم
دعا رجلا إلى الإسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه إياه فقال صلى الله عليه
وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله يا رسول
الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا وروى الطبراني عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم
نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي
ثم ردها وكذا روي من حديث عائشة أيضا إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به أورده السهيلي وكذا الخطيب
في السابق واللاحق لكن قال السهيلي إن في إسناده مجاهيل وقال ابن كثير إنه منكر جدا وتقدم البحث في ذلك في أوائل المقصد

الأول وعن انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم وعن النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة من سروات الانصار فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كساء وبردين وفي البيت نساء من الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى اذا كان بين المغرب والعشاء الاخرة سمعوا صوتا قائلا يقول انصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه ابو بكر بن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله خرجه ابو بكر بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة واتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض اذنيها كذا رواه فالله اعلم وعن معيقيب اليمامي قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة وعن مهدي بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا قال رسول الله رواه البيهقي وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى رواه الدارمي وقوله ثع يعني قاء واصيب يوم احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة احبها واخشى ان رأتني تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال ه

انا ابن الذي سالت على الخد عينه … فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول امرها … فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر واحسن جائزته قال السهيلي وروى محمد بن ابي عثمان عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن عمار بن نصر واخرج الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وفي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله عليه وسلم الى علي فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرا وعند الحاكم من حديث علي ان النبي صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم

بصق

بصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا واصيب سلمة يوم خيبر ايضا بضربة في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري ونفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم ه

الفصل الثاني

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الانبياء من الكرامات والايات البينات اعلم نور الله قلبي وقلبك وقدس سري وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشياء لم يعطها نبيا قبله وما خص نبي بشيء الا وكان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فانه اوتي جوامع الكلم وكان نبيا وادم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا في حال نبوته وزمان رسالته ولما اعطي هذه المنزلة علمنا انه الممد لكل انسان كامل مبعوث ورحم الله الاديب شرف الدين الابوصيري فلقد احسن حيث قال ه

وكل آي اتى الرسل الكرام بها … فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها … يظهرن انوارها للناس في الظلم

يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي انه نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شي ولو قال فانما هي من نوره التي هم اتاه ونزع عليهم ربك لا يبقى له منه شي وانما كانت ايات كل واحد من نوره شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على ايدي الرسل عليهم السلام مما سواه من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شي واول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلائف في الارض الى ان وصل الى زمان وجود صورة جسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى تحت منشور ايته كل اية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فادم عليه السلام اعطي ان الله تعالى خلقه بيده واعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود من خلق ادم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وادم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة واما سجود الملائكة لادم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته ولله در القائل ه

تجلى جل الله في وجه ادم … فصلى له الاملاك حين توسل

وعن عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية اتم واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملائكة انتهى قاله بعضهم واما تعليم ادم اسماء كل شي فاخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي في الماء والطين وعلمت

فنسال اصحابه فقال كنت امون جملا فوقعت على بيض حية رواه ابن ابي شيبة كذا في حياة الحيوان للدميري

محمد

قال العلامة ابن مرزوق صح

الاسما كلها كما علم ادم الاسما كلها فكما ان ادم علم اسما العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
وزاد عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها وقد ذكر الابوصيري حيث قال
لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء ♦ ولا ريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء
لان الاسما يوتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات واليه الاسما يتوقف لبيان ذوات العلوم والاسما
مقصودة لغيرها فهي دونها فتفضل العالم بحسب فضل معلومه واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى
مكانا عليا فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه
السلام فنجاه الله تعالى ومن امن معه من الغرق ونجاه من الخسف فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما قول الفخر الرازي



في تفسيره اكرم الله تعالى نوحا بان امسك سفينته على الما وفعل محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه روي انه
صلى الله عليه وسلم كان على شط ما ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي
في الجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي
الرسول وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فلم اره
لغيره والله اعلم بحاله واما ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فاعطى
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفا نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها السيوف
ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله فكم ارادوا ان يطفئوا النور بالنار واني الجبان الا انهم نور وان تخمد شررهم وتخمد لمحمد عليه
السلام شر رهم وظهورهم وذكر انه عليه السلام مر ليلة المعراج على جبل النار الذي دون السماء الدنيا مع
مع سلامته منه كما روي مما اثبته في بعض الكتب وروى النسائي عن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصبت
القدر علي واحترق جلدي كله فحملني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه السلام في جلدي ومسح بيده
على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واما ما اعطيه ابرهيم عليه السلام من



مقام الخلة فقد اعطيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة وقد روي في حديث الشفاعة ان
الخليل ابرهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء
اذهبوا الى غيري الى ان تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان
نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابرهيم
وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه السلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطا حتى راى الحق بعيني راسه
كما سياتي في البحث في ذلك ان شا الله تعالى في الفصل الخامس والمحقق من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم نال
درجة الخلة التي اشتهرت لابرهيم عليه السلام على وجه تطوق ابرهيم بان نصيب سيدنا محمد عليه السلام
منه الاعلى بعلوه فقوله عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع فيه دليل على انه انما يشفع من كان
خليلا لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس والمكان وذلك مقام محمد
عليه السلام بالدليل والبرهان ومما اعطيه ابرهيم عليه السلام انفراده في اهل الارض بعبادة الله وتوحيده
والاستصحاب للاصنام بالكسر والقسر فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها بالمخصر من اولي
نصرها بقضيب لين مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجترا بها لا بالفاس من الفاس وما عول
على المعول ولا عين من في الفول ولا تمرض في القول بل قال جهرا عن سر وقل جا الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا ومما اعطيه الخليل عليه السلام بنا البيت الحرام ولا خفا ان البيت جسد وروحه الحجر

الاسود

الاسود بل هو سويدا القلب بل جا انه يمين الرب كناية عن استلامه كما يستلم الايمان عند عقد العهود والايمان
ومما اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد هدمه ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا
على الفخر الفخيم والمجد الضخم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل فاتفق دخول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا
هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال ليرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم
اخذه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة له على
مدى الايام واما ما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة فاعطى سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم حنين الجذع وقد تقدمت قصته وحكى الامام الرازي في تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل
ان يرميه عليه السلام بالحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطيه موسى عليه السلام
ايضا من اليد البيضا وكان بياضها يغشي البصر فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل
في اصلاب الاباء وبطون الامهات من لدن ادم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه واعطي صلى الله عليه وسلم
قتادة ابن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين
يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضا له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه ابو نعيم واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن
انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل
ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا بيد كل واحد منهما عصى فاضات لهما عصى احدهما فمشيا
في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضات للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا
في ليلة ظلما واضات اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير ومما اعطيه موسى
عليه السلام ايضا انفلاق البحر له اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما تصرف موسى في
عالم الارض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السما والفرق بينهما واضح وقال ابن المنير وذكر
ابن حبيب ان بين السما والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال
فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني ليلة الاسرا قال وهو اعظم من انفلاق
البحر لموسى عليهما السلام ومما اعطي عليه السلام اجابة دعائه اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا
يحصى ومما اعطيه موسى عليه السلام تفجر الما له من الحجارة فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الما تفجر
من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الما ولم تجر العادة بنبع الما من اللحم والدم قال
وكل معجزة للرسل قد سلفت ♦ وافى باعجب منها عند اظهار ♦ فما العصا حية تسعى باعجب من
شكوى البعير ولا من مشي اشجار ♦ ولا انفجار معين الما من حجر ♦ اشد من سلسل من كفه جار
ومما اعطيه موسى عليه السلام الكلام اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو
وايضا كان مقام المناجاة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى
وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا واما ما اعطيه هرون عليه السلام
من فصاحة اللسان فلقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران
بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هرون غايتها في العبرانية والعربية افصح منها وهل كانت
فصاحة هرون معجزة ام لا قال ابو الخير الطاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحدى من الانبياء بالفصاحة

الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه
السلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة وكونها معدودة من لسنه هل تحدى بها ام لا وظاهر
قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه وخصايصه ولا خلاف انها باعتبار
ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن
فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وسياتي الاشارة الى ذلك ان شا الله تعالى في مقصد الاسرا
ومن تامل ما نقلته في صفته عليه الصلوة والسلام تبين له من ذلك التفضيل على كل مشهور بالحسن
في كل جيل واما ما اعطيه يوسف ايضا من تعبير الرويا فالذي نقل عنه من ذلك ثلث منامات احدها
حين راى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثاني منام صاحبي السجن والثالث منام الملك وما اعطي
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب
العجاب وسياتي نبذة من ذلك ان شا الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد
له فكان اذا مسح الحديد لان فاعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه واورق
ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا فدرت واما ما اعطيه سليمن عليه السلام من كلام
الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وهو
جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير كما مر وروى
ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا
فقال اردد ولده ذكره الرازي ورواه ابو داود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا
حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش او تعرش فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من فجع هذه بولدها ردوا اليها ولدها الحديث وقصة كلام الذيب مشهورة واما الريح التي كانت غدوها
شهر ورواحها شهر تحمله الى اين اراد من اقطار الارض فقد اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع
من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة
الاف سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى وايضا فالريح
سخرت لسليمن لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها
ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روي
ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية
من سواري المسجد وخير مما اوتيه سليمن من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمن استخدمهم ومحمد
صلى الله عليه وسلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمن في قوله تعالى وحشر لسليمن جنوده من الجن
فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده عليه السلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد
على طريقة الاجناد واما عد الطير من جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكرها في الساعة الواحدة
وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شي بايسر شي واما
ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم
ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل شعر يا خير عبد على كل الملوك ولي واما ما اعطيه عيسى عليه
السلام من ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ما
سقطت فعادت احسن ما كانت وروي ان امراة معاذ بن عفرا كانت برصا فشكت ذلك الى رسول الله صلى

فدرت ودرت

الله عليه وسلم فمسح عليها بعصى فاذهب الله البرص منها ذكره الرازي وفي دلايل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا او من بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت
لبيك يا رسول الله الحديث وتقدم وايضا فقد سبح الحصى في كفه وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وذلك ابلغ من
تكليم الموتى لان هذه من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم
فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شا الله تعالى ما يكفي ويشفي واما ما
اعطيه عيسى عليه السلام ايضا من رفعه الى السما فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي
لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا
محمدا صلى الله عليه وسلم من خصايص الكرامة بما لم يعطه لاحد من الانبيا عليهم الصلوة والتسليم وقد روى جابر عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل
احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخاري وفي رواية وبعثت الى الناس كافة
وزاد البخاري في روايته في الصلاة عن محمد بن سنان من الانبيا وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي
ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيا واسناده كما قال ابن كثير جيد
وليس المراد حصر خصايصه صلى الله عليه وسلم في هذه الخمسة المذكورة فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا
فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون فذكر الخمسة المذكورة في حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت
جوامع الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا
على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة اخرى وهذه الخصلة
المبهمة بينها ابن خزيمة والنسائي وهي واعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى
ما حطه الله تعالى عن امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد
من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبياء الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتي
خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه
فضلت على الانبيا بست غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر وان صاحبكم
لصاحب لوا الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت
على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة ويمكن
ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي
اختص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة وطريق الجمع ان يقال لعله عليه السلام اطلع اولا على بعض ما اختص به
ثم اطلع على الباقي ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله وذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم
اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة وقد اختلف في العلم بخصايصه صلى الله عليه وسلم فقال الصيمري منع من
الشافعية منه ابو علي بن خيران لان الكلام فيها لامر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين قال
المحققون ذكر الخلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم ناجز تمس اليه حاجة وانما يجري
الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص
فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فايدة وقال النووي في الروضة والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين
وقال سائر الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب الجزم

بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل بعض الخصائص ثابتا في الحديث الصحيح
فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها واما ما يقع في ضمن الخصائص
مما لا فائدة فيه اليوم فقليل لا تخلو ابواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه
انتهى كلام النووي فصل تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا من الخصائص والايات واكرمه به من الفضائل
والكرامات من كتب العلماء كالخصائص لابن سبع وخصائص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي وشرح الحاوي
لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصاري واللفظ المكرم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم
للشيخ قطب الدين الخيضري واستفدت منه كثيرا في فصل المعجزات مع ما اثبته ابن حجر في فتح الباري وشرح
مسلم للنووي وشرح تقريب الاسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل من ذلك جملة وقد قسمها غير
واحد من الائمة اربعة اقسام الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة
الزلفى والدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما افترض عليهم قال بعضهم خص الله تعالى
نبيه عليه السلام بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم وقيل ليجعل اجر واجبها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم
بوجوب الضحى على المذهب لكن قول عائشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل
على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وسياتي مزيد لذلك ان
شاء الله تعالى في ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه السلام وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها
او ادنى الكمال قال الحجازي لا نقل فيه لكن في مسند احمد امرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها ومنها الوتر وركعتا الفجر
وركعتا الفجر قال بعضهم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على
الراحلة وتعقب بان فعله على الراحلة من الخصائص ايضا كما سياتي وهو مما اختص به عليه السلام من المباحات
ان شاء الله تعالى وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال قال الحجازي لم ار فيه نقلا والله اعلم
ومنها صلاة الليل قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او
فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ومنها السواك واستدل لوجوبه بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن
حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا وغير طاهر فلما شق
ذلك عليه امر بالسواك لكل صلاة وفي اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس وحجة من لم يجعله
واجبا عليه ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني جبريل
الا اوصاني بالسواك حتى خشيت ان يفرض علي وعلى امتي واسناده ضعيف وروى احمد في مسنده من حديث
واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي واسناده
حسن والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح قاله في شرح تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل
لربك وانحر وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع
النحر والوتر وركعتا الفجر ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم في الامر فظاهره الايجاب ويقال انما امره بها
استمالة للقلوب ومعناه استخرج اراءهم ونقل البيهقي في معرفة السنن والاثار عن النص ان المشورة غير واجبة
عليه كما نبه عليه الحجازي وغيره واختلف في المعنى الذي لاجله امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالمشاورة مع كمال
عقله وجزالة رايه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على امته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وان كان عاما في
اللفظ اي وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وقال
الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب اذا
لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله نبيه عليه السلام ان يشاورهم فان ذلك اعطف لهم واذهب لاضغانهم

والطيب

والطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وحكى
القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه قولان احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين والدنيا
وهو الاصح قاله المعافى بن زكريا في تفسيره والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق
الاجتهاد واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الامر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي وعند الترمذي الحكيم من حديث
عائشة مرفوعا ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض ومنها مصابرة العدو وان كثر عددهم
ومنها تغيير المنكر اذا راه لكن غيره يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه
وسلم بالخوف بخلاف غيره ومنها قضاء دين من مات معسرا روى مسلم حديث انا اولى بالمؤمنين من
انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته قال النووي كان هذا القضاء واجبا
عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا وغيرهم قال ومعنى الحديث انه عليه السلام
قال انا قائم بمصالحكم في حياة احدكم وموته انا وليه في الحالين فان كان عليه دين قضيته من عندي ان لم يخلف
وفاء وان كان له مال فهو لورثته لا اخذ منه شيئا وان خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤنتهم
انتهى ومنها تخيير نسائه في فراقه وامساكهن بعد ان اخترنه في احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل
بهن مكافاة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن قال الله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان
كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الاية واختلف في تخييره لهن على قولين احدهما انه خيرهن بين اختيار الدنيا
فيفارقهن واختيار الاخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول الحسن وقتادة والثاني انه خيرهن
بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي ومقاتل واختلفوا في السبب الذي لاجله خير
نساءه صلى الله عليه وسلم على اقوال احدها ان الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة على الدنيا فاختار الاخرة
وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره الله تعالى بتخيير نسائه
ليكن على مثل اختياره حكاه ابو القاسم المزني الثاني لانهن تغايرن عليه والثالث لان ازواجه طالبنه وكان
غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة سالته سترا معلما وسالته ميمونة حلة يمانية وسالته زينب ثوبا مخططا
وهو البرد اليماني وسالته ام حبيبة ثوبا سحوليا وسالته كل واحدة شيئا الا عائشة حكاه النقاش والرابع
ان ازواجه عليه السلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد النساء من الحلي فانزل الله اية التخيير حكاه النقاش ايضا
وذلك انه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم
فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والم
قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابر ازواجهم فامر الله ان يتلو عليهن
ما نزل في امرهن لئلا يكون لاحد منهن منة في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه
وصبرن معه عوضهن الله تعالى على صبرهن بامرين احدهما ان جعلهن امهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا
لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء بقوله لستن كاحد من النساء والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال
بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية فكان تحريم طلاقهن مستداما
واما تحريم التزوج عليهن فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني
اللاتي حظر عليه وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية وقال البغوي في الروضة لما خيرهن
فاخترنه كافاهن الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما انتهى وانما
اختص صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن

بالغيرة التي هي من اعظم الآلام وهو انه يكاد يتفطر القلب ويوهن الاعضاء وكذا الرهق على الصبر والفقير
ومنها التي برهان الامر ليهون حرج عنا ان يكون ضرا فترة عن ذلك منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل لازواجك
ومنها اتمام كل تطوع حرج على ان يكون ضرا فترة عن ذلك منصبه العالي شرع فيه حكاه في الروضة واصلها
قال النووي وهو ضعيف وفرعه بعض الاصحاب على انه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته
ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الاسماء واللغات ومنها انه كان يلزمه اتمام فرض الصلاة بلا خلل
قاله الماوردي قال العراقي في شرح المهذب انه كان معصوما عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة
وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الاخرة ثم قال
هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم في انعم حاله وهو حجة بعرفة وفي اشد وهو يوم الخندق انتهى ومنها
انه كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الاحكام كما ذكره في زوائد الروضة
عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع ومنها انه كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص
ونقله ابن الملقن في الخصائص وروى مسلم وابو داود من حديث الاغر المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم وقال ابو داود في كل يوم قال الشيخ زين الدين العراقي والظاهر ان الجملة
الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة
انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة وفي رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ الحديث المختلفة يفسر
بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما برأسه غير متعلقة بما قبله فيكون عليه السلام
اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم مائة مرة انتهى قال ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشى القلب
ويغطيه واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله
عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة
النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده
بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى
ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا ينبغي نسبته صلى الله عليه وسلم
الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة ولقوله صلى الله عليه وسلم لست
انسى ولكن انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هي لحكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما جعله
علة فيه وهو ما دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة وحمل اثقالها
انتهى وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار اليه
الرافعي فيما سبق وقال ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر لهم
وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله والشكر لما اولاه وقال شيخ الاسلام ابن العراقي
انما هذه الجملة حالية اخبر عليه السلام انه يغان على قلبه مع ان حاله الاستغفار في اليوم مائة مرة وهي حال
مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى

الجملتين

الجملتين الاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا
بينه وبينها فيجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال وهذا معنى ما قاله القاضي
عياض انتهى ومراده قوله في الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته الى اخر كلامه قال الشيخ ابو الفضل العراقي وهو عندي كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية
مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصل محمود وهو الذي تسبب عنه الامر
وترتب عليه وهذا احسن الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذي نشا عنه الاستغفار وعلى الاول
يكون الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين بالغشاء فتحمله على غشاء يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشاء
الذي يصرف القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشاء امرا محمودا وهو الاستغفار فانشاء هذا الامر
الحسن لا عن حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار
لا غين الاغيار انتهى القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه فمنها تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة
على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن قال يا اخي ان الله يعني لا يليق من اهتمامنا
من كلها تحريمه فلعل ترك ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح
التقريب وعلى كل حال ففيه ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها
انتهى والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكاة على آله وتحريم كون آله
عمالا على الزكاة في الاصح وكذا تحريم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح خلافا للمالكية وهو
وجه عندنا ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة
والاكل متكئا في احد الوجهين فيهما والاصح في الروضة كراهتهما وتعقب السهيلي الاتكاء فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل
المتعظمين وتقدم مزيد لذلك ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان
يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وما علمناه الشعر وما
ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم
الشعر خاص به عليه السلام او بنوع الانبياء قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا نظير فيه
للخصوص بكتة وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه عليه السلام هل كان يحسن الكتابة ام لا ومنها انه يمنع لامته اذا
لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعي قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا
تعطي شيئا لتعطى اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف الآداب قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك ومجاهد
هذا كان للنبي خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اي اعط لربك وعن الحسن
لا تمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا او عوضا من الدنيا ومنها مد العين الى
ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا
منهم اي اشكالا واشباها من الكفار وهي المزاوجة بين الاشياء وهي المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر
بالاضافة الى ما اوتيه فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات ومنها خائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتل
او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام في قصة رجل اراد قتله هلا اومات الينا ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور قاله
الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لا يتوقف الحل عليه
بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات

عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نساء زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة قالوا والمراد هاجرن
كما هاجرت وان لم تكن هجرتها في حال هجرته عليه السلام وظاهره يدل على ان الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر
من النساء لم يحل له نكاحها وقالت ام هانئ خطبني صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذري فعذرني ثم انزل
الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن احل له لاني لم اهاجر معه كنت
من الطلقاء وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن الماوردي قولين احدهما ان
الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه السلام من غريبة وقريبة والثاني انها انما شرط في احلال بنات عمه وعماته
المذكورات في الاية وليس شرطا في احلال الاجنبيات وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم
امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجاته له في الاخرة
ومعه في درجته في الجنة ولانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قال ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة
له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين
وقال ابو عاصم نعم نقله الحجازي ولا يشترط في حقه خشية خوف العنت ولا فقد الطول واما التسري بالامة فلا يصح
الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فعليه تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على
دينها فيفارقها وفيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام
فابت ثم اسلمت امسكها واقام على الاستمتاع وقد اسلمت بعد ومنها تحريم الاهانة اذا سمع التكبير ذكره ابن سبع في الخصائص

القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات اختص عليه السلام باباحة المكث في المسجد جنبا
قاله صاحب التلخيص وضعفه القفال قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي سعيد
الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث
بان عطية ضعيف عند الجمهور واجيب بان الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكن اذا ثبت له
عليه السلام علي في ذلك لم يكن من الخصائص وقد غلط امام الحرمين وغيره وصاحب التلخيص في الاباحة واعلم ان معظم المباحات
لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال النووي
المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول بحديث عائشة عند ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقبل بعض ازواجه ثم يصلي ولا يتوضا ورواه النسائي ايضا وقال ابو داود هو مرسل ابرهيم التيمي لم يسمع من عائشة
وقال النسائي ليس في هذا الباب حديث احسن من هذا وان كان مرسلا واختص ايضا باباحة الصلوة بعد العصر فقد
فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازي وغيره ويجوز له صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه
عليه كما ذكره في شرح المهذب وعبارته كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة
وبالصلاة على الغائب عند ابي حنيفة ومالك خلافا للشافعية قاله ابن العربي فيما نقله في فتح الباري في الكلام على صلاته
عليه الصلوة والسلام على النجاشي قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد قلنا وما عمل به تعمل به امته معنى لان الاصل عدم الخصوصية
قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم وقال الكرماني في قولهم
رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا معه صلى الله عليه وسلم انتهى وبالقبلة في الصوم
مع قوة الشهوة روى البخاري من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم
وكان املككم لاربه قال الحافظ ابن حجر اشارت بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يامن
الوقوع فيما يحرم قال وفي رواية حماد عند النسائي قال الاسود قلت لعائشة ايباشر الصائم قالت لا قلت اليس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبي قال وهو اجتهاد منها وقيل على انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص

ما رواه

ما رواه مالك في الموطأ ان عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد
الرحمن بن ابي بكر فقالت له عائشة ما يمنعك ان تدنو من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صائم قالت نعم
واختص ايضا باباحة الوصال في الصوم كما سياتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام وان ياخذ الطعام
والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضر ان يبذل نفسه دونه صلى
الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتي في القسم الرابع ان شاء الله تعالى
حكم غيره عليه السلام واختص ايضا بجواز الخلوة بهن قال في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها ويدل عليه قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه
عندها وتفليتها راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبياء وفي
الزيادة لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال تعالى وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته صلى الله عليه وسلم فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج على الاصح في اصل الروضة
وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها قال البيضاوي في قوله وامراة
مؤمنة الاية اي واحللنا لك امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك والقائل به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم قال وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقوله اجلس ما دام زيد جالسا قال وقوله
ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها
فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من
دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال المعافى وفي
معنى خالصة لك ثلاثة اقوال احدها ان المراة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس
ابن مالك وابن المسيب والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك
ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح
بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكما يجوز له عليه السلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تقدم ان المراة
اذا وهبت نفسها له عليه السلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت امراة نفسها له عليه السلام فتزوجها
بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغيره بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب
مهر اما مسمى واما مهر المثل والله اعلم وكما يجوز له النكاح في حال الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة
من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين
عند اصحابنا انتهى وكما يجوز له النكاح بغير رضى المراة فلو رغب في نكاح امراة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره
خطبتها او مزوجة وجب على زوجها طلاقها قاله الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليفه
النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده
والناس اجمعين انتهى ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت
عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم وانعمت عليه
اي بالاعتاق بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة الاية وكان الرجل في الجاهلية وصدر من الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه ويحرم

عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبني بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبهذه القصة ليثبت الحكم بالقول والفعل فاوحى الله تعالى اليه ان زيدا سيطلقها وانه عليه السلام يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اي في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه وكذا يجوز له عليه السلام النكاح بلا ولي ولا شهود قال النووي المشهور الصحيح عند اصحابنا صحة نكاحه عليه السلام بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الى ذلك في حقه عليه السلام وهذا الخلاف في غير زينب اما زينب فمنصوص عليها والله اعلم قال العلماء انما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو عليه السلام لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع الى قولها بل قال العراقي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه وكان له صلى الله عليه وسلم ان يزوج المراة ممن شاء بغير اذنها واذن وليها وله اجبار الصغيرة من غير بناته وزوجه الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المراة تحل له بتحليل الله تعالى ومنها انه اعتق امته صفية وجعل عتقها صداقها وقد اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا قال سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ما اصدقها قال نفسها فاعتقها هكذا اخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن انس في حديث قال وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا ابا محمد انت سالت انسا ما امهرها قال امهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا في ان المجعول مهرا هو نفس العتق والتاويل الاول لا باس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور عند الشافعية وقال اخرون بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي وقال اخرون قوله اعتقها وتزوجها معناه اعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم انه ساق لها صداقا قال اصدقها نفسها اي لم يصدقها شيئا فيما اعلم ولم ينف اصل الصداق وممن جزم به ابو الطيب الطبري من الشافعية وابن المرابط من المالكية ومن تبعهم انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ما اخرجه الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقني النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال ان انسا قال ذلك بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل انه اعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق وان لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه اصح الاوجه واقربها الى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بان ذلك كان من الخصائص يحيى بن اكثم كما اخرجه البيهقي قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية انه اعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره المحققون انه اعتقها تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق والله اعلم قال شيخ الحفاظ ابن حجر واختلف في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر فهل تحل له من غير محلل وقيل لا تحل له ابدا وكان له نكاح المعتدة في احد الوجهين قال

النووي

النووي الصواب القطع بامتناع نكاح امة من غيره والله اعلم وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووي الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم وبه جزم الاصطخري من الشافعية والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب وفي حل الجمع له بين المراة وعمتها وخالتها او اختها وامها وبنتها قالوا ومرجع هذه الخصائص الى حال النكاح في حقه كالتسري في حقنا وكان له عليه السلام ان يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها وابيح له القتال بمكة والقتل بها ودخولها بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدل له بحديث انس عند الستة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان مستور الراس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه ومن تصريح جابر عند الزهري ومالك بانه لم يكن محرما وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال يحتمل ان يكون لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولي الدين ابن العراقي فقال هذا يرده تصريح جابر وغيره قال وهذا الاستدلال في غير موضع الخلاف المشهور لانه عليه السلام كان خائفا من القتال متاهبا ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند احد فيما نعلمه وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لان مذهب الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لابي حنيفة في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف ثم اجاب عنه بانه عليه السلام صالح ابا سفيان وكان لا يامن غدر اهل مكة فدخلها صلحا وهو متاهب للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد الاول ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال اصحابنا ان لم يكن ممن يتكرر دخوله ففي وجوب الاحرام عليه قولان اصحهما عند اكثرهم انه لا يجب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم فقيل خلاف مرتب واولى بعدم الوجوب وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على الخائف واصحاب الحاجات المتكررة واوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات المتكررة واوجبه الحنفية مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر ان المشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا ومن مذاهب الائمة الثلاثة الوجوب الا فيما يستثنى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وان يقضي لنفسه ولولده وان يشهد لنفسه ولولده ولا تكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب كما ذكره النووي في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان اغضبه خصم الزبير لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضا وكان له ان يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا ان نصلي الا على نبي او ملك وكان له ان يقتل بعد الامان وان يلعن من شاء بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لما دعا به عليه السلام قاله ابن القاص ورتبه عليه حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي وكان يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها وافتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما اقطعهم وقال لانه صلى الله عليه وسلم كان يقطع ارض الجنة فارض الدنيا اولى

القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات

منها انه اول النبيين خلقا كما تقرر في اول هذا الكتاب وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ومنها انه اول من اخذ عليه الميثاق ومنها انه اول من قال بلى يوم الست بربكم رواه ابو سهل القطان في جزء من اماليه ومنها ان ادم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقي وغيره ومنها ان الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار ومنها ان الله تعالى اخذ الميثاق على النبيين ادم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ومنها انه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سياتي ان شاء الله تعالى ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن ادم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلائل ومنها انه نكست الاصنام لمولده رواه الخرائطي في الهواتف وغيره ومنها انه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطبراني وتقدم ما فيه من

البعث فی اول الکتاب ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الارض ساجدا رافعا اصبعه کالمتضرع المتبهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام وکذلک امهات الانبياء رواه الامام احمد وکان مهده عليه السلام يتحرک بتحريک الملائکة کما ذکره ابن سبع فی الخصائص وکان القمر يحدثه وهو فی مهده ويميل حيثما اشار اليه رواه ابن طغربل فی النطق المفهوم وغيره وتکلم فی المهد رواه الواقدی وابن سبع وظللته الغمامة فی الحر رواه ابو نعيم والبيهقی ومال اليه فیء الشجرة اذ سبقوا اليه رواه البيهقی ومنها شق صدره الشريف رواه مسلم وغيره وغطه جبريل عند ابتداء الوحی ثلاث غطات عدهن بعضهم من خصائصه عليه السلام ونقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحی ومنها ان الله تعالى ذکر فی القران عضوا عضوا فقلبه بقوله ما کذب الفؤاد ما رای وقوله نزل به الروح الامين على قلبک ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانک وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله قد نرى تقلب وجهک فی السماء ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدک مغلولة الى عنقک وظهره وصدره بقوله الم نشرح لک صدرک ووضعنا عنک وزرک الذی انقض ظهرک واشتق اسمه من اسم المحمود ويشهد له ما اخرجه البخاری فی تاريخه الصغير من طريق علی بن زيد قال کان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمی احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم ولاحمد من حديث علی اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلی وذکر منها وسميت احمد ومنها انه صلى الله عليه وسلم کان يبيت جايعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة کما سياتی البحث فيه ان شاء الله تعالى فی صيامه صلى الله عليه وسلم من مفصل حکاياته وکان يرى من خلفه کما يرى من امامه رواه مسلم ويرى فی الليل وفی الظلمة کما يرى بالنهار وفی الضوء رواه البيهقی وکان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزی الرضيع رواه البيهقی وکان ابطه عليه السلام لا شعر عليه قاله القرطبی وکان ابيض غير متغير اللون کما ذکره الطبری وعده فی الخصائص وذکر بعض الشافعية لحديث انس المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم کان يرفع يديه فی الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ جمال الدين الاسنوی فی المهمات البياض الابط کان من خواصه انتهى قال فی شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من کون هذا من الخصايص فيه نظر اذ لم يثبت ذلک بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلک فی شیء من الکتب المعتمدة والخصايص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذکر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يکون له شعر فان الشعر اذا نتف بقی المکان ابيض وان بقی فيه آثار الشعر ولذلک ورد فی حديث عبد الله بن اقرم الخزاعی انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال کنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد خرجه الترمذی وحسنه والنسائی وابن ماجه وقد ذکر الهروی فی الغريبين وابن الاثير فی النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولکن کلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان آثار الشعر هو الذی جعل المکان اعفر والا فلو کان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يکن اعفر نعم الذی نعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يکن لابطه رائحة کريهة بل کان نظيفا طيب الرائحة کما ثبت فی الصحيح وکان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره وکان ينام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاری وما تثاءب قط کما رواه ابن ابی شيبة والبخاری فی تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب النبی صلى الله عليه وسلم واخرج الخطابی من طريق مسلمة بن عبد الملک بن مروان قال ما تثاءب نبی قط ويؤيده ذلک ان التثاوب من الشيطان رواه البخاری وما احتلم قط وکذلک الانبيا رواه الطبرانی وکان عرقه اطيب من المسک رواه ابو نعيم وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقی ولم يقع له ظل على الارض ولا رئی له ظل فی شمس ولا قمر ويشهد له انه عليه السلام لما سال الله ان يجعل فی جميع اعضايه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلنی نورا وکان صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازی قال ولا يمتص دمه البعوض کذا نقلهما الحجازی وغيره وما آذاه القمل قاله ابن سبع فی الشفا والسبتی فی اعذب الموارد ومنها انقطاع الکهنة عند مبعثه وحراسة السماء من

استراق السمع والرمی بالشهب قال ابن عباس کانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وکانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على الکهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات کلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمی بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطی ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس فی البراری وهذا لم يکن ظاهرا قبل مبعث النبی صلى الله عليه وسلم ولم يذکره احد قبل زمانه وانما ظهر فی بدء امره وکان ذلک اساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهری اکان يرمى بالنجوم فی الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله تعالى انا کنا نقعد منها الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم کان قبل مبعثه ولکن لم يکن فی شدة الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم کان ينقض ويرمی الشياطين ثم يعود الى مکانه ذکره البغوی ومنها انه اتی بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما وقيل وکانت الانبياء انما ترکبه عريانا ومنها انه اسری به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه من آياته الکبرى وحفظه فی المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء له وصلى بهم وبالملائکة اماما واطلعه على الجنة والنار عرفت هذه للبيهقی ومنها انه رای الله بعينيه کما ياتی ذلک فی الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الکلام والرؤية وکلمه تعالى فی الرفيع الاعلى وکلم موسى بالجبل ومنها ان الملائکة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه کما فی غزوة بدر وحنين ومنها انه اوتی الکتاب العزيز وهو امی لا يقرا ولا يکتب ولا اشتغل بمدارسة ومنها حفظ کتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى کثير من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فی تغييره وتبديل محکمه فما قدروا على اطفاء شیء من نوره ولا تغيير کلمة من کلمه ولا تشکيک المسلمين فی حرف من حروفه قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وکتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الکتب جامعا لاخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة مما کان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الکتاب الذی قطع عمره فی تعلم ذلک وتيسير تعالى حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه کما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذکر وسائر الامم لا يحفظ کتبها الواحد منهم فکيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان فی اقرب مدة ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلا علينا وتيسيرا وبشرى ورحمة وخصوصية لفضلنا ومنها کونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ومنها انه تعالى تکفل بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا الذکر وانا له لحافظون ای من التحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى فی صفة القران لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو کان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا کثيرا فان قلت هذه الاية تنفی الاختلاف فيه وحديث انزل القران على سبعة احرف المروی فی البخاری عن عمر يثبته اجاب الجعبری فی اول شرحه للشاطبية بان المثبت اختلاف تغاير والمنفی اختلاف تناقض فموردهما مختلف انتهى فان قلت فلم اشتغلت الصحابة بجمع القران فی المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه فالجواب کما قال الرازی ان جمعهم القران کان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلک قال وقال اصحابنا وفی هذه الاية دلالة قوية على ان البسملة اية من اول کل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القران والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا عن التغيير وما کان محفوظا عن الزيادة والنقصان فلو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان وذلک يوجب خروج القران عن کونه حجة واختلف کيف يحفظ القران فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لکلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القران فيظهر لکل العقلاء ان هذا ليس من القران وقال آخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى آخر بقاء التکليف وقال آخرون المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول ان يغيره بحرف

فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله هذا الكتاب العزيز عن

او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال له الصبيان كلهم اخطأت ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وانقضى الآن ثمانية وتسعون سنة وثمان مائة سنة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ ومنها انه عليه السلام خص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطول كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش خصصت بها دون الانبياء واعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه ابو نعيم في الدلائل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ام القران هي السبع المثاني والقران العظيم سابقه واختلفوا لم سميت مثاني فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرا في كل صلاة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطول اولها سورة البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر تثنيت فيها وقال طاوس القران كله مثاني قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القران مثاني لان القصص تثنت فيه والله اعلم ومنها انه اعطي مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطي هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن ومنها انه اوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفد فكلمة منه كلمات ولما علم جوامع الكلم اعطي الاعجاز بالقران الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله نوع الاعجاز في الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الا بها وان الاعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا اي تضم الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها كذلك ضمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان به ولما سمع الجن القران تلي قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به الاية فعمت شريعته الانس والجن وعمت رحمته التي ارسل بها العالم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسي فاض شعاعه على الارض فمن استتر عنه في كن او ظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم ينبسط الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جاء في حديث جابر وغيره وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفي رواية الى الناس كافة اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما قول اهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة انت اول رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اولية ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة ايات على ان ارسال نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الارض

فاهلكوا

فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبي في زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى واما قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد والدليل عليه انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان يكون كلما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول صادق الى كل الناس فلو كذب فيه للزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رتبته في قلوب اعدائه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود ليتميز السعيد من الشقي ومفهوم هذا انه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال ومنها احلال الغنائم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطي صلى الله عليه وسلم ما وافق شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد بموضع سجود اي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين ومن قبله الداودي وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لهم في جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلوات في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم وهذا نص في موضع النزاع فيثبت الخصوصية ويؤيده ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه لم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح الباري ومنها ان معجزته عليه السلام مستمرة الى يوم القيامة ومعجزات سائر الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبياء معجزة قال القاضي عياض اما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزا القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه انتهى ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين الاصابع

ولم يثبت لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدّم ما فيه من المباحث ومنها
انه خاتم الانبيا والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع لبنة
من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك
اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم ومنها ان شرعه مؤبد الى يوم الدين وناسخ لشرايع النبيين
وانه اكثر الانبيا تابعا كما قال عليه السلام ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة ومنها انه لو ادركه الانبيا لوجب عليهم اتباعه كما سياتي تقريره ان شا الله تعالى ومنها
انه ارسل الى الجن اتفاقا والدليل على ذلك قبل الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد
اجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملايكة
خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلما والاصوليين ولو بطل الاستدلال بالعمومات
المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في الاحقاف اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا باجابته
دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى غير ذلك من الايات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست فذكر منها وارسلت الى الخلق كافة وانه يشمل
الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في اية الفرقان فان قلت
ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه السلام
بالانس واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يتمشى على مذهب الدقاق في القايل بان مفهوم
اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام
كلها واسما الاجناس كلها كذلك ما لم يكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الاية ليس فيها اصلا ما
يفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم الا على مذهب الدقاق بل ولا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق
انما يقول به حيث لم يظهر غرض اخر سواه في تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص
على ذلك الغرض والغرض في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم
لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم فمقصود الاية
خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح
والاختلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد الوحشة فان قلنا
بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في الانس اغلب بحيث اذا اطلق فالمراد به ولد ادم واذا قلنا بالثاني فلا لان الانس لا تبصر
الجن ولا تانس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وهذا يبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا
تدل على خلافه واما قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم
فهو ظاهر الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة
خاصة واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن
منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه ما يخالف الاجماع على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن
قط رسول لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون
العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم لا رسل الله لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله
بعض العلما ومنها انه ارسل الى الملايكة في احد القولين ورجحه السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد من العبد هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم والعالم هو ما سوى الله تعالى
فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملايكة وبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان

لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فدلت الاية على انه رسول الى جميع الخلق ولو قبل المدعي خروج الملايكة
من هذا العموم اقام الدليل عليه ربما عجز عنه فانه يحتمل ان يكون من الملايكة من انذره صلى الله عليه وسلم اما بلغه
الانس واما غيرها لكن لا يلزم من ذلك ابلاغ الرسالة اليهم في شيء خاص او ان يكون بالشريعة كلها واما قلنا ان الملا
هم من الجن السمع وبه فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة
اليهم لكن القول بان الملايكة من الجن قول شاذ والجمهور على ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص
بالانس والجن كما فسر بهما حديث وارسلت الى الخلق كافة المروي في مسلم وصرح الحليمي والبيهقي في الباب
الرابع من شعب الايمان انه عليه السلام لم يرسل الى الملايكة وفي الباب الخامس عشر نفيا كلهم من شرعه
وفي تفسير الامام فخر الدين والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير اية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم كما
حكاه العلامة الجلال المحلي وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام اولها قوله ليكون للعالمين
يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملايكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام لم يكن رسولا الى الملايكة
بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا وهي عبارة الامام فخر الدين ايضا وتعقب الجلال المحلي العلامة كمال
الدين ابن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي وانه قال هذا معنى كلام الحليمي وفي قوله هذا
اشعار بالتبري عن عهدته وبتقدير ان لا اشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده واما الحليمي فانه وان كان من اهل
السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملايكة على الانبيا عليهم الصلوة والسلام وما نقله هنا موافق لقوله بافضلية
الملايكة فلعله بناه عليه واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي للاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم
فقد وقع في نسخ من تفسير الرازي حكاية ذلك بلفظ اجمعنا وان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه
العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل وقد صرح به بمنع فقد قال الامام السبكي في قوله ليكون للعالمين نذيرا
قال المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس وقال بعضهم والملايكة انتهى وبالجملة فلا اعتماد على تفسير الرازي والنسفي
في حكاية اجماع انفرد احدهما به امر لا ينهض حجة على طريقة علما النقل لان مدارك نقل الاجماع من كلام الائمة
وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كالائمة اصحاب المذاهب المتبوعة ومن يلتحق
بهما في سعة دايرة الاطلاع والحفظ ولا تغتاب هاتين الشهرة عند علما النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها واللايق
بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين انتهى ومنها انه ارسل رحمة
للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندي يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة
للمومن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب
اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى يوم القيمة واما من صدقه فله الرحمة في
الدنيا والاخرة وقد انه عليه السلام رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال
عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي من حديث ابي هريرة وسياتي في المقصد السادس مزيد
لذلك ان شا الله تعالى والله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم في القران فقال يا ادم يا نوح
يا ابرهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو نبيه الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها
المدثر ومنها انه حرم على الامة ندايه باسمه قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تجعلوا
نداه وتسميته كندا بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والندا من ورا الحجرات ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاه اياكم على دعا بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
ومنها انه حرم الجهر له بالقول قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم كان ابو بكر

لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وروي انه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر حتى
يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
قال انس وكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين
بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل ومنها انه حرم ندائه من وراء الحجرات قال الله
تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب ومنها انه حبيب الله جمع له بين المحبة والخلة وسياتي
تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في المقصد السابع ان شاء الله تعالى ومنها انه اقسم على رسالته وحياته وبلده
وعصره كما سياتي ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن ابن
عبد السلام وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الاول ومنها ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله واخرج
الطبراني من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط
على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرني ان اخيرك ان شئت نبيا عبدا
وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاوما الي ان تواضع فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا
ومنها انه سيد ولد ادم رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ انا سيد ولد ادم يوم القيمة وعند الترمذي من حديث
ابي سعيد الخدري انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله
به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه
بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها
ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه انه اخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من
الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي وقال ابن كثير في تفسير هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه
فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبيا
قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك
الا كافة للناس فارسله الى الانس والجن ومنها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملايكة
المقربين وسياتي الجواب عن قوله عليه السلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من
يونس بن متى ونحو ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود
والبزار من حديث ابن عباس ومنها انه لا يجوز عليه الخطا كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي والحجازي في مختصر
الروضة وقال قوم يجوز حكاه النووي في شرح مسلم ومنها ان الميت يسال عنه صلى الله عليه وسلم في
قبره عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسالون فاذا كان الرجل
الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه احمد والبيهقي ومنها
انه يجوز ان يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم
لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم على الله بغيره من الملايكة والاوليا لانهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خص به
لعلو درجته ومرتبته انتهى ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة

كالامهات

كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج له في الاخرة وهذا في غير المخيرات
ثم اخترن فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف والثاني القطع بالحل واختاره الامام
والغزالي وازواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع وتشبيههن
بالامهات في حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والنفقة والميراث ولا يتعدى ذلك
الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات للمومنين على الاصح وقيل انما حرمن لانه عليه السلام حي في قبره
ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي التي فارقها في الحياة كالمستعيذة والتي راى بكشحها
بياضا اوجه احدها يحرم ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الاية وليس المراد من
بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير يحرم المدخول بها
فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر فهم عمر برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف
وفي امة فارقها بعد وطئها اوجه ثالثها تحرم ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها في الحياة انتهى ومنها
انه تحرم روية اشخاص ازواجه في الازر وكذا كشف وجوههن واكفهن لشهادة او غيرها كما صرح به القاضي
عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف
ذلك في شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه ضرورة من براز ثم استدل
بما في الموطا ان حفصة لما توفي عمر رضي الله عنه سترها النسا عن ان يرى شخصها وان زينب بنت جحش جعلت
لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك
عليهن فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن
مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى واما حكم نظره عليه السلام الى غير ازواجه ففي الروضة واصلها عن الاكثرين
جواز النظر الى وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعي والنووي
يقتضي رجحانه وصوبه في المهمات كتصحيح الرافعي في الشرح بان الاكثرين عليه لكن نقل ابن العراقي ان شيخه
البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وقد جزم به في التهذيب وقوة كلام الصغير يقتضي رجحانه
وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات ونقل في الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه وعورض
بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا انه لا يجب على المراة ستر وجهها في الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض
البصر وحكاه عنه النووي في شرح مسلم واقره قاله الشيخ نجم الدين ابن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله اعلم
وكان النكاح في حقه عليه السلام عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات
والعبادة عارضة له ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه قال عليه السلام في الحسن ان ابني هذا سيد رواه ابو
يعلى ومنها ان كل نسب وسبب ينقطع يوم القيمة الا سببه ونسبه قال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع
يوم القيمة الا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج قيل معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم
القيمة بخلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته فعن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر يقول ان بني هاشم بن المغيرة استاذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا اذن ثم لا اذن
الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويوذيني ما اذاها اخرجه
الشيخان وصححه الترمذي وعنه ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا
علي ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال اما بعد فاني انكحت ابا العاص
ابن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول
الله

وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا قال فترك علي الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل هذه جويرية
اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود حرم الله تعالى على علي
ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ ابو علي
السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة
رضي الله عنها وقد علل عليه السلام بان ذلك يؤذيه واذايته صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وفي هذا
تحريم اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم بتاذيه لان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله
وكثيره وقد جزم عليه السلام بانه يؤذيه ما اذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتاذت به فهو يؤذي
النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع ان الغيرة على النبي صلى
الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان في الدين ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات
وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم ذلك في جهتهن كما راعاه في حق فاطمة واجيب
بان فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من تركن اليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من ام او اخت بخلاف امهات
المؤمنين فان كل واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه
وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه
وجميل خليقته بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب ومنها ان لا يجتهد في محراب
صلى اليه يمنة ولا يسرة وافتى شيخ الاسلام ابو زرعة ابن العراقي في شخص امتنع من الصلاة الى محراب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلي بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف بانه على ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فهو ردة وان ذكر تاويلا بان قال ليس هو الآن على ما كان عليه في زمنه عليه السلام بل غير عما كان عليه فهذا
سبب اجتهاده لم نحكم بردته وان لم يكن هذا التاويل محتملا ومنها ان من رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان
لا يتمثل به وفي رواية مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة او لكانما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي قال
الحافظ ابن حجر ووقع عند الاسمعيلي فقد رآني في اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذي
من حديث ابن مسعود وفي رواية ابي قتادة عند مسلم ايضا من رآني فقد رأى الحق وله ايضا من حديث جابر
من رآني في المنام فقد رآني انه لا ينبغي للشيطان ان يتمثل في صورتي وفي رواية من رآني في المنام فقد رآني فانه لا ينبغي
للشيطان ان يتشبه بي وفي حديث ابي سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتكون كوني فحذف المضاف
ووصل المضاف اليه بالفعل وفي حديث ابي قتادة عند البخاري لا يتراءى بي بالراء بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع
ان يتمثل بي يعني ان الله تعالى وان امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلى
الله عليه وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا في الحديث ان محل ذلك [illegible] الرائي على صورته التي كان عليها
ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال لابد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين
شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف
الذي رأيته فان وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني
ابي قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته
به قال قد رأيته وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من وجه آخر عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فاني ارى في كل صورة وفي سنده ابو التوءمة وهو ضعيف لاختلاطه
وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضي ابو بكر بن العربي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة
ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال فان الصواب ان الانبياء لا تغيرهم الارض ويكون ادراك الذات

الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤيا لا حقيقة لها اصلا
قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير ما رأى لانه حق وغيب واما قوله فكانما رآني فتشبيه ومعناه
انه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا
رآه على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهي امثال فان رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى
العكس فبالعكس وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد رآني او فقد رأى الحق ان من رآه على
صورته المعروفة في حياته كانت رؤياه حقا ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تاويل انتهى وتعقبه النووي
فقال هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لي من كلام القاضي ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله انه يراه حقيقة في الحالين لكن في
الاولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه ان من رآه على صورته
التي كان عليها ويلزم منه من قال انه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة ان من رآه على غير صفته ان تكون
رؤياه من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة
ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فالاولى
ان تنزه رؤياه وكذا رؤيا شيء منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان
في يقظته فالصحيح في تاويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي
حق في نفسها ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضي
ابي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد رأى الحق اشار اليه القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة
يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيامة في
اليقظة جميع امته من رآه في النوم ومن لم يره وقال المازري ان كان المحفوظ فكانما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر
وان كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل
ذلك علامة على ان يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه سيرى تاويل تلك
الرؤيا في اليقظة وصحتها واجاب القاضي عياض باحتمال ان تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف
عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك
من الخصوصيات قال ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله
ابن ابي جمرة على محمل آخر فذكر عن ابن عباس او غيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد ان استيقظ
متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة فاخرجت له المرآة التي كانت للنبي
صلى الله عليه وسلم فنظر فيها فرأى صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه وقال الغزالي ليس معنى قوله فقد رآني
انه رأى جسمي وبدني وانما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك
قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس
غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك
من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة
مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله
تعالى في المنام لا يعني اني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من رأى الرسول
يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه
المقدسة عن الصورة والشكل وقال الطيبي المعنى من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر وليعلم انه قد رآني

الرؤيا الحق اى رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رأى فالشرط والجزا اذا اتحدا دل على الغاية فى الكمال اى فقد رأى رؤيا ليس بعدها شى والحاصل من الاجوبة على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكانما رانى فى اليقظة ثانيها معناه سيرى فى اليقظة تاويلها بطريق الحقيقة او التعبير ثالثها انه خاص باهل عصره ممن آمن به قبل ان يراه رابعها المراد انه يراه فى المراة التى كانت له ان امكنه ذلك قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل خامسها انه يراه يوم القيمة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره فى المنام ولخص كما لخصناه فى رؤيته عليه السلام التعميم على اى حالة راه الرائى بشرط ان يكون على صورته الحقيقية فى وقت ما سواء كان فى شبابه او رجوليته او كهوليته او اخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائى كما قال بعض علماء التعبير ان من راه شيخا فهو غاية سلم ومن راه شابا فهو غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد ابن نصر من راى نبيا على حالته وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائى وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن راه متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حالة الرائى وقال العارف ابن ابى جمرة من راه فى صورة حسنة فذاك حسن فى دين الرائى وان كان فى جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك خلل فى الرائى من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه حتى يتبين للرائى هل عنده خلل او لا لانه عليه السلام نورانى مثل المراة الصقيلة كما كان فى الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهى فى ذاتها على احسن حال لا نقص فيها وكذلك يقال فى كلامه عليه السلام فى النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل فى سمع الرائى فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو فى سمع الرائى او بصره قال وهذا خير ما سمعته فى ذلك انتهى وقال بعضهم ليست رؤيته عليه السلام رؤيا عين انما هى بالبصائر وذلك لا تستدعى حصر المرائى بل يكون من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصورة فى المراة المحاذية لها وليست الصورة منتقلة الى جرم المراة وعين الناظر بل هى مقابلة جميع الكائنات كالمراة وكاختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا واخر شابا واخر ضاحكا واخر باكيا ترجع الى الرائين كاختلاف الصورة الواحدة فى مرائى مختلفة الاشكال والمقادير ففى الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف اشكال المرائى لا الى وجه الرائى كذلك الرائون له عليه السلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن راه متبسما اليه دل على ان الرائى متمسك بسنته والله اعلم وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشى عن سؤال رؤية جماعة له صلى الله عليه وسلم فى ان واحد من اقطار متباعدة مع ان رؤيته صلى الله عليه وسلم حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس فى هذا العالم مثال نوره فى العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من فى المشرق والمغرب فى ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من اى النواحى جئته ... يهدى الى عينيك نورا ثاقبا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد موته فقال شيخنا لم يصل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها رؤيته فى المدة التى تاخرتها عنه وانما حكى عن بعض الصالحين حكاه عن انفسهم كما هو فى توثيق عرى الايمان للبارزى وبهجة النفوس لابى عبد الله بن ابى جمرة وروض الرياحين لليافعى وغيره من تصانيفه والشيخ صفى الدين بن ابى المنصور فى رسالته وعبارة ابن ابى جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعنى من رانى فى المنام فسيرانى فى اليقظة انهم راوه صلى الله عليه وسلم فى النوم فراوه بعد ذلك فى اليقظة وسالوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التى منها

حمله

فى كلامه عليه السلام فى المنام

يكون

يكون فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يصدق بكرامات الاولياء او لا فان كان الثانى فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان الاول فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشيا فى العالمين العلوى والسفلى عديدة مع التصديق بذلك وقال ابن المنصور فى رسالته ونقل ان الشيخ ابا العباس احمد بن القسطلانى دخل مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابى السعود قال كنت ازور شيخك ابا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح على لم يكن لى شيخ الا النبى صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال الشيخ ابو العباس الحرار دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير للاولياء بالولاية قال وكتب لاخى محمد منهم منشورا فقلت يا رسول الله فما تكتب لى كاخى فقال انت يكون فيها الا وهذه لغة اندلسية يعنى طرقينا ونهم عنه ان له مقاما غير هذا وقال حجة الاسلام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال وهم يعنى ارباب القلوب فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبيا ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد انتهى ورايت فى كتاب المنح الالهية فى مناقب السادة الوفائية عن سيدى على بن سيدى محمد وفا انه قال فى بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس سنين اقرا القران على رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرايت انسانا يقرا عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوى شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك تعجبا فرايت النبى صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص على فقال لى اقرا فقرات سورة الضحى والم نشرح ثم غاب عنى فلما بلغت احدى وعشرين سنة احرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرايت النبى صلى الله عليه وسلم قبالة وجهى فعانقنى فقال لى واما بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت قال شيخنا واما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله فى لطائف المنن عن الشيخ ابى العباس المرسى انه كان مع الشيخ ابى الحسن الشاذلى بالقيروان فى ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا على طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس الحديث فيحتمل ان يكون مناما وكذا قول الشيخ قطب الدين القسطلانى كنت اقرا على ابى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبى بالمدينة النبوية لحديثه يوما فى وقت خلوة وانا مستمع لحديث الستر لتخرج الى ... قال من ذلك هذا الاذن وغاب على انه ذهب وانا منكسر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس على تلك الحال واذا بالشيخ عبد الغفار الكمالى انه قال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وحكى عن السيد نور الدين الايجى والد السيد صفى الدين والسيد عفيف الدين انه فى بعض زياراته للنبى صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدى وقال البدر حسن بن الاهدل فى مسالة الرؤية لا ان وقوعها للاولياء قد تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قطعيا استغنى عنه الشك وما تواترت عنه اخبارهم لم يبق له شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك فى بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم فى الرؤية متفاوتة وكثيرا ما يغلط بها راءها فقل ما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او فى غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز فى هذا الباب وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الراس يقظة يدرك فساده باوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه السلام من قبره ومشيه فى الاسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شى بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب اشار الى ذلك القرطبى فى الرد على القائل بان الرائى له فى المنام راى حقيقته ثم يراه كذلك فى اليقظة قال وهذه جهالات لا يقول بشى منها من له ادنى مسكة من المعقول وملتزم شى من ذلك مختل مخبول وقال القاضى ابو بكر بن العربى وشذ بعض الصالحين فزعم انها تقع بعينى الراس حقيقة وقال فى فتح البارى بعد ان ذكر كلام ابن ابى جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هولاء صحابة ولامكن بقاء الصحبة الى يوم القيمة انتهى

من

الخاطر

فدحانى وقال قم فقد جا قتل شفيع لا يرد. ونحوه ما حكاه السهروردى فى عوارف المعارف عن الشيخ صح

[illegible]

وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية: فمن يدعي في هذه الدار أنه * يرى المصطفى حقًا فقد فاه منشطا
ولكن بين النوم واليقظة التي * تباشر هذا الأمر مرتبة وسطا. وقد حمل القاضي أبو بكر بن العربي
القول بأن الرؤية في المنام بعين الرأس غلو وحماقة، ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بأنها مدركة
بعينين في القلب وأنه ضرب من المجاز انتهى. فلا يمتنع من الخواص أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه
على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلًا عن أن يتحدثوا بها لغير ضرورة مع السعي
في التخلص من الكدورات والإعراض عن الدنيا وأهلها جملة وكون الواحد منهم يود أنه يخرج من أهله وماله
وأنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني أن يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره
ويتصور في عالم سره أنه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم ما اضطروا به فإن تزلزل أو اضطرب كان لمة من الشيطان
وليس ذلك خادشًا في علو مناصبهم لعدم عصمة غير الأنبياء، فقد قال العلامة ابن السبكي في جمع الجوامع تبعًا لغيره
وإن الإلهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصومًا بخواطره، وحينئذ فمن قال ممن حكينا عنه وغيرهم بأن
المرئي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من أطلق عليه هو اللائق، وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم
إني رأيت الجنة والنار مع مزيد استبعاده هنا كان يكون المراد بالرؤية رؤية العلم، وحكي عن الشيخ أبي العباس المرسي
أنه قال لو حجب عني سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، وعلى هذا فيكون
معنى فسيراني في اليقظة أي يتصور مشاهدتي وينزل لنفسه حاضرًا معي بحيث لا يخرج عن آدابه وسنته صلى الله
عليه وسلم بل يسلك مناهجه على شريعته وطريقته، ومنه قوله عليه السلام في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
وحمل العموم فيمن يراني على الموفقين وإليه يشير قول بعض المعتمدين أي فمن أخبر برؤية معظم حرمتي ومشتاق
لمشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه، وقريب منه قول صاحب شارح المصابيح أو يراه في الدنيا حالة
الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين أنه رآه في حالة الذوق والشوق، وقد
قال الأهدل عقب الحكاية عن الشيخ أبي العباس المرسي وهذا فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ وذلك أن
المراد أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضاره في الأعمال والأحوال، ولم يرد أنه يحجب عن الرؤية
الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل انتهى. ومما اختص به عليه السلام أن المسمى باسمه ميمون ونافع في الدنيا
والآخرة، روينا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر
بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملًا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فإني
آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد، وروى أبو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا عذبت أحدًا تسمى باسمك في النار، وعن علي بن أبي طالب قال ما
من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين، رواه أبو منصور الديلمي.
وليس لأحد أن يكتني بكنيته أبي القاسم سواء كان اسمه محمد أم لا، ومنهم من كره الجمع وجوز الإفراد ويشبه أن
يكون هذا هو الأصح، قال النووي في هذه المسألة مذاهب الشافعي منع مطلقًا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن
ليس اسمه محمدًا، ومن جوز مطلقًا خص النهي بحياته صلى الله عليه وسلم وهو أقرب إلى النهي. ومنها أنه يستحب الغسل
لقراءة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الأصوات بل يخفض كما في حياته إذا تكلم فإن كلامه المأثور بعد موته في
الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع، روينا عن مطرف قال كان الناس إذا
أتوا مالكًا رحمه الله خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل
خرج إليهم في الوقت وإن قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا وتعمم ولبس ساجه وتسلح
الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث، قال ابن أبي أويس فقيل له في ذلك فقال أحب
أن أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا، حتى كان الأعمش إذا كان على غير طهارة تيمم
ولا شك أن حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته
كما كان في حياته والله أعلم. ومنها أنه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد، قال ابن الحاج في المدخل لأنه قلة أدب
مع النبي صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غيره فكيف لبدعة، وقد كان السلف
لا يقطعون حديثه ولا يتحركون ولو أن أصابهم الضرر في أبدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم إذ ذاك احترامًا لحديث
نبيهم صلى الله عليه وسلم، وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع العقرب له ست عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله
للسعها توقيرًا للجناب حديثه عليه السلام أن يكون بقربه وهو يتحرك لضرر أصابه مع أنه معذور فيما وقع به
فكيف بالحركة والقيام إذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما إذا انضاف إلى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد
انتهى ملخصًا. ومنها أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا يثبت إلا بطول
الاجتماع معه على الأصح عند أهل الأصول، والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف
ينطق بالحكمة. ومنها أن أصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة، عدالة الصح
قال تعالى خطابًا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا أي عدولًا، وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي
فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، وقال عليه السلام خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم، وآيات كثيرة وأحاديث تقتضي القول بتعديلهم، وكذلك أجمع من يعتد به على ذلك سواء في العدالة
من لابس الفتنة منهم وغيرهم لوجوب حسن الظن بهم حملًا للملابس على الاجتهاد ونظرًا إلى ما تمهد لهم من مآثر من
امتثال أوامره عليه السلام وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات
والزكوات وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة
ولا يكون لأحد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك بحلول نظره عليه الصلاة والسلام، وأفضلهم عند أهل السنة إجماعًا
أبو بكر ثم عمر، وأما بعدهما فالجمهور على أنه عثمان ثم علي، وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في المقصد السابع.
ومنها أن المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك أيها النبي ولا يخاطب غيره. ومنها أنه كان يجب على من دعاه وهو
في الصلاة أن يجيبه، ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم أجبه الحديث، وفيه ألم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. فإجابته فرض يعصي المرء بتركها، وهل
تبطل الصلاة أم لا، صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم أنها لا تبطل، وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة
مطلقًا سواء كان المخاطب مصليًا أو غير مصل، أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة، وإلى ذلك جنح بعض الشافعية والله أعلم.
ومنها أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فمن كذب عليه لم تقبل روايته أبدًا وإن تاب فيما ذكره جماعة من المحدثين، تنبيه
وقال عبد الرزاق أنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير أن رجلًا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليًا والزبير فقال
اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه، وحكى إمام الحرمين عن أبيه أن من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكفر، لكن لم يوافقه أحد من الأئمة على ذلك، والحق أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها إلا أن استحله.
وقال النووي لم أر له أي للقول في أصل المسألة دليلًا، ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظًا وزجرًا بليغًا عن الكذب
عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فإنه يصير شرعًا مستمرًا إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فإن
مفسدتهما قاصرة ليست عامة، ثم قال وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية، والمختار
القطع بصحة توبته بشروطها المعروفة، قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع، وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرًا
فأسلم، قال وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا، قال شيخنا ويمكن أن يقال فيما إذا كان

كتبه في بعض جليسه وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابداً فان من سن سنة سيئة
عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرة وان وجد مخرج لا سيما
ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبياء ومنها انه لا يجوز عليه
الجنون لانه نقص ولا الاغماء الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي الروضة
وكذلك الانبياء ونبه السبكي على ان اغماءهم يخالف اغماء غيرهم وانما هو عن غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة
دون القلب لانه قد ورد انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي
هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى قال السبكي ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما
ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت انتهى وقال الامام فخر الدين
الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن لما قال يا اسفا على يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا
يكثر الماء في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الما فقوله وابيضت عيناه من الحزن كانه من
غلبة البكا والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكا لا في حصول العمى فلما حملنا الابيضاض على
غلبة البكا كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال
واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال اخرون بل كان قد
ضعف بصره من كثرة البكا والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر
بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهى
ومنها ان من سبه او انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته وهل الاستتابة
واجبة ام لا فمذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا وعبارة شيخهم
العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعنه او عابه او قذفه او استخف بحقه او غير صفته
او الحق به نقصا وان في بدنه او خصلته او غض من مرتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او
نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب
حدا الا ان يسلم الكافر وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور وهذا ما ذكره القاضي عياض في الشفا
وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله تعالى هي ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله
في وبيل عقوبته قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر
الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله الخطابي وغيره واطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعذر
الحقيقة فيه ويشهد لذلك الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني وهذا بخلاف جانب الرسول فالاذى
في حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الاية لان العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم
وقال تعالى قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي عياض قال
اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما السنة فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن عداوتنا وهجانا
وفي رواية فانه يؤذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفي حديث مصعب بن سعد عند ابي
داود انه لما كان يوم الفتح امن صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبأ
عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله

الانبياء معصومون

وابيضت عيناه من الحزن

الحديث

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد
الثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته
فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة
الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه
وسلم ويامر جاريتيه به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت انه امر بقتل من اذاه ومن تنقصه
والحق له عليه السلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم وعفا عن بعضهم وبعد وفاته تعذر
المعرفة بالعفو فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا حقه فانه لم
يرد عنه الاذن في ذلك واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين
وسابه فقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف
في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون اجمع العلما على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر انتهى
ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرجه من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك
عند الجمهور صرح به ايضا والمرتد يستتاب فان تاب والا قتل وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه
كان محترما بالاسلام وربما عرضت له شبهة فينبغي ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا
بالاول فيجب في الحال ولم يؤجل كغيره وفي الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه وفي قول يمهل ثلثة ايام فان
لم يتب واصر رجلا كان او امراة قتل وان اسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة
الاية وعن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبيا فقد كذب برسول الله وهي ردة يستتاب
فان تاب والا قتل وايما معاهد سب الله او سب احدا من الانبيا فقد نقض العهد فاقتلوه واجيب عما
تقدم من ادلة المالكية فاما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية فليس فيه الا كفر موذيه
عليه السلام واما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب
للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من
فرط منه فرطة وقلنا بكفره بها وتاب ورجع الى الاسلام والفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما
جعلتا ذلك ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر وكذلك ما رواه البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نا
دى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور واما قول الخطابي وغيره لا اعلم احدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما فمحمول على القتل بعدم التوبة واما سياق القاضي عياض
لقصة الرجل الذي كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه فليس يفيد غرضا في هذا
المقام لان الظاهر ان هذا الكذب فيه افساد وفتنة بين المؤمنين لا سيما ان كان كافرا فيكون من محاربي
الله ورسوله مع السعي في الارض بالفساد فيكون متحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل
وكذا لسياقه حديث ابن عباس ان هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري
فيها خلف ولا نزاع فان في هذه الحكاية ونظائرها نظرا واضحا لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد اجمع
عليه السلام انه لعصمة لاحد من الناس بعد دعوتهم الى الاسلام الا بالاسلام وكل منهم مهدر الدم لا

ص

الجزء الثاني من الـ

من عصم الله منهم بالإسلام وإنما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصفه
الارتداد بالسب على القول بكونه ردة فرجع إلى الإسلام وتاب هنا هو محل النزاع وموضع الاستدلال
لكل من المتنازعين أما كونها صلى بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من إجابته وحاربه
بيده ولسانه فلا نزاع في إهدار دمه قطعًا لا سيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة أنها كانت تعيب
الإسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات القتل إجماعًا فقتلها بين ما
ساقه القاضي عياض أنه أمره عليه السلام بقتل سابه إنما نقل عن الكفر ولم ينقل أنه عليه السلام قتل
مسلمًا بسببه وإنما كان ذلك في أهل الكفر والعناد ولو نقل لاحتمل كونه حدًا لاحتمال أن يكون قتله كفرًا
وقد قال سبحانه تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلمنا أن من أراد الشرك
في حيز إمكان المغفرة وقال تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعًا هذا وإن ثبت هذا بالنظر إلى ظلم النفس
وحقوق الله تعالى لا بالنظر إلى حقوق العباد لأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد
مبنية على المشاححة وهنا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا أن نسقطه بخلافه هو صلى الله عليه وسلم
فإن له ذلك قال الجواب لا بد لنا من نص على ذلك لكنه عليه السلام كان يقول لا سلام من سبني فاقتلوه
ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعًا عن سبه فإن نقل اتبعناه ثم إنه من جهة النظر ينبغي إلحاق حقوق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحقوق الله تعالى كما أن حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم
فإنه متخلق بأخلاق الله تعالى ومما عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذا قصده ظالم وجب على
من حضره أن يبذل نفسه دونه حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة من الأصحاب ومن خصائصه
أيضًا أنه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين
روى أبو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم ابتاع من أعرابي فرسًا فاستتبعه ليقبضه

صح صح

فاستتبعه ليقبضه

ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي
يساومونه بالفرس ولا يشعرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث
قال وطفق الأعرابي يقول هلم شهيدًا يشهد أني قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك إن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يكن ليقول إلا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال أنا أشهد أنك قد بايعته
الحديث وفيه قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت
قال فوجدتها مع خزيمة الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته برجلين وعند الحرث بن أبي أسامة
في مسنده من حديث النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من أعرابي فرسًا فجحده
الأعرابي فجاء خزيمة فقال يا أعرابي أنا أشهد عليك أنك بعته فقال الأعرابي إن شهد علي خزيمة فأعطني
الثمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا خزيمة إنا لم نشهدك كيف تشهد قال أنا أصدقك على خبر السماء
ألا أصدقك على ذا الأعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الإسلام
من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابي هذا الحديث حمله كثير من الناس على
غير محمله وتذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء
ادعاه وإنما وجه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حكم على الأعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة
مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصار في التقدير كشهادة اثنين في غيرها من القضايا
انتهى ومن ذلك ترخيصه في النياحة لأم عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الآية يبايعنك
على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة فقلت
يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال إلا آل فلان
قال النووي هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة وللشارع أن يخص من العموم ما شاء
ومن ذلك ترك الإحداد لأسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر بن أبي طالب قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسلبي ثلاثًا ثم اصنعي ما شئت ومن ذلك الأضحية لأبي بردة بن نيار رواه الشيخان من
حديث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا
ونسك نسكنا فقد أصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام أبو بردة بن نيار
فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت
وأطعمت أهلي وجيراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال فإن عندي عناق جذعة
هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني قال نعم ولن تجزي عن أحد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة
التحتية وآخره راء قوله ولن تجزي بفتح أوله غير مهموز أي تقضي والجذع بالجيم والذال المعجمة وفي هذا
الحديث تخصيص أبي بردة وفي حديث عقبة بن عامر بإجزاء الجذع من المعز في الأضحية لكن وقع في عدة
أحاديث التصريح بنظير ذلك لغير أبي بردة ففي حديث عقبة بن عامر عند البيهقي ولا رخصة فيها لأحد بعدك
قال البيهقي إن كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لأبي بردة قال الحافظ
ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لأن في كل منهما صيغة عموم فأيهما تقدم على الآخر اقتضى انتفاء الوقوع للثاني
ويحتمل أن تكون خصوصية الأول نسخت بثبوت الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك لأنه لم يقع في السياق
استمرار المنع لغيره صريحًا وفي كلام بعضهم أن الذين ثبتت لهم الرخصة أربعة أو خمسة واستشكل الجمع

عناقًا

في مختصر البداية ... واجزاني الشيخ كذا في ومنه ولن تجزي عن احد انتهى وهو الظاهر

وليس بمشكل فإن الأحاديث التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي إلا في قصة أبي بردة في الصحيح
وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي وأما ما عدا ذلك فأخرج أبو داود وصححه ابن حبان
من حديث زيد بن خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت
إنه جذع أفأضحي به قال ضح به وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم
أعطى سعد بن أبي وقاص جذعا من المعز فأمره أن يضحي به وأخرجه الحاكم من حديث عائشة وفي
سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثي أبي بردة وعقبة بالرخصة في ذلك وإن تعذر الجمع
بين حديث أبي بردة وحديث عقبة فحديث أبي بردة أصح مخرجا وإن كان حديث عقبة
عند البيهقي من مخرج الصحيح والله أعلم ومن ذلك إنكاح الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة
وورد به حديث مرسل أخرجه سعيد بن منصور عن أبي النعمان الأزدي قال زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن وقال لا يكون لأحد بعدك مهرا ومنها أنه يوعك
كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر ومنها أن جبريل أرسل إليه ثلاثة أيام في مرضه يسأله عن حاله
ذكره البيهقي وغيره ومنها أنه صلى عليه الناس أفواجا أفواجا بغير إمام وبغير دعاء الجنازة ذكره
البيهقي وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن ثلاثة أيام كما سيأتي وفرش له في لحده قطيفة والأمران
مكروهان في حقنا وأظلمت الأرض بعد موته كما سيأتي ومنها أنه لا يبلى جسده وكذلك الأنبياء
رواه أبو داود بلفظ إن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ومنها أنه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه
وقيل المصير صدقة وبه قطع الروياني ثم حكى وجهين في أنه هل يصير وقفا على ورثته وأنه إذا صار وقفا
هل هو الواقف وجهان قال النووي في زيادة الروضة الصواب الجزم بزوال الملك وأن ما تركه
صدقة للمسلمين لا يختص به الورثة انتهى قال في الشرح الصغير المشهور أنه صدقة وذكر الرافعي
في قسم الغنائم أن الخمس كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل
إلى ورثته وقال في باب الخصائص إنه ملكه وجمع بينهما بأن الجهة الإنفاق ما دامت مملوكة وغير مملوكة
والخلاف جار في أحدهما وعلى هذا فيباح له عليه الصلاة أن يوصي بجميع ماله للفقراء ويمضي ذلك
بعد موته بخلاف غيره فإنه لا يمضي مما أوصى به إلا الثلث بعد موته ولكن الأنبياء لا يورثون لما رواه
النسائي من حديث الزبير مرفوعا إنا معاشر الأنبياء لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث
سليمن داود وقوله رب هب لي من لدنك وليا يرثني بأن المراد وراثة النبوة والعلم ومنها أنه حي في
قبره وكذلك الأنبياء ولهذا قيل لا عدة على زوجاته وقيل ويصلي فيه بأذان وإقامة وقد حكى ابن زبالة وابن
النجار أن الأذان ترك في أيام الحرة ثلاثة أيام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال
سعيد فاستوحشت فدنوت إلى القبر فلما حضر الظهر سمعت الأذان في القبر فصليت الظهر ثم
مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون
فسمعت أذانهم كما سمعنا الأذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت أن الأنبياء يحجون ويلبون
فإن قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم أموات في الدار الآخرة وليست دار عمل فالجواب
أنهم كالشهداء بل أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا
أن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور وأن المنقطع في الآخرة

إنما هو التكليف وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ولهذا أنهم يسبحون ويقرؤون
القرآن ومن هنا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وقد قال صاحب التلخيص إن ماله
عليه السلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وجعله من خصائصه ونقل إمام الحرمين عنه أن ما
خلفه بقي على ما كان في حياته فكان ينفق منه أبو بكر على أهله وخدمه وكان يرى أنه باق على ملك
النبي صلى الله عليه وسلم فإن الأنبياء أحياء وهذا يقتضي إثبات الحياة في أحكام الدنيا وذلك زائد على حياة
الشهيد والذي صرح به النووي زوال ملكه عليه السلام وأن ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا
تختص به ورثته فإن قلت القرآن ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إنك ميت وإنهم
ميتون وقال عليه السلام إني مقبوض وقال الصديق إن محمدا قد مات وأجمع المسلمون على
إطلاق ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي بأن ذلك الموت غير مستمر وأنه صلى الله عليه وسلم
أحيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر وإلا فالحياة الثانية حياة
أخروية ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهداء وهي ثابتة للروح بلا إشكال وقد ثبت أن
أجساد الأنبياء لا تبلى وعود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء فضلا
عن الأنبياء وأما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بكماله في الدنيا أو حيا بدون
وهي حيث شاء الله فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فإن صح
به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فإن الصلاة تستدعي جسدا
حيا وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها
حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب
وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من إثبات
الحياة الحقيقية لهم وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى
حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال إنه مما يعز وجوده وفي مثله فليتنافس المتنافسون ومنها أنه
وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ إن لله ملائكة
سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام وعند الأصبهاني عن عمار أن لله ملكا أعطاه سمع
العباد كلهم فما من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها وتعرض أعمال أمته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك
عن سعيد بن المسيب ليس من يوم إلا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشيا
فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم ومنها أن منبره على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة
من ترع الجنة وأصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فإذا كانت في المطمئن فهي روضة
ولم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره وأنه حق محسوس موجود فإن القدرة صالحة لا يعجز فيها
وكلما أخبر به الصادق عليه السلام من أمور الغيب فالإيمان به واجب ومنها أن ما بين [illegible]
وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز أما
الحقيقة فبأن يكون ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه من الجنة أن يكون مقتطعا منها كما أن الحجر
الأسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق التي هبط بها آدم

عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها
ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فبان يكون من اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة
ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب في نيل الجنة قاله ابن ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة
فيه تؤول الى دخول العابد روضة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها
وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون في الجنة بعينها
روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة ويأتي مزيد لذلك في فضل الزيارة من المقصد الاخير ان شاء الله تعالى
ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر في رواية مسلم انا اول من تنشق عنه الارض
وهو اول من يفيق من الصعقة قال عليه السلام انا اول من يرفع راسه بعد النفخة فاذا انا بموسى آخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه
عليه السلام لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه الصلوة والسلام
اول من ينشق عنه القبر وهو اول من يجيز على الصراط رواه البخاري من حديث ابي هريرة وانه يحشر في
سبعين الفا من الملائكة كما روي عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون
بقبره عليه السلام يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت
عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن النجار في تاريخ
المدينة وانه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي كما ذكره الطبري ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة
رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة لا يقوم لها البشر ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا رواه الطبري وهو عند ابن ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل
وامتي على تل وعند الطبري ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم فوق
الناس وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفيه لا يقومه غيره يغبطه
فيه الاولون والاخرون ومنها انه يعطى المقام المحمود قال مجاهد هو جلوسه على العرش وعن عبد الله
ابن سلام على الكرسي ذكرها البغوي وسياتي ما قيل في ذلك في ذكر تفضيله بالمحمود ان شاء الله تعالى بالمقام
ومنها انه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا والشفاعة
في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها
به ووردت الاحاديث به في التي قبل وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين
ومنها انه صاحب لواء الحمد يوم القيمة آدم فمن دونه تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة روى
مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا
اول من يقرع باب الجنة وعنده ايضا عن انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول
لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخرى له صلى الله عليه وسلم وفي ان خازن الجنة
لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه السلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد

قلت يكفي في مزيد الاختصاص مع انه جاء عمومه في كل مسجد اذا ... بعض كتبه فادركوا ... صح

بعده

بعده الخزنة الجنة بقوله فخدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله
حتى مشى وفتح له الباب ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول من
حرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر رواه الترمذي ومن خصائصه صلى الله عليه
وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه يجري على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
ومنها الوسيلة وهي اعلا درجة في الجنة واما خصائص امته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا
فاعلم انه لما اثنى سبحانه وتعالى على العالم على غاية ... بن جسد نبينا صلى الله عليه وسلم
العيانه ظهر عنا ... بامته ... الانسانية بحضورهم وظهورهم فيها وان كان العالم الانساني والتاريكي
كله امته ولكن لهم خصوص وصف فجعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبياء واعطاهم
الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم وكان من دخل من الانبياء عليهم السلام كعيسى
او نقيب دخل في حكم هذه الامة فانه لا يحكم الا بما شرعه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم بحكمه لانه لا ... بعد نبينا امر
فاذا نزل سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام او اطلاع
على الروح المحمدي او بما شاء الله تعالى في اخذه من شرع الله له ان يحكم به في امته فلا يحكم في شيء من تحريم
تحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه في اوان رسالته ودولته
فهو عليه السلام متابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له وقرب
عنه صاحب عنقا مغرب وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقائد النسفي وصح انه يصلي بالناس
ويؤمهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولى انتهى فهو عليه السلام وان كان خليفة في الامة
المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله فان قلت قد ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن
ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وان الصواب في معناه
انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل
الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه السلام
حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه لا خلاف ان عيسى عليه السلام انما ينزل حاكما
بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة واما
حكم الجزية وما يتعلق به فليس حكما مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا
صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ
فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم اشار اليه النووي
في شرح مسلم فان قلت ما المعنى في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في عدم قبول الجزية
اجاب ابن بطال بانا انما قبلناها عن لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى عند خروجه الى
مال لانه يفيض فيه المال حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى
واجاب الشيخ ولي الدين بن العراقي بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم
من التوراة والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة لحصول
معاينته فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم في انه لا يقبل

منهم الا الاسلام والحكم بنزول بن ذلك عليه قال وهذا معنى حسن ما سبق لم ار من تعرض له قال
وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم فانه تابع
لاحكام هذه الملة وكذلك الياس على ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي ايضا وليس في الرهط من نبي
رسول له كتاب الا نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله تعالى شرفا
فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة ومن علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة
ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتامل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله
فينبغي لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة من
الاوصاف المرضية ويتاهل لما لها من الخيرية قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط
المذكورة اي تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان
المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كما قال عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة
افضل ممن بعدها والى هذا ذهب معظم العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم وراه ولو مرة من عمره
افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر
الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس
قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام من امنا فقين
المظهرين للايمان واهل الكبائر والذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه
وسلم قال طوبى لمن راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي وفي مسند ابي داود الطيالسي
عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم
ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يومنون بي ولم يروني فهم افضل
الخلق ايمانا وروي ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة
عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك
ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال
ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة واخرها في فضل
العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يوتي فضله من يشاء انتهى
واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا حجة به لكن روى احمد والدارمي والطبراني
عن ابي عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم
يومنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا
نطيل بذكرها وستاتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالى وقد خص
الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يوتها احدا قبلهم والاخبار والاثار ناطقة بذلك فخرج ابو نعيم

عن ابي

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التوراة قراها فوجد فيها
ذكر هذه الامة فقال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلها امتي قال تلك
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرونها ظاهرا فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة ياكلون الفيء فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة يجعلون الصدقة في بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتي قال تلك
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة
وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح
امة يوتون العلم الاول اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يوتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون
المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك
خصلتين فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين
قال قد رضيت يا رب وروى ابن ظفر في النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى يا رب
هل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله سبحانه
وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على جميع خلقي قال يا رب فارنيهم قال
لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم
في اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي
سبق عقابي استجبت لكم قبل ان تسالوني فمن لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
غفرت له ذنوبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا اي امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواه قتادة وزاد فقال موسى يا رب
ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعني مرة اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد
باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في
العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن
امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم
صائمون بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال
فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخروا ولكن
ساجمع بينك وبينه في دار الجلال وعن وهب بن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا
اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي
المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر
رحيما بالمومنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في
الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفه من سكينته ولو يمشي على
القصب الرعراع لم يسمع من تحته قد بعثته مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت

القضيب الطويلة

للناس آمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وتوحيدًا لي وإيمانًا بي وإخلاصًا لي وتصديقًا بما جاء به رسلي وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم أوليائي وأنصاري أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان يصلون لي قيامًا وقعودًا وركعًا وسجدًا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفًا ويقاتلون في سبيلي صفوفًا أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء وأجعلهم أفضل الأمم وأجعلهم أمة وسطًا شهداء على الناس إذا غضبوا هللوني وإذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأشراف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبانًا بالليل ليوثًا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومنهاجهم وشريعتهم وذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم رواه أبو نعيم وقد ذكر الإمام فخر الدين أنه من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل قال السبكي إلا هذه الأمة فإن معجزات نبينا أظهر وثوابنا أكثر من سائر الأمم ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم ولم تحل لأمة قبلها وجعلت لهم الأرض مسجدًا ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس وجعل ترابها لهم طهورًا وهو التيمم وفي رواية أبي أمامة عند البخاري وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجدًا وطهورًا وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعلت تربتها طهورًا إذا لم نجد الماء ومن خصائص هذه الأمة أيضًا الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري إن أمتي يدعون يوم القيمة غرًا محجلين من آثار الوضوء لكن قال في فتح الباري وفيه نظر لأنه ثبت في البخاري قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي وفي قصة جريج الراهب أيضًا أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة مرفوعًا قال سيما ليست لأحد غيركم أي علامة وغاية التحجيل استيعاب العضدين والساقين والغرة غسل مقدم الرأس وصفحة العنق مع الوجه ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجتمع لأحد غيرهم وأخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي إسحق عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال يومًا فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلي أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثًا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو داود في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى ثم خرج فقال أعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم ومنها الأذان والإقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره فقال ولم تنزل على أحد من الأمم قبلنا إلا على سليمان بن داود ومما اختصت به

هذه

فعلى هذا الثواب من كانت كرامته أكثر ثوابه يكون أقل ولهذا ظهرت الكرامات في الخلف أكثر من السلف

إنما قال فالظاهر لأنه يحتمل أن يكون وضوءهم غير وضوئنا

هذه الأمة انتهى ومنها التأمين روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الإمام آمين قال الحافظ ابن حجر وهو حديث غريب لا أعرفه بهذه الألفاظ إلا من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن في التأمين أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتأمين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا أمرت رواه البزار والطبراني في الأوسط ووجه الاستدلال منه أنه صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الأمم السالفة منه قاله بعض العلماء قال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الملة وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر بأمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد رواه البخاري ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها في لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار ومنها إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر إليه لم يعذبه أبدًا وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواه الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة في كل ليلة حتى يفطروا وإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعًا رواه البيهقي بإسناد لا بأس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبي قبلي الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا [illegible] وتصفد فيه مردة الشياطين رواه أحمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان وإباحة الأكل والشرب والجماع ليلًا إلى الفجر وكان محرمًا على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الإسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وهل صيام رمضان من خصائص هذه الأمة أم لا إن قلنا إن التشبيه الذي دلت عليه الكاف كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم وفي إسناده مجهول وإن قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون واقعًا على مطلق الصوم وهو قول الجمهور ومنها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء عليهم السلام مثله إنا لله وإنا إليه راجعون ولو

اعطيت الانبيا لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع
عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف
عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضا الخاطية وقطع موضع
النجاسة وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني اسرايل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته
ان كفارته ان تنزع عينيه فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج كما قال
تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام عليهم اشارة الى انه لا
مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه يعني من لم يستطع ان يصلي قايما فليصل قاعدا واباح للصايم الفطر في
السفر والمرض فيه وقيل لا جعل لهم من كل ذنب مخرجا وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
في حقوقه تعالى والاروش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي وروي عن ابن عباس انه قال
الحرج ما كان على بني اسرايل من الاصر والشدايد وضعه الله عن هذه الامة وعن كعب لعطي الله هذه الامة
ثلثا لم يعطهن الا الانبيا جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ادعوني استجب
لكم ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المواخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد
كان بنو اسرايل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شي من مطعوم او مشرب
على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا
عليه رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم
الا الانبيا عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو
يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة وقد تعاقب بان رضي الاسلام دينا لهم وتسمية
ابرهيم اياهم بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به وفايدة ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم من
الفضايل وقيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب به ابن الصلاح
لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون فما وجدنا غير بيت من المسلمين الى
غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف
به كل من دخل في شريعة مقرا بالله تعالى وبانبيايه كما قال الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع شرايع
الامم المتقدمة وهذا مما يحتاج الى بيانه لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت
شريعة جلال وقهر امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنايم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار والاغلال ما لم يحمله غيرهم
وكان موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعدا الله
فكان لا يستطيع النظر اليه وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل
واحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال
وهم به عصاة فان الانجيل يامر فيه ان من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ومن نازعك
ثوبك فاعطه رداك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم مشقة ولا اصار
ولا اغلال واما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم واما نبينا صلى الله

الظفر

عليه

عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله واللين والرافة
والرحمة فشريعته اكمل الشرايع وامته اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات
ولذلك تاتي شريعته بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة في موضع
الشدة وباللين في موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم
ويحرمه والعدل ويامر به والفضل ويندب اليه في بعض اية كقوله وجزاء سيية سيية مثلها
فهذا عدل فمن عفا واصلح فاجره على الله فهذا فضل انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم ولين صبرتم لهو خير
للصابرين ندب الى الفضل وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم
كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة
كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سياتي ذكره ان شا الله تعالى
في مقصد عباداته عليه السلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة
اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا
قبله وكمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله وكذلك في شريعته هذه الامة المجتبون كما
قال الله هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهدا على الناس فاقامهم في ذلك مقام
الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها انهم لا يجتمعون على ضلالة رواه الامام احمد
في مسنده والطبراني في الكبير وابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابي بصرة الغفاري مرفوعا في حديث سالت
ربي ان لا تجتمع امتي على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن ابي عاصم والطبراني ايضا من حديث ابي مالك الاشعري
رفعه ان الله اجاركم من ثلث وذكر منها وان لا تجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث
مشهور المتن ذو اسانيد كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة
وان اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان
ابن ابي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف
اصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ ابن حجر حديث
مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة
للناس قال وكثر السوال عنه وزعم كثير من الايمة انه لا اصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا
وقال اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما ماجن والاخر ملحد وهما اسحق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ
وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم
يقع في كلامه نص في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن
سعيد قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا
على هذا اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الامم
عذابا رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجاله ثقات
ولفظه الطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز على الكافر ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير

على هذا ولا هذا

وجبت له الجنة وكان الامم السالفه اذا شهد منهم مايه

ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا واوتوا العلم الاول والاخر وآخر الامم فافتضحت الامم عندهم ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الامه وسنة بالغة من السنن الموكده وقد روينا من طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله تعالى قد اكرم هذه الامه وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول فالاطول مجالسة من فوقه ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستودع الله تعالى شكر هذه النعمه وغيرها من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله تعالى ادم امنا يحفظون اثار الرسل الا في هذه الامة انتهى ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب قال ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه الامه بثلاثة اشيا لم يعطها من قبلها الاسناد والاعراب والانساب انتهى وهو مروي عن ابي علي الجياني ايضا ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ونازعه طايفة منهم طاهر بن علي المخزومي بان اصل الله رواه الشيخان ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجبا وابدالا عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا واربعون امرأة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امرأة ابدل الله مكانها امرأة رواه الخلال في كرامات الاوليا ورواه الطبراني في الاوسط بلفظ لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه اخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلا اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه اخر فاذا جا الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعه وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال من حديث عباده بن الصامت مرفوعا لا يزال في هذه الامة ثلثون مثل ابرهيم خليل الرحمن كلما مات واحد ابدل الله مكانه رجلا وفي لفظ للطبراني في الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا خيار امتي في كل قرن خمس مايه والابدال اربعون فلا الخمسمايه ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه اخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال اربعون رجلا من امتي قلوبهم على قلب ابرهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخا والنصيحة للمسلمين وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد لهم ويروى فيه مرفوع معضل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيا ابدا وقال بكر بن هرون الابدال

هم اهل العلم وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني قال النقبا ثلثمايه والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار سبعه والعمد اربعه والغوث واحد فمسكن النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكه واذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقبا ثم النجبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا يتم مسالته حتى تجاب دعوته ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المومنين لهم رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومه تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المومنين لها ومنها انهم احتضوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق عنه الارض ثم امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضو رواه البخاري والغرة بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض في قوايمه وذلك مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي يكون لهم يوم القيمة في اعضا الوضو بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض في اعضا الانسان كما يزينه لاحمايتشبنه يعني انهم اذا دعوا على روس الخلايق نودوا بهذا الوصف او كانوا على هذه الصفه ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين على الخلايق وما من الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب فاكون انا وامتي على تل ومنها ان لهم سيما في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهل هذه العلامه في الدنيا او في الاخرة فيه قولان احدهما انه في الدنيا قال ابن عباس في رواية ابن ابي طلحة السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليست بالتي ترون هي سمت الاسلام وسجاه وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر تحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه في الاخرة يعني ان مواضع السجود من وجوههم تكون اشد بياضا يوم القيمة يعرفون بتلك العلامه انهم سجدوا في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال عطا الخراساني دخل في هذه الايه كل من حافظ على الصلوات الخمس ومنها انهم يوتون كتبهم بايمانهم رواه احمد والبزار ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما سعي لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمه واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها اجوبه احدها انها منسوخه روي ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فجعل الولد الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الابا في الابنا والابنا في الابا بدليل قوله تعالى اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الثاني انها مخصوصه بالكافر واما المومن فله ما سعى عن غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المومن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عايشه انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الما وفي الموطا

عن عبد الله بن بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشياً الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه
فافتى عبد الله بن عباس ابنتها ان تمشي عنها ومن المفسرين من قال ان الانسان في الاية ابو جهل ومنهم
من قال عقبة بن ابي معيط ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا
وقد دل شرعنا ان الانسان له سعيه وما سعي له ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن
صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصاروا يهدون له بعد موته من سعيه
ومنهم من قال الانسان في الاية الحي دون الميت ومنهم من قال لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي
غيره له وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشري في وان ليس للانسان الا ما سعى
فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره
لما لم ينفعه الا مبنياً على سعي نفسه وهو ان يكون مومناً مصدقاً فكذلك كان سعي غيره كانه
سعي نفسه لكونه تبعاً له وقائماً لقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له
فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان
الا ما سعى عام مخصوص بما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلما في ثواب قراءة القران هل يصل
الى الميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الامام الشافعي والامام مالك ونقل
عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله
بعد ان قال ان القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شي من صدقة وصلاة
وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلاني ان وصول
ثواب القراءة الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح كما ينفعه الصدقة والدعا والاستغفار بالاجماع
وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراءة القران على راس القبر جائز كالاستيجار للاذان وتعليم
القران لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه
الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب
القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب
القراءة بالدعا للميت فان الدعا يلحقه والدعا بعد القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ
عبد الكريم الشالوسي انه ان نوى القارى بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرا ثم جعل ما حصل
من الاجر له فهذا دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينفع الميت قال النووي في زيادات الروضة ظاهر كلام
القاضي حسين صحة الاجارة مطلقاً وهو المختار فان موضع القراءة موضع بركة وتنزل رحمة وهذا مقصود
ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في الوصية الذي يعتاد من قراءة القران على راس القبر قد ذكرنا في
باب الاجارة طريقين في عود فائدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي
الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب له القارى وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته ان
يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير وان قرا ثم جعل
ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعا الغير لكن لحلاوة ان الدعا ينفع
الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال الدعا للميت مستجاب كما اطلقوا اعتماداً
على سعة فضل الله وقال الرافعي والنووي يستوي في الصدقة والدعا الوارث والاجنبي قال الشافعي ويُسن

وسع الله ان يثيب المتصدق ايضاً وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق في الصدقة عن ابويه فان
الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيا وذكر صاحب العدة انه لو انبط عيناً او حفر بيرا او غرس شجرا
او وقف مصحفاً في حال حياته او فعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه
الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقة جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص الحكم بوقف
المصحف بل يلتحق به كل وقف وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في
التهذيب انه لا تجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى به وقد روي عن علي وغيره
من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن ابي العباس محمد بن اسحق السراج قال ضحيت
عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية واما اهدا القراءة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نعرف فيه خبرا
ولا اثرا وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم وحكى صاحب
الرقم ان من الفقها المتاخرين من استحبه ومنهم من راه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك
فان له اجر كل من عمل خيراً من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شي قال الثنا فما من خير يعمله
احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه وسلم اصل فيه قال في تحقيق النصرة فجميع حسنات
المسلمين واعمالهم الصالحة في صحائف نبينا صلى الله عليه وسلم زيادة على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها
الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيامة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه
مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي صلى
الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان
للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر الف واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى
الله عليه وسلم الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما قبله ابدا كما قاله بعض المحققين انتهى
ولله در القائل وهو سيدي محمد وفا رحمه الله فلا حسن الا من محاسن حسنه ولا محسن الا له حسناته
ويمكن ان يجاب عن استشكال دعا القارى له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع العلم بكماله عليه السلام في
سائر انواع الشرف بان الداعي لحظ ان قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير اجره وهكذا حتى يكون للمعلم الاول وهو
الشارع عليه السلام نظير جميع ذلك كما قررته ومن ذلك ما شرع عند رؤية الكعبة من قوله اللهم زد هذا
البيت تشريفاً وتعظيماً فثمرة الدعا بذلك عايدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراءة وهذا كما قالوا في الصلاة
عليه زاده الله شرفاً لديه ان ثمرتها عايدة على المصلي اشار لنحو ما الحافظ ابن حجر رحمه الله ومن خصايص
هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً
حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي ومنها انهم يدخلون الجنة سبعون الفاً
بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفاً
لا حساب عليهم واني سالت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفاً سبعين الفاً وبالجملة فقد
اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه السلام وزيادة في شرفه وتفضيل فضلها
وخصايصها يستدعي سفرا لا اسفارا وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم

المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة و الصلاة

والآيات الكبرى. اعلم منحني الله واياك الزلفى في معارج السعادات، واوصلنا به اليه في حظائر الكرامات
ان قصة الاسرا والمعراج من اشهر المعجزات، واظهر البراهين البينات، واقوى الحجج المحكمات، واصدق
الانبا واعظم الايات، واتم الدلالات الداله على تخصيصه عليه السلام بعموم الكرامات. وقد
اختلف العلما في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسرا ان كل واحد في ليلة مرة
بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما
من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربع اسرات احتج القايلون بانه رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا
وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس لان الرويا مصدر الحلمية واما البصرية
فالروية بالتا وقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرويا للبصرية
ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك احلى في العيون من الغمض. واجيب بانه انما قال الرويا لوقوع ذلك
في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرويا والروية واحد كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس
في الاية كما عند البخاري هي رويا عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن
سفيان في اخر الحديث وليس برويا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمري وعند سعيد بن منصور ايضا
من طريق ابي مالك قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرويا
على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطا المتنبي على انه اختلف المفسرون في هذه الاية فقيل اي الرويا
التي اريناك ليلة المعراج قال البيضاوي ففسر الرويا بالروية وقيل رويا عام الحديبية حين راى انه دخل مكة
فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رويا وقعة بدر وسال ابن العقيب شيخه ابا العباس القرطبي عن
الاية فقال الصحيح انها روية عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس
مصارعهم التي اراه جبريل فتسامعت به قريش واستسخروا منه انتهى واحتج القايلون بانه رويا منام ايضا
بقول عايشة ما فقد جسد الشريف واجيب بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك
زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان وقال التفتازاني اي ما
فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القايلون بانه
بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى
الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون
ابلغ في المدح واجيب بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سوال قريش له عنه على سبيل الامتحان على ما شاهد
وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاينه ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة
عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسالوه عما راى في السما اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان
الاسرا به عليه الصلوة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب
عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطية له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصادقة
ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسرا سهله عليه بالرويا
لان هوله عظيم فجا في اليقظة على توطية وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض

قايلين

قايلين ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وسياتي
البحث في ذلك ان شا الله تعالى واحتج القايلون بانه اربع اسرات يقظة بتعدد الروايات في الاسرا
واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيا ذكره الاخر واجيب بانه
لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يختصر بعض الخبر للعلم به او ينساه وقد وقع في رواية حديث اهل الشام
موجودة ثم مثلثة بوزن جعفر في رواية عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنساي لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن
ذهب الى تعدد الاسرا وانه وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه
المسالة ان الاسرا الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح ابواب السما بابا بابا ولا من التقاء
الانبيا كل واحد في سما ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق
بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك راها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها
بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله اعلم انتهى وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه
وسلم اربعة وثلثين مرة الذي اسري به منها اسرا واحد بجسمه والباقي بروحه رويا راها صلى الله عليه
وسلم وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراات متعددة
فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو
تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى
فالحق انه اسرا واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين
والفقها والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل
ما يحيله قال الرازي قال اهل التحقيق الذي يدل على انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده
من مكة الى المسجد الاقصى القران والخبر اما القران فهو قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسرا حاصلا لجميع الجسد والروح ويدل
عليه قوله تعالى في سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد انتهى وكذا
ها هنا واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه السلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل على اليقظة حتى
يدل دليل على خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفا ولا استبعده الاغبيا وبان
الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت الاخبار بانه اسري به على البراق فان قلت
ما الحكمة في كونه تعالى جعل الاسرا ليلا. الجواب بانه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى
اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة
بالليل وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا
زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المومن فضيلة الايمان
بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد انتهى وفي ذلك حكمة اخرى على طريقة اهل الاشارات
ذكرها العلامة ابن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالى محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل
فجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا

الحلمية

فيدان يدل ... عن التعيين ... [illegible]

ونستجدي له تعالى ... لما جنة ... رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفيع ... الصادقة ... ربوع ... النعيم ... فكان ... الاجابات ... مثل ... الصحيح

تشرق فيك فستبعج شمس الوجود في الليل الى السما وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل
قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على بهجة النهار المنير قال لا استطيع تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدر
انما زرت في الظلام لكيما يشرق الليل من اشعة نوري

التفضيل بين ليلة الاسرا وليلة القدر

فان قلت ايما افضل ليلة الاسرا او ليلة القدر فالجواب كما قاله الشيخ ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسراء افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسراء فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الان والى ان تقوم الساعة فيها شي ومن قال فيها شيا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شي ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم صلى الله عليه وسلم فان قلت هل وقع الاسرا لغيره صلى الله عليه وسلم اجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وانما قال سبحانه وتعالى اسرى بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسري به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه السلام مما عظم سره ولا اختلج في ضميره وادخل باء المصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه صحبة الالطاف والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر وتامل قوله تعالى يسيركم في البر والبحر وقوله اسرى بعبده يلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام للحق دون عموم الخلق وقرنه سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا يعني ما راى في تلك الليلة من عجايب الايات كانه تعالى يقول ما اسريت به الا لرؤية الايات لا الي فاني لا يحيطني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به الي وانا عنده وانا معه اينما كان ولله در القايل

سبحان من اسرى اليه بعبده ليرى الذي اخفاه من اياته
لحضوره في غيبه وبسكره في صحوه والمحو في اثباته
ويرى الذي عنه تكون سره في صنعه ابداعه وهباته
ويزيدها ابدى له من جوده بوجوده والفقد من هباته
سبحانه من سيد ومهيمن في ذاته وسماته وصفاته

واكده تعالى بقوله ليلا مع ان الاسراء لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لاجل ان يرفع الاشكال حتى لا يتخيل انه اسرى بروحه فقط وينزل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان وغيرهم وقال البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرى من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا والمعارج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له عليه السلام في سني الهجرة العشر ما كان فيها مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة

ولهذا

ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقا والحضور بحظيرة القدس وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسراء في جزئين ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحق النعماني رحمه الله في الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقايق والاسهاب بفواضل الحقايق ولم اقف عليه حال اكتتابي هذا المقصد الشريف والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسراء وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهية والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شي من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجنا معارف اللطايف من رياض عياض والاستشفا من ادواء المشكلات بدوا اشفائه المبري لمعضل الامراض فالله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علما هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكنا معهم في بحبوحة جنانه وقد وردت احاديث الاسراء من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس وصهيب وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك ابن صعصعة وابي امامة وابي ايوب وابي حبة وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي هريرة وعايشة واسما بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقد روى البخاري عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذا اتاني ات فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح لنا فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد الى السما الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه

فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا ابرهيم قال هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه وفي رواية شريك يعني به صدره ولغاديده وهي باللام مفتوحة والغين معجمة أي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر من قتادة كما بينه أحمد عن عفان ولفظه بينما أنا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في أول بدء الخلق بلفظ بينا أنا عند البيت وهو أعم وفي رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر فرج سقف بيتي وأنا بمكة وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني والجمع بين هذه الأقوال كما في فتح الباري أنه بات في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك فأخرجه من المسجد فأركبه البراق قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فإن قيل لم فرج سقف بيته عليه

السلام

السلام ونزل معه الملك ولم لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها أجيب بأن الحكمة في ذلك أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجأة وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه السلام وهذا بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا عليه السلام فإنه حمل عنه ألم الانتظار كما حمل عنه ألم الاعتذار ويؤخذ من هذا أن مقام نبينا عليه السلام بالنسبة إلى مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة إلى مقام المريد ويحتمل أن يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فأراه الملك بإفراجه عن السقف ثم التئام السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الأمر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه السلام وتثبيتا لصبره والله أعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما أخرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته وأما ما وقع في رواية شريك عنده أيضا فلما استيقظت فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال وإلا حمل على أن المراد استيقظت يعني أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي فالمراد الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله أتاني آت هو جبريل عليه السلام وفي رواية شريك أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة أي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكرنا فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد أنكر الخطابي قوله قبل أن يوحى إليه وكذا القاضي عياض والنووي وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه أوهام أنكرها العلماء أحدها قوله قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وأجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هو كالخطابي بأن شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يتعين التعيين بين المجيئين فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الإسراء والمعراج وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي أو عدد سنين وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بأن شريكا خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة وأقوى ما يستدل به على أن المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه إن جبريل قال لبواب السماء إذ قال له أبعث قال نعم فإنه ظاهر أن المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فأتاه جبريل وميكائيل فقالا أيهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوا وهم ثلاثة وفي رواية مسلم سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما وقوله فقد بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغرة بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين إلى شعرته بكسر الشين المعجمة أي شعر العانة الشريفة وفي رواية مسلم إلى أسفل بطنه وفي رواية للبخاري إلى مراق البطن وفي رواية شريك عنده فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وقد أنكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الإسراء وقال إنما كان وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني سعد ولا إنكار في ذلك

كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا
عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث
انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من
العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس
ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المبين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه
واما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتهيؤ للترقي الى الملاء الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي
لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ لم يتفق له الرؤية وكيف
يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان يكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول
المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك
من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل
شيء من ذلك قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم شيء
ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا من حيث شاءته القدرة لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر
مهما شق بطنه كله انفصل القلب وانجرح ومات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه
المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة
الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه
في هاتين المرتين ولم يتبدل ولم يتألم بذلك ولم يمت لما اراد الله تعالى ان يوجد ما اجرى به العادة ان
يوجد بها موت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابراهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت
عليه بردا وسلاما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقق ما اوحي من الصبر
فهو من جنس ما اكرم به اسمعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين
واهوائه بالمدية الى النحر فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعد الله فاكرمه الله بالثناء
على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل
لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والنحر مقتل وما اصابه من اسمعيل
الا صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه السلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا مقاتل
عديدة وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر فان قلت
انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في بقاء الحياة انخرقت في رفع المشاق
وحمل الالام اجيب بانه ورد في حديث شق صدره بقابل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون
وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق قال القاضي عياض واصل الامتقاع صار كلون
النقع والنقع الغبار وهو تشبيه ابن الجوزي بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قوله فشقه
وما شق عليه فيحمل انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلاء ايضا من حيث السن فان ذلك
وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه ويتيما من ابيه واختطف
من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الاهوال تسهيلا لما بلغه في الحال ولعظم ما بناله على الصبر من
الثواب والثنا وهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا

وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتي بالطست لانه اشهر آلات الغسل عرفا فان قلت ان استعمال
الذهب حرام في شرعه عليه السلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا اجاب العارف ابن ابي جمرة بان
تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه
السلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة قال ثمرات الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام
وانما كان غيره هو المتناول له والمتناول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوق ان الطست
من هناك وكونه كان من ذهب دال على رفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ
ابن حجر بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه
استعماله لنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص
باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك
قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة وتظهر ههنا مناسبات منها انه من اواني الجنة ومنها
انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه الصدأ ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه
عليه الصلوة والسلام لانه من اواني احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض ان
تاكل اجساد الانبياء ولا يلحقه الصدأ وانه اثقل من كل قلب غلب به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل
الوحي فيه انتهى قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة قد جزم هو في
اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة وقال السهيلي وابن دحية ان نظر
الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى
معناه فلوضائته ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله ملئ حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شيئا
يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسيد المعاني
جائز كما ان سورة البقرة تجيء يوم القيمة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير
ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم
الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل
على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه السلام قال عن الطست انه اتي به مملوءا
حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملأ وانما تملأ الانا
بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام يضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان
والحكمة اعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقتها عيا ان المخلوقات التي ليس للحواس
اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان العقل لا اجماع
بين اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حيث يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا
وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع
عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبرها عليه السلام فبقي ان
الجمع بينهما ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما
ذكره عليه السلام في الحديث ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب
الذي قررناه او ما اشبهه ثم مثل بمجيء الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا

تعالى ويوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك
دليل لأهل الصوفية واصحاب المعاملات والتحقيق القائلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم
وايمان اخوانهم باعين بصائرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل
الشمعة ومنهم من يعاينه المشتعل وهو فوقها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته
كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان فان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه
ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه
عليه السلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوة التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف
من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة
وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه السلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل
وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام في العالم اشجعهم واثبتهم واعلاهم
حالا ومقاما في العلوي كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال له ها انت وربك
هذا مقامي لا اتعداه فزج به في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هنالك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل
بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه السلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس في الحرب يكف
بغلته في نحر العدو وهم يتساقطون في سلاحهم ويقول انا ابن عبد المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في العناية
بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من
اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في غسل
قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ زين العراقي ولذلك
غسل به قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه
الشريف به على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول
العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه السلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب
كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه السلام مرة بغسل صدره
الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة
في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل
اولا وهو عليه السلام طفل واخرجت من قلبه نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هنالك
وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام
وتاهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته فكذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال الله تعالى ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه السلام من تعظيم شعائر الله واشارة لامته
بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص لهم عليه بالقول واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع
خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا وفي رواية عنه الى الصلاة ثم اخذ بيدي
فعرج بي الى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء قال العارف ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا
يمشون في الهواء وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهواء سيما وكان راكبا على دابة من دواب الارض لكن لما كان
شان القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم في الهواء كل ذلك بيد قدرته لا

المقدس

على وجوههم

بسط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سئل عليه السلام حين اخبر عن الاشقياء الذين يمشون يوم القيمة على وجوههم
كيف يمشون فقال عليه السلام الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيمة على وجوههم
انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه
لم يذكر هنا فاما المعراج في غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع
التصريح به في حديث عند ابن اسحق والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا
اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الاطباق
والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث ففي روايته عند مسلم
انه اتى بيت المقدس وصلى فيه ثم عرج الى السماء كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسراء به
راكبا مع القدرة على طي الارض له الاشارة الى ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة في مقام خرق العادة
لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه
وفي كلام بعض اهل الاشارات انه لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر
معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها
على ندماء حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه فادما وافاه على فراشه نائما فقال
قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قال يا جبريل الى اين قال يا محمد رفع الاين من البين انما انا رسول
القدم ارسلت اليك من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة والكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله
انت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطائف ما مهدت الدار
الا لاجلك ما حمي ذلك الحمى الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام يا جبريل
فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال يا جبريل هذا لي
فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي
ثم قال جبريل يا محمد فراحتي في الليلة ان اكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك
وجئت بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا واستدعوا قريبا واراد
ظهور اكرامه واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز نوابهم لنقله فتاهم يحتاك على رسم عادة الملوك
واداب السلوك ومن اعتقد انه يصل اليه بالخطا فقد وقع في الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم
العطا انتهى والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان
الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك
في العادة وذكره بضمير المذكر بعضهم باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته بذلك
فقيل من البريق وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها
الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه
بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن
المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة
لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وفي حديث ابن مسعود عند
ابي يعلى والبزار كما افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية لابن سعد

لا أكون

عن الواقدي باسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف
عن ابن عباس في صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب
كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى فكان الذي امسك بركابه
جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط
اكرم على الله منه قال فارفض عرقا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن اسحق
عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحيي وذكر نحوه لكنه مرسل
لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق فلعبت حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفي رواية
للنسائي وابن مردويه من طريق يزيد ابن ابي مالك عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله
ونحوه في حديث ابي سعيد عند ابن اسحق وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبيا خلافا لمن نفى ذلك
كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه
ويكون مثل قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار
له البتة فكيف يهتدى به فتامله وفي جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الانبيا
قبله وقال النووي قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبيا يركبون البراق قال
وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل بذلك قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي يربط
بها الانبيا انتهى قلنا قيل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي تربطه بها الانبيا وانما قال يربط بها الانبيا
وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد برباط الانبيا
انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن رفع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد
عند البيهقي ولفظه فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق من رواية وثيمة
في ذكر الاسراء فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وفي مغازي ابن عائذ من طريق
الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هو الدابة التي كان يزور ابرهيم عليها اسمعيل فعلى هذا فلا يكون ركوب
البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم ينقل لغيره من الانبيا عليهم السلام فان
قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله
او لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم
عليه واراد جبريل بقوله امحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه لمكان
الرسول عليه السلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال متبريا من الاستصعاب
وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
فانها هزة الطرب لا هزة الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم
على الله منه فاستقر وخجل من ظاهر الاستصعاب ولتوجه الخطاب فعرق حتى غرق ووقع في حديث
حذيفة عند الامام احمد قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى
انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل
ان يكون قوله هو وجبريل متعلق برافقه في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد او

يعني في الفترة

زهوا

او سائق او دليل قال واما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم
فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث
ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتى بالبراق فركبه خلف
جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه فالله اعلم انتهى وقد وقع في غير هذه الرواية بيان ما راه ليلة
الاسراء فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني وصححه البيهقي في الدلائل انه اول
ما اسري به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضا
فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال
صليت حيث ولد عيسى وفي حديث انس عند البيهقي في الدلائل لما جاء جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه وسلم
فكانها اصرت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله ان يسير فاذا هو
بشي يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا
السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث
وفي آخره فقال له جبريل اما العجوز التي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك
العجوز والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة واما الذين
سلموا عليك فابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال الحافظ عماد الدين بن كثير في الفاظه نكارة وغرابة
وفي رواية انه مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله وقد
تابع ان الانبيا عليهم السلام يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدون
من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وستاتي الاشارة لذلك في حجة الوداع ان شاء
الله تعالى وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار انه عليه السلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم
كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم
الحسنة الى سبعمائة ضعف وما انفقوا من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر
كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شي فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم
عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام ياكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة اموالهم
وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم آخر نيء في قدر خبيث
فجعلوا ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج قال جبريل هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة الحلال
الطيب فياتي امرأة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا
خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال
ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل
عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم
من ذلك شي قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة قال ثم اتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة

على

الذين

الرضف الحجارة المحماة واحدها رضفة

في قدر ظ طرية

عندها ظ

ان

ثم ينتهي عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني ما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي
وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي
ومائي ولبني وخمري فآتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل
صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني اعطيته ومن اقرضني جزيته
ومن توكل علي كفيته انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين
قالت قد رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت
جهنم تقول رب آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي
وقد بعد قعري واشتد حري فآتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار
لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي
دعاني داع عن يميني انظرني اسألك فلم اجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم اجبه وفيه اذا امرأة
حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسألك فلم التفت اليها
وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي
النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك واما المرأة فالدنيا وفيه انه صعد الى السماء الدنيا ورأى فيها آدم وانه
رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال جبريل هؤلاء الذين
يتركون الحلال ويأكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له
هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون
اموال اليتامى وانه مر بنساء يعلقن بثديهن وانهن الزواني وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم
فيطعمون وانهم الهمازون اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملائكة
وانه اتى هناك بارواح الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابرهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن بن هشام عن انس
ثم بعث له آدم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي حديث ام هانئ عند ابي يعلى ونشر له رهط من الانبياء منهم
ابرهيم وموسى وعيسى وفي رواية ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند
الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثابت البناني
عن انس عند مسلم قال فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التي يربط بها الانبياء بضمير المذكر
اعادة على معنى الحلقة وهو الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير قال عليه
السلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة واخترت اللبن الذي عليه نبت اللحم
ونشر العظم واخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما استقر عليه الامر وقال
النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة
قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها
ام الخبائث وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن
فطرة لكونه اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون

غيره

غيره لكونه مألوفا له اولا انتهى واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة
فما وجه تجنبه عليه السلام لاحد المباحين وما وجه علمه بكونه صوابا وعد الآخر خطأ وهما مستويان في
الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها لتوقع تحريمها وتورعا عنها واتفاقا فوافق الصواب وعلم الله تعالى
قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك امتك واذا علمنا بها كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومشابهتها الخمر المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه ان من
اتخذ من ماء الزبيب او غيره مثلا وصار في هيئة الخمر في الصورة وهيئة الآنية التي يتعاطاها اهل الشهوات
من الحنتم والآلات ففعله منكر وان كان حلالا عليها قاله ابن المنير وينظر في اهلها كثيرا من
نقاش الحبش وغيرهم اشربه وعدها من ماء فيشربه ويسمونه بالقهوة وهي من اسماء الخمر
في حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن
والآخر عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة اواني وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس
وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذني
من العطش اشد ما اخذني فاتيت بانائين احدهما لبن والآخر عسل ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال
شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذت صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالانية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة
ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين
ابن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام التصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه
وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه خاف
ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر ايضا حذيفة صلاته عليه السلام ببيت المقدس
ونقضه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه
زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري به فاتى جبريل
الصخرة التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي وفي حديث
ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت
انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت
النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا
فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم ثم
وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم
قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم فقال ابرهيم عليه
السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني من النار
وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني
وانزل علي التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه
يعدلون ثم ان داود عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان
لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام اثنى

على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمني
منطق الطير وآتاني ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام
اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابرئ
الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان
علينا سبيل قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد
لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء
وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء
ذكره القاضي عياض في الشفا مختصرا من حديث ابي هريرة من غير عزو ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد
الخدري وهذا لفظه وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس بلغ المكان الذي يقال له
باب محمد اتى الى الحجر الذي به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها فلما استوينا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد
هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن
فرددن علي السلام فقلت لهن من انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا
فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا فقال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن
واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم
فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض
يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا في بيت المقدس ثم صعد منهم الى السماء من ذكر
انه عليه السلام راه ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا ايضا والاظهر ان صلاته
بهم ببيت المقدس كان قبل العروج انتهى وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان
في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي فرض او نفل واذا قلنا انها
فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون العشاء وانما ياتي على قول من قال
انه صلى بهم قبل عروجه الى السماء واما على قول من قال انه صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح قال ابن كثير
ومن الناس من يزعم انه امهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه
اليه لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم قال وهذا هو اللائق
لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشاء ولما فرغ مما اريد به اجتمع
هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة وفي رواية ابن اسحق انه عليه السلام
قال لما فرغت مما كان ببيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار قط شيئا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت
عينيه اذا احتضر فاصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب من ابواب السماء وفي رواية كعب فوضعت له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وجبريل وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس
وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت بالمعراج الذي
تعرج عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلائق احسن من المعراج اما رايت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء

فان ذلك

فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم في حديث البخاري السابق فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح
قيل من هذا قال هذا جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام
انا حيث قيل له من انما سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة وفي الكلام السابق
اول من قال انا ابليس فشقي وايضا فقوله انا مبهمة لافتقاره الى الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان
وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من انت لا يقول انا بل يقول فلان وفي رواية للبخاري ومسلم فعرج
وهو بمعنى صعد وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي حتى انتهى الى باب من ابواب السماء يقال
له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك وفي رواية شريك عند البخاري
ايضا ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم قالوا فمرحبا واهلا فليستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد الله به في
الارض حتى يعلمهم اي على لسان من شاء كجبريل ووقع في هذه الرواية انه راى في السماء الدنيا النيل والفرات
عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا في اصلها اربعة
انهار والجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع
في هذه الرواية ايضا ثم مضى به في السماء الدنيا فاذا هو بنهر اخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر
وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره
ثم مضى في السماء الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر اخر وفي قوله في الحديث افتح دلالة على انه صادف ابواب السماء
مغلقة وللحكمة في ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه السلام وتحقيق ان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله
ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه السلام انه محل مصون فتحه
له كرامة وتبجيلا واما قوله في الحديث ارسل اليه وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهاما عن الارسال
اليه للعروج الى السماء وهو الاظهر لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقيل سالوه تعجبا من
نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن من الله تعالى وان جبريل
لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقيل ان الله تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا
او بعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا
ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته
وتحقيق رسالته ولان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب واما
قوله من معك فيشعر بانهم احسوا به عليه السلام والا لكان السؤال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس
اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما بامر معنوي كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه
من كلام العارف ابن ابي جمرة حيث قال في بهجته الثاني ان يكون سؤالهم لما راوا حين راوا اقبال الله عليهم من زيادة
الانوار وغيرها من امارات الحساب زيادة على ما يعهدونه فقالوا وهذا هو الاظهر لانهم قالوا من الشخص الذي
من اجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى وقد قال
بعض العلماء في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة
واما قولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما علموا من بركاته عليه السلام التي سبقته للسماء
مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه واما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة

الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه
وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من
كاف الخطاب واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا
قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي
عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص
والنسم والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح بالنون
الكفار في سجين وان ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا واجاب
بانه يحتمل انها تعرض على آدم اوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم في
النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح
الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء كما نص القرآن والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين
آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لهما وهو في السماء ان تفتح لها ابواب
السماء ولا تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب أن
يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى
من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد بي حتى اتى [الحديث وان ضعيف اولى من الرأي ولو قوي]
السماء الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت
فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء
فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السماء الاولى آدم وفي الثانية
يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي
السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر كما في اول الصلاة من
البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه وابراهيم في السماء السادسة وفي رواية شريك عن انس
ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى
في السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية
من ضبط اولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس
وهرون فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان في روايته يوسف في
الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والمشهور في الروايات ان الذي في السابعة هو ابراهيم واكد ذلك في حديث
مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى
كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان
موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة كما

كلمه

كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هي اول شيء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى
بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة
فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه
مع نبينا فيما يتعلق بامر امته في الصلاة قاله في فتح الباري وقال ان النووي اشار الى شيء من ذلك وفي رواية
شريك عن انس في قصة موسى لم اظن ان يرفع علي احد قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه
بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى محمدا عليهما
السلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم
بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا اكرم على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن
معه امته وهم افضل الامم عند الله وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما
يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكى موسى
عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله
تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة
المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر من اتبعه وهذا
كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليهما وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة
وقال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لاممهم
وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده
الرحماء والانبياء عليهم السلام قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر
من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت
افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة فان
قال قائل كيف يكون هذا وامته لا يخلوا من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات
على الايمان لابد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما ذكر لا يسوغ له
الحكم فيهم قد مر ونفذ قيل ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال
وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه
السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون ما لحق لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر
ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت
اسري فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا
الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات
تعرض لها موسى فكان امر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت العزة بانها فيه تؤثر وما كان
قضاء تاما قدر ان لا تؤثر فيه الاسباب حتم قد لزم وفي بكائه عليه السلام رجاء اخروي البشارة لنبينا صلى الله
عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين
يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتي واما قول موسى عليه السلام ان

غلاما ولم يقل عن ذلك من القبيح فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه وفي القاموس والغلام الطار
الشارب والكهل ضد وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية
من القوة قال في فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا من
استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص
حتى ان الناس في قدومه المدينة لما رأوه مردفا ابا بكر اطلقوا اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ عليه
مع كونه عليه الصلاة والسلام في العمر اسن من ابي بكر والله اعلم وقد ذكرت ذلك في الهجرة من المقصد
الاول وقد وقع في حديث ابي هريرة عند الطبراني في ذكر ابراهيم فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب
الجنة على كرسي وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا بابراهيم
صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي هريرة عند
الطبراني فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل
في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه
نبينا صلى الله عليه وسلم واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فيحمل
على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح
وهذه هي القياس لانه جد الاعلى وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان ذلك
ارتفع الاشكال فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم السلام في السموات دون غيرهم من الانبياء
وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء الثانية بخصوصها اثنان اجيب عن الاقتصار
على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بانهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهلة ومنهم
من تأخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع
لكل منهم فاما آدم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى
الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من
الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه وبعيسى ويحيى على ما وقع له اول الهجرة
من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وارادتهم السوء اليه وبيوسف على ما وقع له مع اخوته على
ما وقع لنبينا عليه السلام من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم هلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار
عليه السلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء اي العتقاء وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهرون
على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان آذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه
السلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم
له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من اقامة منسك الحج وتعظيم البيت الحرام واجاب العارف ابن ابي جمرة عن

وجه

وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لانه اول الانبياء واول الاباء وهو
الاصل فلاجل تأنيس النبوة بالابوة واما عيسى فانما كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله
عليه وسلم ولا تنسخ شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في آخر الزمان
لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه السلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية
لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام
احدهما بالآخر كانا هناك معا واما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل امة
النبي صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك واما كان
ادريس عليه السلام في السماء الرابعة فلانه هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر واما كان
هرون عليه السلام في السماء الخامسة فلانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه
فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السادسة لان لموسى مزية
وحرمة وهي كونه كليما واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا لم يكن معه في السادسة وانما كان المعنى
موسى عليه السلام في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو اكثر الانبياء اتباعا
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة فلانه الخليل والاب
الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو اختراق
الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب هاهو قد عدا ذلك المقام فكان
الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاده به عليهم قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال في الدرجة
الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول
انتهى ملخصا وقد اختلف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فحمله بعضهم على
رؤية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه
في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه السلام عاين
كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبرها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز
وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه السلام الجنة والنار
في عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد اسراء نبينا
عليه السلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبينا عليه السلام وتعظيما حتى يحصل له من قبلهم
ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح
لاحدها على الآخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى واما قوله في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا
نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات
وفي رواية عند البخاري ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم يخرج من اصلها وعنده
ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان تكون سدرة
المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث شريك كما عند البخاري

في التوضيح انه رأى في سماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات عنصرهما والجمع بينهما انه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس انه عليه السلام بعد ان رأى ابراهيم قال ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة وسيأتي مزيد لما ذكرته من الكوثر في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن انس عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقد جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة لان اليها تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من السفلي لما ينزل من العالم العلوي من امر العلي وقال النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على ان اصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها قاله في فتح الباري وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري ما هي وفي حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي حديث يزيد بن ابي مالك جراد من ذهب قال البيضاوي وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شأن الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد عن انس وابن عباس تغشاها الملائكة وفي حديث علي على كل ورقة منها ملك وفي رواية مالك عن انس عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختير السدر دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقر الشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الهواء كما كان يمشي في الارض ولان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء ولا مانع من ان تكون الشجرة في الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء واما قوله

عن انس

خ

وفي رواية ثابت عن انس

صلى

صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الآنية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها اربعة اوان فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من اصل سدرة المنتهى ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان ولنهر النيل فضائل ولطائف افردها بالتأليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء في السموات واما قوله عليه السلام في الحديث ثم رفع لي البيت المعمور فمعناه انه ابين له وقد يحتمل ان يكون المراد الرفع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى رآه وروى الطبري من حديث سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم من خلق الله تعالى الخلق الى الابد شرطا بقية هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا ثم ان البحار ما من قطرة الا وفيها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهؤلاء الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور من اين يجيئون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شيء وفي هذا دليل على ان الملائكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم تصلي في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في السموات والارض والبحار وفي حديث ابي هريرة عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف وذكر الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد روي ان ثم ملائكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا اما عدد الملائكة التي للتعبد واما عدد الملائكة الذين يكتبون اعمال الناس من جملة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون في السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون على قراءة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون من هجرت فراش زوجها وقد روي ان في السماء الدنيا وهي من ماء وحانات ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وان في السماء الثانية

خ

الذين

في اقسام الملائكة وعددهم

مطلب

ملائكة على ألوان شتى رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وإن فيها ملكا نصف جسده
من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف
بين عبادك وإن في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذو أجنحة ووجوه شتى وأصوات شتى رافعوا أصواتهم
بالتسبيح يقولون سبحانك أنت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لا يعرف أحدهم
لون صاحبه من خشية الله وإن في الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك
كل سماء ملائكتها عدد أضعاف السماء التي تليها وإن ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة
يبعث الله الملك منهم إلى أمر من أموره ينطلق إليك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي إلى جنبه من شدة العبادة
وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو وإن في الخامسة وهي من فضة ملائكة يزيدون
على ملائكة الأربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا أبصارهم إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا
لم نعبدك حق عبادتك وإن في السادسة وهي من ذهب جند الله الأعظم الكروبيون لا يحصي عددهم إلا الله
عليهم ملك له سبعون ألف ملك جند وكل ملك منهم جند له سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله
في أموره إلى أهل الدنيا رافعوا أصواتهم بالتسبيح والتهليل وإن في السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة
ما يزيد ويربى على ضعف ما تقدم وعليهم ملك مقدمهم على سبعمائة ألف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى
والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في السموات والأرض ويخلق الله في كل يوم ما يشاء وما يعلم
جنود ربك إلا هو وإن حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى وأعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا
رافعة أصواتهم بالتهليل ينظرون إلى العرش لا يعرفون لو أن ملكا منهم نشر جناحيه لطبق الدنيا بريشة من
جناحيه لا يعلم عددهم إلا الله وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم يقول أربعة منهم سبحانك
وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول أربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد روى الطبراني من حديث
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على أي شيء أنت قال على الريح والجنود قال وعلى أي شيء
ميكائيل قال على النبات والقطر قال وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الأرواح الحديث وفي إسناده محمد بن عبد
الرحمن بن أبي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي من حديث أبي سعيد فوزيراي من
أهل السماء جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة وأنه جوزي بولاية
اللوح المحفوظ وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا زيادات فمنها ما وقع في رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي
في دلائله ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم الخليل مسندا ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال
ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس
وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون
الذين عليهم ثياب رمد فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبراني فإذا هو برجل أشمط جالس على
باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فدخلوا نهرا
فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه وقد خلص ألوانهم وصارت مثل
ألوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد
صفت ألوانهم قال هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض وأما ~~هذه الوجوه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا~~
هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم وأما هؤلاء النفر الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا

مكتوبات اللوح

آخر شيئا فتابوا فتاب الله عليهم وأما الأنهار فالظاهر رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام الحديث
والمستوى المصعد وصريف الأقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من
أقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وأما الكتابة فحادثة وظاهر الأخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من
كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والأرض وأما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة
من الأصل وفيها الإثبات والمحو على ما ذكر في الأثر وذكر ابن القيم أن الأقلام اثنا عشر قلما وأنها متفاوتة
في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن أبي داود
عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم قال له
اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة فهذا القلم أول الأقلام وأجلها وقد
قال غير واحد من أهل التفسير إنه القلم الذي أقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع
عن الله ورسوله والرابع قلم طب الأبدان الذي تحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه
تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الأموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها
وهو قلم الأرزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي
تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم
ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع
شبه المحرفين فهذه الأقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم أنه لم تكتب كتب الله إلا
به وأنه تعالى أقسم به في كتابه انتهى ملخصا من كتاب أقسام القرآن وقد وقع في رواية أبي ذر عند مسلم وغيره
من الزيادة أيضا ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون
المفتوحتين ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة
عن أنس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ وأما ما في كتاب الصلاة
من البخاري وإذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام قال القاضي عياض وغيره هو تصحيف
وفي حديث الإمام أحمد من رواية حذيفة فتحت لهما أبواب السماء قال فرأيت الجنة والنار وفي حديث أبي سعيد
أنه عرضت عليه الجنة وأن رمانها كأنه الدلاء وإذا طيرها كأنها البخت وأنه عرضت عليه النار فإذا هي لو
طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس بينا أنا أسير في الجنة
إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف وإذا طينته مسك أذفر فقال جبريل هذا الكوثر وفي رواية أبي عبيدة
بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن إبراهيم عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني إنك لاق ربك
الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك في أمتك فافعل ووقع في حديث أبي سعيد
الخدري عند البيهقي ثم صعد بي إلى السماء السابعة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا كل ورقة منها تغطي هذه
الأمة وإذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل ينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة
فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت
يا جارية قالت لزيد بن حارثة وفيه وإذا نارها ما كأنه الدلاء وحطام ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله
وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني وفي الطبراني من حديث عائشة مما

كان ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة شجرة أحسن منها
ولا أبيض منها ولا أطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت
إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بأن الإسراء كان
قبل ولادة فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وهذا منكر ولا ريب أن الإسراء كان بعد النبوة
وذكر أبو الحسن ابن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبع مائة والسبعين ألفا
وعزاها لابي ربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعد أن ذكر حديث الإسراء كما ورد في الأمهات أنا وجبريل وكان السفير حتى أتى إلى مقام
ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال إن تجاوزته احترقت بالنور
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك قال يا محمد سل الله لي أن أبسط جناحي
على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرق بي سبعين
ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وإنسي فلحقني عند ذلك استيحاش
فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر قف إن ربك يصلي فبينما أنا أتفكر في ذلك فأقول هل سبقني أبو بكر فإذا
النداء من العلي الأعلى أدن يا خير البرية أدن يا أحمد أدن يا محمد ليدن الحبيب فدنا فأدناني حتى كنت كما قال
تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده
بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم
أخذ علي كتمانه إذ علم أنه لا يقدر على حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل عليه السلام
يذكرني به وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي قال ولقد عاجلت جبريل عليه السلام في آية
نزل بها فعاتبني ربي وأنزل علي ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قلت
اللهم إنه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر فقال لي قف
فإن ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى
أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته
ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولأمتك وأما أمر صاحبك يا محمد
فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وتشاغل
بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر وإنك خلقت وهو من طينة
واحدة وهو أنيسك في الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش
لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى وأين حاجة جبريل فقلت
اللهم أنت تعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبريل على
أثري حتى انتهى بي إلى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال أنا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه
وسلم قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في أسرع من طرفة عين
وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى
حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا صاحب حجاب الذهب وهذا محمد
صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين

بين يديه

بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة
عام ثم دلي لي رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى
وصلت إلى العرش فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الألسن ثم تدلت لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما
ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها فأنبأني الله بها نبأ الأولين والآخرين ونور قلبي وعشي نور عرشه بصري
فلم أدر شيئا فجعلت أرى بقلبي ولا أرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت أمامي الحديث رواه
والدي قبله في كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه والرفرف البساط وقيل إنه
في الأصل ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة ثم اتسع فيه اعلم أن ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب
هو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عن ما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس
فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الأسماء والصفات والأفعال وسائر المخلوقات من معاني الأنوار
والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الإدراك والمعرفة مقسوم وأقرب الخلق إلى الله تعالى
الملائكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومية
حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة
فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الأحوال عن المحول وبرؤية
الأسباب عن المسبب وقوم حجبوا بالعلم عن العلم وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن العقل وذلك كله من معنى حجاب
النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي
والسيئات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا أبصارنا في الآخرة
يا رحيم وقد ورد في الصحيح عن أنس قال عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه ما أوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا
الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين أو أدنى وإن اتفقا في اللفظ فإن الصحيح أن المراد في الآية جبريل لأنه هو الموصوف بما ذكر من أول السورة
إلى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت
عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذاك جبريل لم أره في صورته التي خلق
عليها إلا مرتين ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه أحدها أنه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل
الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير الثاني أنه قال ذو مرة أي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير
الثالث أنه قال فاستوى وهو بالأفق الأعلى وهو ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه السلام وأما
استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع أنه قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى هذا دنو جبريل
نزل إلى الأرض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول
الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس أنه قال
ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى فقطعا هو جبريل لهذا فسره النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس أن نفس الضمير في قوله ولقد رآه وقوله دنا فتدلى وقوله فاستوى
وقوله وهو بالأفق الأعلى واحد فلا يجوز أن يخالف بين المفسرين من غير دليل السابع أنه سبحانه أخبر أن هذا
الذي دنا فتدلى كان بالأفق الأعلى وهو أفق السماء بل تحتها قد نأمن الأرض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم اثنى عليه
صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين يدي الملوك
والعظمة من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام
وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما ارى من الايات وما هناك من العجائب بل قام
مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما
لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج
السالكين وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الاداب اللائقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه
عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة له وما
شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطأ في حقه اي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره ولهذا
قراها هشام وابو جعفر ما كذّب الفؤاد ما راى بتشديد الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه
وواطأه لصحة الفؤاد والبصر وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب
الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما راى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رات عيناه بل واطأه ووافقه فلمواطأة
قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى
ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال
على الله تعالى والاعراض عما سواه بكليته وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما
منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه وهذا
غاية الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال
رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلى منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة
طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت اليه بصره
ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم
تعقه ارادة ولم تقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع
قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه الذي سبق به العالم اجمع في مسيره فكان قدم
البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله
عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع
الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين فانصبت له هناك
اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به
الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه فيه الاولون والآخرون
واستقام هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على
اقوم صراط الحق والهدى واقسم بكلامه الحكيم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم لقائه اقامه على الصراط يسأل السلامة لاتباعه واهل سنته
حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم ما ذكر هنا من القرب
والدنو المراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب

غاية

غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى
عبده ما اوحى اي كان بينهما ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف
الحبيب بالحبيب تخفي الستر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره في قوله
فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا نطلع عليه بل نتعبد بالايمان
به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم
اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء
حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى اليه خصصناك بحوض
الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء وهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحى اليه
ما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه الصلوات الخمس
ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه
سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا
عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين
وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة اخرجت
للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين
خلقا وآخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام
والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه ابو زرعة متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ وذكر
النجم الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى
الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي
اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فسماه تعالى بهذا الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم
بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه السلام وللاقطاب من بعده
بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله تعالى الاديب برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث قال
ودعتني بالعبد بوطا فقالوا قد دعته باشرف الاسماء وقال بعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا
محمد اعطيتك نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني عرفتك بلسان الحال معنى مرتبتك
الي يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فاريتك جنتي
لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريتك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدتك جلالي

واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن التشبيه والنظير والوزير والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم
بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا من شيء ولا قائما بشيء ولا على شيء
ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا فقيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة
من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى عبده ما اوحى فكان سرا من سره لم يقف عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال
بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم في الكون يحكيه
سر يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه
ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله
وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفاء وقتك آمنا من مقتك اشهدك جمال احديته واطلعك
على جلال صمديته وانا الظمآن اليه اللهفان عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه آتيه جعلني
اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد
هيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد
رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمأنينة لسري فهذه بركة
اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه
الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الغرور الي وتقوله اهل الغرور علي زعموا
اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون
مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستوا صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي
او ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا
اوجدني منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته
فاجاب لسان حال سيد من زاده الله فضلا وشرفا لديه وآلى صلواته وسلامه عليه ايها العرش
اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش علي خلوتي فما اعاره صلى الله عليه وسلم
منه طرفا ولا اقراه من مسطورها حرفا ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد في بعض اخبار الاسرا
مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى
قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما
انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سألني
اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب
يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل
قادم من سفر تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في
القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلما قديما وحديثا في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه
تعالى ليلة الاسرا وروى البخاري من حديث مسروق قال قلت لعائشة يا امتاه هل رأى محمد ربه
فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا
رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل

اليك

اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد
اعظم الفرية وقولها قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه
واستحالة وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان
معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة
والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني
جزمه بان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها
في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق
المذكورة قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول
هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما
رأيت جبريل منهبطا نعم احتجاج عائشة رضي الله عنها بالآية خالفها فيه ابن عباس فاخرج
الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس يقول الله لا
تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين وقال القرطبي الابصار
في الآية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الآية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد
وقال القاضي عياض رؤيته الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها
سؤال موسى عليه السلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التأويلات في الآية انتهى وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية في تأويل هذه الآية قال هذا في
الدنيا وقال آخرون لا تدركه الابصار اي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة
وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا اهل
السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال
الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت
الاخبار عن ابي سعيد وابي هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة ان المؤمنين يرون
الله تعالى في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي ادراك العقول
قال الحافظ ابن كثير هو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وقال آخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك
النفي ما هو [illegible] فان الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم ثم اختلف هؤلاء في
الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر
فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك وله المثل الاعلى وقال آخرون المراد بالادراك الاحاطة
قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم وفي صحيح البخاري
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثنا فكذلك هذا وروى ابن ابي حاتم عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم

ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين
والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف
الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم ومما نسب لامام الحرمين في لمع الادلة
انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك الغاية
والرب جل جلاله متقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام
لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي على التابيد قلنا هذه الاية اوضح الادلة على جواز الرؤية فانها لو كانت
مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته
واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف يجوز
على الانبياء الريب فيما يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ان ما اعتقده موسى عليه السلام جوازه جائز
لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الى الانجاز وما سال موسى عليه السلام ربه في
المآل فصرف النفي اليه والجواب على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الاية دليل على
ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن أرى انتهى ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد ليس
لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من ينظر الي مات قال وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما
معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا
للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية
واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية قال وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال
لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي
وهذا كلام مليح حسن وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من ضعف القوة
ينبغي ان يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة قصاراه ان يكون مانعا
اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث
مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث
عبادة بن الصامت فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سماعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم
له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المنزلة ان الله تعالى
قال لموسى لما سأله الرؤية يا موسى انه لن يراني حي الا مات وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز
في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها في الدنيا عن جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن ابي الحسن
الاشعري في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى انه عليه
الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق
عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا راى ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير اثباتها وحكى عنه

ضعف القوة صح

والا فضعف القوة

وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون وهو قول
الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل راه بعينه او بقلبه وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة
واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا
من طريق عكرمة عن ابن عباس قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد
ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
ولقد راه نزلة اخرى قال راى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال راه بقلبه
واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعينه انما راه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على
رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا
جمهور بن منصور الكوفي وجمهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات عن ابن عباس انه كان
يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية
القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه راه
بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء
مخصوص عقلا ولو جرت العادة خلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال راى
محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى اراه
اي حجابه نور فكيف اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية وعند احمد قال رايت نورا ومن
المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند
ابن خزيمة عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان النور
حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال
بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما
يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء اخبر العوالم من حيث
تلقيهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم اجهل العوالم بما راى
في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفونه لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء
ثم ترقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء واخبر عن ما شاهد وراى كل فلك وما يليق
ان يحدث به اعني الصحابة بكل على قدر مرتبته بلا ضيق ولا تزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام
جبريل حدث عن الافق المبين وعما فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور
والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال راى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال راى ربه
برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عائشة ومن معها ومنهم من قال بعيني راسه راى وصدق فكل
اخبر بما حدث به صلى الله عليه وسلم من مقاماته وسقاه من كاسه وبما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت
الاسراء ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم وقولهم الجمع انتهى وممن اثبت الرؤية
لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون
ان عائشة قالت من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها قال بقوله

ل

الحق

النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي فقول النبي صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها وقد أنكر صاحب الهدي
على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه قال وإنما قال مرة رأى محمد ربه وقال مرة بفؤاده
وحكى عنه بعض المتأخرين رآه بعيني رأسه وهذا من تصرف الحاكي فإن نصوصه موجودة انتهى
وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في
الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست
المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل
القطعي والله أعلم وأما قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم ففي رواية
ثابت البناني عن أنس عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك
ابن صعصعة عند البخاري أيضا ويحتمل أن يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الأمة وبالعكس إلا
ما يستثنى من خصائصه وفي حديث ثابت عن أنس عند مسلم فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على
أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد
بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى
موسى فقلت حط عني خمسا فقال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل
أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر
فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته
فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقلت لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسائي
عن أنس فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت
وأمتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وقال في آخره خمس
بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت أنها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم أرجع فإن قلت
لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم إن أمتك لا يطيقون ذلك ولم يقل إنك وأمتك لا تطيقون
أجيب لأن العجز مقصور على الأمة لا يتعداهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من
الكمال يطيق ذلك وأكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن أبي جمرة
والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد
الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولأمته
تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص وقد وقع من موسى
عليه السلام من العناية بهذه الأمة في أمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الإشارة لذلك في حديث
أبي هريرة عند الطبراني والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى أشدهم علي حين مررت وخيرهم لي
حين رجعت وفي حديث أبي سعيد فأقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسألني كم فرض
عليك ربك الحديث قال السهيلي وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع
لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله تعالى والله أعلم حين قضي إليه الأمر بجانب الغربي ورأى صفات محمد
صلى الله عليه وسلم في الألواح وجعل يقول إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتي فقال له تلك

امة

انتهى ع

أمة أحمد وهو حديث مشهور فلما تقدم ذكره في خصائص هذه الأمة قال فكان إشفاقه عليهم
واعتناؤه بأمرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم وقال القرطبي الحكمة
في تقدير موسى لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلوات تحتمل أن يكون لكون أمة موسى عليه
السلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الأمم قبلها فثقلت عليهم فأشفق موسى
على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك ويشير إليه قوله إني قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع
في كلام بعض أهل الإشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام ما صار له أنوار
نور الطور فأسرع إليها ليقتبس فاحتبس فلما نودي في النادي اشتاق إلى المنادي فكان
يطوف في بني إسرائيل من يحملني رسالة إلى ربي ومراده أن تطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه
نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب
وقال آخر لما سأل موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقله وللأمل يعلله
فلما تحقق أن سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد
رأى كما قيل

وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم • لعلي أراكم أو أرى من يراكم
وأنشد من لاقيت عنكم عساكم • تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فأنتم حياتي إن حييت وإن أمت • فيا حبذا إن مت عند هواكم

وقال آخر

وإنما السر في موسى يردده • ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا • لله در رسول حين أشهده

وقال آخر لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤوس الحب ثم عاد وهلال ما كذب
الفؤاد ما رأى بين عينيه وسر فأوحى إلى عبده ما أوحى ملء قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام
قال بلسان حاله

يا واردا من أهيل الحي يخبرني • عن جيرتي شنف الأسماع بالخبر
ناشدتكم الله يا راوي حديثهم • حدث فقد لذ أن تسمعني اليوم عن بصري

فأجاب بلسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا • سر أرق من النسيم إذا سرى
وأباح طرفي نظرة أملتها • فغدوت معروفا وكنت منكرا

وكل قوم يحطون مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم والله تعالى بفضله وإحسانه يوالي انسجام سحاب
عفوه ورضوانه على العارف الرباني الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي فلقد أجاد إذ أفاد بما أفرده من لطائف
المعراج حسبما جمعه من كلام أهل الإشارات بأقوم منهاج وقد استدل العلماء بقوله في الحديث
وهي خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات
الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره ألا ترى أنه عز وجل نسخ الخمسين
بالخمس قبل أن تصلى ثم تفضل عليهم بأن أكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من
الأصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالأشاعرة ومنعه كالمعتزلة
لكونهم اتفقوا جميعا على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الإسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل
عليهم جميعا انتهى فإن أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع وإن أراد قبل البلاغ إلى بعض الأمة فمسلم لكن قد يقال
ليس هو بالنسبة إليهم نسخا لكن هو نسخ بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كلف بذلك قطعا ثم نسخ
بعد أن بلغه وقبل أن يفعله فالمسألة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم

فيه أن وجوب الوتر كان بعد الإسراء لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله زادكم صلاة

من سفر الاسرا مرّ في بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سودا
وغرارة بيضا فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرا
لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة
قبل الصبح واخبر قومه بما راى وقال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا
وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم
جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب
من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه السلام وفي رواية سالوه اية فاخبرهم
بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى
فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عايشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح
يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا امنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك
يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا
تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر
السما في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحق وزاد ثم اقبل حتى انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله حدثت هولا انك جيت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم
قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جيته قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف
له منه شيا وقول ابو بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه
عليه السلام لقومه فانهم كانوا يثقون بابي بكر فاذا تبع خبره عليه السلام فما كان يعلم ابو بكر صدقه
كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب بيني وبينه حتى رايته
وفي رواية مسلم فسالوني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما
يسالوني الا انباتهم به فيحتمل ان يكون حمل اليه ووضع بحيث يراه ثم اعيد وفي حديث ابن عباس عند احمد
والبزار فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا
استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث ام هاني عند ابن سعد فخيل
الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت
الجنة والنار ويويد قوله جي بالمسجد حتى بيناه وفي حديث ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد باب
قال ولم اكن عددتها فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي ساله عن صفة بيت
المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى ان الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس
اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الى البيان والايضاح حيث
سالوه عن جزئيات بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل
التحقيق انه اسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين
وزيادة في شقاوة من عاند وجحد من الكفرين

المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم
قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه

عن شئ

المقصد السادس

الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا
ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب
الرسالة والتبجيل وغير ذلك اعلم اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا
الى سوا السبيل انه لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة
الى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب احترامه وحفظ الادب معه وكذلك الايات التي فيها
ثناؤه تعالى عليه واظهاره عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته وندائه بالرسول والنبي ولم يناده
باسمه بخلاف غيره من الانبيا فناداهم باسمايهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده
وانه لا احد يساوي مجده ومن تامل القران العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ورحم الله ابن خطيب الاندلس حيث قال مدحتك ايات الكتاب فما عسى
يثني على علياك نظم مديحي واذا كتاب الله اثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح
وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشرة انواع النوع الاول في ايات تتضمن تعظيم قدره ورفعة
ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الانبيا وتشريف منزلته قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا
في اختصاص موسى بالكلام فقد ثبت انه كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت انه عليه السلام كلمه ربه وقام به هذا
الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح
الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح
فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم
كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخصه وتحريره كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى وقوله
ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة
على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتي من المعجزات ما لم يوته نبي قبله قال الزمخشري وفي هذا
الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز
الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الاية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب
الرسل والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الايتين رد عليهم
وقال قوم ادم افضل لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه جماهير
السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين
وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة
احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او روية او ما شا
الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية ان ايات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر وخصوصياته
على جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر
المخلوقين وتامل حديث الشفاعة في المحشر وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى

الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وفي حديث انس
عند الترمذي انا اكرم ولد ادم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من ادم بل من
اولاده فالاستدلال به على مطلق افضليته عليه الصلوة والسلام على الانبيا كلهم ضعيف واستدل
الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
قال لانه لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل
له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي باسرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا
للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم
وبان دعوته عليه السلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبيا فظهر
ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبيا فوجب
ان يكون افضل من سائر الانبيا انتهى وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت
لوائي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل
من ادم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقي في فضائل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد
فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين
وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبيا بل افضل خلق الله كلهم وكذا روى هذا الحديث الحاكم
في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد
من حديث عروة عن عايشة ورواته من طريق احمد بن عبيد بن ناصح حدثنا الحسين بن علوان
وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الي سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله
الست سيد العرب فقال وذكره وكذا ورد من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا
عن ابي الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب وذكره قال
شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما
للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك
العبد اذا لاحظ ما فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره اليه
في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين اتشال له ذلك في قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت
هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان
لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه
ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي بن وفا في قصيدته التي اولها
ان كنت مولاه حاشا * علاه ان يتلاشى * والله يا روح قلبي * لا مات من بك عاشا * قوم لهم اشتياق *
لا يرجعون عطاشا * عبد له بك عز * فكيف لا يتحاشا * حاشا وفاي كريمي * من ان مولاه حاشا *

فان قلت

فان قلت فالجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون وفي الحديث الثابت عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم
اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى
على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث
ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا وحديث ابن
عباس عند مسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اجاب العلماء بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم
يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم في هذا
كلهم مع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم ان نعتقد ان الله هو
فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل التفضيل كما قال ابن ظفر فان اراد
هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل الذي لم يرد به نص فصحيح وان اراد انا لا نذكر ما هنا
من كتاب الله وروينا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال اخر تفضيل من رفع
الله درجته بخصائص الحظوة والزلفى والخوض في تفضيل بعضهم على بعض فيما سوى ذلك من الصبر على
الدين والنهضة واداء الرسالة والحرص على هدي الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا
يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال اخر مما ذكر القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان
يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك
وقال اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا
لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا عليهم السلام فيها على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور زائدة
عليها ولذلك منهم رسل واولو عزم منهم وهذا قريب من القول الثاني وقال ابن ابي جمرة في حديث
يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما
في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة وقال عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد
اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة
وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب
من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب
ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد
انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت

في الصحيحين

خ عند البخاري ومسلم

ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان هذا من حديث ابن هدبة وقد رواه ابو سعيد وابن هدبة وهو ما اخرج هدبة الاعلام خمس شاخرا فسعد ادي لم نعلم بهذا الا بعد هذا اهـ

ان لم يفضل على يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى فضل الملأ الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا تفضله عليه السلام على يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى

تفضيل البشر

واختلف هل البشر افضل من الملائكة فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم الانبيا افضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني ادم افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام وعوام الملائكة خدام عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المومنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقائد يحصل الفضائل والكمالات العلمية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فيكون افضل والمراد بعوام بني ادم هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاوليا من البشر افضل من الاوليا من الملائكة انتهى

وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول ان الملائكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبرأة من مبادي الشرور والافات كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها واتيها من غير تخليط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود اولان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى وبالتقديم اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفضل بين عيسى عليه السلام وغيره من الانبيا عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح حيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا لله لانه مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة له على افضلية الملائكة انتهى

ثم ان الملائكة بعضهم افضل من بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المزكى من رب العالمين الموثق به من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملائكة الثلاثة الذين هم افضل الملائكة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وكذلك الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل الانبيا والرسل كما تقدم واول الانبيا ادم واخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب الدال على انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا

عدد الانبياء

وقد اختلف في عدد الانبيا والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني من الانبيا ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذي نص الله تعالى على اسمائهم في القران ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمن والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم

وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبري وصححه ابن حبان وروينا عن الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل رفعه بالنبوة كما قاله يحيى بن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه من يطع الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله والرسول وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القران والخطب والاذان وينوه باسمه في موقف القيامة رواه واخرج ابو نعيم في الحلية عن

ابي هريرة رفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان
الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب
اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن
عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله
وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد
رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمن بن داود عليهما السلام
لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن حجر رجب في كتاب احكام الخواتيم له لجزء ابي علي
المالكي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
وسماه من اسمائه الحسنى
بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمائه صلوات الله وسلامه عليه وصلى عليه في ملائكته وامر
المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة المقربين
وان الملائكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من اهل العالمين
العلوي والسفلي جميعا وكتبه نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلن بذكره
الكريم في الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل ذكره في فواتح
الرسايل وخواتمها وشرف به المصانع على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره
في الافاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش والكرسي
وساير الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في قلوب
المومنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم ولهم تمايل من طرب سماع اسمه اشباحهم
واذا ذكرتكم اميل كانني من طيب ذكركم سقيت الراحا كانه تعالى يقول املأ الوجود كله
من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلاة
الا ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة بامري وفي السنة بامرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك
فالقراء يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ
وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم
بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق الى الابد والحمد لله رب العالمين وقال
تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه قولان احدهما انها من حروف التهجي
والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة
وقيل الطا في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وهذه
الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها اذ هي كما قال المحققون من بدع التفاسير ومثلها قول الواسطي فيما حكاه
القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان
احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وروى

ودعا

قولين مع

يا مطمع

البيضاوي

البيضاوي ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار وقيل معناه
يا انسان وقرئ طه باسكان الها على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فقد
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا
وان الاصل طأ فقلبت همزته ها كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل
من وطى على ترك الهمزة فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون
اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة
الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا احدها ان ابا
جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت
دين ابائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين وانزل الله تعالى هذه الاية ردا عليهم
وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك
كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت
قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا عليك لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل
حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل
شيا من ذلك فلابد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب
الشقا وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر هولاء فانما
انزلنا عليك القران لتذكر به فمن امن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ
وهذا كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها ان هذه السورة من اوايل
ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت ذل اعاديه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى
على هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما
زاده الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا وقال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة الى اخرها قال الامام
فخر الدين ابن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك
لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا
تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى
ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا اي عن
علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام
بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك
وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك
الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها واذا انعمنا
عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو
قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل
سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا حصل في الزمان الماضي قال عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح

يمكن ان يكون فعله عن اجتهاد دكما

اي تعبا

والحسد ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب اشرف ممن سيصير كذلك
كانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف امرك
بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك
وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه
منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف فروى انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري وقيل الكوثر
اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلوة والسلام بعدم الاولاد وعلى هذا
فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم
ولم يتفق ذلك لنبي من الانبيا غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما
امته وقيل الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلما ورثة الانبيا كما رواه احمد وابو داود والترمذي
واما علما امتي كانبيا بني اسرايل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم
روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس من درجة
النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله
عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الاخرة او على
نعم الدنيا قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب
حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب
حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي
يتقدم على العبادة هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس
الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا
روي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر
في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال الامام فخر الدين ابن الخطيب
قال بعض العلما ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون
الاقرب حمله على ما اتاه الله تعالى من النبوة والقران والذكر العظيم والنصر على الاعداء واما الحوض
وساير ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو
كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر
في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بشي له يصح ان
يقال اعطاه ذلك الشي مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهى وقد روينا في صحيح مسلم
من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة ثم رفع راسه
متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون

ما الكوثر

معنى الكوثر

حديث علماء امتي كانبياء بني اسرائيل لا اصل له

الموصل الى النعيم العرش كما

الكوثر فقلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه
امتي يوم القيمة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما
احدث بعدك وهذا التفسير صحيح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هذا الحوض فالمصير
اليه اولى وهذا هو المشهور شرفا لقد من فسحي من اعطاه هذه الفضايل العظيمة وشرفه
بهذه الخصال الجمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة وقد خالف عادة الله تعالى مع انبيائه
عليهم السلام امره بندائهم باسمائهم الاعلام نحو يا ادم اسكن يا نوح اهبط يا موسى اني انا الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانباء
والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القايل
دعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي قال الشيخ عز الدين بن عبد
السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والا
خلاق السنية ودعا اخرين باسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق
ان منزلة من دعاه بافضل الاسما والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا
معلوم بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى
وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى
واضافته اليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك
من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها
اذ هو في الحقيقة اعظم خلفائه الا ترى الى عموم رسالته ودعايه وجعله افضل انبيائه امامهم ليلة
اسرائه وجعل ادم فمن دونه يوم القيمة تحت لوائه فهو المقدم في ارضه وسمائه وفي دار تكريمه
وجزائه وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة
ذكره ما يقضي بانه استولى على اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب
في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبيا تعظيما له مع تاخره عنهم في الزمان
في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته
في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وهذا بحر لا ينفد
ونظر لا يعد النوع الثاني في اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه
قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن ادم عليه
السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل
معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي بن ابي طالب
وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو
حي ليومنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا
ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبيا عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم
بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق

يحتمل ان يكون التفسير ببعض افراد الكثير فلا يكون المراد منحصرا فيه وانما خصه بالبيان لانه لا يعلم الا من جهته صلى الله عليه وسلم ومع هذا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

خلاف عبده

منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد
صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا
على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا كانوا
فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الاية ان الانبيا
لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول
وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا ثبتت هذه الاية
على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبياء ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كانوا في الاحيا وانهم
لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم
من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي في هذه
الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام
وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانه
اخذ له المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في
معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان البيعة
التي تؤخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الاخرة
جميع الانبيا تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح
وابرهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم
فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك
الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه
على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة
وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي
عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي
واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما
يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به
كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي كذلك لو بعث النبي صلى الله
عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابرهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم
الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم
ويتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من

الفروع

الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى
الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياوهم وفي هذا الوقت
بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان
لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة
كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه
وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل المبعوث
اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام
على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعليق انما هو
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم
بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل
اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة
وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه السلام
بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلام عند
بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله تعالى دعاءهما وبعث في
اهل مكة رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابرهيم عليهما السلام بهذا
الدعاء فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه
احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى
قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد الثالث ان ابرهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما
حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد امتن الله على المومنين ببعث
هذا النبي عليهم بهذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله
اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله
الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ
انفسهم بفتح الفا يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل من قريش وقريش افضل العرب
والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احياء
العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم فان قلت
هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية
اجاب الشيخ ولي الدين ابن العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص اومن برسالة

ذلك بالنسبة الى م

محمد الى جميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او الملائكة او الجن ولا ادري هل هو من العرب
او من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف
وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف
ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق
على رسالته الى الان اجاب ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان في حكم
الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال اصل
غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد
موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى ويعقب
بان الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى
لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال
موته والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل عائدة
السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الاباد على الحقيقة لا المجاز
انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين المراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها
حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى
عليهم بهذا الرسول وهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم
وفي كونه عليه السلام منهم وانه مشابه لحالهم ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم
لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ولا خرج عن ديارهم فاقام عند غيرهم حتى يتعلم منهم
بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى كمل الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب
المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع
العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام الفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم
معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا
هو الباطل ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة
والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك وروي ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط
فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي
وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد
من اهل الكذب وروي ان المشركين كانوا اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله الاية والمعنى انهم ينكرونه مع العلم يا
بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
اجيب بانه على طريق العد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله بحقيقة علم
امن ومنهم من علم حقيقتها وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين
منهم لا كلهم وحينئذ فلا تعارض وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال

والله

والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم والقران
كله مملوء بالايات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى
ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده
ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الايات والبراهين
والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد
ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك
كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته
كصفة القدرة وصفة المشيئة والقران كله مملوء من هذه الطريقة وهي طريق الخاصة بل خاصة
الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران
رايته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين فاخبر سبحانه ان
كماله وحكمته وقدرته تابى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده
كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم
على قلبك وههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق وقال تعالى
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره
حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده
ويظهر على يديه الايات والادلة وهذا في القران كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله على
لد صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده الى ذلك وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم
خف شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان
ارسل به رسوله الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه به ارسله وفيه
بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في
السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة
بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته
عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده فتامل ورود اسمائه الحسنى
في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة من
الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد
وشاهدا على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها المشرف
من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا لجمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة
امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك وشمسا ننبسط شعاعك على
جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشر بفضلنا وطولنا عليهم

واحساننا اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهداً على الوحدانية والشاهد لا يكون متعدياً فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية مدعياً لها لان المدعي من يقول شيئاً على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهداً له في مجازاة كونه شاهداً له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهداً لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً فيظهره ظهورين ظهوراً بالحجة والبيان وظهوراً بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهره على مخالفيه ويكون منصوراً ومن شهادته تعالى ايضاً ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمانت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره اوجب له علماً ضرورياً ويقيناً جازماً انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علماً ضرورياً كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقاً وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصاً من مدارج السالكين وقال تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً في هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى الاصبهاني ان محمداً صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الاية لان قوله تعالى يا ايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعاً وهذا يقتضي كونه مبعوثاً لجميع الناس وايضاً لانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولاً حقاً او ما كان كذلك فان كان رسولاً حقاً امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقاً في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثاً الى جميع الثقلين وجب كونه صادقاً وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثاً الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً من الناس من قال انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا محل التخصيص من وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولاً اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه والثاني انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمداً خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعمائة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستمائة سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم آخر انبياء بني اسرائيل وبين محمد آخر النبيين من بني آدم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعاً ان اولى الناس بابن مريم لانا لانه ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمداً على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعاً ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق واخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا بما يريد بلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هداية امته انه كثيراً ما يضرب المثل المحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القران ومن تتبع الكتاب والسنة راى من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين النفس ونفس رسوله عليه السلام على اسلوب خص المؤمنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده تعالى بجسده المنفس لا بروحه المقدس ورحم الله تعالى القائل

اذا رمت مدح المصطفى شغفاً به * تبلد ذهني هيبة لمقامه * فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقاً
هوى فيه احلى من لذيذ منامه * اذا قال فيه الله جل جلاله * رؤوف رحيم في سياق كلامه
تنزل اجلالاً الوحي والوحي معجز * بمختلفيه نثره ونظامه

تنبيه واما على قول القاضي عياض بعد ذكر الاية ثم وصفه بعد باوصاف جميلة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان المقصد منه صحيحاً في ظاهره شيء

مهم

لأنه يوهم أن قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون محضوضا
به ومما يقوي هذا التوهم قوة إعطاء الكلامات الضمير الأول من قوله وعزيز عليه على النبي صلى الله عليه
وسلم والضمير الثاني عائد على الله تعالى فلا ينبغي للشدة إلا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في
هذا وقد تأول له بعض العلماء على حذف مضاف أي وكراهة شدة ما يعنتهم أو نحو ذلك من المضافات
والأولى والصواب إن شاء الله أن تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله
وعزيز معطوف على شدة والضمير فيه راجع إلى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم والهاء الثانية
في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين يجوز أن يكون
رحمة مفعولا له أي لأجل الرحمة ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة وإما على
حذف مضاف أي ذا رحمة أو بمعنى راحم قاله السمين وقال أبو بكر بن طاهر فيما حكاه القاضي عياض
زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب
وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لأن كل نبي إذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد أخر من كذبه إلى
الموت أو القيمة وأما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
للجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة
للكافر بتأخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال الله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال عليه السلام إنما أنا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في
الشعب من حديث أبي هريرة وقال بعض العارفين الأنبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه
وسلم عين الرحمة ولقد أحسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ... سرور حياة الروح فائدة الذهن
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي ... تحلى بها الرحمن في السر والجهر

فذاته عليه السلام وبعثه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فمن رزق ذلك فمن رزقه وحرمه من رده
فإن قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال فالجواب من وجهين أحدهما أنه إنما جاء
بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن أوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم
من العصاة وقد قال تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد ثانيهما أن كل نبي
من الأنبياء قبل نبينا إذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد أخر الله تعالى
عذاب من كذب نبينا إلى الموت أو إلى القيمة لا يقال إنه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ونحن هم
وقال ليعذب المنافقين لأنا نقول تخصيص العام لا يمتنع فيه وفي الشفا للقاضي عياض وحكى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى
العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
انتهى وهذا يقتضي أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم أن
جبريل أفضل واستدل بأن الله تعالى وصف جبريل بستة أوصاف من صفات الكمال في قوله إنه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله
وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل أو مقاربا له لكان

وصف

وصف محمدا بمثل ذلك وأجيب بأنا متفقون على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى ما ذكر في هذه
الآية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالإجماع وإذا ثبت أن لمحمد صلى الله عليه وسلم
فضائل أخر زائدة فيكون أفضل من جبريل وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء
تلك الأوصاف عن الثاني وإذا ثبت بالدليل القرآني أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة
من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم والله أعلم وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى
لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في أسمائه الشريفة
من المقصد الثاني وبذلك وردت الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى أحمد من حديث أبي بن كعب
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم
يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع
تلك اللبنة ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث أنس بن مالك
مرفوعا إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا
مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخل ينظر إليها قال ما أحسنها إلا
موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم السلام رواه أبو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم
وفي حديث أبي سعيد الخدري فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث أبي هريرة عند مسلم وأرسلت
إلى الخلق كافة وختم بي النبيون ثم من تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال
الدين الحنيف له وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من
ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنير
نجات محال وضلال عند أولي الألباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى عليه السلام بعده لأنه إذا نزل كان على
دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع أن المراد أنه آخر من نبئ قال أبو حيان ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة
لا تنقطع أو إلى أن الولي أفضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله أعلم

النوع الرابع في التنويه به صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل

قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وهذا يدل على أنه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا
الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات
والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقالته فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على أن ذلك
النعت كان مذكورا في التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون
الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والذين قاتلهم الله قد حرفوا نعته صلى الله عليه وسلم كما حرفوا آباؤهم
ووجب وجوده مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل لكنهم حرفوهما وبدلوهما ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون فقد دل على نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طائفة من أعلام شرائعه ورسالته فيهما لا يجحد وكيف
يغني عنهم إنكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحا فمشفح محمد بلا شك واعتبارهم أنهم
يقولون شبحا لاها إذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله وإذا كان الحمد شفحا فمشفح محمد ولأن الصفات التي أقر بها هي ثابتة
ووافق له حاله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليتأمل الناظر ما في هذه الصفات له من حق

له الامم بتزييه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به
على انا لو لم تأت هذه الانباء والقصص من كتبهم لم يك فيما اودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك
وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويقول حكاية عن المسيح
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ويقول
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون
من صفته ما يجدونه في كتابهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة وتحمل
انهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا
التكذيب فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه ويصدق بقية فكيف
يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي
وصدقي انكم تجدوني مكتوبا عندكم وهم لا يجدونه كما ذكر او ليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان
غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام
وتميم الداري وكعب وغيرهم وقفوا منه على مثل هذه الدعاوى وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق
محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده ابن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج
فلقيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالله الذي
انزل التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول
الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا
لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم
لان النفي محمول على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المؤمنين
والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة
واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امرأة ابي الدرداء قالت
قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها
محمد رسول الله اسمه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا
ويسمع به آذانا صما ويقيم به السنة المعوجة حتى تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم
ويمنعه من ان يستضعف وروى البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في
القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك

ما يجدونه في كتبهم خ

المتوكل صح
خ
اعينا معوجة
حتى تشهد

المتوكل

المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وعند
ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم وقال والذي بعثك بالحق لقد
وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر ابرهيم باخراج هاجر
حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال
جبريل انزل يا ابرهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به
الكلمة العليا وفي التوراة مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة
في اعلام النبوة تجلى الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله
به موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني
وليست الفاء الاولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه
فاتحة الوحي وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث
الشرقي فاران ومنفخه الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه
وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجيء الله من سينا انزاله التوراة على موسى عليه
السلام بطور سينا ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من
ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير
انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران بانزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي
جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعوا انها غير مكة
قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه
فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح او ليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل
تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه وفي التوراة ايضا مما ذكره
ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل
عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع حين قلت
لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم
واجعل كلامي في فمه ويقول لهم كل شيء آمره به وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه فان
في هذا الكلام ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم
بنو اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله نبيا مثلك
وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا

ومنفخه ظ

فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى
عليه السلام بل كان خادما في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به صلى الله عليه وسلم
فانه كفؤ موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ على الشرايع
السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فيه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان
معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب
وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربك في الدر المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم
من الاب ان يعطيكم فارقليط اخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقناوه وهو عند
ابن ظفر بلفظ ان اجتنبوني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم هذا الدهر كله
قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه
منابه وتكون شريعته باقية مخلدا ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول
الفارقليط كما افاده ابن طغربك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل وقد اختلف النصارى في تفسير
الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول
اتى لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل
اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب
ان يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول حتى ياتي فارقليط اخر وان
تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قال ابن ظفر وفي الانجيل مما
ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول انه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي
ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم
كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو
يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما قاله المسيح
عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة
الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانه عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم
معلمه الذي يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظما دينهم بالاب [illegible] ولم تزل بنوا
اسرايل وبنو عيصو يقولون نحن ابنا الله لسوء فهمهم عن الله تعالى واما قوله يرسله ابي باسمي فهو اشارة
الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه [illegible] في امره وفي
نسخة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقا نفسه ما يسمع
يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جا روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم بقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى
ولا يقول من تلقا نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه
وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال
ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العلما على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذي

انه

اليكم

انه بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث
قال في قصيدته المشهورة ۞ توراة موسى اتت عنه فصدقها ۞ انجيل عيسى بحق غير مفتعل ۞
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ۞ عما راوا ورووا في الاعصر الاول ۞ ويعجبني قول العارف ابي عبد الله
ابن النعمان ۞ هذا النبي محمد جاءت به ۞ توراة موسى للانام تبشر ۞ وكذاك انجيل المسيح موافق ۞ ذكر الاحمد معرب ومنكر
ويرحم الله ابن جابر حيث قال ۞ لتقبله في كل جيل علامة ۞ على ما جلته الكتب من امره الجلي ۞
فجا به انجيل عيسى باخر ۞ كما قد قضت توراة موسى باول ۞ وفي الدلايل البيهقي عن الحاكم بسند
لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم
ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة الربعة العظيمة
مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمراء
واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ظفيرتان احسن ما خلق الله تعالى
قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا
فيها صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح
عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا واذا فيه والله رسول الله
قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا قال والله انه قام قايما ثم جلس وقال انه لهو
قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت
ولكني عجلته لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبيا ابرهيم وموسى وعيسى وسليمن وغيرهم
قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم عليه السلام سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل
الله عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب
الشمس فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من
شفتيك من اجل هذا بارك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسننك مقرونة بهيبة
يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزمور منعوت بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة
التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله
تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى العرب فكلهم
يتقلد وهذا لمن عاتيهم وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صحيح انه صاحب شريعة وسنة وانها
تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال
قرات في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا املا به ما
بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السما ونبات الارض
كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل ابائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماوك
لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل
دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل زينته وبالقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت
الدنيا بابرهيم وختمتها بمحمد فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري ذكره ابن ظفر وغيره

النوع الخامس في ايات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته ونبوته ما

ما أوجب إليه من آياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته

وهذا النوع أعزك الله لخصت أكثره من كتاب أقسام القرآن للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرائد
الفوائد فاعلم أنه تعالى أقسم بأمور على أمور وإنما أقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته
وصفاته وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته ثم إنه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو
الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على أن الجزاء والوعد حق
والوعيد فالأول كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم والثاني
كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا إلى قوله وإن الدين
لواقع وهذه الأمور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت أن القرآن حق وثبت المعاد ومتى
ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول
الذي جاء به وفي هذا النوع خمسة فصول **الفصل الأول** في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه
من الفضل العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون
وإنك لعلى خلق عظيم ن من أسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي أسماء للقرآن وقيل
أسماء السور وقيل أسماء لله ويدل عليه أن عليا كان رضي الله عنه يقول يا كهيعص يا حم عسق كما روي قيل
ولعله أراد يا منزلهما وقيل الله سبحانه استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة
ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها إفهام غيره إذ يبعد الخطاب بما لا
يفيد وهل المراد بقوله هنا نون اسم الحوت وهل المراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الأرض
وقيل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هذا قسما بالدواة والقلم فإن المنفعة بها بسبب
الكتابة عظيمة فإن التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل إن نون لوح من نور يكتب
فيه الملائكة ما يأمرهم به رواه معوية بن قرة مرفوعا أقسم تعالى بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو
إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين وأثبتت به
الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش وقام في الناس أبلغ خطيب وأفصحه
وأنفعه لهم وأنصحه وواعظا تشتفي بمواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبرئ بإذن الله بارئه من أنواع الألم
على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل أفعاله وأقواله مما بهتته أعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له
بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته
وكلت عن مماثلته وعرفهم من الحق ما لا تهتدي إليه عقولهم بحيث أذعنت له عقول العقلاء وخضعت
له ألباب الألباء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها إلا التسليم له والانقياد والإذعان طائعة
مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ثم أخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله
عليه وسلم في دنياه وآخرته فقال وإنك لعلى خلق عظيم أي ثواب غير منقطع بل هو دائم مستمر ونكر وإن لك لأجرا غير ممنون
الأجر للتعظيم أي أجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم أثنى عليه بما منحه فقال وإنك لعلى
خلق عظيم وهذا من أعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله
عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ومن ثم قال ابن عباس وغيره أي على دين عظيم وسمي الدين خلقا
لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والكرام



والحكمة والمصلحة وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات
فتكتسب النفس بها أخلاقا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها وهذه كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم
المقتبسة من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القرآن وإراداته
وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن وإعراضه وتركه لما منع القرآن ورغبته فيما رغب فيه
وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره فترجمت
أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن
وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال فستبصر
ويبصرون بأيكم المفتون أي فستدرك يا محمد وسيدرك المشركون كيف عاقبة أمرك فإنك تصير معظما
في القلوب وبصيرون أذلاء مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب **الفصل الثاني** في قسمه تعالى
على ما أنعم به عليه وأظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى السورة أقسم تعالى على إنعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه وذلك
متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد وأقسم
تعالى بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار
وفسر بعضهم كما حكاه الإمام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد
فيه وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه
بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره
بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضا فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم
بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم
وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة
التي على معانيها ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه فالتوديع الترك والقلى البغض أي ما تركك منذ اعتنى بك
ولا أبغضك منذ أحبك وحذف الكاف من قلى اكتفاء بكاف ودعك ولأن رؤوس الآيات بالياء فأوجب
اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل أحواله وأن كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة
هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو أن يعطيه فيرضى وهذا
يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا
والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار
الأرض من المدائن وما قذف في قلوب أعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره وإعلاء كلمته وما يعطيه
بعد مماته وما يعطيه في موقف القيمة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر وقال ابن عباس يعطيه ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة
فقد دلت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه عليه السلام كل ما يرضيه وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى وأحد
من أمته في النار ولا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فإنه صلوات الله
وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة
ثم يحد لرسوله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل الآخر ورسوله عليه

السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان يدخل احد من امتى النار وتدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى
ياذن له فيشفع فيمن شا الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه
من ايوائه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة
اى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه
النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السائل وان يكتم النعمة بل يحدث بها
فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث

في قسمه تعالى على تصديق رسوله عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه
قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه
رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقاويل
منها النجم على ظاهره وتكون اللام لتعريف العهد في قول ولتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها فقيل
الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت
النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها
عند استراق السمع وهذا قول الحسن وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقيل
المراد به النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل
نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم
التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا
للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد
حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية
الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية
نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا
غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيمة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته
فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكرو البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده من المناسبة مع
ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة
وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي
صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق في حال ادراك الثمار
واذا ظهرت من المغرب قرب اواخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض
القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل ولا
غوى وان قلنا ان المراد النبات فالنبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية اولى بالصلاح
وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة
عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون
عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله

عليه

عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى
لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به
فتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد
لا الغي والضلال ثم قال ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى
وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القران فان نطقه بالقران والسنة وان كليهما وحي يوحى قال
الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية
قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر
تعالى عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال
علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم
فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند
ذي العرش كما سياتي البحث فيه ان شا الله تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده لما راته عيناه وان
القلب صدق العين وليس كمن راى شيا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما راه ببصره صدقه الفؤاد
وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او اقسم ولا مزيدة
للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه
ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به
كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك اقسم تعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها
وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا
وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلائل ربوبيته
ان القران قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم
في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه الى الرسول الملكي تارة والى البشري اخرى واضافته اليهما اضافة
تبليغ لا اضافة انشا من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من ارسله
فهذا صريح في انه كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن
جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهدى
والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذي قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين ان تدنو منه
وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وروي انه رفع قريات قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع اهل السما نباح كلابها الاربع خ
واصوات ديكتها عند ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم
مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على وحي الله ورسالاته قد عصمه
الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القران وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم
من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه
ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون
فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام

وهذا يتضمن أنه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقول من حقيقته عندهم أنه خيال موجود في الأذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى فإن رؤيته عليه السلام لجبريل هي أصل الإيمان الذي لا يتم إلا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعا وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره فنحن إلى تقرير رؤيته أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى وإن كانت رؤية الرب سبحانه أعظم من رؤية جبريل فإن النبوة لا تتوقف عليها البتة ثم نزه سبحانه وتعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم أحدهما بطريق النطق والثاني بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فإن الرسالة لا يتم مقصودها إلا بأمرين أدائها من غير كتمان وأدائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالآيتين فتضمنت إحداهما وهي قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فإن الضنين البخيل يقال ضننت به أضن بوزن بخلت أبخل ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحي قال الفراء يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن جدا فإن عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو أنفس شيء وأجله وقال أبو علي الفارسي المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا وأما من قرأ بظنين بالظاء فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور والإدراك فإن ذلك يتعدى إلى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو أمين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على أن الضمير فيه يرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالأمانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو أي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن أعظم تزكية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال تعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم الآية أقسم تعالى بالأشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا أعم قسم وقع في القرآن فإنه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والإنس والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من آيات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وأنه حق ثابت كما أن سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون فكأنه سبحانه وتعالى يقول إنه أي القرآن حق كما أن ما تشاهدونه حق موجود ويكفي الإنسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهد من أحواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك أبين دلالة على وحدانية الرب سبحانه وثبوت صفاته وصدق ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه ثم [illegible] أنه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يتقول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه وافترى لما

أقره

أقره ولعاجله بالإهلاك فإن كمال علمه وقدرته وحكمته يأبى أن يقر من تقول عليه وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم فكيف يليق ويظهره لهم ويسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلا إن الله أمرني بذلك وأباحه لي بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه بإقراره وبالآيات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها بكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد له بإقراره وفعله وقوله فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين أن يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم لأنه لما قال إنه لقول رسول كريم ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة ومن ذلك قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون قيل المراد بالكتاب المكتوب اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قال مالك أحسن ما سمعت في هذه الآية أنها مثل التي في عبس قال ومن المفسرين من قال إن المراد أن المصحف لا يمسه إلا طاهر والأول أرجح لأن الآية سيقت تنزيها للقرآن أن تنزل به الشياطين وأن محله لا يصل إليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وأيضا فإن قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الآية على النهي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره إلى معنى النهي والأصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس هنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر إلى النهي انتهى ملخصا وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بأنه يجوز مس المصحف للمحدث وقد أجاب ابن الرفعة في الكفاية عن أدلتهم المزخرفة فقال ما نصه القرآن لا يصح مسه فعلم أن المراد به الكتاب الذي هو بأيدينا المذكورين ولا يتوجه النهي إلى اللوح المحفوظ لأنه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن أن يكون المراد بالمطهرين الملائكة لأنه قد نفى وأثبت فكأنه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالإجماع فعلم أنه أراد المطهرين من الآدميين ويتأيد ذلك بما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا تمس القرآن إلا وأنت على طهر ثم قال فإن قيل فقد قال الواحدي إن أكثر أهل التفسير على أن المراد اللوح المحفوظ وأن المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لأن قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو إذا خبر قلنا أما قول أكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع إلى الدليل ولما كان المراد إلا به الخبر أجبنا بأنا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى وأجاب العلامة البساطي في شرحه لمختصر الشيخ خليل بأن يمسه مجزوم وضم السين لأجل الضمير كما صحح به جماعة وقالوا إنه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي المشهور بالسمين مع زيادة إيضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان الثاني أنها ناهية والفعل بعدها مجزوم لأنه لو فك عن الإدغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك آخره بالضمة لأجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا إلا الضم وفي الحديث إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم وإن كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بأنه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لأنه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما على

مرفوعة مكرمة

رأي سيبويه فإنه لا يجيز غيره **الفصل الرابع** في قسمه تعالى على تحقيق رسالته قال الله سبحانه
وتعالى يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين الآية اعلم أن كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحروف الهجا
كان في أوائلها الذكر أو الكتاب أو القرآن الآن نزلات في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمور تدل
على أنها غير خالية عن الحكمة لكن علم الإنسان لا يصل إليها إلا أن كشف الله له سر ذلك واختلف
المفسرون في معنى يس على أقوال أحدها أنها يا إنسان بلغة طيئ وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة
والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي أنها بالسريانية قال الإمام
فخر الدين وتقريره هو أن تصغير إنسان أنيسين وكأنه حذف الصدر منه وأخذ العجز وقال يس وعلى هذا
فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى إنك لمن المرسلين وتعقبه أبو حيان بأن
الذي نقل عن العرب في تصغير إنسان أنيسيان بياء بعدها ألف فدل على أن أصله إنسيان لأن التصغير
يرد الأشياء إلى أصولها ولا نعلم أنهم قالوا في تصغيره أنيسين وعلى تقدير أنه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك إلا أن
يبنى على الضم لأنه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لأنه تحقير يمتنع ذلك في حق النبوة انتهى قال السمين
وهذا الاعتراض الأخير صحيح فقد نصوا على أن التصغير لا يدخل في الأسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى أن ابن قتيبة
لما قال في المهيمن إنه مصغر من مؤمن والأصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله
قائله انتهى وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله أبو العالية وقيل هو اسم من
أسماء القرآن قاله قتادة وعن أبي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس أنه قسم أقسم الله به
وهو من أسمائه وعن كعب أقسم الله قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال
والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فأقسم الله باسمه وكتابه
أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده وعلى طريق مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له صلى الله عليه وسلم **الفصل الخامس**
في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون
العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يتعين الفتح لكثرة الاستعمال فإذا أقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله
لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لأن في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل
نحو بالله لأفعلن والمعنى أحلف بالله فتحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف قال الزجاجي من قال لعمر الله
كأنه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لأن بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك
لا يعجبني الحلف بذلك وقال الإمام الشافعي وإسحق لا يكون يمينا إلا بالنية وعن أحمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعي
واختلف في من المخاطب في الآية على قولين أحدهما أن الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه
وقال هؤلاء بناتي لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون أي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون إلى نصحك
الثاني أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع
وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك
وبقائك في الدنيا إنهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير وزاده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة
ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما أقسم الله بحياة أحد إلا بحياته وما أقسم بحياة أحد غيره وذلك يدل على أنه

[illegible]

اكرم

أكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة
لوط قال القرطبي وإذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فإنما أراد بيان التصريح لنا أن يجوز لنا أن نحلف بحياته
ولهذا قال الإمام أحمد فيمن أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج
بكونه صلى الله عليه وسلم أحد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد واستدل من جوز الحلف به عليه
الصلاة والسلام بأن أيمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم أن يحلفوا به صلى الله عليه وسلم
حتى إن أهل المدينة إلى يومنا هذا إذا جاء صاحبه قال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر
وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد
الآية أقسم تعالى بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى وهي بلده عليه السلام وقيده بحلوله عليه السلام
فيه إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله قاله البيضاوي ثم أقسم بالوالد وما ولد
وهو [illegible] إبرهيم وإسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في موضعين
وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وإنما أقسم تعالى بهم لأنهم أعجب خلق الله على وجه
الأرض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى والأنصار لدينه
وكل ما في الأرض من مخلوق خلق لأجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان فمرجع البلاد
إلى مكة ومرجع العباد إلى آدم وقوله وأنت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن إقسامه تعالى ببلد مشتمل
على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه إماما
وهاديا لهم وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه وقيل المعنى وأنت مستحل فيك وإخراجك من هذا
البلد الأمين الذي يأمن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قتلك وحرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد
وعن قتادة وأنت حل أي لست بآثم وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة
وأحلها وما فتحت على أحد قبله فأحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة
وغيره وحرم دار أبي سفيان فإن قلت هذه السورة مكية وأنت حل بهذا البلد إخبار عن الحال والواقعة
التي ذكرت في آخر مدة هجرته إلى المدينة فكيف الجمع بين الأمرين أجيب بأنه قد يكون اللفظ للحال والمعنى
مستقبلا كقوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام ولا
يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أقسم بحياتك دون سائر الأنبياء ولقد
بلغ من فضيلتك عنده أن أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر إن الإنسان
لفي خسر اختلف في تفسير العصر على أقوال فقيل هو الدهر لأنه مشتمل على الأعاجيب لأنه يحصل فيه
السراء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وقيل العصر الذي بمضيه ينقضي عمرك فإذا لم يكن في مقابلته
كسب صار ذلك عين الخسران به ولله در القائل إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الأجل
وفي تفسير الإمام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما أنه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الإمام
الرازي واحتج له بقوله صلى الله عليه وسلم إنما مثلكم ومثل من كان قبلكم كمثل رجل استأجر أجراء فقال
من يعمل لي من الفجر إلى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر إلى العصر بقيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل لي من العصر إلى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا

ما نقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى

الفصل السادس في وصفه تعالى له عليه الصلوة والسلام بالنور والسراج المنير

اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القرآن ووصفه عليه السلام ايضا بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشد فبان انه اقوى والقمر انفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه الزكية القدسية اعظم في النورانية من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لسائر الانفس البشرية ولهذا لك وصف الله الشمس بانها سراجا حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي اشرق على العالم فاشرف على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سرجا منيرة يستمد منها من دونها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله الساري الى الشيء منه بقدر قبوله ووسع استعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الباصر اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة والانبياء من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور وتؤيد هذا التاويل قراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما لارادة اهل السماء والارض وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليه السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخدري ان المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه كهذا القول الاخير القاضي ابو الفضل

اليحصبي

النوع م

خ وكذلك

اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحه
لو لم تكن فيه ايات مبينة • كانت بديهته تنبيك بالخبر •
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله

النوع السابع في ايات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فانت من احماه الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا لا يقدر على ارشاده وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امرنا بمتابعته في قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في الملتقين في هذه الدار وان كانت لهم معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين واني ان لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية وذكر عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيمة لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا فيها روايات اخرى تاتي ان شاء الله تعالى في مفصل محبته صلى الله عليه وسلم لكن قال المحققون لا ينكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عند الله تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفي الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان تحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق

خ من الخلق

والكفار لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب
الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي في كونه
الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت
هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشأ جميع السعادات يوم القيامة
اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان
الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل
الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد ان
يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين في درجة واحدة لان هذا يقتضي
التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد
منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي
قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء
مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم
حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب
ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة و
عبد الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او
معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم وقال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض اية المحبة
السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله الاية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال يحببكم الله اشارة الى دليل
المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل
المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله عليه السلام مشروطا بمحبتهم
لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود وتحقق شرطه فعلم انتفا المحبة عند انتفا
المتابعة فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة الله لهم ف
يستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهذا
هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من
قدم طاعة احد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم
على مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم ورجاه والتوكل عليه على خوف الله ورجايه والتوكل عليه
او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال

بلسانه

بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسيأتي مزيد لذلك ان
شاء الله في مقصد محبته عليه السلام وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط المستقيم فجعل رجا الاهتدا اثر الامرين الايمان
بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتى
به الرسول يجب علينا الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني الاتباع
القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فمن
الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا
يؤمنون جواب اقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه
وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها
كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على
ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب
وذلك بان يحصل الجزم والتيقن في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من
الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك في مقصد محبته عليه الصلوة والسلام ثم ان ظاهر هذه
الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز
العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس
يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى
ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس
وبه صرح العلامة التاج السبكي في جمع الجوامع وغيره النوع الثاني فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم عليه بامر
ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى
يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه الله على لسانه
وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تامروا ولا تنهوا حتى يامر وينهى
وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلوة والسلام في الصلاة ان تقدم بين يديه كيف
تاخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه
والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اومى اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل
خطوة الى ورا مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع
الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد
عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى

ان قدمت الكلام ابتدءا وعليه حكم ق
حتى يامرهم

بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجد العبد ما
لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان
موته بنجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم
فكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين
استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد
انتهى وقد علم ان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم
المبالاة وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي
السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه وقد روي ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وانما كان رفع الاصوات فوق صوته موجب لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء
ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء
بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما
انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر
مضاف الى المفعول اي دعاءكم الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا
ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة الى
اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاؤه اياكم وقد
تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب
احد منهم مذهبا في حاجة له حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه
فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون
استيذانه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله
بل تستشكل الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول
ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجراة وراس الادب معه صلى الله عليه وسلم
كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه
معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم
والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة
للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى

مختصا

مختصا من المدايح والقران مملوء بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فانظر الخ انتهى د

النوع التاسع في ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشانه

قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب
فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه
لان نصرته تعالى له اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم
تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة به
وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له انهم المفتونون هو او هم
وقد علم ذلك العقلاء في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة
بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به ولما راى العاص بن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد
وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص
قالوا له من هذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر
اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير ولما قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست مرسلا اجاب الله تعالى عنه فقال يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين ولما قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عليهم فقال
بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ولما
قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقران مبين ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون
سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا وقال قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض ولما تتلى عليهم نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
قال الله تعالى مكذبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولما
قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه السلام ولما قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته الا النكاح
رد الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد
اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم
الذي حكاه الله عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا
ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة
لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فاجل هذه الكرامة وقد كانت الانبياء
القدماء يدفعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود

وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون

لبس في سفاهة واشباه ذلك **النوع العاشر في ازالة الشبهات عن آيات وردت في حقه عليه السلام متشابهات** قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جائز في العقول ثم يكرم الله من اراده بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا وعقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك ولو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى كلامه **واختلف** في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل موحدا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي آخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل الما في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل الخامس قد يخاطب السيد

والمراد

والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك السادس اي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطا والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثناء عليك الثامن اي وجدك بين اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل عليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد العاشر عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله برسالته **واما** قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثير من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى **وقد** اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراح **وقيل** المراد منه تخفيف اعبا النبوة التي يثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له **وقيل** الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة ابراهيم **وقيل** معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه الا حر الشمس من الغد **وقيل** ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك **وقيل** معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها **وقيل** انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل **واما** قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس اي انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك **وقيل** المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري **وقيل** ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه

الشمس قبلي ثم المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الأولى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
وترك الاولى ليس بذنب لان الأولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكي فاذا تأملنا
يعني الآية مع ما قبلها وما بعدها وجدناها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اراد ان يستوعب في الآية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية
وجميع النعم الاخروية شيئان سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله
ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية
وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله
تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده اليه بنون
العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما
المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم
يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما
الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم
في توقف ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم
ومن تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيى من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى
واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية انه صلى الله عليه وسلم
اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس
ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين
والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله بتقوى توجب استدامة الحضور واجاب بعضهم عن هذا
ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة
الى ما هو فيه تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال
للجالس اجلس ههنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته قيل ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما
تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه وسلم
ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل
ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤساء الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله
ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشدد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال
الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآية فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب
به النبي صلى الله عليه وسلم وقال اخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول
ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وكقوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى بن مريم عليهما السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاراد ان

يامر

يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى
تاثيرا في قلوبهم الثاني قال الفراء علم الله تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا
كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث انه يقال
لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم فاصبر واسال الذين
يقرءون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها وتهييج الرسول عليه السلام
وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لا لامكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسال واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى
الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا في زمانه عليه السلام فرقا ثلثة المصدقون له والمكذبون
له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها
الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فسال اهل الكتاب ليدلوك
على صحة نبوته وهذا مثل قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك كادح وليس
الانسان صرفا ان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل
ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله فتكون من الخاسرين وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن امترى بالمجهول لا تكونن من الممترين والنبي
صلى الله عليه وسلم مخاطب به غيره وقيل غير ذلك واما قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين فقال القاضي لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على
الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا
يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها
فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكي قال ومثله في القران كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال
تعالى ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه
ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله ينهاه عما يشاء
ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين
واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون وانما المعنى
لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما يأتيه من الله

هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه كما قدمته
في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه
جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة والقا الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار
من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله القاضي عياض وقد
تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك قال في الشفا واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم
الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب
الرحيل عن الوادي لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها اثبات ذنب
له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له
حال الرجلين الاختيار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله
من ذلك عليه اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان
تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر
لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة
استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام
ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان
الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه السلام ماذونا له في تاديب
اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة
وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان
ياذن لهم ان شا فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه
عليه السلام وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشي اذنه
للمنافقين واخذه الفدا من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون واما قول بعضهم ان هذه الاية تدل
على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقوله لم
اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا
يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا
الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه منه

من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا واما الجواب عن الثاني فقال اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا
فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر
عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول
العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم
يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب كاف شاف قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على
ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فلما
اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم وعلى هذا يحمل
واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر منهم سبعون استشار النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان
تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن
ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان
اخيه يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك
فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك
من الفدا لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الالزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل
من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني الا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون
مضى من امر الاسرى معصية وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان

من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد
خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف
الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من تحليل الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية
عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى كان على
تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها
والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب وإنكار
وتذنيب قاله القاضي عياض وأما قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية فالمعنى لولا أن ثبتناك لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم
لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب فضلا عن أن تركن إليهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما هم
بإجابتهم مع قوة الداعي إليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
أي ضعف ما يعذب به في الدارين مثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وقد أعاذه الله من الركون
إلى أعدائه بذرة في قلبه ومما يعزى للجويني مما يؤيد ذلك قوله
أنحوي هذا العصر ما هي لفظة جرت في لساني جرهم وثمود إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت
وفسر الأول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني وهو المثبوت المنفي
بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم لم يركن وأما قوله تعالى ولو
تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشيء من عند
نفسه لأخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه وقد أعاذه الله من التقول عليه فإن قلت لا مرية أنه
يعفى للمحب ولصاحب المحاسن والإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع ولا شك أن نبينا صلى الله عليه وسلم
هو الحبيب الأعظم ذو المحاسن والإحسان الأكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد لو
أنه وقع منه ما يكره من ركون إلى أعدائه ومتقول من قبل نفسه لم يقله كأرباب البدع ونحوهم
فالجواب أنه لا تنافي بين الأمرين فإن من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره وحباه بالإنعام
وخصه بمزيد القرب والإكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص أن تراعى
مرتبته من أدنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره
تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو إذا
غفل وأخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك أيضا فيجتمع
في حقه الأمران وإذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فإن الملك يسامح
خاصته وأولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم بما لم يؤاخذ به غيرهم وأنت إذا كان لك

عذاب

عذاب أو ولدان أحدهما أحب إليك من الآخر وأقرب إلى قلبك وأعز عليك فعاملته بهذين
الأمرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته فإذا نظرت إلى كمال
إحسانك إليه وإتمام نعمتك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم
الإهمال وإذا نظرت إلى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته
وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى
في الشرع حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزوج إذا تعداه إلى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه
النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه وأتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا
لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت
حكمته في خليقته العقول فلله سر تحت كل لطيفة فأخو البصائر غائص متغلغل انتهى ملخصا
وأما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فقيل معناه ما كنت تدري الإيمان على التفصيل
الذي شرع لك في القرآن وقال أبو العالية هو بمعنى الدعوة إلى الإيمان لأنه كان قبل الوحي لا يقدر
أن يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وقيل معناه أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وقبل البلوغ
حكاه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل إنه من باب حذف المضاف أي ما كنت تدري أهل
الإيمان أي من الذي يؤمن أبو طالب أو العباس أو غيرهما وقيل المراد به شرائع الإيمان ومعالمه وهي
كلها إيمان وقد سمى الصلاة إيمانا بقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم إلى البيت المقدس
فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم
كان يوحد الله ويبغض الأوثان ويحج ويعتمر وروى أبو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه
وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر
وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان وقد وردت العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسماعيل حج البيت
والختان والغسل من الجنابة وكان عليه السلام لا يقرب الأوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التي شرعها
لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولم يرد الإيمان الذي هو
الإقرار بالله لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم انتهى والله أعلم

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله وأصحابه
وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول

الأول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم أن المحبة كما
قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص العاملون وإلى علمها شمر
السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح
وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات
والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام
وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل
أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيه وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها
وتبوئهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم التي مسراهم في ظهورها

دائبًا الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها
بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق
بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيا لها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعاة
وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون
من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الاول
اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح
وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج
والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد
اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال
واكثرها يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من
المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا القول صاحب مدارج
السالكين نفعنا بعلومه المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها
ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها
وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات
بحسب المقام والادراك والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي
هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها
بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها
مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب
وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك
على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب
اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب
وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفناء في المحبة
وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا
من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك
وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما
يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو نال من محبوبه ايسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار
القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب
ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها ومنها
ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات
المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزمك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه
وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه منه له ومنها ان تمحو
من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لسواه
فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك

واستصغارها

واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب
هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع
كمال محبته كالمستحيل ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامة المحبة المقارنة
الهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك
له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحرث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا
يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشد لبعضهم
فاسكر القوم دور الكاس بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقي ومنها سفر القلب في طلب
المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان
بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه
بادراكه بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت
القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما واذا كان الانسان يحب
من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك بمن
منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه
من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم
المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به
من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدي في النعيم السرمدي
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحياته لا حد بعد الله كما له علينا ولا فضل
لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب حقه ببعض معشار عشره فقد منحنا الله به منح
الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا
لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له
صلوات الله وسلامه عليه لكان بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل
احد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز
ابن صهيب عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر
الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس
في حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة
هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح
جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي
كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب
المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع
خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث
الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم

لانت يا رسول الله عندي لاحب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر هذه المحبة ليست باعتقاد
الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي
نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى
تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في اول امره واستثناؤه نفسه
فلان حب الانسان لنفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد عليه السلام
منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا
كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه
السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب
بقوله الان يا عمر اي الان عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم عند الله محمد اي الان
ورسوله فمحبتنا له وجوب تقديمها على محبة الانفس والاولاد والوالدين والناس اجمعين فما الظن
بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها
وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من
سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء قد
يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وحده و
لا تصلح الالوهية الا له تعالى وان التاله هو المحبة والطاعة والقبول ومن علامات الحب المذكور لرسول والخضوع
الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه او فقد رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من
اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون
فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات
محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته
بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانا
لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكر لما وقر في
قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى وكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله
لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من
جهته عليه الصلوة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي
الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحق كما حكاه في الشفا ان امراة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل
مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة ورواه البيهقي في دلائله وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد
قتل محمد عليه السلام كثرت الصوائح بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها

وزوجها وابيها قتلوا الانصار لا تدري بايهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا
اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله
لا ابالي اذ سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي بن ابي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا رواه
واباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما رواه ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح
الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب
ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا
من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا قال ومما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني
ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
لا يطرف فقال له ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الاية وذكر البغوي في تفسيره بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف
الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع
غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع
النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية
وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية وذكره
ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامرا الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وا
قال اني سوف اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت ذكرت
انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يجبه النبي صلى الله عليه وسلم
اليه بمعنى اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله الاية قال وذكر مقاتل بن سليمن مثل هذا وقال هو عبد الله بن
زيد بن عبد ربه الانصاري الذي اري الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه
ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمدا
احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليختر
المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل
انت القتيل باي من احببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي ولبعض الحكماء ان العقل لا يتسع

وكذا روى ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا ه
بياض شد
نا
وروي صح
وبكاه
بيا

لعضبين فلذلك القلب لا يتسع لحبين وكذلك لا زم اقبالك على من تهواه إعراضك عن كل شي سواه
فمن داهن في المحبة او داجا فقد عرض لمدى الغيرة اوداجا فمحبة الرسول عليه السلام بل تقديمها في
الحب على الانفس والآبا والابنا لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد حكى عن ابي سعيد الخراز
مما نقله القشيري في رسالته انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني
فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من
الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابي المجد
الا يا محب المصطفى زد صبابة وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ولا تعبان بالمبطلين فانما علامة حب الله حب حبيبه
وكذلك كل حب لله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته
بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله فمن رضي بالله ربا
رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين وايثار ذلك
على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي
وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس
لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه السلام حلاوة
الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت له لازم ذلك الشي
واضافه اليه وفيه تلميح الى قضية المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق
حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة
واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على
المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة او قال اهل المعرفة قال والصواب معهم
في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد لما ذهبوا
اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكى عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة
فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب
بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا نلقى الاحبة
محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه
بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه اشد
من ذلك ولا ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في ونبه ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين
جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو فقام احدهما فكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابي
فاصابه فبقي في صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه
فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذلك الا لشدة ما وجد فيها
من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا حكى عن كثير من اهل المعاملات انتهى
وحديث الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي

صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمى رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقال
وصله ابن اسحق في المغازي قال حدثني صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد
وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق قال في فتح الباري
وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه
اختصره او للخلاف في ابن اسحق واخرجه البيهقي في الدلايل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري
وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل
وفي قوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية واما قوله للذي
خطب فقال ومن يعصهما بئس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هنا فالمراد
الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا
يضر الا نفسه وقيل انه من الخصايص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم
اطلاق التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن محاسن
الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايما الى ان المعتبر هو المجموع المركب
من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب
رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة
بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل
باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه
قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم
لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري
وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان
طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة
الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة
تارة كما قال ذاق وقال ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل
قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسياق
تحقيق الكلام في هذا ان شا الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه السلام والمقصود ان ذوق حلاوة
الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما
قال عليه السلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد
ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق
طعمه ويجد حلاوته وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب
السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق
طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة
العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة
ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله اليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا

من خرائب المنى فلما واصلته امداد الله وانوار عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولا يلزم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب باداب ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا منها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا به انتهى ملخصا واعلم ان محبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتها عن المعاصي والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال عموم نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه وفي رواية بشي احب الي من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي ان اداء الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة لها ويويده ان في رواية ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرايض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل جلاله سمع العبد وبصره الى اخره واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جا بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى مامولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه سبحانه ينزل عبده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن

[illegible]

سرعة

سرعة اجابة الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضا حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدر انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا على الوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سالني ولئن استعاذني فانه كالصريح في الرد عليهم وقال العلامة ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرم على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل واخبر ان اداء الفرائض احب ما تقرب اليه المتقربون ثم بعدها النوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله اوجب محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه فالباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسالة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه فقال كما انه وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد في حق الله غير جائز والبدا عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من دا يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شي انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المومن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت

الصواب بعض اهل التصوف او اهل الحقيقة او اهل التمشيخ كما هو معلوم في كتب ... دقة التصريح من الاحيا والمنازل والعوارف تمت

بصيغة قوله يرجع الى العبارة وليس كلام اهل التحقيق تمت

قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم
يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد إلى هذه
المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويحرق ظلمات الطبع
بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته ويزهد في التعلقات
الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة
ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك
قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال
وأخرج من بين البيوت لعلني . أحدث عنك النفس بالسر خاليا . فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه
على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه
فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي
أموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه
وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله به مما ذكرت بعضه حتى يصير كأنه من بعض أصحابه
فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت
فيه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها
كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه السلام علامات أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته
وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء
العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى إياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما أفاده المحاسبي في
كتاب القصد والرجوع . تعصي الإله وأنت تظهر حبه . هذا لعمري في القياس بديع . لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع . فحينئذ المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة
فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهيله لمحبته ومعرفته
ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فإذا دار ذلك النور أشرقت
له ذاته فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت
عنه ظلمات نفسه وطبعه لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرد أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ
بين الهيبة والأنس إلى الحبيب الأول . نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول . كم منزل في الأرض يألفه الفتى . وحنينه أبدا لأول منزل
وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن
أن يحبك الله ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة
وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم تكن كذلك
فلا تتعن فلست على شيء وتأمل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه وهذا
لا تنالونه إلا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل
اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه

في كل يوم يبتديك بنعمة منه وأنت لشكر ذاك مضيع

ظهرت

ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح إلى
طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد
الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه
وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية ولا يجد في أوراد
العبادة كلفة وفي الترمذي عن أنس مرفوعا ومن أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة
وعن أبي عطا من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة
الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو إسحق الرقي من أقران الجنيد علامة محبة الله إيثار طاعته
ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة
البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلوة والسلام
بدعوى علم لدني أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته
لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي
بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني
إلحاد وكفر يخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم والفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر
ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال
له أنت موسى بني إسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والإنس
في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو
جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية
فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم
اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم وبه يحصل
الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي
واتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح
وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامة محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في نفسه
حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له قال
شيخ المحققين وإمام العارفين تاج الدين ابن عطا الله الشاذلي أذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة
على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا
وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في
كليهما فأحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من
فهم المراد فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بالأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره
ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة
برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا وتكريما لأنه لم يقل فلا والرب إنما قال فلا وربك

الوحي

لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في القسم علماً منه سبحانه بما في النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها او لها وفي ذلك اظهار العناية برسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم واضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق اهواءهم او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات احكامه مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شيء انتهى فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة القدس ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له حقايق الاسرار انتهى ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته في اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصايب فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب اعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فاذا فقد الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني • تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها • فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيئاً اكثر ذكره وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال غيره للمحب اربع علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكراً فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكماء على ان من احب شيئاً اكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت اوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخاير وبغية الطلبات وربما تراءت وجدانات المحب

وهاج

وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد ونفر اللون واستبسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط ولسيدي محمد وفا

اذا باح دمع المهجور هاجره • باح المحب بما تخفي ضمائره
ايكتم الحب صب باح مدمعه • لما جرى بالذي تخفي سرائره
كانما قلبه اجفان مقلته • ودمعه في اماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل لاجيرة لفتى • عليه في حكمه قد جار جائره
آه وكم لي على خطب الهوى خطب • من الغرام به تعلو منابره
مهفهف البدر على غصن • تخفي البدور اذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج • مورد ناشئه تزهو ازاهره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه • منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله او كاد نقد من اثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس الجبان وسومها بين المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد اشيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيئاً خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقاً او تهيباً وتوقيراً قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به وكان ايوب السختياني اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من اهنأ الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات او مشاهدة اسرار الصفات فيرى بلوغ السول ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما مات بلال نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غداً القى الاحبة محمداً وصحبه اذا ذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه ووجد صبره عن محبوبه من اعظم كبائره كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها • الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت واذا عجوز تنفش صوفاً وتقول • على محمد صلاة الابرار • صلى عليه الطيبون الاخيار

وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه

قد كنت قواما بكا بالاسحار ٭ يا ليت شعري والمنايا اطوار ٭ هل تجمعني وحبيبي الدار ٭ تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلث مرات فقال لها اعيدي على قولك
فاعادته بصوت حزين فبكى وقال لها لا تنسيني يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار
ويحكى انه رؤيت امرأة مشرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا
قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا
نستحيي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن
الذي اتى به وهدى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة
الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغناء
المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل
ان كنت تزعم حبي ٭ فلم هجرت كتابي ٭ اما تاملت ما فيه ٭ من لذيذ خطابي ٭ ويروى ان عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية
مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ علي قال اقرأ عليك وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان
من البكا رواه البخاري وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذاقنا الله
حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه
بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار
وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة تورث ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب
قلب مملوء ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدما عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب
تارة يخف المامه فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره اي ينفصل نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره
الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب
وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الحال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر باية من ورده
فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا وكان الصحابة اذا اجتمعوا
وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون فللمحبين السماع القرآني من الوجد
والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده
وطربه ونشأته في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن كما قيل
تقرأ عليك الختمة ٭ وانت جامد كالحجر ٭ وبيت من الشعر ينشد ٭ تميل كالنشوان ٭ فاعلم ان هذا
من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله اذاقنا الله تعالى حلاوة محبته ولا سلك بنا في
غير سبيل سنته وجنته ورحمته ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه
فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

نشربها

تشربها روحه وقلبه ونفسه ويقول ٭ اشم منك نسيما لست اعرفه ٭ اظن لمياء جرت فيك اردانا ٭
فتعم تلك الكلمة وتشمله فيصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل
بالكل ويقول ٭ لي حبيب حبه نصب عيني ٭ سره في ضمائري مذ فؤادي ٭ ان تذكرته فكلي قلوب ٭
او تاملته فكلي عيون ٭ فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره ويتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور
البراهين ويتقوى بتجلي عطف محبوبه الذي لا شيء اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء اشد لهيبه من
من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني
كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله
ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب
عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر
اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه السلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا
المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك
وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حد السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه
يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يعدم ان يبقى معها وقد يكون سبب السكر
قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة
شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير
معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا
قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ
من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فتصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا
اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته او من غاب عنه غلامه
بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه
ومن اقوى اسباب ما يحصل فيه سماع الاصوات المطربة بالاتسامات بالصفات النبوية المقرونة بالمعجزات
انا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احدهما
انها في نفسها توجب لذة قوية يغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فيحصل
بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادناء صورته الى القلب واستيلا
على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطيب والذ
من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى
يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول
انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم
من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي
ينسيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا يلحق كل ذي
وصف به لا يحظى به كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا
يجلس عليها طفيلي اشار اليه في المدائح فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله

ورسوله ومن خالف بعضها لهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذي حدّه
في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله
ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة
كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله
في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون استمرار
ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية واذا اقيم عليه الحد فكفّر
عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان ينطبع على قلبه حتى يسلب
منه ذلك اسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته بمنّه ورحمته تنبيه وقد اختلف العلما
ايهما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سوا فلا يكون الحبيب الا
خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما وسلم بالمحبة قال وبعضهم
قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة — لاتخذت ابا بكر خليلا
لفاطمة وابنيها واسامة انتهى وهذا هو المعنى الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة من مقتضى
الخلة لكن يرد ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له الله تعالى يا محمد
سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا
الى قوله واتخذتك حبيبا رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال — أو ما في معناه
بتفضيل المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل
قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
يا ايها النبي حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وفي كتاب تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي
عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وبيّنت ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون
في حد ذاتيهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي
تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابرهيم صلى الله عليهما وسلم لا يقال باعتبار ثبوت وصف — تعالى
الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف المحبة والخلة الا انه لم يسلب عن ابرهيم عليه السلام
وصف المحبة لا سيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لا سيما
وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى
الله عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله مطلقا واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا
يفيد غرضا في هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي
ممتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله به تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او
خليلا واما قوله الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان تكون على جهة

التفسير

التفسير الخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابرهيم عليه
الصلوة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة
والحق ان الخلة اعلى واكمل وافضل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة
اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه
مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين
ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قال وانما
هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة
الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله وضعّف بان
الخلة خاصة وهي توحيد المحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله
اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا انتهى

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة ومحلا

قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه عند الملايكة
ومعنى صلاة الملايكة عليه الدعا قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه
ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملايكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل
الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملايكة الدعا بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال
صلاة الله مغفرته وصلاة الملايكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه
مغفرته وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما اسمعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها وقال
المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملايكة رقة تبعث على استدعا الرحمة وتعقب بان الله غاير
بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة المغايرة
من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سالوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام
حيث جا بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى
الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل
صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيايه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته
على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شي وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين سائر المومنين حيث قال ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة هو الذي يصلي — الذي في سورة الاحزاب
عليكم وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع
منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في
الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا والمراد تعظيمه
في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقا شريعته وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته — جه
بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف الله وازل

وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعو لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية
اظهر فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملائكته والى المؤمنين اما مورد بذلك بمعنى
واحد ويؤيده انه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبياء واختلف في جواز الصلاة على غير الانبياء
ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا او ترحم على محمد لجاز لغير الانبياء وكذا لو كان بمعنى البركة
وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان
به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت في اي وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسراء وقيل ان شهر شعبان
شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة ان الله وملائكته يصلون على النبي نزلت فيه والله اعلم
قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق
النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن في كتابه المسمى بشجرة المعارف
ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من
احسن الينا فان عجزنا عنها كافاناه بالدعا فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه له
وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة
ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة
صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على اقوال احدها انها
تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزاء مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله
القاضي ابو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا
على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها الثالث تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية
وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قال الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت
عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث رغم
انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد
ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد
والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى ان فايدة الامر بالصلاة عليه مكافاة على احسانه
واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا
فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كاحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف
عن احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا اذن وكذا
سامعه وللزم القارى اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام في القران وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ
بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثناء
على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول
بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قايله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى
واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه
ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد اللهم الا ملخصا
والله اعلم الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعا حكاه ايضا
السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود
صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان ذلك غير لازم فرضا
حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة
قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما
بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري
عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته يجزئ عن الصلاة
ومع ذلك اتى بعض اجزا السلام عن الصلاة السابع يجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر
الرازي من الحنفية الثامن يجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر التاسع يجب في التشهد وهو
قول الشعبي واسحق بن راهويه العاشر يجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الامام
الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري
انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم
اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده
عن ابي هريرة مثله وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسوله صلى
الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة
عليه في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اخبرنا ابراهيم بن محمد قال حدثنا
صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال
تقولون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني سعد بن اسحق
ابن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم الحديث قال الامام الشافعي فلما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز ان نقول التشهد
في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها
ضعف ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة
لم يصرح بالقايل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة
لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب
بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة

وزعموا أنه تفرد بذلك وحكى الإجماع على خلافه منهم أبو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي
وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا لو كان ينبغي سكوته عنها لأن مبنى
تأليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وأداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه
في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع أن الأكثر على خلافه
لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضاها
وإذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين وقد
انتصر جماعة كثيرة من العلماء الأعلام للإمام الشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ
الإسلام والحفاظ أبو الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول عدهم وأسندوا قول الشافعي بأدلة (يعني السخاوي)
نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول به عن جماعة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر (بالوجوب)
ابن عبد الله ونقله أصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما
سيأتي وكذا أبو جعفر الباقر ومقاتل وأخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي فإن ابن مسعود ذكر
أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وأنه قال ثم يتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود
الأمر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على أنه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك
بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب إليه الشافعي مثل ما ذكر القاضي قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه
له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا وأخرج المعمري في عمل اليوم
والليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون الصلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة علي وأخرج البيهقي في الخلافيات (كذا)
بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال تعلموا التشهد فإذا قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يحمد
ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد
ابن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم لكن راويه
عن أبي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الإمام الشافعي من فقهاء الأمصار أحمد في إحدى
الروايتين عنه وعمل به أخيرا كما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير وأوجب إسحق بن راهويه
الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن أحمد أنها تبطل بتركها عمدا أو سهوا وعليه أكثر أصحابه
حتى أن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم أن يقولوا لما سألوه كما ذكره
ابن كثير ووافق الخرقي إسحق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف أيضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في
سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد أن في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الإمام
ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ أنه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
قال وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب ورأيت
مما يعزى للقاضي أبي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض
الصلاة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي
في شرح الهداية عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم أن يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم

في آخر التشهد في قوله وأشهد أن محمدا رسول الله لكن لهم أن يقولوا بلزوم ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم
يخالف الشافعي أحد من أصحابه في ذلك بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل كما حكاه البندنيجي
والدارمي ونقله إمام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير والصحيح أنه وجه على أن الجمهور
على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث وأما مخالفة الخطابي من أصحاب الشافعي للشافعي فلا يعتد به
لمقتضى الأمر المحمول على الوجوب إجماعا وأولى أحواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا وأما قوله ولا أعلم
له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب أن الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه إلى
غيره وأما قوله في الشفا والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي و
إجماعهم عليه ففيه نظر لأنه إن أراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج إلى نقل صريح عنهم بأن ذلك ليس بواجب وأنى
يوجد ذلك وأما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي هذه المسألة جدا فلا معنى له وأي شناعة في ذلك ولم يخالف
فيه نصا ولا إجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب أن القائل
بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة التي هي رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها
والثناء عليه أولى بالتشنيع وأما نقله الإجماع فقد تقدم ما فيه وأما قوله إن الشافعي اختار تشهد ابن مسعود
فلم يقل به أحد والشافعي إنما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي إن شاء الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم
وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم
من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قلت ومما يعد من كرامات إمامنا الشافعي وسره البارز أن القاضي
عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير أن يطعن في سنده بعد قوله فصل في المواطن التي
يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء
وهذا الحديث كما ترى من أعظم الأدلة لنا فإن قال قائل ليس لكم فيه دلالة لأنه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته
ولم يقل في تشهده يجاب بأنه يلزم على هذا أن القاضي عياضا ساقه في غير محله لأنه عقد الفصل كما قدمته
لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة
ابن عبيد هذا ما يدل على أنه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه وفي قوله
عجلت إشارة إلى فوات الكمال عن الحقيقة المجزئة إذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الأمر
فإن قال إنه في مقام تعليم المستحبات إذ لو كان في الواجبات لأمره بالإعادة كما أمر المسيء صلاته أجيب بأن في
قوله هذا غنية عن الأمر بالإعادة لأنه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا أنه لم يأت به أولا فلم يكن آتيا به فوجب
إعادته وهم أهل الفهم والعرفان فإن قال إن قوله فقعدت يحتمل أن يكون عطفا على مقدر تقديره إذا صليت
وفرغت فقعدت للدعاء فاحمد الله يجاب بأن الأصل عدمه وإنما هو عطف على المذكور أي إذا كنت في الصلاة
فقعدت للتشهد فاحمد الله أي أثن عليه بقولك التحيات لله إلى آخره والله أعلم وقال الجرجاني من الحنفية
وغيرهم لو كانت فرضا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة لأنه عليه السلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء
ما شاء ولم يذكر الصلاة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقي

في شرح الترمذي قد ورد هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير ونحوه للتراخي فدل على انه كان هناك شي بين التشهد والدعاء
انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة ابن النقاش في تفسيره في الانتصار للشافعي في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله تعالى
يثيبه على قصده الجميل وأما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة
فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود
والنسائي فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على ال ابرهيم اجاب القاضي عياض بان
الال مقحم كما في قوله عليه السلام في ابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له ال مشهور من جنس الصوت
وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما قال قلت يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك
حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد
ابن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك
ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابرهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به
والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من ال ابرهيم ومن ابرهيم ولا سيما وقد اضيف اليه
ال محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة له افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلماء عنه
باجوبة كثيرة منها انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابرهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك ابرهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه
بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه
انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو
كقول القائل احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه
فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد وتعقب بان غير الانبيا لا يمكن ان يساووا الانبيا فكيف تطلب لهم
صلاة مثل الصلاة التي وقعت لابرهيم والانبيا من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم
لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب
عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا
الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قاله وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب
المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على ال محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية

ومنها

ومنها دفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون
التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن
لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا
لما كان تعظيم ابرهيم وال ابرهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد
وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابرهيم وال ابرهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين
اي كما اظهرت الصلاة على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابرهيم دون
ذكر ال محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وهذا
معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر
وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة او المجموع بالمجموع
وقال ابن القيم بعد ان زيفها لكن الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله
عليه وسلم هو من ال ابرهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال
ابرهيم وال عمران على العالمين قال محمد من ال ابرهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى ال محمد خصوصا
بقدر ما صلينا عليه مع ابرهيم وال ابرهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد
مما لغيره من ال ابرهيم ويظهر حينئذ فائدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره
من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت ابرهيم رحمت الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد من اهل بيت ابرهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة
الذين قالوا ذلك في محمد وال محمد كما اجبتها عندما قالوها في ال ابرهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم بما ختم
به الاية وهو قوله انك حميد مجيد ومما يعزى للعارف الرباني ابي محمد المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه
وسلم كما صليت على ابرهيم وكما باركت على ابرهيم ولم يقل كما صليت على موسى عليه السلام لان موسى عليه السلام
كان التجلي له بالجلال لان المحبة والخلة من اثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم صلى الله عليه وسلم ان يصلوا عليه كما
صلى على ابرهيم ليسالوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما
لانه انما امرهم ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث اشتراكهما
في الوصف الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال
لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده
ورتبته ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا صلى الله عليه وسلم
بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى فان قلت ما المراد بال محمد في هذا الحديث فالجواب
ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه السلام
للحسن بن علي انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة
امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين
بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرا ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما
ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيحين كحديث ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين

بالجلال فخر موسى صعقا
والخليل ابرهيم عليه السلام
كان التجلي له صح

محمد

انتهى ملخصا وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل
كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان ياتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي
عن المروزي انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ
ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل بدل سهى وقال الاذرعي ابراهيم ع
ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل
على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينهما فقال ما في الحديث واضاف اليه اثر
الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها
ذكرا يحصل به البر لكان حسنا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة
فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو
قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد ع
انتهى وسياتي ما في ذلك من البحث ان شا الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي
ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعا وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس
الا الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام
ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنيات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بنا الناس بناه واكرم مثواه لديك
ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا
الحافظ ابو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله داحي المدحوات
اي باسط الارضين وكل شي بسطته ووسعته فقد دحوته وباري المسموكات اي خالق السموات وكل
شي رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ
من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهي
القوة واورى قبسا لقابس اي اظهر نورا من الحق لطالبه والا الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك
القبس وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المومنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام والنايرات والمنيرات الواضحات بيان اثار الشي وانار اذا وضح
وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيمة وبعيثك نعمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول والفتح

لك اي يتسع له في عدنك اي في جنتك وجنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان
عطاه مضاعف كانه يعل به عباده اي يعطيهم عطا بعد عطا واعل على بنا الناس وفي رواية البانين اي ارفع
فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخا المعجمة الامر والقصة والفصل
القطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه
ابن ماجه وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال
اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن
لم يخرجوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واعطه سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى رواه اسمعيل القاضي قال ابن كثير
واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهي
واجبة فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل هي سنة تابعة
وفي استحباب الصلاة على الال في التشهد الاول القولان وفي وجوبها في الاخير روايتان اصحهما المنع بل هي سنة
تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال وآله وقال في الكفاية باعادة على
ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا تصح خطبة الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب
ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام
احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو
داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجا وان كان محقق الوقوع ادبا وارشادا
وتعليما منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكون الطالب للشي بين الرجا والخوف وقوله
حلت عليه شفاعتي وجبت وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث
يعادم
الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم ار في شي من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة
عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة قال وكان من زادها اغتر بما
وقع في بعض نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كانها اشار
الى الشك فيها ولم ارها في سائر نسخ الشفا بل في الشفا عقبها فصلا في مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا
وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول الدعا واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شرابه شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبي الحوراء عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك إن شاء الله تعالى ومنها أثناء تكبيرات العيدين لما روى إسماعيل القاضي أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن قال ابن كثير إسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فإن السنة أن يقرأ الفاتحة بعد إحدى التكبيرات وبعد الأولى أو وأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا والمروة لما روى إسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب أنه قال إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير إسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وروى إسماعيل القاضي عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني من حديث أبي الدرداء مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الأذن لحديث أبي رافع عند ابن السني مرفوعا إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشيء لحديث أبي موسى المديني بسند فيه ضعف عن أنس يرفعه إذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه إن شاء الله ومنها عند العطاس كما ذهب إليه أبو موسى المديني وجماعة وخالفهم في ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالأكل والشرب

والوقاع

والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وورد الأمر بالإكثار منها يوم الجمعة وليلتها عن أوس بن أوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعني وقد بليت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة لكن في إسناده ضعف فإن قلت فما الحكمة في خصوصية الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها أجاب ابن القيم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة وأعظم كرامة تحصل لهم فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم على يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته وأما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في أحاديث كثيرة قوية لم يخرج البخاري منها شيئا أمثلها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد أحدا يتبعه فأتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك فقال إنه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر رواه أحمد وابن ماجه من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك أو ليكثر رواه أحمد والتخيير بعد الإعلام بما فيه الخيرة في الحث عليه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي أن أبي بن كعب قال يا رسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وإن

وروى ابن عساكر من صلى علي عند حجري سمعته

زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذاً تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن هذا ما يتعلق بالصلاة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل لورود الامر بهما معاً في الآية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وتوفي عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلاً اما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فانه يكون ممتثلاً وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا علياً وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحاً لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اليه ابن كثير واما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبياء الله واخرج اسمعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء الله واخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان بن حكيم عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي على احد من احد الا النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكى القول به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج بان الصلاة دعاء بالرحمة فلا يمتنع الا بنص او اجماع واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع واما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعاراً للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحاً كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزاً جليلاً لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعاراً لآل ابي اوفى وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم

فلا

فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه السلام وآله وقرابته واهل بيته وذريته

قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه اعلى بركته من انتمى اليه نسباً او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسالكم عليه اجراً الا المودة في القربى وروي انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الآية فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في هذه الآية نص في دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن وفي هذا نظر فانه قد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك وروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى علياً وفاطمة فاجلسهما بين يديه واجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساءه ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وحامتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً رواه ابن جرير ورواه احمد في المناقب والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال

واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلث مرات فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل
بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل
علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم وللاخذ
هذا الحديث اخرى وليس المراد بالاهل الازواج فقط بل هم مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي
صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم
علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء
خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد
بالآل في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل
السابق والله اعلم ولله در القائل شعر يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له * واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث
زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما
وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه انه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول
احفظوهم ولا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها مما طلبته
من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايمان لانه عليه السلام شرط الاحبية له
على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت
لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القائل شعر رايت ولائي آل طه فريضة
على رغم اهل البعد يورثني القربى * فما طلب المبعوث اجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى
وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي
وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا
فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافئ له في القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب
ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم او راه من ذكر وانثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن
وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر
ابن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده
يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله
والحرث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه
تموا بتمام فصاروا عشرة * يا رب فاجعلهم * ويقال ان لكل منهم رؤية وكان من الاناث ام حبيبة
وآمنة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومعتب بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان رفع

امية

امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت تحت المقداد بن الاسود
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث والهند بن الحرث هذا
ربيعة وكان يلقب ببه بموحدتين الثانية ثقيلة وامية واروى وعاتكة وصفية بنات عبد
المطلب اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات الخلاف وفي البخاري من حديث سعد بن ابي وقاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون
مني بمنزلة هرون من موسى اي نازلا مني منزلة هرون من موسى والبا زائدة وقال الطيبي معنى الحديث
انت متصل بي نازل مني منزلة هرون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف
ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما
كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما
ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هرون كان خليفة
موسى فاجيب بان هرون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار
الى ذلك الخطابي واما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي يعني بذلك ولاء
الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى
كل مؤمن اي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها
صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد اذاني خرجه احمد واخرج المخلص
الذهبي من احب عليا فقد احبني وقد ذكر النقاش ان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا نزل في علي وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا واهل بيته قال ابو حيان
في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي
لزينب ابن اسحق النصراني الرسعني عدي وتيم لا احاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه * اذا ذكروا في الله لومة لائم * يقولون ما بال النصارى تحبهم
واهل النهى من اعرب واعاجم * فقلت لهم اني لاحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم
وقالت عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي احب
الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكي
ضمها وكسرها ايضا وبسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفي الترمذي
من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني
احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة زاد ابو حاتم فما كان
احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما
رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في
المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جينا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادع لي ابني
قال فاتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه
ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه
وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة

رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية من حيث المقام
بل من جهة رفع الحجاب نظير ما تقدم نحوه في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في
المقصد السادس وفي حديث ابن زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن
من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام
يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد وعن عقبة بن الحرث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو
يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس قال لم يكن
الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري وعارضه من رواية الزهري
عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد
الثالث واجيب بانه يحمل النفي على عموم الشبه والمثبت على معظمه وقول انس لم يكن احد
اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عن انس المتقدمة كان الحسين
يعني اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في
حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في
رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن
ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان
من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى
الصدر والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عد ممن كان له شبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر
اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السائب
ابن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة
رجل من اهل البصرة وجه اليه معوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهؤلاء
عشرة ونظمهم شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سائب وابي ... سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ... ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين والمراد بالشبه الشبه في البعض والا فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم
منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله ولجاده

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما اشرت اليه في المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق الحسن على
عاتقه المشعر بالاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لاسيما وفي
قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث
ذكر الشبه الكريم جرني الكلام اليه وهذا وقع لي كثير في هذا المجموع لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من
سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده

لا يدخل

لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل
صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان
الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان القلب محل المحبوب والايمان
التصديق القلبي يجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الآخر ثم علل هذه المحبة
بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضو وعصبة ثم عظم
مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما
عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع
نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد انتهى وجلله عليه السلام وبنيه
بكسائه ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده
رواه الترمذي وقال حسن غريب وزاد ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة
الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري اياهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة
ولا باب الا امن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني
وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر صاحب الطبري والبغوي وروى الدارقطني انه
صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن الحرث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار واعلم انه قد
اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آل النبي عليه السلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو
القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم اهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم
الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل
بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما
اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي
الاهل الادنون واما الذرية فالنسل فاولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود
الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف
وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والسوار رداء الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف
وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم
والسبب في ذلك كما قيل ان المامون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا اخضر والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار
العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود في آخر الامر ثم انثنى عزمه
عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعارا للاشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر
توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن فقال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بابناء العمر

ومنها امر السلطان الاشرف ان يمتازوا عن الناس بعصايب خضر على العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله ابن جابر الاندلسي ۞ جعلوا لابناء الرسول علامة ۞ ان العلامة شان من لم يشهر ۞ نور النبوة في كريم وجوههم ۞ يغني الشريف عن الطراز الاخضر ۞ وللاديب شمس الدين المزين الدمشقي ۞ اطراف تيجان اتت من سندس ۞ خضر باعلام على الاشراف ۞ والاشرف السلطان خصصهم بها ۞ شرفا ليعرفهم من الاطراف ۞ والاشرف هو الملك شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون

واما الصحابة رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة بين تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على وصف جميل ثم ثنى بالثنا على اصحابه فقال والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهولاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فراخه فازره اي شده وقواه فاستغلظ شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من العلما والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي ثنا الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه او راه من الكفار بل ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه او راه مومنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن امية ابن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شي اغضبه وقد اخرج له احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه

انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما راه او يكتفي بمجرد حصول الروية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة **واما** التقييد بالروية فالمراد به عند عدم المانع منها كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي بلا خلاف قال الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من راى النبي هل المراد راه في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله بن منده وكذلك لو راه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد راه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملايكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن راه في قيد الحياة الدنيوية اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق ان يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاوليا فراه صلى الله عليه وسلم كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من راه في المنام وان كان قد راه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امر به في تلك الحالة **وقد** اجمع جمهور العلما من السلف والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان **واختلفوا** في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرنه

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني
آدم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم وقد ضبط الائمة من الحفاظ
آخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه
وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق
لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد
وفي رواية مسلم أرأيتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش
ابن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذاك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه
بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة واما ما ذكر ايضا من امر بابا رتن ونحوه فان ذلك فان ذلك لا
يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة وآخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد افرده
ابن منده واما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع
التابعين ومقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل من التابعين وان التابعون افضل من اتباع التابعين
لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك
في خصائص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير
ام آخره قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي
شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح آخرها وروى ابو داود
والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه تأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال
بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير
الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة وايضا فالاجر انما يقع تفاضله
بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة
فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله احد في
الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فحصل الترجيح يتحقق
بمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تأويل الاحاديث
المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج
وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار
وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متأخري
المهاجرين واما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متأخر في الاسلام
افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات
ومن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل
خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف
في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فبايعه لذلك جماعة من اهل مكة الطبقة الثالثة الذين
هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين من اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد
الطبقة الرابعة اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة واصحاب العقبة
الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر وقد تقدمت اسماء اهل العقبتين في المقصد الاول الطبقة
الخامسة اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام
وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل ان يبني المسجد وينتقل الى المدينة الطبقة السابعة اهل
بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع
على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين ها جروا
بين بدر والحديبية الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم الطبقة العاشرة
الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال
الحافظ زين الدين العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقب خيبر بل في آخرها الطبقة الحادية عشر
الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طائعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله
اعلم بهم الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع
وغيرهما كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال واما عدة اصحابه صلى الله عليه
وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان
مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة
تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن
قد ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين في
اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين الفا والى تبوك في سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف
واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر
ثم عمر رضي الله عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر
ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا
وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم
حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه
عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره
وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم
علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على الآخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة
وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله

هو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر
ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة
وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية
ابي بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومرجعها
ومستندها ان هولاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة
وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة
يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن
سعيد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان
في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص فعد هولاء
التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة
يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
وجه ههنا فخرجت في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب
فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجا ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر
فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ايذن له وبشره
بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف
عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به
فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك فقال ايذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت
فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان فقلت على
رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ايذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت
ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه
من الشق الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه
البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحرث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجا ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبري وفي حديث
ان نافع بن الحرث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل على تكرر القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر
عدم التعدد وانها عن ابي موسى ووهم القول بغيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ٭ بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ٭ ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وقال ابو الوليد بن الشحنة

اسماء عشر رسول الله بشرهم ٭ بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ٭ بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد في الخلفاء

الاربعة

الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا اجاب
شيخ الاسلام الولي ابن العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية
فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين
اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه
فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم
عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ
المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل
لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية
لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى وقد روى الطبراني في الرياض وعزاه
للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة
والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته
من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني
وصدقوا بي واحبوني حتى اني لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انما نحن اخوانك قال لا
انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول عليه
السلام كال بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام
علامة محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وكره
وابغض من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب
آل بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات
ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشى على سننهم وادابهم واخلاقهم
والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد
اثنى عليهم الله تعالى في الكتاب المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة امروا
ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم [illegible]
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره ومما
يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب صفحا عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا و
ان يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج للمنازعات
والمحاربات فلها محامل وتاويلات فسبهم والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة
رضي الله عنها والا فبدعة وفسق قال عليه السلام يا ايها الناس احفظوني في اختاني واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة
احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي
من احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله فيوشك ان ياخذه
رواه المخلص الذهبي وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب في حبهم

والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم كفر لانه اذا كان بغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع والحديث السابق لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا دال على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقعا عليه وواصلا اليه صلى الله عليه وسلم وقد روي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه خرجه تمام في فوائده وقال مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضي عياض من ابغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق وقال ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات

اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه او قطرة مما افاضه الله تعالى عليه من سحائب عوارفه وانت اذا تاملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه واخباره بانباء القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الآخرة وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال الانبياء واممهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما افاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف المعارف الحقائقية القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف بالنسبة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد قضيت بان مجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد ينقطع دون نفاده الابلا وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا يكدره الدلا وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات

اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من اصحابه لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند راسه فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وابي داود قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا وفي حديث ابي موسى عند البخاري مرفوعا اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني وعنده من رواية البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل ان يكون الامر على الوجوب بمعنى الكفاية كاطعام الجائع وفك الاسير ويحتمل ان يكون للندب على التواصل والالفة وعن الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته ويسن فيمن يراعى حاله ويباح

فيما

عيادة الارمد

فيما عدا ذلك واستدل بعمومه له عود المريض على مشروعية العيادة في كل مريض لكن استثنى بعضهم الارمد وزاد انه يتجافى عيادة الارمد بخصوصها حديث زيد بن ارقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرجه البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى بن ابي كثير ويؤخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحياء بانه لا يعاد الا بعد ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجه عن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاث وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من توضا فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة وعند احمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشيع ذلك فصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب التطبب باعلاج الذمي من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى يجازي القائل

لعن النصارى واليهود لانهم بلغوا بمكرهم بنا الآمالا خرجوا اطباء وحسابا لكي يتقسموا الارواح والاموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب نفسه بربك مثل ان يقول له لا باس عليك طهور ان شاء الله ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح من ذلك قلبه وامن من خوف ذلك ونحو ذلك قال بعضهم وفي هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويتساعد على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تاثير الطبيب ولتفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفاء علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش

قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ويسرهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان
صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر
له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضأ وصب
على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا باس عليك طهور ان شاء الله
وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على
المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة
بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو وعند ابن السني بلفظ
كيف اصبحت او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان واما
طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله
الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه
وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه مجتنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا
سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه ما جاء في المنقول عنه
صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته
ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا
والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها
واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل عند الحاجة اليه
فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها
هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب
مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة واذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب
في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا
وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والمعصية والبدن والدنيا
والاخرة ما لا يعلمه الا الله ومنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور
وللامام الشافعي شكوت الى وكيع سوء حفظي فارشدني الى ترك المعاصي وقال اعلم بان العلم نور ونور الله لا يعطى لعاصي
ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في
قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده
مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا
ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر
ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن
ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق بركته ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب وقيل
تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هو حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك
ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها
وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية

تورث

تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ومنها انها تزيل النعم
وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القائل
اذا كنت في نعمة فارعها ... فان الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم
ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه واخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت
ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة
والاخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك
القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن
ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره
واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض
وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف يكون صحته وبقاؤه وقد احسن القائل
جسمك بالحمية حصنته ... مخافة من الم طاري
وكان اولى بك ان تحتمي ... عن المعاصي خشية الباري
فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع
للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث انس الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار
فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل
فطر الله عليه الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب
ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة
وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع
قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة
فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي تنقيص ما يضر بالبدن زيادته
او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد
اشير الى الثلاثة في القرآن فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك
ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض
والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء
البارد وقال تعالى في آية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه
وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه
اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت
الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ
تؤذي احتباسه فقد ارشد تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث

عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء إلا أنزل الله له شفاء
وأخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء وعند أحمد
من حديث أنس إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الأدب المفرد وأحمد
وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله
فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ إلا السام وهو بمهملة مخففا يعني
الموت أي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثنى الهرم في الرواية الأولى إما لأنه جعله
شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة أو لقربه من الموت وإفضائه إليه ويحتمل أن يكون الاستثناء
منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولأبي داود عن أبي الدرداء رفعه إن الله جعل لكل داء دواء فتداووا
ولا تداووا بحرام وفي البخاري أن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وفي
مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى فالشفاء متوقف على إصابة
الداء بإذن الله تعالى وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع بل ربما أحدث
داء آخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب أهل البيت ما من داء إلا وله دواء فإذا كان
كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء
فإذا أراد الله برءه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود
رفعه إن الله لم ينزل داء إلا أنزل الله له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه أبو نعيم وغيره وفيه
إشارة إلى أن بعض الأدوية ~~التي لا يمكن طبيب معرفته~~ لا يعلمها كل أحد وأما قوله لكل داء دواء فيجوز أن يكون
على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة والأدواء التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها أدوية
تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليها سبيلا لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله ولهذا علق صلى
الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء فإنه قد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه
بعد ذلك الداء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها
ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا لكن يريد الله
أن لا ينجع وهنا تخضع رقاب الأطباء وفي مجموع ما ذكرناه من الأحاديث الإشارة إلى إثبات الأسباب وأن
ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء
بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب القصاص
هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من أين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق
ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم
من استرقى أو اكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال يدخل
الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب وأما سواهم من المتوكلين فمباح لهم التداوي والاسترقاء والكي
المكروهة في الشريعة أو الكي وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي وهو معرض عن فعل الله تعالى وأن الله
من عنده وأما إذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا إلى رب الدواء ويتوقع الشفاء من الله تعالى
وقصد بذلك استعمال بدنه إذا صح لله وإتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص
التداوي منه شيئا إذ لا يفعل سيد المرسلين إذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين أن التداوي
لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها

قدرا

قدرا وشرعا وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة وحكى ابن القيم أنه ورد في خبر إسرائيلي
أن الخليل عليه السلام قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما بال الطبيب قال
رجل أرسل الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب
وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق
قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية
وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى
التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فإن قلت ما المراد بالإنزال في قوله في الأحاديث السابقة
إلا أنزل له دواء وفي الرواية الأخرى شفاء فالجواب أنه يحتمل أن يكون عبر بالإنزال عن التقدير ويحتمل
أن يكون المراد إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وأين يقع طب حذاق الأطباء الذي
غايته أن يكون مأخوذا من قياس أو من منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى إلى
رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الأطباء من الطب إلى هذا الوحي كنسبة
ما عندهم من العلوم إلى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليه
عقول أكابر الأطباء ولم تصل إليها علومهم وتجربتهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب
واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانطراح بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار و
والإحسان إلى الخلق والتفريج عن المكروب فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا
لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا
تفعله الأدوية الحسية ولا ريب أن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة
وطب غيره أكثره حدس أو تجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من
ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول وأظهر الأمثلة في ذلك القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ومع ذلك فقد
لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق إلا رجسا إلى رجسه
ومرضا إلى مرضه فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة ه
والقلوب الحية فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع وكان
علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة أنواع أحدها بالأدوية الإلهية الروحانية والثاني بالأدوية الطبيعية
والثالث بالمركب من الأمرين النوع الأول في طبه عليه السلام بالأدوية الإلهية اعلم أن الله تعالى لم ينزل من
السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدأ القلوب جلاء
كما قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الإمام فخر الدين ليست
للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضا من الأمراض
الجسمانية أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر وذلك لأن المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة
وأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقرآن مشتمل على دلائل
المذهب الحق في هذه المطالب وإبطال المذاهب الباطلة ولما كان أقوى الأمراض الروحانية هو الخطأ في هذه
المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القرآن شفاء
من هذا النوع من المرض الروحاني وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من

المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضله والاعمال المحموده فكان القران شفاء من هذا النوع من المرض فثبت
ان القران شفاء من جميع الامراض الروحانيه واما كونه شفاء من الامراض الجسمانيه فلان التبرك بقراءته يدفع
كثيرا من الامراض واذا اعترف الجمهور من الفلاسفه واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهوله والعزايم التي
لا يفهم منها شي اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا تكون قراءة القران العظيم المشتمل على ذكر
جلال الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملايكه المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين
والدنيا ويتاييد ما ذكرناه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ونقل عن
الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه
الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفاء
فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين
وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمومنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالماء
وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع
والبرهان الرفيع وتامل قوله عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفاء صدري
اي فيكون له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث علي عند ابن
ماجه مرفوعا خير الدوا القران وههنا امر ينبغي ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار
والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل
وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع
فيه الدوا كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا
وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن
به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة
موثرة اثر في ازالة الدا وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد
يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم
اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعا واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب
واستيلا الغفلة والسهو واللهو وقد روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه ومن
انفع الادوية الدعا وهو عدو البلا يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المومن
واذا جمع الدعا حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل
الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثنا
على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والالح في المسالة واكثر
التملق والدعا والتوسل اليه باسمايه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم كان هذا الدعا لا يكاد
يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم
ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه في كل ما ينوب الانسان واما الرقى فاعلم ان
الرقى بالمعوذات وغيرها من اسما الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل

الشفا

آيات الشفا

وجلاء حزني

شرط اجابة الدعا

الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من حديث عايشة
انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس
المعوذات والاخلاص فيكون من باب التغليب او المراد الفلق والناس وما كذلك كلما ورد من التعوذ
في القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود
والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها
الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو
منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ
من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا
يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما
اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلما على
جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان تكون باسما الله تعالى واسمايه وصفاته وباللسان العربي او
بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها
شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية
فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى اذا لم يكن فيها شرك وله
من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجا ال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله
انه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه فقال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع
اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها
لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يودي الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يومن ان يودي
الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقالت قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث
عمران بن الحصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية
فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكها في كونها تنشا عن احوال شيطانية
من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود
من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث اخر والاذن ولابي داود من حديث الشفا بنت عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب
وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر معنى الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم
المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلا والماذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي
وغيرهما واخرج ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمايم والتولة شرك
والتمايم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات
والتولة بكسر المثناة وفتح اللام والواو مخففا شي كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان
باسما الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سياتي ان شا الله تعالى ولا

خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وفيما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني آدم فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله واسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الامة وقال القرطبي الرقى ثلثة اقسام احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او باسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى والتبرك باسمائه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان يرقي بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله انتهى وفي الموطا ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم

رقية الذي يصاب بالعين

قال روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب بان طبايع الاشياء تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهواء الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص اخر وهل ثم جواهر خفية اولا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جائز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة انتهى وهو كلام

سديد

استشفيت بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسماء بنت عميس مثل ما ذكر الترمذي ه وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه حار جار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له ان البحاسي ذكر في كتابه المسمى بالفصل الى الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي الترمذي وسنن ابن ماجه من حديث ابرهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم فشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطباء من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها واما السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دواء شريف مامون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سوداء على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل هو الرازيانج وقيل انه الشبث وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطباء وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على الاسهال

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود

وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى ابو داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال انك رجل مفؤود فات الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب

في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاضلاع وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع فيحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة اعراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيئ الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات

الجنب الحقيقية أيضًا إذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط البلغمية العلة ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن أنس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم
فاجتووا المدينة فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من ألبانها
وأبوالها فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان
واعلم أن الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها إما الأعضاء الظاهرة كلها
وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط وأقسامه ثلاثة لحمي وهو أصعبها وهو الذي
يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الأعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الأسفل مادة
مائية رديئة يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو أردى أنواعه عند أكثر الأطباء وطبلي
وهو الذي تنتفخ معه البطن بمادة ريحية إذا ضربت عليه سمعت له صوتًا كصوت الطبل وإنما أمرهم عليه
السلام بشرب ذلك لأن في لبن اللقاح جلاء وتليينًا وإدرارًا وتلطيفًا وتفتيحًا للسدد إذ كان أكثر رعيها
الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء خصوصًا إذا
استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فإن ذلك مما يزيد في
ملوحته اللبن وتقطيعه الفضول وإطلاقه البطن وأما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل أن بعض
الناس مرض بمعدته فرأى الشيخ الجليل أبو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو أن
يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتًا بالمصطكا بعد دقهما ويجعل فيها سبع حبات
من الشونيز يفعل ذلك سبعة أيام ففعله فبرئ ومرض بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني أيضًا
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وفيه أوقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها أنيسون
ونصف أوقية من النعنع الأخضر ومن القرنفل درهم ومن القرفة نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من
الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ ومرض آخر بسلس الريح فرأى الشيخ المرجاني أيضًا النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يشير بهذا الدواء شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الأبيض ثلاثة دراهم
ومثله من السعتر الشامي ومثله من الكلبثا ووزن درهم من البلوط وهو ثمرة الفؤاد وأوقية من الزبيب
المربى يجعل فيه من العسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق
وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرئ ثم رآه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم
لذلك الشخص الذي أخبره بهذا الدواء إنه ينفع لأدواء وهي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد
وألم الحيض وألم النفاس ولتعقد الرياح والزبيب المربى صفته أن تأخذ شيئًا من الزبيب الطيب وتجعله
في آنية نظيف وتحركه بعود وتقرأ عليه الإخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخر السورة وحصل لآخر
قولنج فرأى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم فأشار بهذا الدواء وهو أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم
ونصف من الزبيب المربى وإحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم
ففعل ذلك حتى برئ وتعمل له التلبينة ويستعملها بعد أن يفطر على ذلك والتلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة
وربما عمل فيها عسل ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج أو لحم الضأن ففعله فبرئ بعد أن أعيا الأطباء ومرض

الدواء

آخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل
وشونيز ودهن الإلية والزيت المربى ورقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع ويذر عليه دقيق
العدس بقشره مع الحرمل بعد ما يدق دقًا ناعمًا حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ وشكى بعض الناس
الدوخة في رأسه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فأشار إلى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وجوزة طيب
وسنبل من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فإذا
قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبًا عليه ففعله فبرئ انتهى وهذا وإن كان
منامًا فقد عضدته التجربة مع إرشاد الشيخ المرجاني لذلك ه ذكر طبه عليه السلام من داء عرق
النساء وهو بفتح النون والمد والمراد به المرض الحال بالعرق والإضافة فيه من باب إضافة الشيء إلى محله
قيل وسمي بذلك لأن ألمه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي إلى آخر القدم
وراء الكعب وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا ألية شاة أعرابية
تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه وهذا الدواء
خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم وهو أنفعه لهم لأن هذا المرض يحدث من يبس وقد
يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالإسهال والألية فيها الخاصيتان الإنضاج والتليين وهذا
المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين وفي تعيين الشاة الأعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ه
ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لأنها ترعى أعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما
وهذه إذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد أن يلطفها بتغذيه ويكسبها مزاجًا ألطف منها
ولا سيما الألية ذكر طبه عليه السلام من الأورام والجراحات بالبط والبزل يذكر عن علي رضي
الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله
بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ه ذكر طبه
عليه الصلاة والسلام بقطع العروق والكي روى الشيخان من حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه
وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع له عرقًا وكواه عليه وأخرج مسلم عن جابر قال رمي سعد بن معاذ
في أكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن أنس قال كواني أبو طلحة في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم وعند الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران
ابن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية أن الذي كان انقطع عني رجع
الي يعني تسليم الملائكة وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي
فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا الحديث وإنما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به ولهذا
وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد
والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في أمثالها آخر الدواء الكي والنهي فيه محمول على الكراهة أو على خلاف
الأولى لما تقتضيه مجموع الأحاديث وقيل إنه خاص بعمران لأنه كان به الباسور وكان موضعه خطرًا
فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل
فيه لم يتوكل من اكتوى لأنه يريد أن يدفع القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح إذا نغل والعضو إذا
قطع فهو الذي شرع التداوي له فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار
لأمر غير محقق وحاصل الجمع أن الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على أن تركه أرجح من

الشيخ ح

جوزة

بط الجراحات والخراجات

فعله ولذا وقع الثناء على تاركه وأما النهي عنه فإما على سبيل الاختيار والتنزيه وإما عن ما لا يتعين
طريقا إلى الشفاء وقال بعضهم إنما نهي عنه مع إثبات الشفاء فيه إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم الداء
بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء فيتعجل الذي
يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون قال في فتح الباري ولم أر أثرا صحيحا أن النبي صلى الله عليه وسلم
اكتوى إلا أن القرطبي نسب إلى كتاب آداب النفوس للطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره
الحليمي بلفظ روي أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة
أحد أن فاطمة أحرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
من الطاعون قال الخليل الطاعون الوباء وقال ابن الأثير الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد
له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان وقال القاضي أبو بكر بن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي
يطفي الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال أبو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس
في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس وقال القاضي عياض أصل الطاعون القروح
الخارجة في الجسد والوباء عموم الأمراض فسميت طاعونا تشبيها بها في الهلاك وقال النووي في
تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة بنفسجية
كدرة ويحصل معه خفقان وقيء ويخرج غالبا في المراق والآباط وقد يخرج في الأيدي والأصابع
وسائر الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع
الرخوة والمغابن من البدن وأغلب ما يكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة وسببه
دم رديء يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة
فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع والغثيان
وأرداه ما يقع في الأعضاء الرئيسة والأسود منه قل من يسلم منه وأسلمه الأحمر ثم الأصفر والطواعين
تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس وأما الوباء فهو فساد
جواهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب
الدم إلى عضو فيفسده وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق
المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت والدليل على أن الطاعون يغاير الوباء أن الطاعون
لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وقال بلال أخرجونا
إلى أرض الوباء والطاعون من طعن الجن وإنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يدرك بالعقل
وإنما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون
من طعن الجن وإنما لم تعرض الأطباء وقوعه غالبا في أعدل الفصول وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء
ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى وهذا يذهب أحيانا
ويجيء أحيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما أبطأ سنين وبأنه لو كان كذلك لعم
الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم مما هو في مثل
مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد لا يجاوزه ولأن فساد الهواء دون موضع
يقتضي تغيير الأخلاط وكثرة الأسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل على أنه طعن الجن كما ثبت
في الأحاديث الواردة في ذلك منها حديث أحمد والطبراني عن أبي بكر بن موسى الأشعري قال سألت عنه

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة قال شيخ الإسلام الحافظ
ابن حجر يقع في الألسنة وهو في النهاية تبعا لغريبي الهروي بلفظ وخز إخوانكم ولم أره بلفظ إخوانكم
بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنثورة
وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد والطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد
منها فالله أعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا
عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما منها
أن الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا
يفيده الفرار لأن المفسدة إذا تيقنت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها
أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره ضائع المصلحة لفقد من
يتعهده حيا وميتا وأيضا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد
قالوا إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخذلانه
في وقد جمع الغزالي بين الأمرين فقال الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق
فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن فالخارج من البلد الذي
يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف إلى ذلك أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون
من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الأطباء أن المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة
تكيف مع أهله بهواء تلك البقعة فتألفها وتصير لهم كالأهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة
لم توافقهم بل ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة الرديئة التي حصل تكيف بدنها
بها فأفسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها أن الخارج يقول لو أقمت لأصبت والمقيم يقول
لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن أبي جمرة البلاء إنما يقصد به أهل البقعة
لا البقعة نفسها فمن أراد الله تعالى إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فأين ما توجه يدركه فأرشدنا
الشارع إلى عدم النصب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض
التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فإن في الدخول في الأرض التي هو فيها
تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه وإعانة الإنسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب
الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله تعالى إليها وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية
وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان أحدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه
والصبر على أقضيته والرضا والثاني ما قاله أئمة الطب أنه يجب على من كان يحترز من الوباء أن يخرج
عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من أرض الوباء
والسفر منها لا يكون إلا بحركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام أفضل المتأخرين من الأطباء فظهر المعنى
الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى ذكر طبه عليه السلام
من السلعة أخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد أذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن

اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنه وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوباء فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للناس على شدة حر جهنم النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفئوها بهمزة قطع امر بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكي كسر الراء وفي رواية ابن ماجة بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال ابردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم واخبرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن ان الذي حمل من قال المراد به الصدقة انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه الى الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد عليه السلام استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امر العائن بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الاخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسماء التي هي

ممن

ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواؤه في ساعة فيصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به او لغيره في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع الله عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي ثلثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لانها تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلث وان كان تعلقها بالاعضاء الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية سوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا يحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا خصب اللحم خصب البدن في احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه في وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد ذكر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالماء يستنقع في نهر جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلث غمسات ثلثة ايام فان لم يبرا في خمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه **ذكر طبه** عليه السلام من حكة الجسم وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية ~~رخص النبي صلى الله عليه وسلم~~ ان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فرخص

لهما في الحرير لقراية عليهما في غزاة وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام في حرير وفي رواية رخص او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا للقمل وما في معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكمة فيه لخاصية فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفي وملابس الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما تقدم لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه السلام لما في لباس الحرير لمداواة الحكة

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوة قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمراة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة على كاهله وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتتبعه في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله تعالى فضلا وشرفا

النوع الثالث في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية

ذكر طبه عليه السلام من القرحة والجرح وكل شكوى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا خبر مبتدا محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال

النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به موضع العليل او الجريح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم الجائع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء آثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليأمن من مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته منه من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشأته وقال النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي

ذكر طبه عليه السلام من لدغة العقرب عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقا صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقرأ بهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك

ذكر الطب من النملة وهي بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب وسمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي

صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي في الجاهلية واريد ان اعرضها
عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس
رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق
وتطليه على النملة ذكر طبه عليه السلام من البثرة روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين اصبعين من اصابع رجله ثم قال
اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفئت ذكر طبه عليه السلام من حرق النار روى
النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي
امي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي
ويتفل ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده
فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن
التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا
صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الما لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اوايل هذا المقصد
وقد ذكر بعض افاضل الاطبا راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض
والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب
من ابتدا المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن هضمها
لعدم القوة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز
وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من
الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد
يضربه التمر وعن ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
علي وهو ناقه من مرض ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها فطفق النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى
الله عليه وسلم من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجه وانما منعه صلى الله عليه وسلم من اكله من
الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه
فيه ما الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية قبل الداء
تمنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح
اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشي اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن
هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما
يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدوا ولهذا اقر النبي صلى الله
عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم انها لا تضره ومن هذا الحديث يعني حديث
صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع
واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره
وكذلك بالعكس ذكر حمية المريض من الما عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الما قال الترمذي حديث حسن غريب
وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس اقلوا من شرب الما لاستقامت ابدانهم وللطبراني في الاوسط
عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الما على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف
ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من
حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا اخرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه
الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في
البلاد والاوقات الحارة دون البارده وفي الاواني المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما
واستثنى النقدان لصفايهما وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض
والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال الحرارة فلو برد زالت
الكراهة في الاصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب المهذب كما قاله
الجيلي ان يكون راس الانا منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها
وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية وان قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه
لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب
استعماله واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص ذكر
الحمية من طعام البخلاء عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام
الاسخيا شفا رواه التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام ذكر الحمية من داء
الكسل روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه راه مضطجعا في الشمس قال
يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين
ذكر الحمية من داء البواسير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه
حقن خلاء فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب
يا عباس الثاني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في انا احدكم
فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه شفا وفي الاخر دا او في رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي
فيه الدا فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر الشفا وفي قوله كله رفع توهم المجاز
في الاكتفا بالبعض قال شيخ شيخنا لم يقع لي في شي من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفا من غيره
لكن ذكر بعض العلما انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفا
واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل وسنده
لا باس به قال الجاحظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد من العفونة
ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن العفن
ومبدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة اليوم على الانثى ويحكى
ان بعض الخلفا سال الشافعي لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة
قال الشافعي سالني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه

ورضوانه ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل بتغطيته
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها
وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في
صحيحه قيل وذلك في اخر شهور السنة الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقاء روى ابو داود
في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقاء
فان اللبن يشبه وعند ابن ابي حبيب يعدي وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس
مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن
عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع ذكر الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل
ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدرداء
عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر ايضا اصل كل داء البردة فقال شيخنا
رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن
الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي نعيم ايضا
من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله ومن حديث
عمرو بن الحارث عن دراج بن ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء من البردة وقد قال الدارقطني
عقب حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري
في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه المحدثون يعني
باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة
بطيئة الذهاب من برد اذا ثبت وسكن وكذا اورد ابو نعيم مضمون هذه الاحاديث حديث الحارث بن
فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه اسند فتوا من الحر والبرد وكذا اورد للمستغفري ما عنده من
حديث اصل كل داء البرد وهما ضعيفان وذلك شاهدان لما حكى عن العرب في كون المحدثين رووه
بالسكون انتهى ذ **الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا** يقال عبرت الرؤيا
بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك واما الرؤيا فبوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهي ما
يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي الرؤيا ادراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على
يدي ملك او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعباراتها واما تخليطا وذهب
القاضي ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس
هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول
اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال
المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف
على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى
الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء
طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء راى النيران والصعود في الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه العقل
وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن

واما

ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النقوش
منها انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات
الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة
ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور
اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى
خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة
بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله تعالى واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان
عن سالم بن عبد الله عن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق
ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلئ نوما الا
تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش
فتلك الرؤيا التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف وذكر ابن القيم حديثا
مرفوعا غير معزو ان رؤيا المؤمن كلام يكلم به ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من
حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر بن ابي عمر وهو
واه وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال من وراء حجاب اي في المنام ورؤيا الانبياء وحي
بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان وقال
الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته
مثلا فاذا نام مثلت له تلك الاشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى او نذارة او معاتبة والادمي قد تسلط عليه
الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه
اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها وفي البخاري من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا
فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر
لغلبة تسلط الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى
الله عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة
وان وقعت من غير النبي فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان
انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا كل احد فقال
ابالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت
النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان
المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته
لا يسمى مؤذنا وفي حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس
عند مسلم وابي داود انه عليه السلام كشف الستارة وراسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس

الالهية

صفوف خلف أبي بكر فقال يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو
ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فإن من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله
للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له فإن المرأة الصالحة كذلك
وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة كذا في أكثر الأحاديث
وروى مسلم من حديث أبي هريرة جزء من خمسة وأربعين جزءا وعنده أيضا من حديث ابن عمر جزء من
سبعين جزءا وعند الطبراني جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد
العزيز بن المختار عن ثابت عن أنس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي وفي
رواية جابر أربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة أقلها ما عند النووي وأكثرها من ستة
وسبعين وأضربنا عن باقيها خوف الإطالة قال القاضي أبو بكر بن العربي أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها
إلا ملك أو نبي وإنما القدر الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة لأن
فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا
يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم المراد به جملة
وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وأبدى
لها مناسبة فنقل ابن بطال عن أبي سعيد السفاقسي أن بعض أهل العلم ذكر أن الله أوحى إلى نبيه في المنام
ستة أشهر ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين
جزءا لأنه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التأويل يبعد من وجهين
أحدهما أنه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني أنه يبقى حديث السبعين
جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الإنكار في هذه المسألة سبقه إليه الخطابي فقال كان بعض أهل العلم يقول
في تأويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك أنه عليه السلام أقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان
يوحى إليه في منامه ستة أشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال الخطابي
وهذا وإن كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فأول ما يجب على من قاله أن يثبت ما ادعاه خبرا
ولم نسمع فيه أثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكأنه قاله على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا
وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كأعداد الركعات وأيام الصيام ورمي الجمار فإنا لا نصل من علمها
إلى أمر يوجب حصرها تحت أعدادها ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا اللازم بها وقد ذكر في المناسبات
غير ذلك مما يطول ذكره وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدق الرؤيا بالأسحار رواه الترمذي
والدارمي وروى مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اقترب الزمان لم تكد
رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله إذا اقترب الزمان قولان
أحدهما أن يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوائهما أيام الربيع وذلك
وقت اعتدال الطبائع الأربع غالبا قال والمعبرون يقولون أصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل
والنهار وإدراك الثمار والثاني أن اقتراب الزمان انتهاء مدته إذا دنا قيام الساعة وتعقب الأول
بأنه يبعده التقييد بالمسلم فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به وجزم ابن بطال بأن الثاني
هو الصواب واستند إلى ما أخرجه الترمذي من طريق معمر عن أيوب في هذا الحديث بلفظ في آخر الزمان لا تكذب

رؤيا

رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند تسلط العدل وكثرة الأمن وبسط الخير
والرزق فإن ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب أطرافه وتوقف القرطبي في فهم المراد والله أعلم
بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى ابن مريم عليهما السلام بعد قتله
الدجال فأهل هذا الزمان أحسن هذه الأمة حالا بعد الصدر الأول وأصدقهم أقوالا فكانت
رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا وإنما كان كذلك لأن من كثر
صدقه تنور قلبه وقوي إدراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب أحواله الصدق
في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى إلا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فإنه يفسد قلبه ويظلم
فلا يرى إلا تخليطا وأضغاثا وقد يندر المنام أحيانا فيرى الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن
الأغلب الأكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما
هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره رواه البخاري وفي رواية مسلم
والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان
ولا يخبر بها أحدا فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها إلا من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية وسكون
الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها إلا على واد بتشديد الدال
اسم فاعل من الود أو ذي رأي وفي أخرى ولا يحدث بها إلا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى لا تقص الرؤيا إلا
على عالم أو ناصح وفي حديث أبي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من أدب
الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء أن يحمد الله عليها وأن يستبشر بها وأن يحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره
وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين
يهب من نومه ولا يذكرها لأحد أصلا وفي البخاري من حديث أبي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن رأى
شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم
سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق
على يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي
أن يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها كما صرحت به الأحاديث
وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم ير في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة ثم قال لكن أشار المهلب إلى أن الاستعاذة
كافية في دفع شرها انتهى ولا ريب أن الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لأنه إذا قام فصلى تحول عن جنبه
وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه فيكفيه الله شرها
وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فإن أخذه من عموم قوله في حديث أبي
هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي
عياض طرد الشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار
لأنها محل الأقذار ونحوها والتثليث للتأكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق قال النووي في الكلام على
النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان إلا بريق
وقال أبو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية

فقالت كما ينبغي أكل الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد قال وقد جاء في حديث
أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة
والهواء أو النفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء
وقال النووي أيضا وأكثر الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق
محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن المطلوب في الموضعين مختلف لأن المطلوب في الرقية
التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو
عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث
وبالنظر إلى الريق قيل له بصق وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه كما قاله النووي أن الله تعالى جعل ما ذكر
سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال وأما التحول فللتفاؤل بتحول
تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها إلا من يحب لأنه إذا حدث بها من لا يحب
قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضا وإما حسدا فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا
ونكدا فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقد روي من حديث أنس مرفوعا الرؤيا لأول عابر
وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن
وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند
حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة
فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي غائب وتركني حاملا فرأيت في المنام أن سارية
بيتي انكسرت وأني ولدت غلاما أعور فقال خير يرجع زوجك إن شاء الله صالحا وتلدين غلاما برا
فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فأخبرتني بالمنام فقلت لها لئن
صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مه يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها
وعند سعيد بن منصور من مرسل عطاء بن أبي رباح قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
إني رأيت كأن جائزة بيتي انكسرت وكان زوجها غائبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث
قال أبو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا لأول عابر إذا كان العابر الأول عالما فعبر وأصاب وجه التعبير وإلا
فهي لمن أصاب بعده إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك إلى مراد الله تعالى فيما
ضربه من المثل فإذا أصاب فلا ينبغي أن يسأل غيره وإن لم يصب فليسأل الثاني وعليه أن يخبر بما عنده ويبين
ما جهل الأول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن آداب المعبر ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر أنه كتب
إلى أبي موسى فإذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه فليقل خير لنا وشر لأعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع
وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه السلام
خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده
ضعيف جدا وكأنه إن شاء الله تعالى ومن آداب العابر أن لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند
الزوال ولا في الليل وأن لا يقصها على امرأة لكن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة يقول هل رأى
أحد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا

بعد

بعد صلاة الصبح قال وفيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض
علمائهم قال لا تقصص رؤياك على امرأة ولا تخبرها حتى تطلع الشمس وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير
إن المستحب أن يكون التعبير من بعد طلوع الشمس إلى الرابعة ومن العصر إلى قبل المغرب فإن الحديث دال على
استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في أوقات كراهة الصلاة قال المهلب
تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقل ما يعرض له
نسيانها والحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكر فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه
فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما
كانت إنذارا لأمر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار قاله في فتح الباري وذكر
أئمة التعبير أن من آداب الرائي أن يكون صادق اللهجة وأن ينام على وضوء على جنبه الأيمن وأن يقرأ عند نومه
والشمس والليل والتين وسورتي الإخلاص والمعوذتين ويقول اللهم إني أعوذ بك من سيء الأحلام
وأستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير
منسية اللهم أرني في منامي ما أحب وأن لا يقصها على عدو ولا جاهل إذا علمت هذا فاعلم أن جميع المرائي
تنحصر في قسمين أضغاث أحلام وهي لا تنذر بشيء وهي أنواع الأول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كأن
يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه أو رأى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم عن جابر قال جاء
أعرابي فقال يا رسول الله إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه فزجره صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب
الشيطان بك في المنام الثاني أن يرى أن بعض الملائكة أي يأمره أن يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا (أو الأنبياء)
الثالث ما تحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة
أو ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعلى الماضي قليلا القسم الثاني الصادقة
وهي رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين وقد تقع لغيرهم وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم
وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عائشة
رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا
يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة
إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص فرؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد
فإنه صلى الله عليه وسلم رأى بقرا تنحر ورأى في سيفه ثلما فأول البقر بما أصابه يوم أحد والثلم الذي في سيفه
برجل من أهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق أجمعين وأما رؤيا
غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى التعبير وأما إن فسرناها بأنها
غير أضغاث فالصالحة أخص مطلقا وقال الإمام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري
الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به من لا يكذب والصالحة ما يبشر واعلم أن الناس
في الرؤيا على ثلاث درجات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما
يحتاج إلى تعبير والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير ومن عداهم يقع
في رؤياهم الصدق والأضغاث وهم على ثلاثة أقسام مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة

والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير إلى
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد
وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا
ملكهما وغير ذلك وقد روى الإمام أحمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد أصدق
الرؤيا بالأسحار وذكر الإمام نصر بن يعقوب الدينوري أن الرؤيا أول الليل يبطئ تأويلها ومن
النصف الثاني يسرع بتفاوت أجزاء الليل وأن أسرعها تأويلا رؤيا السحر عند طلوع الفجر وعن
جعفر الصادق أسرعها تأويلا رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار مثل الليل والنساء
كالرجال وجزء الغير صحيح وإلى أن المرأة إذا رأت ما ليست له أهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده
كما أن رؤيا الطفل لأبويه ومن مراتبه الكرامة عليه السلام شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث
ابن عمر عند البخاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح
لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج في أظافيري ثم أعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما أولته يا رسول
الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من أظافيري وفي رواية صالح بن كيسان من أطرافي وهذه
الرواية يحتمل أن تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل أن تكون علمية ويؤيد الأول ما أخرجه الحاكم
والطبراني من طريق أبي بكر بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى رأيته يجري
في عروقي بين الجلد واللحم على أنه يحتمل أيضا قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم
قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم والذي
ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن أبي جمرة تأول النبي صلى الله
عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له أول الأمر حين أتي بقدح خمر وقدح لبن فقال له جبريل
أخذت الفطرة انتهى وقد جاء في بعض الأحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة كما أخرجه البزار من حديث أبي
هريرة رفعه اللبن في المنام فطرة وذكر الدينوري أن اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الإبل وأنه
لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة أيضا ولبن الشاة مال وسرور
وصحة جسم وألبان الوحش شك في الدين وألبان السباع غير محمودة إلا أن لبن اللبوة مال مع عداوة
لذي أمر وفي الحديث أن علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ أحد درجته فيه لأنه شرب حتى رأى
الري يخرج من أطرافه وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه
في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا
للصلاح فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره
بالدين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه
قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي الحكيم من طريق أخرى في هذا
الحديث فقال أبو بكر على ما تأول هذا الحديث يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء
جمع ثدي بفتح ثم سكون والمعنى أن القميص قصير جدا بحيث لا يصل من الحلق إلى نحو السرة بل فوقها وقوله
ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل أن يريد به من جهة السفل وهو الظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يكون دونه

فاخذ اللبن هو

من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد الأول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه إلى سرته
ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير أولت ويجوز الرفع
وفي رواية الحكيم المذكورة على الإيمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين أن القميص يستر العورة في
الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك
خير واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده وقال
ابن العربي إنما أول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لأن الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص
عورة البدن قال وأما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر وإن كان يتعاطى
المعاصي والذي كان يبلغ أسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي إلى المعصية والذي يستر
رجله هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص وأشار
العارف ابن أبي جمرة إلى أن المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتأويله القميص بالدين قال والذي
يظهر أن المراد خصوص هذه الأمة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الأوامر
واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من الحديث أن كل ما يرى في
القميص من حسن أو غيره فإنه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص أن لابسه إذا اختار نزعه
وإذا اختار إبقاءه فلما ألبس الله المؤمنين لباس الإيمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب
ومن لا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الإيمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث أن أهل
الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم
في اليقظة شرعا أعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته عليه السلام السوارين
الذهب في يديه الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله
ابن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما فأذن لي فنفختهما
فطارا فأولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة
وفي رواية أبي هريرة عند الشيخين بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب
فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء
وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا ليست على وجهها وإنما هي من ضرب المثل وإنما أول النبي صلى
الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه فلما رأى في ذراعيه سوارين
من ذهب وليسا من لبسه لأنهما من حلية النساء عرف أنه سيظهر من يدعي ما ليس له وأيضا ففي كونهما
من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وأيضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم أنه شيء
يذهب عنه وتأكد ذلك بالإذن له في نفخهما فطارا فعرف أنه لا يثبت لهما أمر وأن كلامه بالوحي الذي
جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان أمر مسيلمة والعنسي
فأول الرؤيا عليهما ليكون ذلك إخراجا للمنام عليهما فإن الرؤيا إذا عبرت خرجت ويحتمل أن يكون بوحي
والمراد بخزائن الأرض الذي ذكرها ما فتح على أمته من الغنائم ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن
الأرض التي فيها الذهب والفضة وقال القرطبي إنما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء

هذا

فقطعتهما

ت

وانما اخترم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل لهذه الرؤيا ان اهل صنعا واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان اليدان بمنزلة البلدين والسواران بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء الذهب وقال اهل التعبير من راى انه يطير فان كان الى جهة السماء بغير عرجة ناله ضرر فان غاب في السماء ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك رؤيته عليه السلام المراة السوداء الثائرة الراس وتعبيرها بنقل وباء المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سوداء ثائرة الراس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وباء المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السوداء السوء والداء فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران شعر راسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل شيء غلبت عليه السوداء في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس يؤول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما من السوداء فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه في درع حصينة والبقر تنحر وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقر وهذه اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا وهذا الحديث سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابي الزناد عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث نحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين قال في فتح الباري وهذا السياق اشعر بان قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول البقر على من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا تختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه اتي برطب روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يرى النائم كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا

هزته

هززته وتعبيره في حديث ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال رايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المؤمنون يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه الشيخان وهذا ايضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يتصرف على اوجه منها انه من نال سيفا ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه جرده في خصومة وربما عبر السيف بسلطان جائر وقال بعض اهل التعبير ايضا من راى انه غمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن راى انه يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايتني على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم واصلاحهم وامرهم بالمستقي منها وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه السلام والله يغفر له نقص ولا اشارة الى انه وقع ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو غربا بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب منها شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت وانتضح عليه منها شيء والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت فهذه نبذة من مرائيه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها واما ما راه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له مما يخص ويعم من امور الدنيا والاخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الصبح اقبل على الصحابة فقال من راى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي اعبرها له فيقص الناس عليه مرائيهم وروى البخاري والامام احمد عن سمرة بن جندب

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم رؤيا فيقص عليه من شاء الله
ان يقص وانه قال ذات غداة هل رأى احد منكم رؤيا فقالوا اما منا احد رأى شيئا قال لكني انا اتاني الليلة آتيان
وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي
بالصخرة لراسه فيثلغ راسه الحديث واقام عليه السلام يسال اصحابه هل رأى منكم الليلة احد رؤيا ما
شاء الله ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف العلماء في سبب تركه السؤال فقيل سبب ذلك حديث
ابي بكرة عند الترمذي وابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله
رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر
وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قال لو امر جبنا
لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا قال بعضهم وسبب كراهته عليه السلام ايثاره لستر العواقب
واخفاء المراتب فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي ان يتوالى
ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكره
ابن المنير سبب تركه السؤال حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم
وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة
لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل رأى احد منكم شيئا قال ابن زمل
فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص
رؤياك قال رأيت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبينما هم كذلك اشفى ذلك
الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلأ وكاني بالرعلة الاولى حين اشرفوا
على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم
اضعافا فلما اشفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال
ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كاني انظر اليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت
الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن
يمينك رجل آدم اقنى اذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه
اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف
واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال اما ما
رأيت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رأيت فالدنيا
وغضارة عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه
راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في
آخرها الفا واما الرجل الطويل الادم فذلك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك
عيسى عليه السلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رأيت كاننا نقتدي به فذلك ابراهيم صلى الله عليه
وسلم واما الناقة العجفاء الشارف التي رأيتني ابعثها فهي الساعة علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد
امتي قال فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجيء الرجل متبرعا فيحدثه بها
رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف جدا ومن غرائب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير
ان زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني رأيت في طريقي هذا

رؤيا رأيت آتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك
من امة تركتها مسرة حملا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما باله
اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال
فهو ذاك قال ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذاك ملك العرب عاد الى افضل
زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض
فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني اكلكم اهلكم ومالكم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال تقتل الناس امامهم ثم يشتجرون
اشتجار اطباق الراس وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن احلى
من شرب الماء فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة محشوا حلاوة الحق مكسوا طلاوة الصدق محلوا بانوار
الوحي والاسفع الذي اصاب جسده لون آخر والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان السواران من ذهب
واطباق الراس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه السلام هنا يرجع الى البشرى وعندي
بالكذابين فيما مر قلت النعمان بن المنذر كان ملك العرب وكان مملكا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون
الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي الملوك لبسا منكرين في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما
عنهما واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهي عن لباس الذهب لا حاكما فيه فجدير ان يمثل ذلك لانه في حقه فاستدل
به على امر يوضع في غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بذهابهما بما له الحمد ومن ذلك ما روى عن قيس بن عباد قال
العين وتخفف الموحدة كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل من اهل
الجنة فقلت انهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رأيت كأن عمودا وضع
في روضة خضراء فنصب فيها وفي راسها عروة وفي اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت
بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري
وفي رواية خرشة بينما انا نائم اتاني رجل فقال لي قم فاخذ بيدي فانطلقت معه فاذا انا بجواد عن يميني وشمالي منهج
جادة وهو الطريق المسلوك عن شمالي قال فاخذت لآخذ فيها فقال لا تاخذ فيها فانها طرق اصحاب
الشمال وفي رواية النسائي من طريقه فبينا انا امشي اذ عرض لي طريق عن شمالي فاردت ان اسلكها فقال
انك لست من اهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج على يميني فقال لي خذ ههنا فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت
اذا اردت ان اصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الاسلام وذلك
العمود عمود الاسلام وتلك العروة عروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت وفي رواية خرشة عند النسائي
وابن ماجه قال رأيت خيرا اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل الشهداء زاد مسلم ولن تناله وهذا علم من اعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول خلافة معاوية بالمدينة
وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان
يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب قاله الله
من شاء من المكارم وقال القيرواني الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا
بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة
تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري عن ام العلاء وهي امرأة من نسائهم
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عينا تجري فجئت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله يجري له وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من عمله بقي
له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الامور الثلاثة ذكرها مسلم في حديث ابي هريرة

رفعه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح يشهد بذلك اولما بعدها وهو السابق مات في خلافة ابي بكر فهو احد الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء فلا يبعد ان تكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية عمل وجوهها ان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح والا فلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة او معروف لحي او ميت وقال آخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة يبكي لها اهل دار والله اعلم فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهدي الى غيره مما يشابهه والا فالذي نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب التاويل ولطائف التعبير كما قال ابن المنير لا تحصره المجلدات وانت اذا تاملت ان كل كرامة اوتيها احد من هذه الامة في علم او عمل هي من آثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه واستحضرت ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع وامتلات به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا عجابا بل عجبا عجابا قضيت بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا تدرك حقيقة كنهه الاشارات واذا كان هذا ابن سيرين واحد من امته عليه السلام نقل عنه من فن التعبير ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه وافاض علينا من سحائب علومه ومعارفه وتعطف علينا بعواطفه

الفصل الاول في انبائه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات اعلم ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لتكون معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون برؤيا الملائكة كاطلاعنا على احوال الملائكة بتوسط الانبياء وفي حديث مر انه عليه السلام قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب ليس هو الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه السلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحا ويشهد لهذا قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الصبح ساطع •
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا • به موقنات ان ما قال واقع •

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله • ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب • فتصديقها في ضحوة اليوم او غد •

وهذا الفصل ينقسم قسمان

الاول فيما اخبر به عليه السلام مما نطق به من القرآن العظيم من ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقضي العادة بخلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الآية فانه قد كانت لقريش قافلتان احداهما فاتت غنيمة دون الاخرى فاخبر الله تعالى عن ما في ضمائرهم وانجز لهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير حسن ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر وقد كان عددهم ما بين تسعمائة الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يوم بدر فقذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب

وناد

ونادى ابو سفين يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستاصلوا فالقى الله تعالى الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول هذه الآية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فشق على المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فوجد مخبره كما اخبر فلو لم يعلموا انما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم تعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ائمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل الله تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته عليه السلام واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد نبينا على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك اندلس وقبرس وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجبي بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة امير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة على حفظ القرآن فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل الكفار في كل زمان ومكان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر في العيان بان دين الاسلام كما اخبر عال على سائر الاديان

ومن ذلك قوله تعالى اذا جا نصر الله والفتح الى اخرها فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاوه القسم الثاني فيما اخبر به عليه السلام من الغيوب سوى ما في القران فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته اخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولا وانه ليكون منه الشي فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماهم واسما ابايهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يوميذ فوضح من هذا الخبر وغيره مما ياتي من الخبايا وسنح من خواطر الابدال الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عن ثم عما يقع في حياته وبعد موته وما في الجنة فلا تقع الا سبيل الى موته وقال ابو ذر تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما رواه ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه علم الاولين والاخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا يبتغى عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فكان كما اخبر عليه السلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وساير العلما معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه السلام فاعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى ووقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قدمته وقال عليه السلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقه ومن ذلك اخباره عليه السلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول ولخبر رجع المشركون بشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا فلم يغزرسول الله بعدها وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى موتة وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحه فلما التقى المسلمون بموتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له حتى نظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم اخذ الراية

جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها وموته دون دمشق بارض البلقا وعن اسما بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر واصحابه فقال يا اسما ابن بنو جعفر فجيت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله ابلغك عن جعفر شي قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاسفرايني في كتابه دلايل الاعجاز وخرجه ابن اسحق والبغوي ومن ذلك قوله عليه السلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فكان كذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر طنجه حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله فوجدوها كما قال عليه السلام ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فاتاه رجل من الانصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جينا نسالك فقال ان شيتما اخبرتكما بما جيتما تسالاني عنه فعلت وان شيتما ان امسك وتسالاني فعلت فقالا اخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني يا رسول الله فقال جيتني تسالني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا جيت اسالك ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن واثلة بن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوني واياه فاني اعلم ما الذي اخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي اخرجني قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمان اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة اشهر وقوله عليه السلام لنسايه اسرعكن بي لحوقا اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك قوله عليه السلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه واخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني وابو نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مومر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعوية اما انك ستلي امر امتي بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيهم قال معوية فما زلت ارجوها حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا من حديث عروة بن رويم مرفوعا لن يغلب معوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معوية ومن ذلك قوله عليه السلام نقيل هذا مظلوما واشار الى عثمن رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب وخرجه احمد فكان كما قال عليه السلام

فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفا
انه عليه السلام قال يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه
وانه سيقطر دمه على فسيكفيكهم الله وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي انه حديث
وقد روى مسلم عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال هل
ترون ما ارى انى لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة
الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلث وستين من الهجرة وجرت فيها وقايع كثيرة موجودة في كتب
التاريخ واخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل اهلها حتى لا يكاد ينفلت منهم احد واخرج ايضا
عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القران منهم ثلثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد
واخرج ايضا عن المغيرة قال انتهب ابو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذراء وقال عليه
السلام لابي موسى وهو قاعد على قف بئر اريس لما طرق عثمان الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة
الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل اصرح من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخبر
عليه السلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ام سلمة
قالت ذكر صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري يا حميراء ان لا تكوني انت
ثم التفت الى علي فقال ان وليت من امرها شيئا فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب
تخرج حتى تنبحها كلاب الحوءب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت رواه البزار وابو نعيم واخرج
الحاكم وصححه والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي انشدك الله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي يعلى والبيهقي فقال الزبير
ولكن نسيت ومن ذلك قوله عليه السلام في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين رواه البخاري وكما قال عليه الصلوة والسلام انه لما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من
اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معوية وسار معوية
اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم ان لن تغلب احدى الفئتين
حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل
المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه فاجابه معوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق
ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون
من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه
السلام بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث انس
ابن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل احد فبينا هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم
فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه
قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب احمر فاخذته

ام سلمة

ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا وخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه وفي السهلة
بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق وفي رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا
من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي
وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحدث فاستشهد الحسين كما قال عليه السلام بكربلا
من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا بالطف قتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه
بعثوا براسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينا هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط
يد معها قلم حديد فكتبت سطرا بدم
اترجو امة قتلت حسينا … شفاعة جده يوم الحساب
فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها
قالت لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوة دما وكذا روي في احاديث
غير هذه وقال عليه السلام لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال عليه السلام
ومن ذلك ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد الله بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك نعمى في اخر عمرك ومن ذلك قوله عليه السلام
لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة
الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع
الحجاج ما كان ومن ذلك حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون
خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية رواه وقوله ملكا عضوضا اي
يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك
خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون ان
الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت
به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى
واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال
هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم
واخرج ابو يعلى عن معوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت
الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه السلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة
نرى هذا العالم مالك بن انس وقال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت
اليه وقال ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن
روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث
ابن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي
شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجاء قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل
ابن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم كما نقله عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة

فقدر الامام مالك واخباره عن عالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما رواه ابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له
شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد
وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر
من علم الشافعي وقد كان الامام احمد يذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستأنس به في امر شيخه الشافعي واما
قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش الى اخره بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه
فان اسناده لا يخلو من ضعف قاله العراقي ردا على الصغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه
في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه السلام بان طائفة من امته
لا يزالون ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله يبعث لهذه الامة
على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه
الحاكم وصححه بلفظ يذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه
فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر يخرجون
على خير فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان
علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي نعته واخبر عليه السلام بالرافضة اخرج البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه
الامة رواه الطبراني في الاوسط عن انس وقد اخبر عليه السلام اصحابه باشياء بين موته وبين الساعة وحذر
من مفاجاتها كما يحذر من خادع الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات في العالم فاذا
ظهرت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة والقران واشتهار الخيانة وحسد الاقران
وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما شهدت به الاخبار وقضي بحقيقة وقوعه الاعيان وقد تعين ان
نلم بذكر طرف من اثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر
الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول
الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتني مكانه
وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة
وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما

ينظر

ينظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات فاما قوله حتى تقتتل فئتان
عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معوية وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول
خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده
موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك
وبموت عمر رضي الله عنه سل سيف الفتنة فقتل عثمن وكان من قضا الله وقدره ما كان واما قوله
دجالون كذابون قريبا من ثلاثين فقد جا عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا
نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث فظهر ولو عد
من تنبا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الان ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب
التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم به ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها
شي كثير وقد شاهدنا بعضها واما قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا
مما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظم البلاء ورياسة الجهلا وخمول
العلما وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضي لها اعناق الابل ببصرى فقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة
من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا بعد العشا ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستمايه
ويوما ثلثا اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لبارئها ودامت الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلت الاسلابا من جملة ثمانية عشر حركة
في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يلي المدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه
النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رايتها
صاعدة في الهوا من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب
الدين القسطلاني اقامت ثلاثة وخمسين يوما قال وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب
ليلة الاسرا والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفا الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه
عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في
الاعجاز بنار الحجاز فاتى فيه من رقائق الحقائق بالعجب العجاب والله الموفق **المقصد التاسع في لطيفة من لطائف
عباداته صلى الله عليه وسلم** قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى ياتيه
الموت وهو المراد باليقين لانه امر متيقن فان قيل ما الفائدة في قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك
كافيا في الامر بالعبادة اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة كان مطيعا وانما قال
حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال
العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وهذا مصير منهم الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسئلة
معروفة في الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منهما على مذاهب
الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة

لعله وما يكون

الحركة

للصواب

وانا سمي الموت باليقين

لعله واحدة

ضرورته لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله له عن الاكثرين ورجحه
الآمدي وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو حاتم
القزويني فان عين للتكرار امدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان
قضاء الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحق في شرح اللمع عن
اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا
فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الفنوي
لنظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي ره وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي
الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية باربعة اشيا التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلما في انه كيف صار الاقبال على مثل
هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال
اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف
صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها
ولا يستريح من وجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى
الطاعات كانه يقول تجب علي عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى فاعبده
واصطبر لعبادته فامره تعالى بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الاداء والابلاغ فان قلت لم لم يقل
واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته قلت الجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر
لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
قال الفخر الرازي والبيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه
فاول درجات السير الى الله تعالى عبودية الله واخرها التوكل عليه وانما كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع
سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان
العبد الى الله اقرب كان جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى ثم اماثل اصحابه رضي الله عنهم
فانهم كانوا كلما ترقوا من القرب مقاما عظم جهادهم واجتهادهم ولا تلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف
حيث قال القرب الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد
العمل زاعما بذلك سقوط التكليف عنه وهو لا اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا
عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى
مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة مما امر فادرا عليه وقد اختلف العلما هل كان عليه الصلوة
والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بانه
لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به
اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل اولى وذهب اخرون الى الوقف

فامره

فامره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام
ابي المعالي وقال اخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن
التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصممه ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل
ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى هذه جملة المذاهب في هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي
ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم
في ان عيسى عليه السلام اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم
يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بليغ
لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة ادم ايضا وهو محكي عن ابن برهان
وقيل جميع الشرائع حكاه صاحب المحصول عن المالكية واما من قال انه عليه السلام كان على شريعة ابرهيم
وليس له شرع هو منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احيا شرع ابرهيم وعول في اثبات مذهبه
على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا فهذا قول ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف
العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابرهيم عليه السلام في هذه الاية
بانه ما كان من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول ليس
برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما
اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء
على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على
الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها اجاب الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية
الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة
على ما هو الطريقة المالوفة في القران وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على
تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي
من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة على
سائر المدائح التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدائح المذكورة في قوله ان ابرهيم كان امة قانتا ولم يك من المشركين
شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال
ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك العبادة واي انواعها هي وعلى اي وجه فعلها يحتاج
ذلك لنقل ولا استحضره الان انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الاحاديث التي
وقفنا عليها كيفية تعبده عليه السلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه عليه السلام كان يخرج الى حرا في كل عام
شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا
انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد
يشتمل على انواع وهي الانعزال عن الناس كما صنع ابرهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان
انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الاذكار وعن بعضهم كانت عبادته عليه السلام
في حرا التفكر انتهى وقد اتى ان اشرع فيما قصدته على النحو الذي اردته وقد اقتصرت من عباداته صلى الله عليه وسلم

الاقتصار

على سبعة انواع **النوع الاول في الطهارة** وفيه فصول **الاول في ذكر وضوئه** صلى الله عليه وسلم **وسواكه ومقدار ما كان يتوضأ به** اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الما الذي يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير وضيئا. وقد استنبط بعض العلما كما حكاه في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا الاية التقدير اذا اردتم القيام الى الصلاة فتوضؤا لاجلها ومثله قوله اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث لا غيرها لا هو ولا اصحابه البتة ولم يرو عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى قلت اما التلفظ بالنية فلا نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا الى اثباته طرق الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه السلام توضأ مع النية والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب علينا مثله والطريق الثاني ان نقول لو انه عليه السلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلايل الدالة على وجوب الاقتدا به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا انما لكل امرئ ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج والصوم والاحكام واشار بذكر الوضوء الى الخلاف فيمن لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة كالصلاة ونوقضوا بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنية ليس المراد منه نفي ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشيء نفسه ولان اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال ورجح الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلما لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف الاوزاعي في اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين العلما اختلاف في اقتران النية باول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه واما قوله اي البخاري فدخل فيه الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري ان الايمان عمل واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كبرها لان النية انما تميز العمل لله عن العمل لغيره ريا وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله ايضا والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع والانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشروطة فيه وكل عمل ظهر

فائدته

فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملايمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى اخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلما في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجا فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلثة مواطن احدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الريا والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشا ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلما في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل التفسير ان غسل الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلاة وانه لم يصل قط الا بوضوء وقال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك واهل السنة بهم حاجة الى دليل الرد على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول اية المايدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هولاء الملا من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ايتوني بوضوء فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من انكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال حدثنا الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجه من رواية رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند واخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزئ احدنا الوضوء ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة رواه الدارمي وروى مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز وفي رواية لاحمد وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلما في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث عبد الله بن ابي عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصايص لا تثبت الا بدليل صحيح واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عايشة مرفوعا ثلث هن علي فرايض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل وروى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض الشافعية انه اوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا على انه يستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء

وارادة الصلاة ومنها عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك
للصلاة او عند الوضوء ومنها قراءة القران كما جزم به الرافعي ومنها تغير الفم بسواقه تغير الرايحة او تغير اللون
لصفرة الاسنان كما ذكره الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به النووي في زوايد الروضة لما روى مسلم وابو داود
والنساى وابن ماجه من حديث عايشه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدا بالسواك ومنها ارادة
النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروى فيه ما رواه ابن عدى في الكامل من حديث جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يستاك اذا اخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة
الليل لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل
ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزئ بكل خشن ولو باصبع غيره الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب
ودقايق المنهاج انه يجزئ بها قطعا قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة ما بين اصبعه واصبع
غيره وكونه جزا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازاله لانه تمكن بها اكثر من تمكن غيره
ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاوه مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين
والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر الروياني وقد اطبق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك وروى الطبراني
من حديث ابي خيرة الصنابحي وله صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا
بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عايشه في دخول اخيها ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من
اراك فاخذته عايشه رضي الله عنها فطيبته ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في
الصحيح وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب
السواك من حديث عايشه رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا
من حديث ربيعة بن اكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله
عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المستاك بيمينه او بشماله قال بعضهم بيمينه لحديث
كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطيب
او من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عايشه كانت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلايه وما كان من اذى رواه ابو داود باسناد
صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد واما ما استدل به على انه يستحب باليمنى لليمين فيه دلالة فان المراد منه
بالشق الايمن في الرجل والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الايمن في الاستياك
واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى
وقد صرح بذلك ابو العباس القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك في المساجد لانه من باب ازالة القذر
والله اعلم واما مقدار ما كان عليه السلام يتوضا به ويغتسل من الماء فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضا بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضا بمكوك
رواه البخاري ومسلم وابو داود وعنه يتوضا باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع رواه الترمذي وعنه انه صلى
الله عليه وسلم قال يجزئ في الوضوء رطلان من ماء وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يغتسل بالصاع ويتوضا بالمد رواه ابو داود وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان

عبارة الطبراني

ان يكون

وعبارة ان يكون من باب ... الاستنشاق ... باليمين

لعله ورواه

من اناء

من اناء واحد والصاع خمسة ارطال وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مايه وثمانيه وعشرون درهما
واربعة اسباع درهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم امتنع من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا
السرف يا سعد افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه
الترمذي من حديث ابي بن كعب الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن
عباس قال توضا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الاية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين تعدد فبين الشارع ان
المرة الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب واما حديث ابي بن كعب انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء
فتوضا مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف
اخرجه ابن ماجه وله طرق كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضا مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضا ثلاثا ثلاثا رواه احمد ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي
ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح
ولم يات في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد على ثلاث بل روي عنه انه نهى
عن الزيادة على الثلاث ففي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا ثم قال
من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابو داود واسناده جيد لكن عده مسلم في جملة ما انكر على عمرو بن
شعيب لان ظاهره ذم النقص من الثلاث وهو واجب بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل
فيه حذف تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا الوضوء
مرة ومرتين وثلاثا فان نقص من واحدة او زاد على ثلاث فقد اخطا وهو مرسل رجاله ثقات واجيب عن الحديث
ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل اكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه
قال الشافعي رحمه الله لا احب ان يزيد المتوضي على ثلاث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله لا احب يقتضي
الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم ان الزيادة على
الثلاثة تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال احمد لا تجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن
المبارك لا امن ان ياثم وبعضهم من حمل القول بتحريم الزيادة على الثلاث وكراهتها انه لا يندب تجديد الوضوء على
الاطلاق الفصل الثالث في كيفية وضوئه صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا باناء
فافرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا
الى المرفقين ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل
بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما اشتراط نية الاغتراف
فليس في هذا الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي رحمه الله مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال
انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا في حكمة تاخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف الماء لان
اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض
احتياطا للعبادة وقال النووي في قوله نحو وضوئي انما لم يقل عليه السلام مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها

لعله بعدد

لعله احرى

لعله واسحاق وغيرهما

ل

عنه لكن تعقبه في فتح الباري بأنه ثبت التقييد بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن
حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل هذا الوضوء وفي الصيام من رواية معمر من توضأ وضوئي هذا ولمسلم
من طريق زيد بن أسلم عن حمران أنه توضأ وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتقييد بنحو من تصرف الرواة لأنها تطلق
على المثلية مجازا ولأن مثل وإن كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايات
ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري أنه قيل له توضأ لنا
وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء فأكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها
فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه
فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
فأقبل بهما وأدبر بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه رواه البخاري
ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لأبي داود ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما
وفي أخرى له ومسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما وأدخل أصابعه في صماخي أذنيه وفي رواية أبي داود والترمذي والنسائي
عن عبد خير أبي عمارة بن يزيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار أصحاب علي
ابن أبي طالب قال أتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعلمنا فأتي بإناء
فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي
يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده في الإناء فمسح برأسه مرة
واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووي والأحاديث
الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم
أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الأعضاء انتهى وأجيب بأنه مجمل مبين في الروايات
الصحيحة أن المسح لم يكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبأن المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي
المراد منه المبالغة في الإسباغ وبأن العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل إذ حقيقة الغسل جريان الماء
واحتج الشافعية أيضا بما رواه أبو داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة أنه صلى
الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وفي رواية أبي داود أيضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا
ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا ثلاثا ومضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه
ثم بمقدمه وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا وقد أجاب العلماء عن أحاديث المسح
مرة واحدة بأن ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف
الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد
بالقياس على المغسول لأن الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال ومن أقوى
الأدلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص في
صفة الوضوء بعد أن فرغ من زاد على هذا فقد أساء وظلم فإن في رواية سعيد بن منصور التصريح بأنه مسح
رأسه مرة واحدة فدل على أن الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الأحاديث في تثليث
المسح إن صحت على إرادة الاستيعاب بالمسح لا أنها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الأدلة انتهى
وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري الذي ذكرناه قبل ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر وفي رواية

بدأ

بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الطباع بعد قوله
ثم مسح رأسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى
وامسحوا برؤوسكم قال البيضاوي الباء في الآية مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح
برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله وامسحوا وجوهكم
انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم جميع الرأس أو بعضه فدلت السنة أن بعضه
يجزئ والفرق بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم أن المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس أصل
فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لأن الرخصة فيه ثبتت بالإجماع وقد روي من حديث
عطاء أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه
من وجه آخر موصولا أخرجه أبو داود من حديث أنس وفي إسناده أبو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد
كل من المرسل والموصول بالآخر وحصلت القوة من الصورة المجموعة وهذا مثال لما ذكره الشافعي من أن
المرسل يعتضد بمرسل آخر أو مسند وفي الباب أيضا عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه أخرجه سعيد
ابن منصور وفيه خالد بن يزيد بن أبي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن
المنذر وغيره ولم يصح عن أحد من الصحابة إنكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوى به
المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الرأس فذهب الشافعي وجماعة إلى أن الواجب ما
ينطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة أخذا باليقين وذهب مالك وأحمد وجماعة إلى وجوب استيعابه
أخذا بالاحتياط وقال أبو حنيفة في رواية الواجب ربعه لأنه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو
قريب من الربع والله أعلم وعن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتوضأ والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه أبو داود
وعنه أيضا قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجه
وفي حديث مسلم أن عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر
ثم غسل وجهه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل أو مضمض واستنشق من كفة
واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي فبان أن السنة في المضمضة
والاستنشاق أن يأخذ الماء لهما بيمينه قال وفي الأفضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة أوجه
الأصح يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة
يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق ثلاثا والثالث يجمع أيضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها
ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من إحداهما ثلاثا ثم يستنشق
من الأخرى ثلاثا والخامس يفصل بست غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال
والصحيح الأول وبه جاءت الأحاديث الصحيحة وقد ذهب الإمام أحمد وأبو ثور إلى وجوب الاستنشاق وكذا المضمضة
وهو أن يبلغ الماء إلى خياشيمه متمسكين بقوله عليه السلام في حديث أبي هريرة إذا توضأ أحدكم فليجعل في
أنفه ماء ثم لينتثر لظاهر الأمر وحمله الجمهور مالك والشافعي وأهل الكوفة على الندب لقوله عليه السلام للأعرابي
توضأ كما أمر الله وليس في الآية ذكر الاستنشاق والله أعلم وعند أبي داود وكان عليه الصلاة والسلام

قد يقال إنه داخل في غسل الوجه

مسح المأقين وعن عثمان أنه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجه وعنه من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته بأصابعه من تحتها وعن أنس كان صلى الله عليه وسلم إذا توضأ أخذ كفا من ماء فيدخله تحت حنكه فيخلل به لحيته ويقول بهذا أمرني ربي عز وجل رواه أبو داود وعن أبي رافع كان صلى الله عليه وسلم إذا توضأ حرك خاتمه رواه ابن ماجه والدارقطني وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم إذا توضأ يدلك أصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وعن عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى وعن المغيرة بن شعبة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وأنه ذهب لحاجة له وأن مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ رواه البخاري ومسلم وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء رواه ابن ماجه وفي ذلك جواز استعانة الرجل الغير في صب الماء في الوضوء من غير كراهة وكذا إحضار الماء من باب أولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الإعانة بالمباشرة وللدارمي والحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ أنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا أصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله أعلم وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه السلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس بالقائم وأبو معاذ الراوي ضعيف عند أهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني وأكل كتف شاة ولم يتوضأ رواه البخاري ومسلم وللنسائي كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يمضمض ولم يتوضأ وصلى رواه أبو داود وأتي بالسويق فأمر به فثري فأكل ثم قام إلى المغرب فتمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لأن عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على أن النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو أحدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره قال الخطابي وإنما منع قلبه من النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه

وصلى

لعله لأن

الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين

اعلم أنه قد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا أعلم أنه روي عن أحد من فقهاء السلف إنكاره إلا عن مالك مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته وقد أشار الشافعي في الأم إلى إنكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الآن قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء أيهما أفضل المسح على الخفين أو نزعهما وغسل الرجلين والذي أختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب أصحابنا أن الغسل أفضل لكونه الأصل لكن بشرط أن لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله وأرجلكم عطفا على وامسحوا برؤوسكم فذهب إلى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل أو المسح وعن بعض أهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الأحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي إن شاء الله تعالى فإنه بيان للمراد وأجابوا عن الآية بأجوبة منها أنه قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على أيديكم وقيل معطوف على محل برؤوسكم كقوله تعالى يا جبال أوبي معه والطير بالنصب وقيل

لعله أو نزعهما

المسح

لعله على

المسح في الآية محمول لمشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القرآن كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه إداوة قبل الفجر فلما رجع أخذت أهريق على يديه من الإداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم أهويت لأنزع خفيه فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة أيضا أنه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعند أبي داود من حديثه أيضا ومسح عليه السلام على الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت فقال بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي عز وجل رواه أبو داود وأحمد وعن عمرو بن أمية الضمري قال رأيته عليه الصلاة والسلام يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري وأحمد وقال علي بن أبي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم

الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن التيمم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وهو من خصائص هذه الأمة وأجمعوا على أن التيمم لا يكون إلا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث أصغر أو أكبر وسواء تيمم عن الأعضاء كلها أو بعضها واختلف في كيفيته فمذهبنا ومذهب الأكثرين أنه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية أبي أمامة عند البخاري وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي أن يحمل العام عليه فتختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بأن قال تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره وأجيب بأنه ورد في الحديث بلفظ التراب أخرجه ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا أخرجه أحمد والبيهقي بإسناد حسن وعن عمار بن ياسر قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال إني أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار لعمر أما تذكر إذ كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إنما كان يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب التكرار في التيمم لأن التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن أبي الجهيم بن الحارث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث حسن وهذا محمول على أن الجدار كان مباحا أو مملوكا لإنسان يعرف رضاه

اكبر او حدثا

الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم

الغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل إذا أريد به الماء فهو مضموم وأما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيده وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالأشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الأعضاء وحقيقة الاغتسال غسل جميع الأعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب الغسل على الجنب مستفاد من قوله وإن كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا ففي الآية الأولى إجمال وهو قوله فاطهروا وبينه قوله في الآية الثانية حتى تغتسلوا وبينته قوله تعالى في الحائض

ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر بالاغتسال اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على
نسائه بغسل واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل
عند هذه وعند هذه قال قلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا اخرا قال هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد
وابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو
يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر لحديث اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود
فليتوضأ بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء
فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب على راسه ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون
غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة
في هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم
وابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء
بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بالوضوء عن اعادة
وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها وليحصل له صورة الطهارتين
الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم
ابو ثور وابو داود وغيرهما الى ان الغسل لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر اي شعر راسه
ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق راسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر ثم يفعل
بشق راسه الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر
واما بالقياس على شعر الراس وفائدة التخليل ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا
التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر ملبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول الى اصوله واختلف في وجوب
الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار اليد على اعضاء
الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا
غمس اليد في الماء للمتوضي من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث ثلث غرفات استحباب
التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وبه خصت ما ذكره قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت
ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده
بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري
ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل على اقل ما يسمى وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية
المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان
الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضا صلى الله
عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما
رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء الغسل الى اخره وهو مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع
بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء
فذهب الجمهور الى استحباب تاخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا
فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم

يغ

الانسان واما الرقى فاعلم ان الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان
الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من
حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص
فيكون من باب التغليب او المراد الفلق والناس وكذا كل ما ورد من التعويذ في القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه
وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم
يتعوذ من الجان ومن عين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع
من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولاسيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من
جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان تكون بكلام
الله تعالى او باسمائه وصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير
الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف ابن مالك كنا نرقي
في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى اذا لم يكن فيها شرك وله
من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء ال عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية
نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه قال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا
العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك
يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن ان يؤدي الى الشرك فيمتنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية
الا من العين واللدغة لحديث عمران بن الحصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل
كل ما يحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين جواز من به خبل او مس او نحو ذلك لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن احوال شيطانية
من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث
انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من
العين والحمة والنملة وفي حديث اخر والاذن ولابي داود من حديث الشفاء بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل
اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والماذون فيه ما كان
بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه
ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك
يدفع الافات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسماء الله وكلامه
فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سياتي ان شاء الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى
والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن
يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين
والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني ادم فاذا

عزم على الجنيه باسما الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذلك اللديغ اذا رقي بتلك الاسما سالت سمومها
من بدن الانسان فلذلك كره من الرقا ما لم يكن بذكر الله واسمايه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه
ليكون بريا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقا بغير كتاب الله علما الامه وقال القرطبي الرقا ثلاثة اقسام احدها
ما كان يرقا به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يودي الى الشرك الثاني ما كان
بكلام الله او باسمايه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسما غير الله من ملك او صالح او معظم من
المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجا الى الله تعالى
والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقا به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال
الربيع سالت الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان ترقي بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل الكتاب المسلمين
قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله انتهى وفي الموطا ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشه
ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم
وبالجواز قال الشافعي وروي ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب
خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين
شي ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعة
لغير معنى لان كل شي ليس محالا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول
فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة
وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب
بان طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوي الى بدن المعيون وقد نقل عن
بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة
الحايض تضع يدها في انا اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين
الرمدا فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك
او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعي واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة
اهل السنة ان العين انما تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان تحدث الضرر عند مقابلة شخص اخر
وهل ثم جواهر خفية او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبايع
بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرييه تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري
الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا
طبيعة انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة
من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسند عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضا الله وقدره بالنفس قال
الراوي يعني العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما تحدث
لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذلك الاصفرار عند روية من
يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من
التاثيرات ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها

فمنها

فمنها ما يوثر في البدن بمجرد الروية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير
بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة بهذا وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الروية
واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقا والالتجا الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي
رقية العين
يخرج من عين العاين سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم
الحسي سوا انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة فمن التعوذات
والرقا الاكثار من قراة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا
وبرا ومن شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن
الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين
فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا بركت عليه ومما
يدفع به اصابة العين قول ما شا الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك
من كل شي يوذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عايشه
كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد
ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك
وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفا به فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم
يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقفت في حديث سهل بن حنيف عند احمد
والنساي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة
اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخباة
فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر
ابن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل
له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الما عليه رجل من خلفه
على راسه وظهره ثم كفي القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري المراد بداخلة
ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد
ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورايت مما عزي
لخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير راويه عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد وقال
ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا الى العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه
فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على
يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل
يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب
على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض
ثم يصب ذلك الما المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى قال

قال وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي
ان توقف فيه متشرع قلنا الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لان
عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج
ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان
راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا والنونة والنونة
النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة وكان
في الرفقة رجل عاين قلما نظر الى شي الا اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر
العاين بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد
عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العاين
عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت
حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوايد ان العاين اذا عرف يقضى عليه
بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن
الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل
وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر
ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم يتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه
وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط
عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني
لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحيوة
فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في
معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف بذلك من مداخلة
الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس
واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن
غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على
انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال
اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله اذهب
الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدوا والتداوي ان لم يصادف
تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت
الشافي لا شفا الا شفاوك شفا لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع وقوله الا شفاوك بالرفع
بدل من موضع لا شفا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي يقول امسح
الباس رب الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت رواه البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص
انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على

الذي

الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر والمكررة
ليكون انجع وابلغ كتكرار الدوا لاخراج المادة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من
النوم عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال صلى الله عليه وسلم
اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما
اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك وجل ثناوك ولا اله غيرك رواه
الترمذي ذكر طبه عليه السلام من حر المصيبة ببرد الرجوع الى الله تعالى في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه
مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف
له خيرا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته وآجلته فانها تتضمن
اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة
وقد جعله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه
الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا وراء ظهره ويجي ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات
والسيئات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود او ياسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده
من اعظم علاج هذا الدا قال ومن علاجه ان يطفئ نار مصيبته ببرد التاسي باهل المصايب وانه لو فتش العالم
لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زائل ان اضحكت قليلا
ابكت كثيرا وان سرت يوما ساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملات دارا حبرة الا ملاتها عبرة ولا
سرته بيوم سرور الا خبات له يوم شرور قال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا الا ملئ ترحا
ذكر طبه عليه السلام من دا الهم والكرب بدوا التوجه الى الرب عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا
الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند
مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة وبالزاي وبالموحدة
اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو انما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما ان
المراد تقديم ذلك قبل الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور وزاد ثم دعا قال الطبري
ويويد هذا ما روى الاعمش عن ابراهيم قال كان يقال اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا بالدعا
قبل الثنا كان على الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة وقد سيل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي
صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعا ولكن قال
النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين وقال
امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان · أأذكر حاجتي ام قد كفاني · حباوك ان شيمتك الحياء ·
اذا اثنى عليك المرء يوما · كفاه من تعرضك الثناء · فهذا المخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء عن
السوال فكيف بالخالق ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية والربوبية
ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز
ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة العالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية
التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة الا له وعظمته
المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب

ومعرفته بذلك يوجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب
والهم والغم وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي
فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها هذا
الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما يصدق هذه الامور
من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم فقال
له شيخ ان ابا بكر بن علي قد سعى به عند السلطان فسجن فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه
بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعا الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله
عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج وفي حديث علي عند النسائي وصححه الحاكم لقنني رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم الحليم العظيم سبحان الله تبارك
الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك
له العلي العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك
وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النسائي وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي
يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
قال العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا البلا مناسبة بديعة فان صفة
الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله
الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا
لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات والتوسل بصفة الحياة والقيومية له تاثير في
ازالة ما يضاد الحيوة ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا
كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وروى ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني
كله لا اله الا انت وفي هذا الدعا كما قال في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده
وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ما له تاثير
في دفع هذا الداو كذا قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك
به شيا وفي مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا
حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرجا وانما كان هذا الدعا
بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية ابايه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا وانبا
القدر وان احكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه وتعالى
عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها
ومنها ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى
الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم ساله ان يجعل القران لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور

الذي

الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا
ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل
في استعمال هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامه فقال يا ابا امامه ما لي اراك في المسجد
في غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل
همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن
واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت
ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني فقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنين
منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال
اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما
كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلا كل امة ان المعاصي والفساد يوجبان
الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب والاثام في القلوب فلا دوا لها الا
التوبة والاستغفار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي
بعض الاثار انه ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي
لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب
ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب
اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها
مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند
الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر بن محمد
يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك
التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجاي فكم من نعمة انعمت بها علي
قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من
قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعما ينقطع
التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى ال محمد وبك ادرا في نحور الاعدا والجبارين اللهم اعني على ديني
بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حظرته علي يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه
العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا
والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية اسالك تمام العافية واسالك دوام العافية واسالك الشكر على العافية
واسالك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دا الفقر
عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت فقال له اين انت من صلاة الملايكة وتسبيح الخلايق

الدين

وبه يرزقون قال عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى
الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواة مالك

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه رواه الطبراني فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير
فاجاب صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من
الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله كان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب
بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو
في الارض والفساد وكبرياء الله تعالى يقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله
تعالى لا يقوم لها شي فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه
كذلك انتهى ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمان مائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره ولقد
شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في سنة ست وثمانين وثمان مائة معلنة بالتكبير

ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني انكشف
فادع الله لي ان لا انكشف فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر قالت
فاني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها قال العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية
وصرع من الاخلاط الردية والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطبا فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة
المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها
والتعوذ الصحيح الذي قد تواطا عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح
الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان
الامران ايضا حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا قوة الا بالله قال
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة
قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخصوصا
بسبب دماغي ايس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال فهذه المراة التي جاء الحديث انها كانت
تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة ولقد جربت
الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله ~~صلى الله عليه وسلم~~ والذين معه اشداء على الكفار الى اخر
سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف
واستغاثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء الذي يصارعها في المنام بامره صلى الله عليه وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها
فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد

ذكر دوائه عليه الصلاة والسلام من داء السحر قال
النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل
يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعلمه وتعليمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل
عندنا وان تاب قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله
والمسالة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق
والزنديق قال القاضي عياض وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال

اصحابنا

اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد
يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف
الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف
في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية
وطائفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة
الصحيحة المشهورة قال شيخنا الامام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين اولا فمن
قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من
الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال
المازري جمهور العلماء على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب
اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى
ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء
وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع
به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة
والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انها تقع غالبا اتفاقا واما
المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة
لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه الخارق
فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر
حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف
على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند
من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا
قال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان
عصيهم كانت مجوفة قد مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها
ازاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته
كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق
ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكور ان ينقلب
الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سحر حتى انه كان ليخيل اليه انه يفعل الشي وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال
يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر
قال واين هو قال في بير ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجا فقال يا عائشة كان ماءها نقاعة
الحنا وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على
الناس فيه شرا فامر بها فدفنت وفي رواية للبخاري ايضا فاتى البير حتى استخرجه فقال هذه البير التي اريتها قالت عائشة

الا تنشرت قال اما الله شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند
ضعيف في اخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق
والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي
صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل
رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى
عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين
الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من
الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جات روسا اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا
انت اسحرنا وقد سحرنا فلم يصنع شيا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية
ابي ضمرة عند الاسمعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان يكون
الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شي من الاحاديث
المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ
ابن حجر وقد وجدناه موصولا باسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يجوز
هذا بعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشي ولم يوح
اليه بشي قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته
في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا
ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشي ولم يكن فعله
ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل
ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطي فاذا دنا من المراة فتر عن ذلك
كما هو شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راى الشي يخيل انه
على غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويويد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف
ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر
فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على بلايه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته
جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه يعني حين طب
ثم جنح الى الدعا وكل من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوخذ من النشرة مقاومة
للسحر الذي هو من تاثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعا والقراة فالقلب اذا كان ممتليا من الله معمورا بذكره
وله ورد من الذكر والدعا والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تاثير
السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يوثر في النسا والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح
تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظم مقامه وصدق
توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز
ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من

وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى ذلك فهو باطل

سدر

سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضرب ذلك بالما ويقرا فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به
فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري
وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه
فيجدون على ذلك الشفا واخبر رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال انه مرة راى النبي صلى الله
عليه وسلم قال له ما تعلم ما تعمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين لو انزلنا هذا القران على
جبل الى اخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارى
وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ما مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اسالك باسمايك
الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلا والمعافي والشفا والدوا اسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركات
خليلك ابرهيم عليه السلام وحرمة كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه ذكر رقية تنفع لكل شكوى

ف

عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى شيا فليقل ربنا الله الذي في السما تقدس اسمك امرك
في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من
عندك وشفا من شفايك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه ابو داود في سننه رقية له عليه الصلاة والسلام من
الصداع روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من
الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واصابت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في راسها فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين
عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده
والبيهقي رقية له صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس روى البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكى الى النبي صلى
الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه
بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يالم فقال بسم
الله وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شي فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت
خديجة من الضر كله فسكن ما بها ومن الغريب ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة
ورايته يفعله غير مرة وضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد الالم ان لا يالمه
فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر فالوا انما رفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يالمه كما اشيع ذلك
واشتهر ومما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة قليلا ما تشكرون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم رقية لاسر البول روى

لعسر

النسائي عن ابي الدردا انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السما تقدس اسمك امرك في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض
واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفا من شفايك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فبرا وامره ان
يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث ابي داود رقية الحمى عن انس قال

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شيت
علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق
يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله
الها اخر قالت فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق
وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري
على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى
المثلثة مما ذكره صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة
ويجعلها في فمه ويبلعها بماء وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل ذلك من الشفا الذي جعل
الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا يزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان
به الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل وكان المكتوب فيها الحي لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال لا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت
فكتب الي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا
به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك
اله الحق امين ومما جرب للخراج ونقله صاحب المعاد انه يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله بن الامام
احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها في جام ابيض او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
بلاغ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال
يا ابا عبد الله تكتب لامراة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران قال ورايته يكتب لغير واحد
وفي المدخل يكتب في اناء جديد اخرج ايها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين
الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وتشربها النفسا
وتمسح على وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجي في وقته وروى عن عكرمة
عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني
مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها
فاذا هي قايمة قال فاذا عسر على المراة ولدها فاكتبه لها ومما يكتب لذلك ايضا ويكون في اناء نظيف اذا السما انشقت واذنت
لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت تشرب الحامل منه ويرش على بطنها ومما يكتب للرعاف على جبهة
المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله بعض الجهال فان الدم
نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق
كل شي انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفا لا يغادر سقما لا شافي
الا انت واما حفيظة رمضان لا آلاء الا آلاؤك يا الله انك سميع عليم يا الله محيط به علمك كعسلهون وبالحق
انزلناه وبالحق نزل الى اخرها فقال شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة رمضان
تحفظ من الغرق والسرق والحرق وساير الافات وتكتب في اخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم

بعد

بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل اشعر كلام بعضهم ورودها في حديث ضعيف
وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قايم على المنبر في اثنا خطبته حين يرى من يكتبها انتهى ذكر ما ينفي من
كل بلا عن ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شي في الارض ولا في السما وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه
فجاة بلا حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك تنظر الي فوالله ما كذبت
على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها
رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان
ما تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يوميذ ليمضي الله قدره ذكر ما يستجلب به المعافاة من
سبعين بلاء ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقية عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله
الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلا من
بلايا الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة
الا بالله ولا ملجا من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناهن الفقر وروى الطبراني عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دوا من تسعة وتسعين دا ايسرها الهم ومن
ذلك نفي الايمان من الفقر عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله
مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي الدنيا وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
عن علي بن ابي طالب رفعه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر وانسا من
وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان
كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي ذكر دوا دا الطعام روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود
من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسما في الارض والسما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا لم يضره ما كان
ذكر دوا ام الصبيان عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن
في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم يضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان هي
الريح التي تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب تحفة المودود باحكام المولود ان يكون اول ما يقرع
سمع المولود كلماته المتضمنة لكبريا الرب وعظمته والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار
الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فايدة اخرى وهي هروب الشيطان
من كلمات الاذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه
اول اوقات تعلقه به النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية ذكر
ما كان عليه السلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم ان الصداع الم في بعض اجزا الراس او كله
فما كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة [illegible] عظيمه وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة
ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي الراس احدث الشقيقة وان ملك كل الراس احدث
دا البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الراس كلها واسباب الصداع كثيرة فمنها ما تقدم ومنها

كله

ما يكون عن ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع
والقيء والاستفراغ والسهر او كثرة الكلام ومنها ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى
ومنها ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاقات الدماغ او حمل شيء ثقيل يضغط الراس او تسخينه
بشيء خارج عن الاعتدال او تبريده بملاقاة الهواء او الماء في البرد واما الشقيقة فهي في شرايين الراس
وحدها وتختص بالموضع الاضعف من الراس وعلاجها بشد العصابة وقد اخرج الامام احمد من حديث
بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح انه صلى
الله عليه وسلم قال في مرض موته وا راساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع الشقيقة وغيرها من
اوجاع الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة
كانت به وقد جاءت مقيدة كما في بعض طرق ابن عباس نفسه فعند ابي داود الطيالسي في مسنده من حديث
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطبا انها نافعة جدا وورد انه صلى الله عليه وسلم
احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وقد قال الاطبا
الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه كالاذنين والعينين والاسنان والانف وقد ورد في حديث
ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من
سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس بالكذب وغيره
وروى ابن ماجه في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف راسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله
من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا
كان كذلك نفع فيه الحناء نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص بوجع الراس
بل يعم جميع الاعضاء وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا في
راسه الا قال احتجم ولا شكا وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحناء وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله عن جدته
وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكبة الا امرني ان اضع عليها
الحناء ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها
وسببه انصباب احد الاخلاط او ابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث
الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث الخنان بالمعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة وان
لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة
وترك الحركة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل
فاخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والكماة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع
وروى الطبري من طريق المنكدر عن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها
وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من
المن فقيل من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا ومنه الترنجبين
فكانه شبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي

انزل

انزل الله على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شيء
ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه
شبهة ويستنبط وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط
منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكون ماؤها شفاء للعين قولان احدهما انه ماؤها
حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين احدهما
انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يؤخذ الميل فيجعل
في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديه ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في
مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال اخر تجعل الكماة في قدر جديد ويصب عليه الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ
غطاء جديد نقي فيجعل على القدر فما جرى من الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن واقد ان ماء
الكماة اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة
ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة
وحدة في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطبا ان ماء الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما
قال والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها
الافات بامور اخرى من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الاصل نافعة لما اختصت
به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كلما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله
ويدفع الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة وهي بضم
المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن او الحلق او في
الخرم الذي بين الانف والحلق وهو يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو
موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسدية
اسد خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم على ما تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات
الجنب يريد الكست وهو العود الهندي قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز
الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دما
فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع
في راسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة فصنع ذلك للصبي فبرا الحديث وفي القسط
تخفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهو شيء يعلقونه على الصبيان فنهاهم
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل
معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار واجيب
بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية وايضا فالادوية الحارة
قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني
على انا لو لم نجد شيئا من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لكذا استطلاق
البطن في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي

البصر

ابن

بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق
الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده
الا استطلاقا وفي رواية احمد عن يزيد بن هرون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرأ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة فقال صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب
في موضع الخطا يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفا بل زل عنه
وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر
نفعه في الحال مع كونه عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا
اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك
جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف
السن والعادة والزمان والغذا المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا
عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل
كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط
لزجة تمنع استقرار الغذا فيها للمعدة خملا كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا الواصل
اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شي في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفده
في اول مرة لان الدوا يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة
واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب
مادة الدا برا باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدوا نافع وان بقا
الدا ليس لقصور الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال
بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة
فيهيجها بلذعها لها حتى تدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر
وقال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المنسهل اربعة اقوال احدها انه حمل الاية على عمومها في الشفا
والى ذلك اشار بقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله اي في قوله شفاء للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي
باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف
له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا
بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويويد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفائين العسل والقران اخرجه ابن ماجه
والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امراته
من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ما السما فيجمع هنيئا مريئا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير باسناد حسن وروينا
عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بما السما وليأخذ من امراته درهما
عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القران ما هو
شفا وقال وانزلنا من السما ما مباركا وقال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفا للناس
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث
اسما بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قالت

قالت

يقع في شي من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان وضوء
الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفى عنه بغسلها وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا فافيض
على راسي ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف
قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع
فاغتسل ثم خرج الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي
بذلك بقرائن او باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة السابقة فيوخذ منه جواز التخلل
الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنده ايضا من حديث ميمونة وصفت للنبي صلى الله عليه وسلم
غسلا فسترته وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها
ثم غسلها فمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل
قدميه فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم ياخذه
على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم
الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة وغير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب
لابقاء بركة بلل الما او للتواضع او لشي راه في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش
قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة وقال التيمي في شرحه
في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الما بيده
يدل على ان لا كراهة في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه
اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتا وفي هذا
الحديث جواز نفض اليدين من ما الغسل وكذا ما الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره ولفظه
لا تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلاة رواه البخاري وفيه رد على من
حمل الوضوء هنا على التنظيف وقولها وتوضا للصلاة اي وضوءا كما للصلاة اي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس
المراد انه توضا لادا الصلاة والحكمة فيه انه يخفف الحدث لا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع
الحدث عن تلك الاعضا المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة باسناد رجاله ثقات عن شداد بن
اوس الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه
انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عائشة انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا اجنب فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الما وقيل غير ذلك
انتهى ملخصا من فتح الباري النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم اعلم بان الصلاة
تحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى
للمصلين في كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع
الى يوم القيمة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في غيرها فمنها
الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراة والقيام والركوع والسجود والتسبيح
في الركوع والدعا في السجود الى غير ذلك فهو مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة وكذا كل فرد منه

والقراة بمجردها عبادة

وقد أمر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله سبحانه اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلوة وقال تعالى وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبّه عليه صاحب كتاب التنوير أمدّنا الله بمدده إشارة إلى أن في الصلاة تكليفًا للنفوس شاقًّا عليها لأنها تأتي في أوقات ملاذّ العباد واشتغالهم فيطالبهم بالخروج عن ذلك كله إلى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها ومما يدلك على أن في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وأن القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين إشارة إلى أنه يحتاج في الصلاة إلى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بحسن آدابها وواجباتها وصبر يمنع القلوب عن غفلاتها ولذلك قال بعد ذلك وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأفرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به إذ لو كان كذلك لقال وإنه لكبير فذلك يدل على ما قلناه أو لأن الصبر والصلاة متقاربان متلازمان فكأن أحدهما هو عين الآخر كما قال تعالى في الآية الأخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه انتهى ملخصًا ثم إن الكلام فيها ينقسم إلى خمسة أقسام **القسم الأول** في الفرائض وما يتعلق بها وفيه أبواب **الأول** في الصلوات الخمس وفيه فصول **الأول في فرضها** عن أنس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به خمسين صلوة ثم نقصت حتى جعلت خمسًا ثم نادي يا محمد إنه لا يبدل القول لديّ وإن لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرًا ورواه البخاري ومسلم في حديث طويل تقدم في مقصد الإسراء مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم وأبو داود والنسائي وقوله وفي الخوف ركعة محمول على أن المراد ركعة مع الإمام وينفرد بالأخرى وعن عائشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى رواه البخاري وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعًا فعيّن في هذه الرواية أن الزيادة في قوله في الحديث الذي قبله وزيد في صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه أن القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة لأن نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر إنما يكون من شيء أطول منه ويدل على أنه رخصة أيضًا قوله عليه السلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم وأما خبر فرضت الصلوة ركعتين في السفر فمعناه لمن أراد الاقتصار عليهما جمعًا بين الأخبار قاله في المجموع **الفصل الثاني في ذكر تعيين الأوقات** التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس عن جابر أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين كان الظل مثل ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله فصلى العشاء ثم أتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله فصلى الغداة ثم أتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى الظهر ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس وصنع كما صنع بالأمس فصلى العشا

ثم أتاه

ثم أتاه حين امتد الفجر وأصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي وفي رواية قال لخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشا إلى ثلث الليل أو نصف الليل شك أحد رواته ثم صلى الفجر فأسفر وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم أمّني جبريل عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشا حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالأمس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب لوقت الأولى ثم صلى العشا الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفرت ثم التفت إلى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الأنبيا من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الأول حينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل عليه حديث مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر إذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبًا لأنه بان مصير الفيء مثل الشراك كما اتفق عليه أئمتنا ودلت عليه الأخبار الصحيحة وأما حديث ابن عباس فالمراد به أنه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا أنه أخر إلى أن صار مثل الشراك ذكره في المجموع وقد بيّن ابن إسحق في المغازي أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الإسرا ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما أصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الأولى أي صلاة الظهر فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي بأصحابه فذكر الحديث وفيه رد على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وإنما دعاهم بقوله الصلاة جامعة لأن الأذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة أبي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فإنه محمول على أنه كان مبلغًا فقط كما سيأتي تقريره إن شا الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرها رواه البخاري وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب إلى العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال رواه البخاري ومسلم وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد أن تمضي مسافة أربعة أميال والمراد بالشمس ضوءها وعن سلمة بن الأكوع أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف أحدنا وإنه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية أي يبصر مواقع سهامه إذا رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب في أول وقتها بحيث إن الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان الحر أبرد بالصلاة وإذا كان البرد عجل رواه النسائي من حديث أنس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضا نقية رواه أبو داود من رواية علي بن شيبان وقال عليه السلام إذا قدم العشا فابدأوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن

عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود لا تؤخروا الصلاة لطعام ولا غيره وأعتم صلى الله عليه وسلم
بالعشا ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النسا والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل
الارض احد غيركم قال ولا يصلّى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول
زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي او على الناس
لامرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى
مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا مضاجعهم
وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر
الليل وفي حديث ابي هريرة لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يوخروا العشا الى ثلث الليل او نصفه صححه الترمذي
فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على احد من المامومين فالتاخير في حقه افضل
وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي
يستحب الى الثلث وبه قال مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في القديم
التعجيل افضل وكذا قال في الاملا وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم وتعقب بانه ذكره في
الاملا وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري ه

الفصل الثالث

في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع الاول في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم روى ابو داود
انه عليه الصلوة والسلام سمع بلالا انه يقيم الصلوة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها
وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه عبد الرزاق من حديث عايشة وروى البخاري عن ابن عمر
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة واستدل بهما على تعين لفظ التكبير دون غيره من الفاظ
التعظيم وهو قول الجمهور ووافقهم ابو يوسف وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم وقد روى البزار
باسناد صحيح على شرط مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولاحمد
والنسائي من طريق واسع بن حبان انه سال ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما
وضع ورفع وليعلم ان تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية
وقيل سنة قال ابن المنذر لم يقل به احد غير الزهري ولم يختلف احد في ايجاب النية في الصلاة وقال البخاري في
اواخر الايمان باب ما جاء في قوله عليه السلام الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكوة
قال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال الله اكبر ولم يقل شيا قبلها
ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلي صلاة كذا مستقبل القبلة اربع ركعات اماما او ماموما ولا اداء ولا قضاء ولا
فرض الوقت قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه احد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة
واحدة البتة بل ولا عن احد من الصحابة ولا استحسنه احد من التابعين ولا الائمة الاربعة وقول الشافعي في
الصلاة انها ليست كالصيام فلا يدخل احد فيها الا بذكر اي تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا
لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا احد من اصحابه انتهى وعبارة الشافعي في كتاب المناسك ولو
نوى الاحرام بقلبه ولم يلب اجزاه وليس كالصلاة لان في اولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ ابو علي
السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم انما اراد الشافعي بذلك تكبيرة الاحرام
قطعا انتهى وبالجملة فلم ينقل احد انه عليه السلام تلفظ بالنية ولا علم احدا من اصحابه التلفظ بها ولا اقره على ذلك
بل المنقول عنه في السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي الصحيحين

الله عليه السلام لما علم المسيء صلاته فقال له اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرا ما تيسر معك من القرآن
فلم يامره بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلما في التلفظ بها فقال قايلون هو بدعة لانه لم ينقل
فعله وقال اخرون هو مستحب لانه عون على استحضار النية القلبية وعبادة للسان كما انه عبودية
للقلب والافعال المنوية عبودية الجوارح وبنحو ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين
ابن كثير واطنب ابن القيم في زاد الهدي في رد الاستحباب واكثر من الاستدلال بما في ذكره طول
خرجنا عن المقصود لا سيما والذي استقر عليه اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين
من حديث انس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجة وفي البخاري
من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي فقال
صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن
تعقب هذا بانه عليه السلام قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك
وامتثالا للامر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه السلام اكثر من ثلثين الف صلاة فلم ينقل عنه
انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما ان فعله سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله وتركه فناتي
من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما
على الاخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتامل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة رفع يديه حتى
يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك واذا رفع راسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا
رفع راسه من الركوع رفعهما كذلك ايضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي اخرى نحوه وقال ولا
يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود من حديث علقمة كان صلى
الله عليه وسلم اذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من
حديث رواه ايضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي اجمعت الامة على استحباب
رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي واحمد وجمهور العلما من الصحابة يستحب
ايضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول انه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو
اذا قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم كان
يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه ابو داود ومذهب الشافعي
والاكثرين ان المصلي اذا وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعي تحت
سرته وكان عليه الصلوة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له ابو هريرة بابي انت وامي اسكاتك
بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري
ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت
بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت

وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث رواه مسلم وعن عايشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود
وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا
من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسائي الفرع الثاني
في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم البسملة في اول الفاتحة روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده بذاك ورواه الحاكم عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر بن هرون البلخي
وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع
المثاني والقران العظيم وهي ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه او مثله وقال كلهم ثقات
وروى البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله تعالى سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة
منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين
رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كما اخرجه
مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الالفية العراقي لشيخنا
الحافظ ابي الخير السخاوي رحمه الله تعالى في باب المعلل ما نصه وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفي قراءة البسملة
في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري وكذا حديث قتادة
قال سئل انس نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها
وفي لفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا ولذلك مخطئ في ظنه ولذا قال
الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه المعنى انهم يبدؤون بقراءة ام القران قبل ما يقرا بعدها
لا انهم يتركون البسملة اصلا ويتايد ذلك بثبوت تسمية ام القران بجملة الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري
وكذا بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله
الرحمن الرحيم ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه لا علة له
لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الاستفتاح في الصلاة باي سورة واجابه
بالحمد لله ساله عن كيفية قراءته فيها وكانه لم يتوهم السائل ما نحا من تعيينه بعبارة خصوصا وهو السائل
اولا وقد احتج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا سلمة سعيد بن يزيد سال انسا اكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيئا قال وهذا مما يتايد به خطا النافي
ولكن قد روى هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان المعلل رواية حميد خاصة انه رفعها

وهو

وهو من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض اصحاب حميد ايضا عنه فانه في نسخ من الموطات
عن مالك صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كانوا لا يقرؤون بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فيه
وكذا النبي عند كثير من حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي
عدي حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه واما
رواية قتادة وهي رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه
قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه
على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن اختلف
عليه فيه من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود الطيالسي فقط حيثما وقع
من طريق غير واحد عنه فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر والدوري وكذا
الطيالسي وعنده ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله بل كما اختلف كذا عن قتادة من اصحاب انس
اسحق بن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس بدون النفي واسحق وثابت
ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه باللفظ الثاني للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون
القراءة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام
ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور بن زاذان
فلم يسمعنا قراءة بسم الله واصرح منها رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع
زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه
مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا احفظه بان المثبت مقدم على النافي خصوصا
وقد تضمن النفي علم استحضار انس رضي الله عنه لاهم شي يستحضره وبامكان نسيانه حين سؤال ابي مسلمة
له وتذكره له بعد فانه ثبت ان قتادة ساله ايقرا الرجل في الصلاة بسم الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله ونحتاج اذا استقر تحصيل حديث انس على نفي الجهر الى دليل
له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر له الشارح دليلا وارشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر الى ما يوجد منه ذلك بل قال
ان عن نعيم المجمر صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى بلغ ولا الضالين وقال الناس
امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني
لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن حبان
ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال
ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في معظم الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم
بدون ذكر البسملة واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزاء فيحمل على عمومه حتى يثبت
دليل يخصه ومع ذلك فيه فيطرقه احتمال ان يكون سماع نعيم لها عن ابي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقال
قال فخر الدين الرازي في تصنيفه له في الفاتحة روى الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم
[فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم كان]
يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود
فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع
والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان معوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة

فلولا ان الجهر بالتسمية كان الامر المستقر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه انتهى وهذا حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده تعداد من جهر بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمن عن اسمعيل بن حماد بن ابي سليمن عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل قال الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بها صوته للحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا ما نصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو شامة بن الفارس والذي يروم تحقيق هذه المسئلة ينبغي ان يعرف ان هذه المسئلة تتعلق بالقراءات امس وذلك ان من القراء الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يقرأها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر وابي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها فمن قرأ على قراءة من جعلها من ام القرآن لزمه ان يقرأها ومن قرأ على قراءة من لم يرها من ام القرآن فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف فيها كالخلاف في حرف من حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته ولا على منفيه ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأها وتارة لم يقرأها هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من القولين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه القراءات السبع كلها حق مقطوع بها من عند الله وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وفي سورة من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار والفات وواوات وهاءات كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن نزل على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه قرآن فما ادري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو الذي يرتفع من ذلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين الجهر والاسرار بالجهر واسر عنه ان الاسرار كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها للمصنف عن لا انه احاديث كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها لعارمي العصبية ولا يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين ماذا ترى في ظهور اسم الامام الشافعي وغلب ذكره فقال ذلك لكثرة اظهار اسم الله في البسملة لكل صلاة انتهى

الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله امين بعدها كان صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال امين ومد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي جهر بامين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن رفع صوته وقال امين وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا

قال

قال ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اومى الى النسخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بالتامين في ابتداء الاسلام ليعلمهم فان وائل بن حجر انما اسلم في اواخر الامر

الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة

عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي يقرأ في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بق والقرآن المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهرون او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف عليه اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك ان يقتصر على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الاية اخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهرون او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط اية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف في الركعتين ام ابو بكر بالصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة قرأها في الركعتين وهذا اجماع منهم وقرأ في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي ام قرأ ذلك عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صبح الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان يقرأهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف السنة وانما كان يقرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق ادم ودخول الجنة والنار واحوال يوم القيمة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية في العلم المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده الحافظ ابن حجر قال وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نصا وهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود في الفرض قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطلت التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل في بعض الاوقات انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراءتهما في صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرأ غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا يجزئ غيره قال ولم ار في شيء من الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة

في ذكره

الم تنزيل في هذا المحل الا في كتاب الشريعة لابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرأ سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفي اسناده
من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح
يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرأ السورة ولم يسجد لها **الفرع الخامس**
في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاتي الظهر والعصر عن ابي قتادة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الظهر في الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الاية احيانا
ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم د
قال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويله الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر
فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى اخر هذا الحديث فظننا
انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة
وفي رواية في كل ركعة قدر ثلثين اية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرنا في الركعتين
الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم د
وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى
وفي العصر نحو ذلك رواه مسلم وعنه كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود
والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمن والذاريات
رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الاخبار دون التوقف
على اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو
كان في الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله
عليه وسلم كان يخبرهم عقب الصلاة دائما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قال صلى
الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد كانت
صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم ياتي اهله فيتوضأ ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم
في الركعة الاولى رواه مسلم د **الفرع السادس في ذكر قراءته** صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب عن ام
الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك
وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل
في روايته عن ابن شهاب انها اخر صلاة صلاها صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده
البخاري في باب الوفاة وعلقه في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة ان الصلاة التي صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التي حكتها عائشة كانت
في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب في
هذا الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه في مرضه فصلى المغرب الحديث
رواه الترمذي ويمكن حمل قولها خرج الينا من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى فتلتئم الروايات
وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري
في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جاء في اسارى بدر وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك

ويمكن ان يكون تطويل الاولى لادراك الناس الجماعة

الحديث

اول

نعم قال

اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني فاخذني من قراءته الكرب ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي
وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن ثابت
ما لك تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بطولى الطوليين رواه البخاري
زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عائشة انه صلى الله
عليه السلام صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرأ صلى الله عليه وسلم
في صلاة المغرب حم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف
من السبع الطول والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا
فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجه عن ابن عمر نص فيه على الكافرون
والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة فاما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول
قال الدارقطني اخطأ بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ
انه قرأ بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال
ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرأ في الصبح بطوال المفصل
وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال
به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها **وطريق** الجمع بين هذه
الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة
على الماموميين وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك
لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على
ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطول وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما راه من
النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالطول من المرسلات
لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعاء نسخ التطويل لانه روى عقب حديث
زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرأ في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه
الدلالة وكيف تصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان اخر صلاة صلاها بهم قرأ بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه
هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب
ان يخفف القراءة انتهى والراجح عند النووي ان قصار المفصل من الحجرات الى اخر القران والله اعلم د **الفرع السابع**
في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة العشاء عن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء والتين
والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه
وسلم اذا اتى على اية عذاب وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال
سبحان ربي الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم التين والزيتون
فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله
اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا
بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير
والقراءة اسكاتة وعنها ساله ابو هريرة وليسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراءة السورة وهي سكتة لطيفة

عا

جدًا حتى يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع واما السكتة الاولى فانه يجعلها بقدر الاستفتاح واما الثانية فلاجل قراءة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدرها ذكره صاحب زاد المعاد وعن سمرة ابن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قرأ ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي

الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابي حميد الساعدي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب رأسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي

الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابن جبير قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن البراء كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت في الحديث تطويل القيام فانه كان يقرأ في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه كان تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله فيتوضأ ثم يأتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرأ سورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهرون وانه قرأ في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري بالاعراف وكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد البراء ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام اطال الركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلاة والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها انتهى

الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن رواه البخاري ومسلم ومعنى يتأول القرآن يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان عليه السلام يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في الآية وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح رواه مسلم وعن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى رواه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم قال النووي يبدأ يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الى آخره قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطائفة انه يستحب لكل مصل من امام ومأموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد في حال ارتفاعه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا وقد قال عليه السلام صلوا كما رأيتموني اصلي رواه البخاري انتهى وقال ابن القيم كان عليه السلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح انتهى وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان

اثبات

اثبات الواو دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب وما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر وانما قيل باسقاط الواو دل على احد هذين انتهى وقال ابن العراقي اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك رجحان الواو وفي ذلك خلاف وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جائز ولا ترجيح لاحدهما على الآخر وعن ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم قوله ملء السموات وملء الارض اي حمدا لو كان اجساما لملأ السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له فانا نقول ربنا لك الحمد لتحصل ذلك وقوله اهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو وتعينا احق قول العبد لا مانع لما اعطيت الى آخره واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرأ وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنا اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة والله اعلم وفي رواية ... وفي عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد

الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكره قائما عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه ايضا في كل خفض ورفع وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذي غر الراوي انه غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلطه ووهمه فصححه نبه عليه في زاد المعاد وكان عليه السلام يضع ركبتيه قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه مسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد على هذه الاعضاء كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك والاكثرين وقال ابو حنيفة يجب عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت ثمانية وكان عليه السلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة كان صلى الله عليه وسلم اذا سجد جافى بين يديه حتى لو ان بهمة ارادت ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرر وهو متروك وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله واوله وآخره وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره وعن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك

لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك
انه عليه السلام استعاذ بالله وسأله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط
ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به
منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي ثناء
عليك اي لا اطيقه ولا اتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك واحسانك والثناء بها عليك
وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا
يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك الى الله تعالى المحيط
بكل شيء جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل شيء
اثنيت به عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله واحسانه
اوسع واسبغ انتهى وههنا فائدة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القران في الركوع
والسجود وهي ان القران اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب
مع كلام الله تعالى ان لا يقرا في هاتين الحالتين ويكون حالة القيام والانتصاب اولى والله اعلم وروى
ابو داود انه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع راسه من السجود
مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه راسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان عليه
السلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما في
صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم عنها
ولا تستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه السلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني
واهدني وعافني وارزقني رواه ابو داود والترمذي من حديث ابن عباس

الفرع الثاني عشر في ذكر
صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى
وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس
في الصلاة يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان يخرج رجله اليسرى
من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا
الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة عقب كل
ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخير ولو كان
على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل
مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة باطلاق حديث عائشة هذا واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي
في صحيح البخاري وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في اخر الصلاة وحمل حديث عائشة
على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير ليجمع بين الاحاديث انتهى قلنا مثل مع قول ابي القيم انه لم ينقل احد عنه صلى
الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد
الساعدي في عشرة من اصحابه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اعرض
فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر
ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والترمذي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد

على

جلوسه

واحد

فالهدي

على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى فاذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض واخرج قدميه من
ناحية واحدة الحديث وكان عليه السلام اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع
يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه
ورفع اصبعه اليمنى التي تلي الابهام يدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند ابي داود من
حديث ابي وائل بن حجر حلق حلقة وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرايته يحركها
ويدعو وفي حديث ابن الزبير عنه ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل
باصابعه القبلة في رفع يديه وركوعه وسجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده الفرع
الثالث عشر في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة
ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله رواه
مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره الشافعي لزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضي
عياض رحمه الله تعالى وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمن اخبرنا الشافعي جوابا لمن
ساله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نرى الروايات اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابن مسعود
خلاف هذا فذكر الكلام الى ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحا ورايته اكثر لفظا
من غيره يعني من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا اخر كلامه وليس فيه التصريح بالافضلية والعلم
عند الله تعالى وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقهاء واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين
اشد صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه الناس على المنبر ولم ينازعه
احد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان
وقال احمد الاول واجب والثاني ركن وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان وعن مالك رواية
بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القسم بن محمد قال علمتني
عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود سوى ورواه البيهقي باسناد جيد قال النووي وفي هذا فائدة حسنة
وهي ان تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى ما وقع في الرافعي انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه بانه لم يرو كذلك صريحا نعم وقع في البخاري
من حديث سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي علمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر
لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة
فالجواب ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان قلت ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب
في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كان يقول السلام على النبي فينتقل
من تحية الله الى تحية النبي الى تحية النفس ثم الى الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه
الذي علمه للصحابة ويحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة بالله ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت
بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت اعينهم بالمناجاة فنبهوا على ان ذلك بواسطة

لعله منه

يلي

المعتمد في مذهبنا

من

الله عليه وسلم

قال

لعله ثم

بحب نتبع

نبي الرحمه وبركة متابعته فالتقوا باذن الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قايلين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله عليه السلام علينا وعلى عباد الله السلام
الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل
العظيم وقال القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي
وللمومنين والمومنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا
بخدمة الله وفي حق رسوله وفي نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه
السبكي ان في الصلاة حقا للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بجميع حق المومنين من مضى ومن يجي الى يوم
القيمة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
عنا وعند الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا ابن ماجه والدارقطني وعن ابي
مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر لعله
قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال بانه
حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه
بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة
التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وال محمد فزاد وترحم على محمد وال محمد وبارك على
محمد وعلى ال محمد الى اخره فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردودة
لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم وجدت
لابن ابي زيد مستندا فاخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على
محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وترحم على محمد
وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم شهدت له يوم القيمه وشفعت له ورجاله رجال الصحيح
الا سعيد بن سليمن مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما
الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور
الجواز مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية
عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال
لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه السلام قال من صلى علي ولم يقل
من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة معنى الرحمه ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه
الى غيره انتهى واخرج ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد
وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى ال محمد كما جعلتها على ابرهيم
وعلى ال ابرهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد
عبدك ورسولك كما صليت على ابرهيم ولم يذكر ال محمد ولا ال ابرهيم وعند ابي داود من حديث ابي هريرة اللهم

صل

صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته ووقع في اخر حديث ابن مسعود في
العالمين انك حميد مجيد قال النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك مثله
وزاد في اخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها
في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا انه اسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم تنبيه
يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الا فضل
لمن يتشهد ان ياتي باكمل الروايات ويقول كلما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث
صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم
يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة
المحيا وفتنة الممات اللهم واعوذ بك من الماثم والمغرم فقال له قايل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم
فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية عايشة قال
ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها
والعياذ بالله امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت لقربها منه ويجوز
ان يكون اراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة
والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن سفين الثوري ان الميت اذا سيل من ربك
تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سوال التثبت له حين يسال وقد استشكل دعاوه
صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر واجيب باجوبة منها انه قصد التعليم لامته ومنها
ان المراد السوال منه لامته فيكون المعنى هنا اعوذ بك لامتي ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام
خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل
الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم
لعله عدم يتحقق ذلك احرى بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه انه لا يدركه فلا اشكال على الوجهين الاولين
وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يتحقق ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الاخر عند مسلم ان يخرج وانا فيكم
فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني
اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك من فتنة
المحيا والممات رواه ابو داود وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم
وانت الموخر لا اله الا انت رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت الى اخره
ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من
الصلاة وسلم وهذا ظاهر في انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسياتي الجواب عما استشكل
من دعايه عليه السلام بهذا الدعا في ادعيته صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم
من المواضع التي كان يدعو فيها في داخل صلاته ستة مواطن الاول عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيح
اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث والثاني في الركوع كما في حديث عايشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول

في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي الثالث في الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى
عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد الرابع السجود وهو اكثر ما
كان يدعو فيه وامر به الخامس بين السجدتين اللهم اغفر لي الى اخره السادس في التشهد وكان ايضا يدعو في
القنوت وفي حال القراءة اذا مر باية رحمة سأل واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله الموفق

الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه السلام من الصلاة كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره
حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائي من حديث عامر بن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن
يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي وزاد ابو داود حتى يرى بياض خده وفي
رواية النسائي حتى يرى بياض خده من ههنا وبياض خده من ههنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه عنه
خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد ووائل بن حجر وابو موسى الاشعري
وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وابو مالك الاشعري وطلق بن علي
واوس بن اوس وابو رمثة وعدي بن عميرة وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد والجمهور ومذهب مالك في طائفة
المشروع تسليمة ودليل مذهبنا ما تقدم واما ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه
فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما في ذلك حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام
عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين
رووا ما شاهدوه في الفرض والنفل وحديث عائشة ليس هو صريحا في الاقتصار على تسليمة واحدة بل اخبرت انه
كان يسلم تسليمة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها
وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم اصح والله اعلم **واختلف** في التسليم فقال مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء انه فرض
لا تصح الصلاة الا به وقال ابو حنيفة والاوزاعي والثوري سنة لو تركه صحت صلاته وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا
للصلاة من حدث او غيره في اخرها صحت صلاته واحتج بانه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه الاعرابي حين علمه واجبات الصلاة
واحتج الجمهور بحديث ابي داود مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة
طأطأ راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته رواه وكان قد جعل الله قرة عينه في الصلاة كما قال
وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسائي ولم يكن يشغله عليه السلام ما هو فيه عن مراعاة احوال المأمومين
مع كمال اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه يدخل في الصلاة يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته
مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود والنسائي وكان يؤم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص
ابن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله ومن وافقه انه يجوز
حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلاة الفرض والنفل وللامام والمأموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك
رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفريضة وهذا التأويل فاسد لان قوله يؤم الناس صريح او كالصريح
في انه كان في الفرض وادعى بعض المالكية وهذا التأويل فاسد انه منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه وسلم
وبعضهم انه كان لضرورة وكل ذلك دعاوى مردودة لا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيه
ما يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسامهم
على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلاة لا تبطلها اذا قلت او تفرقت وفعله عليه السلام
للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه ان يكون بغير

تعمد

تعمد حملها في الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم انه حملها
ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام
الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها فاذا رفع من السجود اعادها وقوله
في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل
امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل
لهذه الفوائد بخلاف الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه القواعد
فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله اعلم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجيء الحسن او الحسين فيركب
ظهره فيطيل السجود كراهية ان يلقيه عن ظهره رواه وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو
في الصلاة قال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته يصلي فسلمت عليه فاشار الي رواه مسلم وقال
عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاوما براسه رواه
البيهقي وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه
البخاري وكان عليه السلام لا يلتفت في صلاته وفي البخاري عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى ابو داود من حديث سهل بن
الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول الله
قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا ثوب بالصلاة فجعل صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد
في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في
الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه وخنقه حتى سال لعابه على يده رواه وروى مطرف
ابن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية
ولصدره ازيز كازيز الرحى من البكاء رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن انس قال
كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض
لي في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته **وقد** اختلف الفقهاء في كراهيته والحق ان يقال
ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان يكون في قبلته زخرفة وغيرها
مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة **وقد** كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة
عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل
ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون
وما جاء بلا ريب مبتدع مستنبط في افعاله واقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه وقد
قال عليه السلام ان خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار رواه مسلم ونسب لامام الحرمين الوسوسة نقص
في العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرائب ما يقع لهؤلاء الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة
وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما تفوته ركعة او اكثر ومنهم من يحلف

انه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكبّر ومن العجب انّ بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع كبّر سريعا وادركه فمن لم تحصل له النيّة في القيام الطويل حال فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكرّر التلفظ بالتكبير حتى يتشوّش على غيره من المأمومين ولا ريب انّ ذلك مكروه ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كانّه يكبّر على العدو ومنهم من يغسل اعضاءه غسلاً يشاهده ببصره ويكبّر ويقرأ بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه بقلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره يقين نفسه وجحده لما راه ببصره وسمعه باذنه وقد سأل رجل ابا الوفا بن عقيل فقال اني اكبّر واقول ما كبّرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لانّ النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبّر ثم يقول ما كبّرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة فمن اراد التخلص من هذه البليّة فليتبع سنة نبيّه صلى الله عليه وسلم السويّة وليقتد بملّته الحنفيّة لان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله وليبتهل اليه في كشف ذلك

الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم

لتعلم انّ القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعا والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت انا الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعا في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسأل رجل انسا عن القنوت ابعد الركوع او عند فراغ القراءة قال بل عند فراغ القراءة وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على احياء العرب وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان ويقول عصيّة عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم سريّة يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه روايات البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية ابي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع وفي اخرى قنت شهرا ثم تركه وفي اخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشا وصلوة الصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة يدعو على احيا من سليم على رعل وذكوان وعصيّة ويؤمّن من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن ابي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعيّاش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلوة الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء الاية رواه البخاري ومسلم وعن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابت انك قد صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمن وعلي بن ابي طالب ههنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي بنيّ محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال

اشهد انى

اشهد انى سمعت ابن عباس يقول انّ القنوت في صلوة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلما والصواب انه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعا لقوم وللدعا على اخرين ثم تركه لمّا قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم من دعا عليهم فجاءوا تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس وذكره مسلم عن البراء وصحّ عن ابي هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت في الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابن ابي فديك ولا ريب انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا ردّ على القايل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة واهل الحديث متوسطون بين هولاء وبين من استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت فقد احسن ومن ترك فقد احسن انتهى ومذهب الشافعي رحمه الله انّ القنوت مشروع في صلاة الصبح دايما في اعتدال ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح حتى فارق الدنيا رواه احمد قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي جزم البيهقي لعل مقتضاه عن الخلفا الاربعة وقال بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلوة الصبح يرفع يديه يدعو بهذا الدعا اللهم اهدني فيمن هديت الى اخره فقال ابن القيم في زاد المعاد ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا لكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحّح حديثه في القنوت انتهى وهذا الحديث رواه الحاكم وصحّحه وردّ عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهولاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه دعا مخصوص بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعا المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر فذكرهن واسنادهم صحيح قال البيهقي قد صحّ انّ تعليم هذا الدعا وقع لقنوت صلاة الصبح ولقنوت الوتر انتهى وقوله فانك تقضي بالفاء وبالواو في قوله وانه لا يذل وربنا قبل وتعاليت الا انّ الفاء لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك الله ونتوب اليك وتسنّ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخره لانّ النسائي قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي وجزم في الاذكار باستحباب الصلاة على الال والسلام وخالفه صاحب الاقليد فقال انّما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الايمة الان من ذكر الال والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت وعبارة النووي في الاذكار ويستحب ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وسلم فقد جا في رواية النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي انتهى وتعقب بانّ لفظ الدعوى خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الال والتسليم نعم وقعت الزيادة عند الرافعي والروياني معزوّة لحديث الحسن بن علي عند النسائي لكنها ليست عنده في رواية احد من رواته عنه على انّ لفظ وصلى الله على النبي زايد على رواية الترمذي

زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله
ابن علي بن الحسن بن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس من شرط الحسن لانقطاعه
او جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه اخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل
الحديث الاخر ثابت حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة اذ لم تجئ في غيره وحيث سننا
الصلاة على الال على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا وقال في المجموع عن البغوي ويكره اطالة
القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفيه تحقيقه في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن (ق)
طويل اما على ما صححه فيها في صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة تبعا للقياس من البطلان
لان تطويل الركن القصير عمدا مبطل ونجاب بحمل ذلك على غير محل القنوت اذ البغوي نفسه القايل بكراهة الاطالة
قايل بان تطويل الركن القصير مبطل عمده ويسن للمنفرد والامام برضى المحصورين الجمع في قنوت الوتر بين القنوت
السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك الى اخره والاولى تاخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه
رواه البيهقي باسناد جيد قال في المجموع وفي مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم واصحهما لا قال البيهقي ولا احفظ
في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه
وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين في القنوت وفي مسح الوجه بهما على ثلاثة اوجه اصحها يستحب
رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يرفع ولا يمسح واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه
بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخاري
قال الماوردي وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه الماموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله (الجهر به)
عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت لانه ثنا او ذكر لا يليق به التامين
والدعا يشمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع الماموم قنوت الامام
قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح الا لنازلة من خوف او قحط او وبا او جراد
او نحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري
مع زيادة من غيره **الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلاة** اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشي
وذهاب القلب الى غيره قاله الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى
وزعم ان السهو جايز في الصلاة على الانبيا عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في (لعله كيكلدي)
الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن حيث اللغة اما
من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون واما
من حيث اللغة فقول الازهري الماضي نحو قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشي تركه عن
غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله
عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله تعالى فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من اتمام
نعمة الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما شرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا (لعله او انسى)
الاتي التنبيه عليه ان شا الله تعالى انما انسى وانسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام
شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيامة واختلف في حكمه فقال الشافعية مسنون كله وعن المالكية

السجود

السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين السنن
القولية فلا يجب وكذا يجب اذا سهى بزيادة فعل او قول يبطلها عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله
عليه السلام في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والامر للوجوب وقد ثبت من فعله عليه
السلام وافعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب واجب ولا سيما مع قوله عليه السلام صلوا كما
رايتموني اصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين **الاول** السجود قبل التسليم فعن الاعرج
عن عبد الله بن بحينة انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم
يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم
رواه البخاري وفي رواية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة ايضا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية ايضا
عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين
يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس ورواه مسلم ايضا
وزاد الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية
الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم
وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شي او عامدا بطلت
صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة زايدة ليست مشروعة وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل
به على ان سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام من
الحنفية واستدل به ايضا على ان الماموم يسجد مع الامام اذا سهى الامام وان لم يسه الماموم وان سجود السهو
لا تشهد بعده وان محله اخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد ساهيا اعاد عند من يوجب التشهد
الاخير وهم الجمهور وفيه ان من سهى عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه
وسلم كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر او العصر
فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه احق ما يقول
قالوا نعم فصلى ركعتين اخراوين ثم سجد سجدتين قال سعد ورايت عروة بن الزبير صلى من المغرب ركعتين فسلم
وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في ان ابا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال ان المراد به صلى بالمسلمين
وسبب ذلك قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون القصة وقعت قبل بدر
وقبل اسلام ابي هريرة باكثر من خمس سنين لكن اتفق ايمة الحديث كما نقله ابن عبد البر وغيره على ان الزهري
وهم في ذلك وسببه انه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير
واما ذو اليدين فتاخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة لانه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم
كما اخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سياتي ان شا الله تعالى فلما وقع عند الزهري بلفظ فقام
ذو الشمالين وهو يعرف انه قتل ببدر قال لاجل ذلك ان القصة وقعت قبل بدر وقد جوز بعض الايمة ان تكون
القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين وان ابا هريرة روى الحديثين فارسل احدهما وهو قصة ذي الشما
لين

وشاهد الاخرى وهى قصة ذى اليدين وهذا محتمل فى طريق الجمع وروى البخارى ايضا عن ابن سيرين عن ابى هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى صلاتى العشى قال ابن سيرين واكثر ظنى العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة فى مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا اقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبى صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده واطول ثم رفع راسه وكبر ثم وضع راسه فكبر فسجد مثل سجوده واطول ثم رفع راسه وكبر وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم فى ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان فى يديه طول فقال يا رسول الله فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخارى ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها واخره قاف هو اسم ذى اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولها بالعمل او البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر فى نظرى توحد حديث ابى هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع فى السياقين ففى حديث ابى هريرة ان السلام وقع من اثنتين وانه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة فى المسجد وفى حديث عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه دخل منزله لما فرغ من الصلاة فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدى العلائى ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به انه سلم فى ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفى فيها بادنى مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذى اليدين فى كل مرة استفهم النبى صلى الله عليه وسلم واستفهم النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله واما الثانى فلعل الراوى لما راه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن انه دخل منزله لكون الخشبة كانت فى جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية ابى هريرة ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعى وابو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقى من الصلاة ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا اتعرف الرجل قلت لا الا ان اراه فمر بى فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه ابو داود والبيهقى فى سننهما وكذا ابن خزيمة فى صحيحه وعين الصلاة المغرب وقال اى ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذى اليدين لان المعلم للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة طلحة بن عبيد الله ومخبره فى تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه السلام فى قصة ذى اليدين انما كان فى الظهر او العصر وفى هذه القصة انما كان السهو فى المغرب لا فى الظهر ولا فى العصر وعن محمد بن سيرين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع وفى رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعنى ابن سيرين فى سجدتى السهو تشهد فقال ليس فى حديث ابى هريرة رواه البخارى ومسلم ومالك وابو داود والترمذى والنسائى قال الحافظ ابن حجر لم يقع فى غير هذه الرواية لفظ القيام وقد استشكل لانه صلى الله عليه وسلم كان قائما واجيب بان المراد بقوله فقام اى اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد فهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد ليس فى حديث ابى هريرة انه ورد فى حديث غيره وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذى وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن

عبد الملك

عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن ابى قلابة عن ابى المهلب عن عمران بن حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسها فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقى وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فرواية اشعث شاذة لكن قد ورد فى التشهد فى سجود السهو عن ابن مسعود عند ابى داود والنسائى وعن المغيرة عند البيهقى وفى اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة فى التشهد باجتماعها ترتقى الى درجة الحسن قال العلائى وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابى شيبة انتهى ملخصا من فتح البارى وفى رواية ابى سفيان عن ابى هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله وفى رواية ابى داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين فى هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال لا بد من تكبيرة الاحرام فى سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ هذه الزيادة ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة فى هذا الحديث الجذع الذى كان عليه السلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم تقصر صريح فى نفى النسيان وفيه نفى النقص وفيه تفسير المراد بقوله فى رواية ابى سفيان المتقدمة كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب المعانى ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها النفى كانت نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا اجاب ذو اليدين فى رواية ابى سفيان بقوله قد كان بعض ذلك واجابه فى هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه فى الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه التشريع وان كان القاضى عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو فى الاقوال التبليغية وخص الخلاف بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع فى هذا الحديث من قوله لم انس ولم تقصر ثم تبين انه نسى ومعنى قوله لم انس اى فى اعتقادى لا فى نفس الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة السهو فى مثل ذلك بيان الحكم الشرعى اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفى للنسيان ولا يلزم منه نفى السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفى فيه قوله فى هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخارى ومسلم بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث فى الصلاة شئ قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث فى الصلاة شئ لنبأتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى واذا شك احدكم فى صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه حيث قال انى لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار للفظ الذى انكره على غيره حيث قال بئسما لاحدكم ان يقول

نسيت اية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث انى لا انسى لا اصل له فانه من بلاغات مالك التى لم توجد
موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله ابن عبد البر واما الاخر فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الاية ذم
اضافة نسيان كل شيء فان الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اى سلمت قصدا بانيا
على ما فى اعتقادى انى صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول
اوقع شكا احتاج معه الى استثبات الحاضرين وبهذا التقرير يندفع ايراد من استشكل كون ذى اليدين عدلا استثبات
ولم يقبل خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسؤول مغايرا لما فى اعتقاده وبهذا يجاب
من قال ان من اخبر بامر حسى بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه
انه لا يقطع بصدقه فان سبب القطع كونه خبره معارضا باعتقاد المسؤول خلاف ما اخبر به وفيه ان الثقة اذا انفرد
بزيادة خبر وكان المجلس متحدا وامتنع فى العادة غفلتهم عن ذلك انه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلاة لمن اتى
بالمنافى سهوا وقال سحنون انما يبنى من سلم من ركعتين كما فى قصة ذى اليدين لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر
به على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى صلاتى العشى فيمنعه مثلا فى الصبح والذين قالوا يجوز البناء مطلقا
قيدوه بما لم يطل الفصل وفيه ان الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية واستدل به على ان تعمد الكلام
لمصلحة الصلاة لا يبطلها وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا واما قول ذى اليدين له بلى قد نسيت
وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ فى وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظنا انهم ليسوا
فى صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه السلام لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومؤوا كما
عند ابى داود فى رواية ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابى وقال حمل القول على الاشارة مجاز سائغ بخلاف
عكسه فينبغى رد الروايات التى فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوى اقوى من قول غيره يحمل على ان بعضهم قال
بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقى قول ذى اليدين بلى قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح انهم نطقوا
بان كلامهم كان جوابا للنبى صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة وتعقب بانه لا يلزم من وجوب الاجابة
عدم قطع الصلاة واجيب بانه ثبتت مخاطبته فى التشهد وهو حى بقولهم السلام عليك ايها النبى ولم تفسد الصلاة
والظاهر ان ذلك من خصائصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له ازيد فى الصلاة
فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى
بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففى هذه الاحاديث السجود بعد السلام
وقد اختلف فى ذلك فقال مالك والمزنى وابو ثور من الشافعية بالتفرقة ما اذا كان السهو بالنقصان او الزيادة بعضها / لبعضها
ففى الاول يسجد قبل السلام وفى الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال
وهو موافق للنظر لانه فى النقص جبر فينبغى ان يكون من اصل الصلاة وفى الزيادة ترغيم للشيطان فيكون خارجها
وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا
كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها كانت علة فيعم الحكم جميع محالها فلا تخصص الا بنص وتعقب بان كون السجود فى
الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص فى المعنى وقال الخطابى
لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقص الى فرق صحيح وايضا فقصة ذى اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهى عن نقصان
واما قول النووى اقوى المذاهب قول مالك ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث
فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك لرايته كله

قبل

قبل السلام لانه من شان الصلاة فيفعله قبل التسليم وعند امامنا الشافعى سجود السهو كله قبل السلام
وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بانه لم يعلم بزيادة الركعة
الا بعد السلام حين سالوه هل زيد فى الصلاة وقد اتفق العلماء فى هذه الصورة على ان سجود السهو بعد السلام
لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو واما متابعة الصحابة لتجويزهم الزيادة فى الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ
واجاب بعضهم بما وقع فى حديث ابن مسعود من الزيادة وهى واذا شك احدكم فى صلاته فليتحر الصواب
فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين واجيب بانه معارض بحديث ابى سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك احدكم
فى صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم وبه تمسك الشافعية فعيه
وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقى طريقة التخيير فى سجود السهو قبل السلام او
بعده ونقل الماوردى الاجماع على الجواز وانما الخلاف فى الافضل وكذا اطلق النووى وتعقب بان امام الحرمين
نقل فى النهاية الخلاف فى الاجزاء عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع الذى نقله الماوردى
والنووى قبل هذه الاراء فى المذاهب المذكورة والله اعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سها سهوين فاكثر
كفاه عند الشافعى ومالك وابى حنيفة واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو فى التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفعله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة

انفتاله بعدها عن ثوبان كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد
ثبت انه كان اذا صلى اقبل على اصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد ان يقبل على اصحابه
بوجهه الشريف فقد كان عليه السلام يسرع الانفتال الى المامومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره وقال ابن
مسعود رايته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال انس اكثر ما رايته صلى الله عليه
وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت ام سلمة كان اذا سلم مكث فى مكانه يسيرا قالت فنرى والله اعلم لكى ينصرف
النساء قبل ان يدركهن الرجال رواه البخارى وقالت عائشة كان لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال ان الدعاء بعد الصلاة لا
يشرع والجواب ان المراد بالنفى المذكور نفى استمراره عليه السلام جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول
ما ذكر وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت
ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وكان يقول باعلى صوته
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه
له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم من حديث
عبد الله بن الزبير وعن سعد انه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
بهن دبر الصلاة اللهم انى اعوذ بك من الجبن واعوذ بك من البخل واعوذ بك من ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا نيا
وعذاب القبر رواه البخارى وعن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دبر كل صلاة اللهم
ربنا ورب كل شيء انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك
اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلنى مخلصا لك واهلى فى كل ساعة
من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله اكبر الاكبر الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبى الله
ونعم الوكيل الله الاكبر الاكبر رواه احمد وابو داود ورايت فى كتاب الهدى لابن القيم واما الدعاء بعد السلام من الصلاة

مستقبل القبلة سوى للمنفرد والامام والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم اصلاً ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخصص ذلك بعضهم بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان رآه من رآه عوضاً من السنة بعدهما قال وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال وهذا هو اللائق بحال المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن اتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي مطلقاً شيء لما سيأتي ثم رأيت شيخ مشايخنا امام الحفاظ ابا الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقاً مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لاحبك فلا تدع دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اخرجه ابو داود والنسائي وحديث زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شيء اخرجه ابو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم اصلح لي ديني اخرجه النسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب آخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعاً فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من حديث ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن واخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة افضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقاً وليس كذلك فان حاصل كلامه انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقب السلام واما اذا انفتل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعاء حينئذ انتهى وكان عليه السلام حين تقام الصلاة في المسجد اذا راهم قليلاً جلس واذا راهم جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم اولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذ بيدي من وراء ظهري فعدلني كذلك من وراء ظهري الى الشق الايمن رواه البخاري ومسلم وقال انس سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعداً فصلينا وراءه قعوداً فلما قضى الصلاة قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قائماً فصلوا قياماً رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني سائر الروايات متقاربة وزاد البخاري قوله اذا صلى جالساً فصلوا جلوساً هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه جالساً والناس خلفه قياماً لم يأمرهم بالقعود وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من امره صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور العلماء السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قائماً واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعداً وابو بكر والناس خلفه قياماً وان كان بعض العلماء زعم ان ابا بكر رضي الله عنه هو الامام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب انه صلى الله عليه وسلم هو الامام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه قال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد

يا حميد بلغ

مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس وادياً افيح فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة انزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وروى البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليل اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا سيما وليست من غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الايام وقال ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام قال وغير هذا لا يسلم قائله من اعتراض يعجز عن دفعه انتهى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد رواه البخاري وفي رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم نحن الآخرون ونحن السابقون اي الآخرون زماناً الاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير واذا عرف هذا فقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم لاجله فان قيل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدء الخلق والتكوين في يوم الاحد وفي يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيداً لنا فهذان الوجهان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيداً فالجواب ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه والله اعلم وقال ابن بطال وليس المراد في الحديث انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوماً من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله بان نص علينا لنا وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلاً فله شاهد باسناد حسن

أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال كان أول من صلى بنا
الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك
الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن
من إقامتها ثمة ولذلك جمّع بهم أول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن إسحق لما قدم عليه السلام المدينة أقام
بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة
فأدركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل
تأسيس مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من حديث أنس وفي
رواية إذا اشتد البرد بكّر بالصلاة وإذا اشتد الحر أبرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري
ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم اعلم أن الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح
إلا بها وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فإذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من
صلاة الظهر ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وإنما كان بلال يؤذن وحده
بين يديه صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر كما صرح به أئمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة
البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته وإذا صعد الإمام المنبر جلس وأذن المؤذن بين يدي المنبر بذلك
جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الأذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية
وحرم السعي عند أذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمن وكثروا أمر بأذان قبله على الزوراء ثم نقله
هشام إلى المسجد وجعل الآخر بين يديه انتهى ونحوه قال عبد الحق في تهذيب الطالب وأما قول ابن أبي زيد في
رسالته وهذا الأذان الثاني أحدثه بنو أمية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الإحداث وهو الأول
في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الأول هو الثاني والثاني هو الأول ومفسره ما تقدم انتهى وعبارة الزركشي
كغيره من الشافعية ويجلس الإمام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فإن
التأذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله أذان فلما كان زمن عثمن وكثر الناس أمرهم
بالتأذين ثانيا ثم يديم الجلوس إلى فراغ المؤذن انتهى وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله
إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد
النداء الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق بالمدينة وفي رواية له أيضا أن التأذين
الثاني يوم الجمعة أمر به عثمن حين كثر أهل المسجد وهو مفسر لما فسرته في قوله الرواية السابقة وعند ابن خزيمة كان
الأذان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله أذانين يريد الأذان
والإقامة تغليبا أو لاشتراكهما في الإعلام وللنسائي كان بلال يؤذن إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر
فإذا نزل أقام وفي رواية وكيع عن ابن أبي ذئب فأمر عثمان بالأذان الأول ونحوه للإمام الشافعي من هذا الوجه
قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لأنه باعتبار كونه مزيدا سمي ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الأذان والإقامة
يسمى أولا وأما قوله في رواية البخاري إن التأذين الثاني فمتوجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة وقال الشيخ
خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه السلام أو على المنار الذي نقله أصحابنا أنه كان
على المنار نقله ابن القسم عن مالك في المجموعة ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك أن الأذان بين يدي الإمام
ليس من الأمر القديم وقال غيره هو أصل الأذان في الجمعة وكذا نقل صاحب تهذيب الطالب والمازري وفي
الاستذكار أن هذا اشتبه على بعض أصحابنا فأنكر أن يكون الأذان يوم الجمعة بين يدي الإمام كان في زمنه عليه

السلام

ليستريح

على الزوراء ثم

السلام وأبي بكر وعمر وأن ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السائب
ابن يزيد المروي في البخاري السابق ثم قال وقد رفع الإشكال فيه ابن إسحق عن الزهري عن السائب بن يزيد
قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة وأبي بكر وعمر انتهى والحكمة في جعل
الأذان في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الإمام على المنبر فينصتون له إذا خطب قاله المهلب قال في فتح
الباري وفيه نظر فإن في سياق محمد بن إسحق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد
فالظاهر أنه كان لمطلق الإعلام لا لخصوص الإنصات والذي يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمن في جميع البلاد إذ ذاك
لكونه كان حينئذ خليفة مطاع الأمر لكن ذكر الفاكهي أن أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد
وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ أن عمر أمر مؤذنين أن يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع الناس
وأمر أن يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين
وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت وقد تواردت الأخبار أن عثمن هو الذي زاده فهو المعتمد وقد روى
عبد الرزاق ما يقوي هذا الأثر عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى أول من زاد الأذان بالمدينة عثمن فقال عطا
كلا إنما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير أذان واحد انتهى لكن عطا لم يدرك عثمن بن عفان فرواية من أثبته لك
عنه مقدمة على إنكاره ويمكن الجمع بأن الذي كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمن ثم رأى أن يجعله أذانا
وأن يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب إليه لكونه بألفاظ الأذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد إعلام
وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال الأذان الأول يوم الجمعة بدعة فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار وأن
يكون أراد أنه لم يكن في زمنه عليه الصلوة والسلام لأن كل ما لم يكن في زمنه عليه السلام يسمى بدعة لكن منها ما
يكون حسنا ومنها ما يكون بخلاف ذلك ثم إن فعل عثمن رضي الله عنه كان إجماعا سكوتيا لأنهم لم ينكروه عليه
وأول جمعة جمّعها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم بن عوف في بطن واد
لهم فخطبهم وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن
به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع
من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى
وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله
واحذروا ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبتغون
من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره
وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي
وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا
ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وإن تقوى الله تبيض الوجه
وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا
ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه
من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس

ركم

ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وقد
كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكيا او على قوس او عصى وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصى وعند ابي داود باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكيا على قوس او عصى قالوا والحكمة في التوكي على نحو السيف الاشارة
الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد به ونازع فيه العلامة
ابن القيم في الهدي النبوي وقال ان الدين لم يقم الا بالقران والوحي كذا قال فالله اعلم وكان عليه السلام
اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجه وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قايما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قايما رواه
مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر
الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه السلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ
المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي عليه اهل العلم من علماء
الامصار الخطبة قايما ونقل غيره عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب
فان تركه اسا وصحت الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط للقادر كالصلاة واستدل له بحديث جابر بن سمرة
وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين
ما احتيج الى الفصل بالجلوس لان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن ابي شيبة من
طريق الشعبي ان معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعي رحمه الله بوجوب الجلوس بين
الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثنا اما بعد كما قاله
البخاري وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى
ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة
ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي رواه مسلم والنسائي
من حديث جابر وفي رواية كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول
من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت
حارثة بن النعمان قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل
جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلفي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم
سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا
على قوس او قال على عصى فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا ايها الناس انكم لن
تفعلوا ولن تطيقوا كل ما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدرداء قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل
ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن
المنكر تنصروا ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا له الا وان من علامات العقل التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور رواه
ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى

الله

الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا
بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه
ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه وعنه ايضا عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله كان ولو
كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله عز وجل وعن جابر كان صلى الله
عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم
وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين
اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن
الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي
هذا واستغفر الله لي ولكم رواه وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر الا وان الاخرة اجل صادق ويقضي فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره
في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابي نعيم في الحلية نحوه واختلف هل يجب
الانصات ويمتنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعي في المسئلة قولان مشهوران
وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني
الثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع عليهم من المخالفين
وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لم يسمعها واغرب
ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل
ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال
قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة
تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه
قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيئة بذة فقال له
اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره ان يصلي ليراه بعض الناس
وهو قايم فيتصدق عليه وورد ايضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى
الله عليه وسلم لسليك في اخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية
في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه
القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه السلام قصد
التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال
ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وساير الاوقات المكروهة ولا قايل به
ومما يدل على ان امره بالصلاة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه السلام بامره بالصلاة في الجمعة
الثانية بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق باحدهما فنهاه صلى الله
عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر

امره بالصلاة ثلاث مراتب في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العالم بها العالم اما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاول على احدهما وفي المرتين الاخريين على النسيان والحامل للمانعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه قال وورد اخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم والامام يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز فيهما ثم قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف ابن ابي جمرة هذا الذي اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التاويل انتهى وقد قال قوم انما امره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه السلام في قصة سليك عند ابن ماجه اصليت ركعتين قبل ان تجيء لان ظاهره قبل ان تجيء من البيت ولهذا قال الاوزاعي ان كان صلى في البيت قبل ان يجيء فلا يصلي اذا دخل المسجد وتعقب بان المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجيء اي الى الموضع الذي انت به الان وفائدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاها في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما سنة الجمعة التي قبلها فياتي الكلام فيها ان شاء الله تعالى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية ابي داود يقرا بايات من القران ويذكر الناس وله في اخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات يسيرات وعن عمرو ابن حريث انه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه السلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس وياخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس او عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرا سورة الجمعة في الركعة الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وابو داود والحكمة في قراءته عليه السلام لسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم ما كانوا يجتمعون في مجلس اكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وقد اختلف في العدد الذي تنعقد به الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا احدها تنعقد بالواحد نقله ابن حزم الثاني

الطرحة الطيلسان كذا في القاموس ... منه

اثنان كالجماعة وهو قول النخعي واهل الظاهر الثالث اثنان مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر عن ربيعة ايضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحق التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون كذلك الحادي عشر اربعون بالامام عند الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلا مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى ان تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجه والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر له قال فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال يا بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروى البيهقي عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري قال في المجموع قال اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت وصلوا كما رايتموني اصلي ولم يثبت صلاته لها باقل من ذلك فلا يجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر فليس فيه ان ابتداءها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية للبخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا وبه قال عمر بن عبد العزيز وطائفة الثالث عشر خمسون عند احمد في رواية وحكيت عن عمر بن عبد العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه المازري الخامس عشر جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الا ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري

الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالى له عليه السلام ومن الليل فتهجد به اي بالقران والمراد منه الصلاة المشتملة على القران والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل وعن الازهري الهاجد النائم وقال المازني التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدة ثم صلاة اخرى بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى نافلة لك اي عبادة زائدة في فرائضك ويحكى نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى الطبري عن ابن عباس ان النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة ياتي بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب والسيئات وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن عائشة قالت ان الله افترض

قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا
حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروى محمد بن نصر
في قيام الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهد الحديث عايشة في ان بين الايجاب والنسخ
سنة وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض قيام الليل الا ما تيسر منه ثم
نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس وروى محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا
مع ابي عبيدة في جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف
في وجوب قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم
ونقله الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عايشة رضي الله عنها قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا
اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه البخاري ومسلم والفا في قوله افلا اكون للسببية وهي عن محذوف
تقديره اترك تهجدي فلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه
قال ابن بطال في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه
لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف من لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن انه
استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال
النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه عليه
السلام قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم
فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس والشيطان على المجتهد في العبادة بان يقال له
اذا كبر فيقولك قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره
جميلا لكن فيه دسايس فانه ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا الى ان
ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيئا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعض ورده جالسا
بعد ان كان يقوم حتى تنفطر قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب النار ان يغفل حال
شيبته ويتوانى عند ظهور شيبته فينبغي للانسان ان يستعد قبل حلول منيته واغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن
يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف يقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب
نهاره في افق راسه ولاح قال القرطبي ظن من سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة
في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك
فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة لمن لا يستحق عليها فيها سببا
فيتعين كثير الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر منه ذلك سمي شكورا
ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الاجتهاد
في العبادة والخشية من ربه قال العلما انما الزم الانبيا انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم

وانه

وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم
من ان يقوم بها العباد والله اعلم انتهى ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل عن شريح بن هانئ
قالت عايشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات
او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة
وقالت كان عليه السلام ينام اول الليل ويحيي اخره فيصلي ثم يرجع
وهو يصبح في النصف الثاني
الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج رواه الشيخان
وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما اوتر في اول الليل
وربما اوتر في اخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت وقالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم
يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي
كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ
من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة تكون الى الصبح وعن انس ما كنا نشاء ان نرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه رواه النسائي وكان
عليه السلام اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك
رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه
ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه السلام اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وقال
سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا وهلل الله عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك
من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل
ونحوه عايشة وابن عباس قال ابن القيم وانا اختلف ابن عباس وعايشة في شيء من امر قيامه
عليه السلام بالليل فالقول قول عايشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى واما حديث ابن
عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث
صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد ينظر الى السما فقرا
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها
ثم صب في الجفنة ثم توضا وضوا حسنا بين الوضوين لم يكثر وقد بلغ فقام فصلى فقمت فتوضات
فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام
حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضا وكان في دعايه اللهم اجعل في قلبي نورا
وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا
وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي
رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة
بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام
فصلى ثلث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين
ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس فيهن وفي رواية للنسائي انه صلى احدى عشرة ركعة بالوتر
ثم نام حتى استثقل فرايته ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخرى له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتى فرغ

واستغفر الله عشرا

منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضا واستاك
ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضا واستاك وصلى ركعتين واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ
فتسوك فتوضا وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين
اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست
ركعات كل ذلك يستاك ويتوضا ويقرا هولاء الايات ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشه فعن
سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشه فقلت يا ام المومنين انبيني عن خلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الست تقرا القران قلت بلى قالت كان خلقه القران قلت يا ام المومنين انبيني
عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره
فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضا ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا
في الثامنه فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعه ثم يقعد فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشره ركعة
يا بني فلما اسن واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه
مسلم وللنساي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضا
ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنه ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا
يسلم ثم يصلي التاسعه ويقعد ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين
وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشره ركعة يا بني فلما اسن صلى الله عليه وسلم واخذه اللحم
اوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى ست ركعات
يخيل الي انه سوى بينهن في القراه والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم
يضع جنبه وعن عايشه كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين
رواه مسلم واحمد وعنها كان عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى عشره
ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجده من ذلك قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل
ان يرفع راسه فاذا سكت المودن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع
على شقه الايمن حتى ياتيه المودن للاقامه رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاثة عشر ركعه
يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شي الا في اخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سالت
عايشه عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشره سوى ركعتي
الفجر وعنه ايضا عن القسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلث عشره ركعة منها
الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات عايشه على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم
حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا واخبرت عن وقت واحد والصواب
ان كل شي ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعدده واحوال مختلفه بحسب النشاط وبيان الجواز
انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفه فتاره كان يصلي
سبعا وتاره تسعا وتاره احدى عشره واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله
قيل والحكمه في عدم الزياده على احدى عشره ان التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرايض النهار الظهر

وهي اربع والعصر وهي اربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة
النهار في العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة ثلث عشره فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها
انتهى وعن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين
خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى
ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين
قبلهما ثم اوتر فذلك ثلث عشره ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات
هكذا في صحيح مسلم وموطا مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه السلام
بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس عند
مسلم الثانيه انه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشره ركعة يسلم من كل ركعتين
رواه البخاري ومسلم من حديث عايشه الثالثه ثلاثة عشر كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد
الجهني الرابعه ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا في اخرهن رواه
البخاري ومسلم من حديث ابن عباس الخامسه تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنه فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعه ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم
قاعدا رواه مسلم من حديث عايشه سادسها يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا
رواه مسلم ايضا من حديثها سابعها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد عنها
ثامنها ما رواه النساي عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال
في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قايما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فما صلى الا اربع
ركعات حتى جا بلال يدعوه الى الغداه ورواه ابو داود ولفظه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذو الملك والملكوت والجبروت والكبريا والعظمه ثم استفتح فقرا
البقره ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع راسه من
الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول
في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان
يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرا فيهن البقره وال عمران والنسا والمايده او الانعام
شك شعبه ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح
البقره فقلت يركع عند الماية ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح ال عمران فقراها
ثم افتتح النسا فقراها يقرا مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسوال سال واذا مر بتعوذ تعوذ
ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا
لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى وكان سجوده قريبا من قيامه
وزاد النساي لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره وقالوا كانت هيئة صلاته عليه السلام ثلاثة
احدها انه كان اكثر صلاته قايما لحديث حفصه قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان
قبل وفاته بعام وكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه احمد ومسلم والنساي وصححه الترمذي الثاني
كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عايشه بلفظ وانا قرا وهو قاعد

قيامه بالليل لا يزيد ثلثة عشر ركعات مع الوتر

ركع وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرأ قاعدا فإذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما رواه مسلم
من حديث عائشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا ويقرأ وهو جالس
فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين او اربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل
في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرأ فيهما وهو جالس فإذا اراد ان يركع
قام فركع قالت عائشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس فإذا اراد ان يركع
قام فركع رواه ابن ماجه وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد
الوتر وهو جالس يقرأ فيهما اذا زلزلت وقل يا ايها الكافرون رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما
مالك وكذا النووي في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنع منه انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا
لجواز الصلاة بعد الوتر ولفظة كان لا تفيد دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه
صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشتبه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلاة بعده واما قيامه
عليه السلام ليلة النصف من شعبان فعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الليل فصلى فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت
ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة او يا حميراء اظننت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت
لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من
شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم
المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عنها وقال هذا
مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عائشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان احاديث
كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن امثلها كما قاله الحافظ
ابن رجب حديث عائشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع
راسه الى السماء فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك
اتيت بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من
عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن ابن ماجه باسناد ضعيف
عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل
فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلى
فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول
يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في
ذلك آثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر
العلماء من اهل الحجاز منهم عطاء وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقهاء اهل المدينة
وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علماء اهل الشام في صفة احيائها
على قولين احدهما انه يستحب احياؤها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر

يلبسون

يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحق
بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسائله
والثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة
نفسه وهو قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة
النصف من شعبان ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام
ليلتي العيد فانه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الاسود ذلك وهو من التابعين
وكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه
انما ثبت عن طائفة من التابعين من اعيان فقهاء اهل الشام انتهى ملخصا من اللطائف واما قوله
تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزال الله تعالى القرآن في ليلة القدر كما قال
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر كما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال الحافظ ابن كثير
ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القرآن انها في
رمضان واما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمان بن
المغيرة بن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص انتهى
واما قيامه عليه السلام في شهر رمضان وهو الذي يسمى بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة
من الراحة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عائشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد
وشد المئزر رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد
في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاواخر منه ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في
العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته
ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان يفرض عليكم
وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من
جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه
السلام في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة
الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه
وسلم فطفق رجال منهم يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد
فقال اما بعد فانه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها
وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه
بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب المحب الطبري بانه يحتمل ان يكون الله

جماعة صح

اهل صح

قيام شهر صح

عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم
وقيل خشي ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب قال القرطبي اي يظنونه فرضا
فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شيء او تحريمه فانه يجب عليه العمل به وقد استشكل
الخطابي اصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الاسراء من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون
لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في صدر الاجوبة المتقدمة
واجاب عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية
يجب على الامة الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق
الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زائد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة
نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله
فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما
استوهب لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه الصلوة والسلام منه لم يستنكر ان يثبت ذلك
فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو
مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بافعاله وفي كل
من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة احدها بانه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل
بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومئ اليه قوله في حديث زيد بن
ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم فمنعهم من
التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه
عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام في رمضان خاصة الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا
يكون ذلك زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها وثالثها يحتمل ان يكون
المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان وفي حديث
سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام
رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس واقوى هذه الاوجه الثلاثة
في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة
ثلث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة
سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور رواه النسائي واختلف العلماء
هل الافضل في صلاة التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور
اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة
واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعائر الظاهرة فاشبه صلاة العيد فان قلت فقد ذكر
ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه السلام اني خشيت ان يفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى
الاوجه فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في
الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين وقال مالك وابو
يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه السلام افضل صلاة

المرء في بيته الا المكتوبة قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز ولانه كان
معتكفا واما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن ابي سلمة انه سال
عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان
ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال
عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا
عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه البخاري ومسلم واما ما رواه ابن ابي شيبة من حديث
ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد
عارضه حديث عايشة هذا وهي اعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر في
زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدرا من
خلافة عمر وفي البخاري ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه
ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر اني لو جمعت هولاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم
على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعمت البدعة هذه والتي
تنامون عنها افضل من التي تقومون يريد اخر الليل وكان الناس يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه
كان اقرأهم كما قال عمر وروى سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان
يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميما الداري ان يقوما للناس
في رمضان وروى البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب في شهر رمضان
عشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت
لانه وقت جد وتشمير وفي الموطا بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بانهم يوترون بثلاث وفي الموطا
عن محمد بن يوسف عن السايب بن يزيد انها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع
بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراة وتخفيفها
فحيث يطيل القراة تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت
الناس في امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون
بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون بالمدينة
بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا
السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراة فحسن والاول احب الي انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة
صلاتها ستا وثلاثين قال النووي وقال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى
الله عليه وسلم ومدفنه وخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن ايضا
وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا بتسليمة لم يصح وقال القاضي حسين في فتاويه ولو
صلى سنة الظهر او العصر اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت
الفرايض قاله النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراة في قيام
رمضان بالليل اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرا بالبقرة ثم النساء ثم ال
عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلى الركعتين حتى جاءه جبريل فاذنه بالصلاة اخرجه احمد

واخرجه النسائي وعنه انه ما صلى الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة
في غير الصلاة ⁂ الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر قد صح عنه صلى الله عليه وسلم
انه اوتر بخمس لم يجلس الا في آخرها لكن احاديث الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا
اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن
جائز واختلفوا فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن نصر
المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا
بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع
الفريضة انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث لا يقعد
الا في آخرهن وروى النسائي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا
ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في آخرهن وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات
والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين
وقد فعله السلف ايضا فروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير
ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في آخرهن ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه
كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض حاجته
وهذا ظاهره انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا رد على من
قال لا يصح الوتر الا موصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان
يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل
بعضهم على فضل الفصل لانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل الحافظ
من الحنفية كلما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهره في الفصل كحديث عائشة
يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي
هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيراء مع احتمال
ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شيء وهو اعم من ان يكون مع الوصل او الفصل
وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم اراد
ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول ويتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج
الى وتر آخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل
وترا مختصا بمن اوتر آخر الليل واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله
النووي على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني
فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله عليه السلام لا وتران في ليلة وهو حديث
حسن اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية
التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره
عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي

عشرة

عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الاخبار انه قضى الوتر ولا امر
بقضائه وعن عطاء والاوزاعي يقضي ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعية حكاه النووي
في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة وعن الشافعية يقضي مطلقا وقالت عائشة
اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم
وابو داود والترمذي والنسائي والمراد باوله بعد صلاة العشاء ويحتمل ان يكون اختلاف وقت الوتر
باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر في وسطه لعله كان مسافرا واما وتره
في آخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته على الصلاة آخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي
انه السدس الاخير وقيل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر
الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة المراد به الفجر الاول وقد روى احمد من حديث معاذ
مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر ووقتها من العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة
ابن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب واما حديث
بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير
قبوله فيحتاج من احتج به الى ان يثبت ان لفظة حق بمعنى واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما
ثبت من طريق الآحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه
فاذا اراد ان يوتر ايقظها فاوترت كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر آخر الليل سواء المتهجد
وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه
السلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نائمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من
ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النائم لادراك
الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت
وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب
لان النائم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم
وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة
بثلاث سور آخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى
وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة وعن عائشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي
الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود
وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل في آخرهن وفي رواية ويرفع
صوته بالثالثة وعن علي كان عليه السلام يقول في آخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته ولذا كان
عليه السلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد
المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب
اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة له صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد

النوافل

فاتك

جمع

والكفو المتضمن لنفي التشبيه والمثيل والنظير فتضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه
وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مدارة
على الخبر والانشاء ثلثه امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمائه وصفاته واحكامه
وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن وخلصت
قاريها المومن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم
واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من رمضان فقال النووي في الاذكار
باستحبابه ولم يذكر له دليلا وقد اخرج ابو داود باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع وفي
الاخر راو لم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف الاخير وعن الحسن بن
علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن
توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا
يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية الترمذي رواه الطبراني وغيره **الباب**
الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى اختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا
فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلماء من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها
تتضمن زيادة علم خفيت على النافي قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد
عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية المثبت اما لضعفها او صرفها كما سياتي
عن صلاة الضحى قال الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة
الاسلمي وابي الدرداء وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همام
الغطفاني وابي امامة الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الضحى انتهى **فاما** حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه انه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي
حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد **واما** حديث ابي ذر الغفاري فرواه البزار

واما حديث زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث
واما حديث ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلوة الضحى
في سفر ولا غيره واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا **واما** حديث بريدة الاسلمي فرواه
واما حديث ابي الدرداء فرواه ابن عدي ~~والدار~~
واما حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والدارقطني
بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل قال بعض العلما
النافين لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان صحيحا فهو صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة
واما حديث عتبان بن مالك فرواه احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى فقاموا وراه فصلوا
واما حديث عتبة بن عبد فرواه
واما حديث نعيم بن همام فرواه

واما

واما حديث ابي امامة فرواه
واما حديث عايشة فرواه مسلم واحمد وابن ماجه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله وعن عبد الله بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجي من مغيبه **واما** حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم
قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة
قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود وذلك في رواية اخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسائي انها
ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال
من هذا قالت انا ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين **وقد**
استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب
فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها
اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة **واما** حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحق بن بشر المحاربي
قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروي عن جبير بن مطعم عن
ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى رواه الحاكم وعن انس بن مالك قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه احمد وصححه ابن خزيمة والحاكم وعن
علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى ~~رواه احمد وابو يعلى~~ انه قال
كان يصلي الضحى ورجال احمد ثقات وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست
ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين بن العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة
حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة الانبيا قبل محمد
صلوات الله وسلامه عليهم قال الله تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد العصر وتسبيح صلاة الاشراق **واحتج** القايلون بالنفي بحديث عايشة
ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم
وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم وابو مالك وابو داود
وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله وهو بكسر الهمزة وتفتح ايضا والخا المعجمة
وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروي عن مجاهد قال
دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة فاذا الناس في المسجد يصلون صلاة
الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن
عمر عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه قال لقد قتل
عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب الي منها **وقد** جمع العلما بين هذه الاحاديث بانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صح

كما تقدم صح

به عايشة وكذا ذكره ام هانئ وغيرها وقوله عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان
يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد
يكون مسافرا او قد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته
وغيرهم وما رايته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغير رؤية انه كان
يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره فروت ذلك وقوله ابن عمر لا اخاله فتوقف
وكان سبب توقفه انه بلغه صلاتها ولم يثق بذلك عمن ذكرها واما قوله انها بدعة فمؤول على انه
لم تبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد
ونحوها بدعة وانما سنة النافلة في البيوت والله اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع
مشروعية صلاة الضحى لان نفيه محمول على عدم رويته لا على عدم الوقوع في نفس الامر والذي نفاه صفة
مخصوصة كما قدمناه وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم وقال
ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب اخرون الى استحباب فعلها غبا فتصلى في بعض الايام دون بعض
وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون الى انها انما تفعل بسبب من
الاسباب وانه عليه السلام انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامراء يسمونها صلاة الفتح متمسكين
بما قاله القاضي عياض وغيره ان حديث ام هانئ ليس بظاهر في انه عليه السلام قصد بسنته الضحى وانما
فيه انها اخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من
حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن
ام هانئ انه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام
هانئ في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد البر
في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هانئ قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى
ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات
واستبعده السبكي ووجه بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه السلام
وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي
واما ما ورد من قوله عليه السلام ففيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة
ركعة بنى الله له قصرا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن
ثم قال الروياني اكثرها ثنتا عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى
حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه وفيه من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في
الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل
الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث ام هانئ وهو كما قال ولهذا قال النووي في
الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة ففرق بين الاكثر والافضل واجاب القائلون بانها
لا تفعل الا بسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا
ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث بانه قد يقال ان ابا هريرة كان
يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فامره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر

ودايم

ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي هريرة
قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي قال والحكمة في الوصية
على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح
ه وليجبر ما لعله يقع من نقص ومن فوائد صلاة الضحى انها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل
الانسان الثلثمائة وستون مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر قال وفيه ويجزئ من ذلك
ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب
قدم عليها صلاة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح
الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك
وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير لا سيما ما
وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلاة
والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزئهم من الصدقة
عن السلامى كما في الحديث والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك ظاهر جدا
والله اعلم تنبيه قال شيخ الحفاظ ابو الفضل ابن حجر قول عايشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة
عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول
الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه مسلم
في حديث ام هانئ انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هانئ لذلك يلزم منه العدم لانا نقول
يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عايشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا تستلزم
المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربي في عارضة الاحوذي انا ابو الحسن الازدي انا ابو
انا علي ثنا ابو العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري ثنا المحسن ثنا ابو غسان ثنا قيس عن جابر عن عكرمة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم
تؤمروا بها رواه الدارقطني القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه بابان
الاول النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول في رواتب الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع
الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان
لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا له الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة
رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض
بان يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه
الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في ذلك هل كان على التكرار وصحح ابن الحاجب انها تقتضيه قال وهذا مما
استفدناه من توهم كان حاتم يقرئ الضيف وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا

الاسلام

بالتيع وهو مولاي ... [illegible]

وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر
ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا في الحديث دلالة على تكرر فعل هذه النوافل من النبي صلى الله عليه
وسلم وانه كان دابه وعادته وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج
فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس
العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين وفي اخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه ثنتي عشرة
ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم يكن يدعهما
سرا ولا علانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم الثاني في ركعتي الفجر
قالت عائشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن
بعد ان يستبين الفجر ويخففهما رواه الشيخان به وهذا لفظ النسائي واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر
الى صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان
يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض او ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب
بعضهم الى ان اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا
من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فيستدركها
في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا
امنا بالله وما انزل الينا الاية التي في البقرة وفي الاخرى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الى قوله واشهد بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس وفي رواية ابي داود من
حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الاية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي
وقال ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن
سيرين عن عائشة رواه مسلم والترمذي وقد روى ابن ماجه باسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عائشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما في ركعتي
الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين عن عائشة كان يقرا بهما
فيهما وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما
وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءته
بعض السورة ويدل على ذلك في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل
بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا تتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورتي الاخلاص واجيب
بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهى وكان عليه السلام اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن
رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة لانه عليه السلام كان يحب التيمن وقد قيل الحكمة فيه ان القلب
من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا
يستغرق وهذا انما هو بالنسبة الى غيره عليه السلام لما لا يخفى واما ما روي ان ابن عمر راى رجلا يصلي ركعتي
الفجر فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام

قال

بيان العصر

قال فانها سنة قال بل بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود
ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر
بفعله وارجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لم يداوم عليه السلام عليه ولذا احتج الائمة على عدم
الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب وفائدة ذلك الراحة والنشاط
لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد له ما اخرجه عبد الرزاق
ان عائشة كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح
وفي اسناده راو لم يسم وقيل ان فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص
ومن ثم قال الشافعي تتادى السنة بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال
النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان بالمشي الى المسجد
لا يكفي وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه العلماء حتى
طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي حفظه مقال والحق انه تقوم به الحجة
وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا
بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة وقال عليه السلام من
لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة الثالث في راتبة الظهر
عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم
والترمذي وعن عائشة كان عليه السلام لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري
ايضا فاما ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين
وهذا اظهر واما ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهد والحديثان
صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من احواله والركعتان في قليلها
انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال
وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت
عائشة يا رسول الله اراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه
بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله بن السائب كان
صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السماء
واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي وروى الترمذي ايضا حديث اربع قبل الظهر وبعد
الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون فهذه والله اعلم هي الاربعة التي ارادت عائشة انه كان لا
يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا ان سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى
هذا فتكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم
ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي
بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا تفتح فيه ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب سبحانه وتعالى
عن حركة الاجسام الرابع في سنة العصر عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه ابو
داود وعن علي ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بالتسليم على الملائكة

بينهن

المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي وروى ايضا مرفوعا رحم الله امرأ صلى
قبل العصر اربعا وقالت عايشة ما كان صلى الله عليه وسلم ياتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين
وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة سالها
عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه اشتغل عنهما
او نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى صلاة اثبتها يعني داوم عليها ولابي داود
قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس
انما صلى عليه السلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين اللتين بعد الظهر
قضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت ام سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما
ثم رايته يصليهما حين صلى العصر ثم سالته عنهما فقال انه اتاني اناس من عبد القيس بالاسلام فشغلوني
عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه ان ابن عباس قال كنت اضرب مع عمر بن الخطاب الناس
عنهما قال ابن القيم قضا السنن الرواتب في اوقات النهي عام له ولامته واما المداومة على تلك
الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذا من خصايصه انتهى والدليل عليه رواية عايشة كان
يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنها ويواصل وينهى عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله
عليه وسلم المداومة لا اصل القضا واما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما بعد العصر لانه
اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطا وقد سمع منه بعد اختلاطه وان صح فهو شاهد
لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد يعارض لحديث عايشة المذكور في هذا الباب فيحمل النفي على
علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي وكذا ما رواه النسائي من طريق ابي سلمة
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفي
رواية عنها لم اره يصليهما الا في بيته ولذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ولتشير الى ذلك قول عايشة
في رواية وكان لا يصليهما في المسجد مخافة ان تثقل على امته ومراد عايشة بقولها ما كان ياتيني في يومي بعد
العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلي
بعد العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى اخر عمره والله اعلم

الخامس في راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين
قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان صلى الله عليه
وسلم يطيل القراة في الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه عليه
السلام يصلون ركعتين قبل المغرب قبل ان يخرج اليهم عليه السلام رواه البخاري ومسلم وابو داود من
حديث انس وفي رواية ابي داود قال انس رانا صلى الله عليه وسلم فلم يامرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا
نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلوة المغرب
كان امرا قرر اصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب واما كونه عليه السلام لم يصلهما فلا
ينفي الاستحباب بل يدل على انهما ليسا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد واسحق واصحاب الحديث
وعن ابن عمر ما رايت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة
انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت
وهو انس مقدم على رواية النافي وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مومن اذا
اذن المؤذن ان يركع ركعتين وعن مالك قول اخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه ورجحه
النووي ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدي الى تاخير المغرب عن اول وقتها خيال
فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتاخر به الصلاة عن اول وقتها ومجموع الادلة يرشد
الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء خشية ان
يتخذها الناس سنة رواه ابو داود وقال المحب الطبري لم يرد نفي استحبابهما لانه لا يمكن ان يامر
بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الادلة على استحبابهما ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة
لازمة وكان المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرايض ولهذا لم يعدها اكثر الشافعية في الرواتب
واستدركهما بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه السلام
في الصلاة بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه ابو داود من حديث كعب بن عجرة وعنه عليه السلام
من صلى بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه رزين

السادس في راتبة العشا قالت عايشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او
ست ركعات رواه ابو داود وفي مسلم قالت عايشة ثم يصلي بالناس العشا فيدخل بيتي فيصلي ركعتين
وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدم اول هذا القسم والله اعلم

الفرع السابع في راتبة الجمعة عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وقبل المغرب ركعتين في بيته وبعد العشا ركعتين وكان لا يصلي
بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيا في الصلاة قبل صلاة الجمعة قال
ابن المنير فيما حكاه في فتح الباري كانه يقول الاصل استوا الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان
الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه كان صلى الله
عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه ان الجمعة لما كانت بدل الظهر
واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن انها التي حذفت انتهى وعلى هذا
فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق
ايوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب
بان قوله وكان يفعل ذلك عايد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع
عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك رواه مسلم واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح ان
يكون مرفوعا لانه عليه السلام كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل
دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد
انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الانكار ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن
يؤذن للجمعة الا بين يديه عليه السلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام

وبعد المغرب خ

انقطعت الصلاة قال ابن العراقي ولم ار في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها انتهى وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث اخر ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطاء كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي اربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسائي وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلاة الجمعة **الفصل الثاني في صلاته** صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع الاول في عدد الركعات عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم اتى النساء وبلال معه فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج في يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع الثاني** في عدد التكبير عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الركوع رواه ابو داود وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي **الفرع الثالث** في الوقت والمكان عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شيء يبدا به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانها افضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في معظم الامصار واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجه انتهى ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال اصابنا مطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ولم يخرج بنا الى المصلى **الفرع الرابع** في الاذان والاقامة عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة رواه ابو داود **الفرع الخامس** في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة العيدين عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في الاضحى

والفطر

والفطر بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن النعمان ابن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع السادس** في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيدين عليها عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية فبدا بالصلاة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكا على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة وفي اخرى شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدا بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتيمهن رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدا به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشيء امر به ثم ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له والله غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب عليه السلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع في المدونة للامام مالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه ثم اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى **الفرع السابع** في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى صلاة العيد عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات رواه البخاري وقال قال مرجا بن رجا حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وياكلهن وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى ياكل تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل او اكثر وترا قال المهلب الحكمة في الاكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكانه اراد سد هذه الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع واشار الى ذلك ابن ابي جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته **والحكمة** في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر عنه في المنام ويرقق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي

والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج وفي كل من اسانيد الثلاثة مقال وقد اخذ اكثر الفقهاء بما دلت عليه قال ابن المنير وقع اكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من وجه وافترقا من اخرى وقال الشافعي في الام بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا وفي ابن ماجه عن سعد القرظ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره رواه الترمذي وقد اختلف في معنى ذلك على اقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها اكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها فمن ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما من الجن والانس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل بمروره او في التبرك به او ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع الى جهة الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل لاظهار شرائع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود وقيل حذرا من كيد الطائفتين او احدهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء او التعلم والاقتداء والاسترشاد والسلام عليهم او غير ذلك وقيل ليزور اقاربه الاحياء والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفاءل بتغير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق اخرى لئلا يرد من يسأله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه منها ابعد من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع فليسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا في الرجوع ايضا كما ثبت في حديث ابي بن كعب عند الترمذي وغيره وقيل لان الملائكة تقف في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم وقال ابن ابي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة العين وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول الله احدانا ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلابيبها رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه اظهار شعار الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه استحباب خروج النساء الى شهود العيد سواء كن شوابا ام لا وذوات هيئات ام لا لكن نص الشافعي في الام يقتضي استثناء ذوات الهيئات قال واحب شهود العجائز وغير ذوات الهيئات الصلاة وانا لشهودهن الاعياد اشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ فيه قال الطحاوي وامره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان يكون في اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح في حديث ام عطية بعلة

الحكم

الحكم وهي شهود الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به ام عطية بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في ذلك واما قول عائشة لو راى النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة على انها افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عائشة افتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف والاولى ان يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع قاله في فتح الباري وكان عليه السلام يخرج العنزة يوم الفطر والاضحى يركزها فيصلي اليها رواه النسائي وغيره واذا علمت هذا فاعلم ان للمؤمنين في هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة مرة من غير تكرار في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب واخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه الصائمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر التي تجمع في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر ان يصلي لربه وينحر وقد ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه البخاري من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه على صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر وعن عائشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فاتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين املحين اقرنين موجوئين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا على ملة ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح رواه ابو داود وابن ماجه والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي

لطيفة اعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الاجر والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس

والمركوب ان الحبيب لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد نفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله
منها شي فله عيد والا فهو مطرود بعيد واما الموصوفون في الجنة فهي يا امر زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه
ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيا هو احب اليهم من ذلك وهو الزيادة
فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه ان يوما جامعا شملي بهم ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب وفيه اربعة فصول الفصل الاول في صلاة

الكسوف لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها
عن قبيصة بن مخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه وانا
معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت ثم قال انما هذه الايات يخوف الله
بها عباده فاذا رايتموها فصلوا رواه ابو داود والنسائي وفي قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد
على ما يزعم اهل الهيئة ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف
وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى ان تكون
الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة
والصلاة معنى كما في حديث اسما عند البخاري لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس
وكما عنده ايضا من حديث عايشة مرفوعا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان
ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد التخويف وان كلما ذكر من انواع الطاعة يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك
الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف وانما يحول القمر بينها وبين
اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب
الصغير الكبير اذا قابله ام كيف يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس
وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعمه اهل الهيئة وهو ما اخرجه احمد
والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته
ولكنهما ايتان من ايات الله وان الله اذا تجلى لشي من خلقه خشع له وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال
انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت لكان تاويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم
اصلا من اصول الشريعة قال ابن بزيزة هذا عجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم
الشريعة مع انها مبنية على ان العالم كري بالشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد
الشرع ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة
متى شاء من غير توقف على سبب او ربط باقتراب والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته غير واحد من
اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفات
الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث
ما روينا عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد ان يموت وقال هي اخوف لله منا
وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بها عباده وليس
بشي لان لله افعالا على حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب فيقطع ما يشاء من
الاسباب والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على

خرق

خرق العادة وانه يفعل ما يشاء اذا وقع شي غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك
لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها العادة الى ان يشاء الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره
اهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن
عباس قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة سورة
البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع
الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول
ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف
وقد تجلت الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فاذكروا الله فقالوا
يا رسول الله رايناك تناولت شيا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة فتناولت منها
عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط افظع ورايت اكثر اهلها
النساء قالوا لم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت
الى احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري ومسلم قوله ورايت
الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راهما روية عين كشف الله عنهما وازال الحجب بينه وبينهما
كما فرج له عن المسجد الاقصى حين وصفه ويكون قوله عليه الصلوة والسلام في عرض هذا الحائط كما في رواية
في قبلته وفي جهته وناحيته ويحتمل ان يكون روية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من امورها مفصلا ما لم يعرفه قبل ذلك
اليوم قال القاضي والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة على روية العين كتناوله
العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفحها انتهى واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل
التناول على تكلف الاخذ لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته لكم رواه الكرماني قال الحافظ
ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي
قطفه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده
ليتناول شيا وفي حديث اسما عند البخاري حتى لو اجترات عليه وكانه لم يوذن له في ذلك فلم يجترئ عليه
قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يوكل فيها ما لا يفنى
انتهى وفي حديث اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنسائي قال ما من شي كنت لم اره الا رايته
في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة المسيح الدجال يقال
ما علمك بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول هو محمد رسول الله جانا بالبينات
والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلثا فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري
اي ذلك قالت اسما فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي رواية فرايت امراة تخدشها هرة
ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية فرايت عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول من غير دين
ابراهيم ورايت فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد اي امعاه وفي رواية عايشة
ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه واهوال القيامة ما اعلم

وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتم
وفي حديث عائشة عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرأ قراءة طويلة هي ادنى من القراءة
الاولى وزاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في اول القيام
الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل
اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه وان كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه
والجواب ان صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى الله
عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها اصل برأسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة
حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف اشبه شيء بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل
فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيدين بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة الافعال
الكثيرة واستدبار القبلة وكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع فالآخذ به جامع بين العمل بالنص
والقياس بخلاف من لم يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام
وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من طرق اخرى فعند مسلم من وجه آخر عن عائشة
وآخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث ركوعات وعنده من وجه آخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات
ولابي داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو اسناد منها عن
علة وقد نقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا
من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم عليه السلام
واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد الواقعة وان الكسوف وقع مرارا
فيكون كل من هذه الاوجه جائزا وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما
ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى بعضهم ان حكمة الزيادة في الركوع والنقص
كان بحسب سرعة الانجلاء وبطئه فحين وقع الانجلاء في اول ركوع اقتصر على مثله وحين ابطأ زاد ركوعا
وحين زاد في الابطاء زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره بان ابطاء الانجلاء وعدمه
لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات على ان عدد الركوع في الركعتين سواء وهذا يدل على انه
مقصود في نفسه منوي من اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه
وشهد ان لا اله الا الله وانه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله هل تعلمون اني قصرت عن شيء
من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك
وقضيت الذي عليك ثم قال وايم الله لقد رأيت منذ قمت اصلي ما انتم لاقون من امر دنياكم وآخرتكم وانه والله لا
تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الاعور الدجال فمن تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفي البخاري وقالت
عائشة واسماء خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحق واكثر اهل الحديث
وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل
وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى

الحد

الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يقصد لها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين
لهم الرد على من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة
وحكاية شرائطها من الحمد والثنا والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف
والاصل مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم فصلوا وادعوا الله وابراهيم
هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول
وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح
شيء منها على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت
بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل
ذلك كان في ... حين رجع منها وفي هذا الحديث ابطال ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تاثير
الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من
موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما
سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية
له ولمسلم من حديث عائشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا
الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا انه لا يؤذن لها ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في
كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشيد انه صلى الله عليه
وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله صلى اي امر بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي
لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف في السنة
الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان
ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري
من حديث عائشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع واذا رفع من الركعة
قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلاة الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع سجدات
واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان
الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه آخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا
وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي
الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الائمة الثلاثة يسر في الشمس
ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرأ نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي
تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلاثة طرق
اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى
لانها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقاء انتهى ملخصا والله اعلم الفصل

آيتان من آيات الله

الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقا اعلم ان الاستسقا طلب السقيا من الله تعالى
عند الحاجة اليها كما تقول استعطى اي طلب العطا ولم يخالف احد من العلما في سنية الصلاة في الاستسقا
الا ابو حنيفة محتجا باحاديث الاستسقا التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في
الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقا ركعتين واما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة
فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم
يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعا بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة
للصلاة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقا انواع الاول الاستسقا بصلاة ركعتين
وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة
الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا
حتى اتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين
كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه وحول
رداه حين استقبل القبلة وفي رواية قال فحول رداه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه
الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شي من طرق حديث عبد الله بن زيد
على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع
ذلك في حديث عايشة عند ابي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط
المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد
على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله
ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الذي لا اله الا
هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقرا انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة
وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب او حول رداه وهو رافع
يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشا الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله فلم يات
مسجده حتى سالت السيول فلما راى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على كل شي
قدير واني عبده ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح انه لا وقت لها معين وان كان اكثر
احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله
عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار وجهر بالليل
كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على انها لا تصلى في وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله
عليه وسلم الى المصلى للاستسقا كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول ردايه
صلى الله عليه وسلم كان ستة اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان
يلبسهما في الجمعة والعيدين وقد روى ابو داود عن عباد استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سودا
فاراد ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما
هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الردا مع التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار
في الجديد تنكيس الردا لا التحويل والذي في الام ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذي

استحبه الشافعي احوط وعن ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شي من ذلك واستحب الجمهور ان يحول
الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه احمد من طريق اخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس
معه وقال الليث وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النسا فقال لا يستحب في
حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول بتحويل الحال عما هي عليه وتعقبه
ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين ربه قيل له حول رداك
ليتحول حالك وتعقب بان الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات
اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل
حال فهو اولى من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عايشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على
المنبر على ان الخطبة في الاستسقا قبل الصلاة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد في حديث
عبد الله بن زيد التصريح بانه بدا بالصلاة قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجه حيث قال
فصلى بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شي من طرق حديث
عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها وقد اخرج الدارقطني من حديث ابن عباس انه يكبر
فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك وفي اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم
صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فاخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما الثاني استسقاوه عليه الصلاة والسلام
في خطبة الجمعة عن انس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم قايم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال
وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم
اغثنا قال انس ولا والله ما نرى في السما من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال
فطلعت من ورايه سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما راينا الشمس
سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يخطب
فاستقبله قايما فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية
ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسالت انس بن مالك اهو الرجل الاول قال
لا ادري رواه مسلم وفي رواية له قال فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت حتى رايت المدينة في مثل الجوبة وسال
وادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية الا اخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها
اذا ارسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضا هي دار عمر بن الخطاب وسميت بذلك لانها بيعت
في قضا دينه وقوله هلكت الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد بالاموال هنا
وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري ايضا هلكت الماشية
هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من
الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر او لكونها لا تجد
في طريقها من الكلا ما يقيم اودها والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل
الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الرا الجبل المنبسط ليس بالعالي
وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في
السحاب والجود المطر الغزير وقوله قناة شهرا اي جرى فيه المطر من الماء شهرا وفي هذا دليل على عظم معجزته

عليه السلام وهو ان سخرت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه السلام مناجاة للحق تعالى واما السحاب فبالاشارة فلولا امرها بالطاعة له عليه السلام ما كان ذلك لانها ايضا كانت مأمورة حيث تسير وتذهب ويرحم الله السراطيسي فلقد احسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا ◦ افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعقت كفيك اذ كف الغمام فما ◦ صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراق بالارض ثجا صوب ريقه ◦ فحل بالروض نسج رائق الحلل
زهرا من النور حلت روض ارضهم ◦ زهرا من النور صافي النبت مكتهل
من كل غصن نضير مورق خضر ◦ وكل نور نضيد مونق خضل
تحية احيت الاحيا من مضر ◦ دامت على الارض سبعا غير منفصله
لولا دعاؤك بالابلاغ لم تزل ◦ بعد المضر تروى السبل بالسبل

وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر انه غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن اسحق فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حولها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شيء دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الراس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي رواية له ايضا فالف الله بين السحاب ومكثنا حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا فرايت السحاب يتمزق كانه الملا حين يطوى والملا بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاءة وهي ثوب معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقا بغير صلاة مخصوصة وعلى ان الاستسقا ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعي واما الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد دعا لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد بينت واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم

الثالث استسقاؤه صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة روى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحرث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فاتوا مقرين بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدبت جناننا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم ويلك سبحان الله ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعا الا في الاستسقا فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا طبقا مريئا مريعا واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة بن عبد المنذر فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السما من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس سبتا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره

لئلا

لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي ساله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطا والموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ما المطر وعن انس ابن مالك قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد

اتيناك والعذرا يدمى لبانها ◦ وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة ◦ من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي
ولا شيء مما ياكل الناس عندنا ◦ سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا ◦ واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السما ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملا به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السما بابراقها وجا اهل البطانة يضجون الغرق الغرق فقال عليه السلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ◦ ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم ◦ فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ◦ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقي وقوله يدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيها من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان في الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامي نسبة الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى وقال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى

قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السما قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى

الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالدعا من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطوا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاء ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرا فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر

زاد أسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعاً وشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم رواه البخاري وأفاد الدمياطي أن ابتداء الدعاء على قريش كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث أبي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص إذ لا مانع أن يدعو بذلك عليهم مراراً والظاهر أن مجيء أبي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل أن أبا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل أن يكون أبو طالب كان حاضراً ذلك فلذلك قال وأبيض يستسقى الغمام بوجهه لكن يرد ما يدل على أن القصة وقعت بالمدينة فإن لم يحمل على التعدد وإلا فهو مشكل وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة أو مرة ابن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فأتاه أبو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد هلكوا وقد رواه أحمد وابن ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك فأبهم أبا سفيان قال فجاءه رجل فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فأجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً الحديث فظهر أن هذا الرجل المبهم المقول له إنك لجريء هو أبو سفيان لكن يظهر أن فاعل قال يا رسول الله استنصرت الله الخ هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما أخرجه أحمد أيضاً والحاكم عن أبي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فأتيته فقلت يا رسول الله إن الله قد نصرك وأعطاك واستجاب لك وإن قومك قد هلكوا وعلى هذا فكأن أبا سفيان وكعباً حضرا جميعاً فكلمه أبو سفيان بشيء وكعب بشيء فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله إنك لجريء ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب بن مرة يشعر بأن ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة أنس السابقة في واقعة أخرى لأن في رواية أنس فلم ينزل عن المنبر حتى مطرنا وفي هذه فما كان إلا جمعة أو نحوها حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعاء بالاستسقاء ثم طلب الدعاء بالاستصحاء وإن ثبت أن كعب بن مرة أسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر بإجابة دعائه عليهم وزال الإشكال المتقدم والله أعلم انتهى ملخصاً من فتح الباري الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف عن يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى أبي اللحم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعاً يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه رواه أبو داود والترمذي السادس استسقاؤه عليه السلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون إلى الماء فأصاب المسلمين العطش فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبياً لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوقد قالوها عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى أظلهم السحاب وأمطروا إلى أن سال الوادي فشرب الناس وارتووا رواه

فصل عن سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعاً أنه كان إذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم إن بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكو إلا إليك اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً رواه الشافعي

فصل روى أبو الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت

انظروا

انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار قال أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر وفي رواية عبد الرزاق أن عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وفي رواية الزبير بن بكار أن العباس لما استسقى به عمر قال اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس وعنده أيضاً قحط الناس فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله وفيه فما برحوا حتى سقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله ° عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً ° إليه فما إن رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه ° فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول **الأول** في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه وأحكامه وفيه فرعان **الأول** في كم كان عليه السلام يقصر الصلاة تقدم القصر رخصة أو عزيمة وما استدل به لكل من الفريقين في أوائل هذا المقصد وعن أنس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج به أهل الظاهر في جواز القصر في طول السفر وقصره فإن بين المدينة وذي الحليفة ستة أميال وقيل سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر إلا في سفر يبلغ مرحلتين وقال أبو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمد في ذلك آثاراً عن الصحابة وأما هذا الحديث فلا دلالة فيه لأهل الظاهر لأن المراد أنه صلى الله عليه وسلم حين سافر إلى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة أربعاً ثم سافر فأدركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد أن ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعاً والأحاديث المطلقة مع ظاهر القرآن متعاضدان على جواز القصر من حين يخرج من البلد فإنه حينئذ يسمى مسافراً وطويل السفر ثمانية وأربعون ميلاً هاشمية وهي ستة عشر فرسخاً وهي أربعة برد والميل من الأرض منتهى مد البصر لأن البصر يميل عنه على وجه الأرض حتى يفنى إدراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده أن ينظر إلى الشخص في أرض مصطحبة فلا يدري أهو رجل أم امرأة أو هو ذاهب أو آت قال النووي الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعاً معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الآن بمصر والحجاز في هذه الأعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعاً وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها وروى البيهقي عن عطاء أن ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين أي يقصران في أربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم ورواه بعضهم عن صحيح ابن خزيمة مرفوعاً من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه السلام فرضت أربعاً رواية البخاري من حديث عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول

قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما

الفرع الثاني في القصر مع الاقامة عن انس قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا قال اقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرا نقصر الصلاة وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم وهو رواية الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على التاء ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسع عشرة عد يوم الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما واما رواية خمس عشرة فضعفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحق فقد اخرجها النسائي من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فلتحمل على ان الراوي ظن ان رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضى ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات واخذ الشافعي بحديث عمران بن الحصين لكن محله عنده فيمن لم ينو الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الاتمام فان نوى الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على خلاف بين الصحابة في دخول يومي الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث انس كان في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة اقامته بمكة اربعة ايام سواء لانه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا اقام ببلد قصر اربعة ايام والمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن مترددا متى يهيا له فراغ حاجته يرحل والمدة التي في حديث انس يستدل بها على ان من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم انه اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم

الفصل الثاني وفيه نوعان ايضا الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية كان اذا اراد ان يجمع بين الصلاتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يوخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما ويوخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتي الظهر والعصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك

فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وله ولمالك وابي داود والنسائي انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان عليه السلام يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فاخر الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر فان رحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم جمع بينهما

الفصل الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وزاد البخاري في رواية كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى المغرب ثلث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء في المزدلفة وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود وصلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب والعشاء بجمع باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما

الفصل الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ولا يصلون قبلها ولا بعدها ولو صليت لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يكون يريد لا يزيد في عدد ركعات الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله وجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فراى ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر بان الفريضة محتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي وطريق الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك يتبين من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممت واما حديث عائشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النساء واجاب النووي تبعا لغيره بالحمل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا يراه ابن عمر او لعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين

ولم يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلث ركعات لا ينقص في حضر ولا سفر وهي وتر
النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلاة الصبح انه صلى الله عليه
وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي وقال صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه
وسلم انه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر ويرد على اطلاقه ما قدمناه في
رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت
عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه رآه حسنا وقد حمله بعض العلماء على سنة الزوال
لا على الراتبة قبل الظهر الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة عن ابن عمر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته حيث ما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة
الى المدينة حيث كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلي
على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد اخذ بهذا الحديث فقهاء الامصار
في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة
بالتكبير حال ابتداء الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد
ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه وذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة
سواء كان السفر طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في
اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك وحجة
الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني
وانما المعروف في صلاته عليه السلام على راحلته او بعيره والصواب ان الصلاة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم
ثم قال وفي تغليط رواية نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال
انه شاذ مخالف لرواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مسير فانتهوا الى المضيق لحضرت الصلاة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم
فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع رواه الترمذي
القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع قال اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين
وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله
فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تاخروا
وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم
ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه
وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي
يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الى الصف المؤخر تاخر الصف
المقدم ثم ركع النبي وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان
مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه
انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث
يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة

صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا
وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم
ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية
وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب وعن سالم بن
عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففناهم
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت طائفة على العدو وركع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاؤوا فركع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين رواه
وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة
ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه انه صلى الله
عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم
وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه
شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فيكون لهم ركعة ولرسول الله صلى
الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر
وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة
ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
وزاد وجها آخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات
وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما
هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار
المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي صلاها اربعا وعشرين مرة وقال الخطابي صلاها
عليه السلام في ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف
صورها متفقة المعنى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري
القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة وفيه فروع اربعة الاول في عدد
التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف
بهم وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى الفرع الثاني في القراءة والدعاء نقل ابن المنذر عن
ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي
واحمد واسحق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق والنسائي
باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام القرآن ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن
عباس على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيه بيان محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح
بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرأ بام القرآن بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي
في شرح الترمذي وعن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب رواه
الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله

اراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال وعن عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى الاسلام قبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها رواه ابو داود

الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر عن ابي هريرة ان امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها فقالوا ماتت قال افلا آذنتموني قال فكأنهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد ابن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه السلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصائصه وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحياء والاموات رواه ابو داود والنسائي ورواه الشيخان بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة فذهب مالك والشافعي واحمد واسحق والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه الصلوة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعاء صلاة الميت او ان هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود في صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثماني سنين والحنفية يمنعون الصلاة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال اكثرهم معناه تحرم الصلاة عليه وهو الصحيح عندهم وقال آخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في الرواية التي فيها يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة

الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن وراءه رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم

اصحمة

اصحمة وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد مسجد للصلاة على الموتى لم يكن في الصلاة فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي ولا ان يكون خرج الى المصلى لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه اسلم وقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال البخاري باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان مهيأ للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة عليها فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز في المسجد كان لامر عارض او لبيان الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز في المسجد ويقويه حديث عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز اتفاقا وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يأت عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغائب عن قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى رآه وعبر عنه القاضي عياض في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على ميت رآه ولم يره المأمومون ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد هذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القائل ما ذكره الواحدي في اسباب النزول بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غائب غيره قاله المهلب وكانه لم يثبت عنده

فقصة معاوية بن معاوية الليثي واستدلت من قال بتخصيص الغائبين بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات
مسلمًا او استيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من
ظواهر الشرع مع انه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قال المالكية ليس ذلك
الا لمحمد قلنا وما عمل به محمد تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية قالوا طويت له الارض واحضرت
الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا ما تم
من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى تلاف ما ليس له تلاف وقال ائتلاف
الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله
عليه وسلم انتهى ملخصًا من فتح الباري **النوع الثاني في ذكر سيرته** صلى الله عليه وسلم في الزكاة وهي لغة
النماء والتطهير لان المال ينمو بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمو اجرها عند الله تعالى
وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد
النعمة وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه
صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم
جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم
والثاني الزروع والثمار الثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم الرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها
وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس اواق وهي مائتا درهم
بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون مثقالا واما الزرع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون بنص
شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤونة والتعب في المال
فاعلاها واقلها تعبًا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل اوجب فيه الخمس متى ظفر
به ويليه الزرع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة
وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ربعه
ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيه شاة فاذا صارت خمسا وعشرين احتمل
نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها
ففي كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي
عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين
فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فاذا زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت
واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها
حقتان الى عشرين ومائة فان كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم
في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى المائتين فاذا زادت على المائتين
ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة
رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر **وفرض** صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من
تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج
الناس الى المصلى رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية ابي داود عن ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم
زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها وجزأها ثمانية اجزاء رواه ابو داود من حديث زياد بن الحارث الصدائي

وهذه الثمانية الاجزاء يجمعها صنفان من الناس احدهما من ياخذ لحاجته فياخذ بحسب شدة الحاجة
وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته وهم
العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ
محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة **واعلم** ان الانبياء لا تجب الزكاة عليهم لانهم لا ملك لهم مع
الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من
ودائع الله لهم يبذلونه في اوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه ان يكون ممن
نس وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤون من الد
لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد
جريان التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع
الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما اغترفوا من بحارهم
واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير للعارف الكبير ابي الفضل بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله
حلاوة مشربه **تنبيه** ما حكي ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي فقال احمد
ابن حنبل للشافعي اريد ان اسال هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك
فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله تعالى
يجب ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال له ما تقول فيمن له اربعون شاة
ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففي اربعين شاة شاة
واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل
باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم انتهى **وقد** كان صلى الله عليه وسلم اذا
اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان واتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه البخاري
ومسلم **واختلف** في اول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة فقيل كان في السنة الثانية
قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب السير من الروضة **وجزم** ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في
التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان
في اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة **وقوى** بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب
المطولة ففيها لما انزلت آية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم غلاما فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية
والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله **وادعى** ابن خزيمة
في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة **واحتج** بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر
ابن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن النبي يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال
بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن في
اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فرضية الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا
فقال يامرنا يعني بامر امته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قادح في اسناده
ان المراد بقول جعفر يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اي في الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلاة
الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكوة المخصوصة ذات النصاب والحول
والله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله
انشدك الله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة

خمس وأما الذي وقع في التاسعة فبعث العمال لأخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فرضية الزكاة
قبل ذلك ومما يدل على أن فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على أن صيام رمضان إنما فرض بعد الهجرة
لأن الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه
والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل أن
تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح إلا
أبا عمار الراوي عن قيس بن سعد وقد وثقه أحمد وابن معين وهو دال على أن فرض صدقة الفطر
كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عائشة وإذا أتي بطعام
سأل عنه أهدية أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل وإن قيل هدية ضرب بيده
فأكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وقال عليه السلام لعائشة عندكم شيء فقالت
لا إلا شيء بعثت به إلينا نسيبة من الشاة التي بعثت إليها من الصدقة قال إنها بلغت محلها رواه البخاري
ومسلم وقوله محلها بكسر الحاء أي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا وأتي بلحم تصدق به على
بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وفي حديث عائشة
عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء فأتي بخبز وأدم من أدم البيت
فقال ألم أر لحما يعني برمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة وأهدته إلينا
منه وأنت لا تأكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن المقصود من الصيام إمساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها عن
مألوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين
أعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الإلهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي
وأنا أجزي به فأضافه تعالى إليه إضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع أن العالم كله له سبحانه
وقيل لأنه لم يعبد غيره به فلم تعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة
الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الأسانيد واعترض بما يقع من عبادة النجوم وأصحاب الهياكل
والاستخدامات فإنهم يتعبدون لها بالصيام وأجيب بأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بأنفسها وقيل لأن
الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال في فتح الباري
معنى النفي في قوله لا رياء في الصوم أنه لا يدخله الرياء بفعله وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم
فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء
قد يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن أوس مرفوعا من صام يرائي فقد أشرك رواه البيهقي وقيل لأنه ليس للصائم
ونفسه فيه حظ وقيل لأن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم
إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه قال القرطبي معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب
لصفة من صفات الحق كأنه تعالى يقول إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي أو لكون ذلك صفة
من صفات الملائكة أو لأنه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد أظهر
سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وأنا أجزي به وقد علم أن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه
الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء وإنما جوزي الصائم هذا الجزاء لأنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده والمراد
بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية

عند

عند ابن خزيمة يدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي وأصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع
من أجلي وللصيام تأثير عجيب في حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب
للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الردية المانعة له من صحتها هو من أكبر العون على التقوى كما أشار إليه
تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه السلام كما في البخاري
الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر أي ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية أي يقي صاحبه مما
يؤذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الآثام وقد اتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه
من المعاصي قولا وفعلا واختلف هل الصوم أفضل أم الصلاة فقيل الصوم أفضل الأعمال البدنية لحديث
النسائي عن أبي أمامة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر آخذه عنك قال عليك
بالصوم فإنه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام
واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة رواه أبو داود وغيره ثم إن الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين

القسم الأول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول الأول فيما كان صلى الله عليه وسلم
يخص به رمضان من العبادات وتضاعف جوده عليه الصلاة والسلام فيه اعلم أن رمضان مشتق من الرمض وهو
شدة الحر لأن العرب لما أرادوا أن يضعوا أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك كما سمي
الربيعين لموافقتهما زمن الربيع أو لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وهو ضعيف لأن التسمية به ثابتة قبل الشرع
ورمضان أفضل الأشهر كما حكاه الإسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي وقولهم إنه
من أسماء الله تعالى ليس بصحيح وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف وأسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا بدليل صحيح انتهى
وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل رمضان أو لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية أنه لم يجب قط
صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية أول ما فرض عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وسيأتي أدلة
الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء إن شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما
تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات
ومنبع الجود والبركات لأن نعم الله تعالى فيه تزيد على غيره كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر فيه من العبادات وأنواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والإحسان والصلاة
والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات بما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده صلى الله عليه وسلم
يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تعالى يتضاعف فيه أيضا فإن الله تعالى جبله
على ما يحبه من الأخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود
الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه
جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان والمنزول وهو
القرآن والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القرآن حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود
والمرسلة المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم
النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند الإمام أحمد في آخر هذا الحديث
لا يسأل شيئا إلا أعطاه وتقدم في ذكر سخائه صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك وقد كان ابتداء نزول القرآن في شهر
رمضان وكذا نزوله إلى سماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان جبريل عليه السلام
يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان فلما كان العام الذي توفي

فيه صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قالت في فتح الباري وفي معارضة
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في شهر رمضان حكمتان احدهما تعاهده والاخرى تبقية ما لم ينسخ منه
ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلث عشرة
من شهر رمضان وانزل التوراة لست مضين من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد
دل الحديث على استحباب مدارسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو احفظ منه
وفي حديث ابن عباس ان المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن
في رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر وقد
كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم
صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها
فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروي انه صلى الله عليه
وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان
وبلغنا رمضان رواه الطبراني وغيره من حديث انس وروي عليه السلام اذا رأى هلال رمضان قال هلال رشد
وخير هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالذي خلقك رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه السلام
كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه حتى لا
يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله وآخره فيلتبس علي
الصوم والفطر وسلمه مني اي تعصمني من المعاصي فيه وهذا منه عليه السلام تشريع لامته **الفصل الثاني** في صيامه
عليه السلام برؤية الهلال عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم
لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموه
فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا
له من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويوضحه قوله في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه
وسلم عد ثلاثين وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال المازري
حمل جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا له على ان المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قال
ولا يجوز ان يكون المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لشق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما
يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة وجمهور السلف والخلف
وفيه دليل انه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين
ليلة غيم وقال الامام احمد بن حنبل في طائفة اي اقدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم يوم ليلة الغيم
عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه
وقدروه بحسب المنازل **الفصل الثالث** في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر
قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود
وصححه ابن حبان وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان
فقال اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا

رواه ابو داود والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه السلام في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين
ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين على الاصح من مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا
يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوي واذا قلنا
بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به
الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كما اطلقه الرافعي هنا نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة
وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى
التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعي في الباب الثاني
في كتاب الشهادات ان القياس انتهى **الفصل الرابع** فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان
الجمهور على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن علي وعطاء والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور يفطر الحاجم والمحجوم
واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فاوجب الكفارة ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر
وابن حبان ونقل الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي
يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث
شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال
وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال
وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقى احد الحجامة كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث
ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة انتهى واول بعضهم
حديث افطر الحاجم والمحجوم بان المراد به انه سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول اليه ولا
يخفى بعد هذا التأويل وقال البغوي في شرح السنة معناه اي تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يأمن من
وصول شيء من الدم الى جوفه عند المص واما المحجوم فانه لا يأمن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول امره
الى ان يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة وقال
ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم
في الحجامة للصائم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة
سواء كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات ولكن
اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصائم ان جعفر
ابن ابي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم رخص رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم وكان انس يحتجم وهو صائم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه
ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن
عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة
للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة
عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم
وكرهها للضعف اي لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو
صائم ثم تضحك رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود من حديث عائشة قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته

وقالت عائشة مرة

يعني أنه كان غالبًا لهواه قال ابن الأثير أكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تأويلان أحدهما أنها الحاجة يقال فيها الأرب والإرب والإربة والمأربة والثاني أرادت به العضو وعنت به من الأعضاء الذكر خاصة وذهب الشافعي والأصحاب إلى أن القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الأولى تركها وأما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الأصح عند أصحابنا وقولها فضحكت يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل التعجب من نفسها إذ حدثت بمثل هذا مما يستحيى من ذكر النساء مثله للرجال ولكنها ألجأتها الضرورة في تبليغ العلم إلى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لإخبارها عن نفسها بذلك أو تنبيهًا على أنها صاحبة القصة ليكون ذلك أبلغ في الثقة بها أو سرورًا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وقد روى ابن أبي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا أنها هي وروى النسائي عنها قالت أهوى إلي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت إني صائمة فقال وأنا صائم فقبلني وروى أبو داود عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صائم وإسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على أنه لم يبتلع ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه السلام يكتحل بالإثمد وهو صائم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ثم قال إن محمدًا هذا ليس بالقوي ووثقه الحاكم وأخرج له في مستدركه وقالت أم سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبًا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فائدتان إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بيانًا للجواز الثانية أن ذلك كان من جماع لا من احتلام لأنه كان لا يحتلم إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير احتلام إشارة إلى جواز الاحتلام عليه وإلا لما كان لاستثنائه معنى ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وأجيب بأن الاحتلام يطلق على الإنزال وقد يقع الإنزال بغير رؤية شيء في المنام وأراد بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم أن فاعل ذلك عمدًا مفطر انتهى وقال عامر بن ربيعة رأيته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا أعد ولا أحصي رواه أبو داود والترمذي

الفصل الخامس في وقت إفطاره عليه السلام عن عبد الله بن أبي أوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله إن عليك نهارًا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فأتى به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده إذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا صيامًا فلما غربت الشمس أمره عليه السلام بالجدح ليفطر ورأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وظن أن الفطر لا يحصل إلا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده أنه صلى الله عليه وسلم لم يرها فأراد تذكيره وإعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله إن عليك نهارًا لتوهمه أن ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الأخرى لو أمسيت وتكرير المراجعة لغلبة اعتقاده على أن ذلك نهار يحرم الأكل فيه مع تجويزه أنه عليه السلام لم ينظر إلى ذلك الضوء نظرًا تامًا فقصد زيادة الإعلام ببقاء الضوء والله أعلم قاله النووي

الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه عن أنس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم يجد رطبات فتمرات فإن لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه أبو داود وإنما خص عليه السلام الفطر بما ذكر لأن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فإذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ولهذا كان

الأولى

الأولى بالظمآن الجائع أن يبدأ بالشرب قليلا ثم يأكل بعده قاله ابن القيم

الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند الإفطار عن معاذ بن زهرة بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ أبو زهرة وتبعه ابن أبي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل أن يكون الحديث موصولًا ولو كان معاذ تابعيًا لاحتمال أن يكون الذي بلغه له صحابيًا قال فبهذا الاعتبار أورده أبو داود في السنن وبالاعتبار الآخر أورده في المراسيل وأخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واه جدًا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبل مني إنك أنت السميع العليم وعن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله رواه أبو داود وزاد رزين الحمد لله في أول الحديث وفي كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت

الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا إنك تواصل قال إني لست كهيئتكم إني أطعم وأسقى رواه البخاري ومسلم وللبخاري أنه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواصلوا قالوا إنك تواصل قال لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى وفي رواية أنس واصل صلى الله عليه وسلم في آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالًا يدع المتعمقون تعمقهم إنكم لستم مثلي أو قال لست مثلكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا إنك تواصل قال لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الأمر المجاوزون الحدود في قول أو فعل وفي رواية سعيد بن منصور وابن أبي شيبة من مرسل الحسن إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عائشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا إنك تواصل فقال إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم إلا أن البخاري قال نهى ولم يقل رحمة لهم وعن أبي هريرة قال نهى صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا رواه البخاري والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدًا من غير أكل أو شرب بينهما قاله شيخ الإسلام والحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وأنه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن مواصلًا وبأن قوله أظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الأكل والشرب حقيقة لم يكن صائمًا وأجيب بأن الراجح من الروايات لفظ أبيت دون أظل وعلى تقدير ثبوتها فيحمل على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لأن المتحدث عنه هو الإمساك ليلًا لا نهارًا وأكثر الروايات إنما هو أبيت فكأن بعض الرواة عبر عنه بأظل نظرًا إلى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرًا أضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا فإن المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل وليس حمل الطعام والشراب على المجاز بأولى من حمل لفظ أظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك لأن ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه أحكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف في طست الذهب مع أن استعمال أواني الذهب الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعًا إنما هو الطعام المعتاد وأما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا

المعنى وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كأكل اهل الجنة في الجنة والكرامة
لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع
وصاله خصوصية له بذلك فكأنه قال لما قيل له انك تواصل فقال اني لست في ذلك كهيئتكم اي على
صفتكم فان من اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك مواصلتي
فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب
وهو القوة فكأنه قال يعطيني قوة الآكل الشارب ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي
على انواع الطاعة من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه عن الطعام
والشراب فلا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه على الاول يعطى القوة من غير شبع ولا ري
بل مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطى القوة مع الشبع والري ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصائم
ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي
ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه السلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر انتهى
ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطائف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه
وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال
التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم الغذاء واجله
وانفعه وقد يقوى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل
لها احاديث من ذكراك تشغلها ۞ عن الشراب وتلهيها عن الزاد ۞ اذا اشتكت من كلال السير اوعدها
روح القدوم فتحيى عند ميعاد ۞ ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح
عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه
والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع المحبة التامة أفليس هذا من اعظم غذاء لهذا المحب
فكيف بالحبيب الذي لا شيء اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا افليس هذا المحب عند
حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي
في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب
قال والمحب البالغ تشغل عنهما انتهى فان قلت لم آثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله
يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب بان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية
لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال
هل هو جائز او محرم او مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير
وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة
عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن ابي نعم وعامر بن
عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وابو الجوزاء كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلوة
والسلام واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة لهم
والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب ولا رغب
عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل
على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما اقدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال
مالك وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم

والثاني

والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب واحمد بن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد
عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال
لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه يؤخره لان الصائم له في اليوم
والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى آخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل
ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصائم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصائصه
صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال صلى الله عليه وسلم
اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم اي فقد صار مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر
وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا واجابوا عن
قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم
واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة
على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها
واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله واجابوا ايضا بقوله عليه السلام اذا اقبل الليل
من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه
وروى الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال للنبي ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد بعدك
ولكن اسناده ليس بصحيح فلا حجة فيه الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن رجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة
اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى السحور في رمضان قال هلم الى الغداء المبارك رواه ابو داود والنسائي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام اطعمني شيئا فاتيته بتمر واناء فيه ماء وذلك بعد ما اذن
بلال قال يا انس انظر رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني قد شربت شربة سويق وانا اريد الصيام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة رواه
النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار
الا ان الشمس لم تطلع رواه النسائي ايضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا
الى الصلاة قال انس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية رواه البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي والمراد اية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا سريعة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر
ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق ايضا على بعضهم
ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة
على ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى
واجاب في فتح الباري بان لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة
الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه عن جابر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء
فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك العصاة
زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر
رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا

بإناء من ماء فشرب نهاراً ليراه الناس وأفطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم أن ابن عباس
كان لا يعيب على من صام ولا على من أفطر فقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر قال النووي ويقول صح
رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر
فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية والحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الآخر
أولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا
في أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون الصوم أفضل
لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فإن تضرر به فالفطر أفضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولأنه يحصل
به براءة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحق وغيرهم الفطر أفضل مطلقاً وحكاه
بعض أصحابنا قولاً للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من
الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر وأجاب الأكثرون بأن
هذا كله فيمن يخاف ضرراً أو يجد مشقة كما هو صريح في الأحاديث واعتمدوا حديث أبي سعيد الخدري قال
كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر ولا يجد الصائم على المفطر
ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر
فإن ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة
وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث والصحيح قول الأكثرين والله أعلم

القسم الثاني من صومه صلى الله عليه وسلم صومه غير شهر رمضان وفيه فصول

الفصل الأول في سرده عليه السلام صوم أيام من الشهر وفطره أياماً

عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال
لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر
حتى نظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا
رأيته ولا نائماً إلا رأيته وفي رواية ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته ولا مفطراً إلا رأيته
ولا من الليل قائماً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام قد صام ويفطر
حتى يقال أفطر أفطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً غير رمضان
وكان يصوم حتى يقول القائل لا والله ما يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي
وزاد ما صام شهراً متتابعاً غير رمضان منذ قدم المدينة وفي هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر
ولا قام الليل كله وكأنه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الأمة وإن كان قد أعطي من القوة ما لو التزم ذلك
لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى فصام وأفطر وقام ونام

الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشوراء

وهو بالمد على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم بن الأعرج قال انتهيت إلى ابن
عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد
وأصبح يوم التاسع صائماً قلت كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا
تصريح من ابن عباس بأن مذهبه أن عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتأوله على أنه مأخوذ من أظماء
الإبل فإن العرب تسمي اليوم الثالث من أيام الورد ربعاً وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع عشراً
انتهى لكن قال ابن المنير قوله إذا أصبحت من تاسعه فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائماً بعد أن
أصبح من تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب

جماهـ

جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب
والحسن البصري ومالك وأحمد وإسحق وخلائق وهذا ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ وأما تقدير أخذه من
الأظماء فبعيد ثم إن حديث ابن عباس يرد عليه يعني قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء
فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فإذا كان العام المقبل
إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
تصريح بأن الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشوراء
معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الأصل صفة لليلة العاشرة لأنه مأخوذ من العشر الذي هو
اسم للعقد واليوم يضاف إليها فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة إلا أنهم لما عدلوا
به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو اليوم العاشر
وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو
مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال ابن القيم من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الإشكال
وسعة علم ابن عباس فإنه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة
السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء فأرشد السائل إلى صيام التاسع
معه وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك فإما أن يكون فعل ذلك وهو الأولى
وإما أن يكون حمل فعله على الأمر به وعزمه عليه في المستقبل ثم هو الذي روى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الآثار عنه يصدق بعضها بعضاً انتهى فليتأمل وعن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه
ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي
وقع الأمر فيه بصيام عاشوراء وهو أول قدومه المدينة ولا شك أن قدومه عليه السلام كان في ربيع الأول
فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر
بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة ثم فوض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي أنه كان
قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الأحاديث الصحيحة وأما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرع السالف
ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية
فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر أن أهل الجاهلية كانوا
يصومون يوم عاشوراء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يوم عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء
صامه رواه البخاري ومسلم وأبو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه وعن سلمة بن
الأكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسلم يوم عاشوراء فأمره أن يؤذن في الناس من كان لم
يصم فليصم ومن أكل فليتم صيامه إلى الليل رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء في أول
الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة كان واجباً واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين
أشهرهما عندهم أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجباً قط في هذه الأمة ولكنه كان متأكد الاستحباب
فلما نزل صوم رمضان صار مستحباً دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجباً كقول أبي حنيفة وتظهر
فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول
يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه وأصحاب الشافعي يقولون

يقولون كان مستحبًا فيجزيه بنية من النهار بل يتمسك ابو حنيفة بقوله أمر بصيامه والأمر للوجوب وبقوله
فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه وتحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم
يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون الصائمي قوله وحديث ام سلمة فأمر ان يؤذن في الناس
من كان لم يصم فليصم الى الحرمان كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم يأكل او أكل فليمسك بقية
يومه لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية من النهار ولا يشترط
تبييتها قال لانهم نووا في النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا
حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة وغيره على ان شرط اجزاء النية
في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل
ابن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء
العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال ولقول ابن مسعود
الثابت في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على ان المتروك
وجوبه واما قول بعضهم المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تأكد استحبابه باق
ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر
ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة فاي تأكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم
فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا
هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى واغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفي اخرى نحن
نصومه تعظيما له رواه البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله بعضهم في هذا
الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم
المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء بانه ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم
يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك وقوع القصة في اليوم كان بعد قدومه المدينة لم
يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره قدم عليه السلام المدينة فاقام الى يوم عاشوراء
فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل ان يكون اولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين
الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التأويل مما
يترجح به اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن سياق الاحاديث
يدفع هذا التأويل فالاعتماد على التأويل الاول انتهى وقد استشكل ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود
وهو غير مقبول واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده
النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه
فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال
فقوله صامه ليس فيه ان ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبر به من اسلم من علمائهم كابن سلام
وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب
فيه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال النووي المختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي او تواتر او اجتهاد

لأمر ما اخبارهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر
ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك استئلافا لليهود كما استألفهم
باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في
الوقت الذي يحب فيه موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان
فلما فتحت مكة واشتهر امر الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى
فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه
واحمد واسحق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى
صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في
افراد العاشر وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء والاول اولى انتهى وفي رواية البزار
من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا
قبله يوما وبعده يوما ولاحمد نحوه فمراتب صومه ثلاثة ادناها ان يصام وحده واكملها ان يصام يوما قبله
ويوما بعده ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر ان القصد مخالفة
اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين اما بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله
اعلم وفي البخاري من حديث ابي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فصوموه
انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد
لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة
موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم في شرعهم
ان يصوموه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون
نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم
عاشوراء اربعة احوال اولها انه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين
وغيرهما كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه
الحديث الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب
موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم
كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك صلى الله عليه
وسلم صيامه وقال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق
الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم في اخر عمره ان لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب
في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان صوم عاشوراء يكفر سنة وان صيام يوم
عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشوراء وقد قيل الحكمة في ذلك ان يوم
عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما
ما روي من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها فرواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي
فضائل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاول فقط عن ابي سعيد والثاني فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة

وقال ان اسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال العراقي في اماليه لحديث ابي هريرة
طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان بن ابي عبد الله عنه
وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات فالحديث حسن على رايه قال وله طريق عن جابر
على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير عنه وهي اصح طرقه ورواه هو والدارقطني في
الافراد بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال فذكره
الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان عن عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رايته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري
ومسلم وفي اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي كان يصومه الا
قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان
ثم يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى
له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال جائز
في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى و
واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية
ومخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي قال ويحمل على انه كان يصوم
شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل قول
عائشة على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن اول بان
امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول
هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام
الثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف
اخرجه الطبراني في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف
وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق
صدقة بن موسى عن ثابت عن انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان
قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك القوي لكن يعارضه ما
رواه مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث
اصح مما مضى اخرجه النسائي وابو داود وصححه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم
شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع
فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صائم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان
دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران
عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب
افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفي احياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها
ان يكون اخفى واخفاء النوافل واسرارها افضل لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس
لان النفوس تتاسى بما تشاهد من احوال ابناء الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم سهلت الطاعات
واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدي

ثم وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى اخر وهو انه ينسخ فيه الاجال فروي باسناد
فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول
الله ارى اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا احب
ان لا ينسخ اسمي الا وانا صائم وقد روي مرسلا وقيل انه اصح وقد قيل في صوم شعبان معنى اخر
وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صيام رمضان على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن
ل على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان
بقوة ونشاط واعلم انه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين وكذا
ما جاء في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل
تلك الايام في صيام اعتاده واجاب النووي عن كونه عليه السلام لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله
ان افضل الصيام ما يقع فيه بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في اخر عمره فلم يتمكن من كثرة الصوم
في المحرم او اتفق له فيه من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم فيه واما شهر رجب بخصوصه
وقد قال بعض الشافعية انه افضل من سائر الشهور وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح عنه
صلى الله عليه وسلم انه صامه بل روي عنه من حديث ابن عباس مما صح وقفه انه نهى عن صيامه
ذكره ابن ماجه لكن في سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر
الحرم ورجب احدها وفي حديث مجيبة الباهلية عن ابيها او عمها انه صلى الله عليه وسلم قال له
صم من الحرم واترك قالها ثلاثا رواه وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري قال
سالت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان
مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور وفي اللطائف
روى عن الكتاني انا تمام الرازي ثنا القاضي يوسف ثنا محمد بن اسحق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا
حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة انا حبيب بن ابي المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا خرجه ابو داود وغيره وعن
ابي قلابة قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن
بلاغ والله تعالى اعلم الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة والمراد بها الايام التسعة من
اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة رواه ابو داود وعن عائشة قالت ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم صائما في العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيه كراهة
بل هو مستحب استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من الحجة
واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد
واجيب بانه محمول على الغالب والله اعلم ويجاب عن قولها يعني عائشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض
من مرض او سفر او غيرهما او انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل
عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القسم بن ابي ايوب ما
من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير تعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي ابي عوانة وابن حبان

ما من ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها
من ايام السنة وتظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد
يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع
تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه
الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال الداودي لم يرد عليه
السلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشيء
على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام السنة سواء كان يوم الجمعة
فيه ام لا ويوم الجمعة افضل فيه من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين فيه والذي يظهر ان السبب
في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا
يتاتى ذلك في غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن
النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب ان عشر ايام ذي الحجة
افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما رئي الشيطان في يوم غير يوم بدر ولا اغيظ ولا احقر منه فيه
وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيامه سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر
الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة هي خير من الف
شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليه الفاضل المفضل في قوله من ايام العمل فيهن
احب الى الله من عشر ذي الحجة فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب
بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة قط

الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع
عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي
وعن ابي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي
رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس
فاحب ان يعرض عملي وانا صايم رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى
لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت
يوم الاثنين والخميس قال ذلك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا
صايم رواه النسائي وروى ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
قال يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورايت حتى
اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والقي سايره وهذا عرض خاص
في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دايم بكرة وعشيا ويدل على ذلك ما
في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا
ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام
سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من
المقبلة وفي رواية اول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عايشة كان
يصوم من الشهر السبت والاحد ومن الشهر الاخر الثلاثا والاربعا والخميس رواه الترمذي وعن كريب
مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها اي
الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيدا المشركين

الحديث

والاثنين صح

ولذا احب ان اخالفهم رواه احمد والنسائي وفيه محمد بن عمر ولا نعرف حاله وترويه عنه ابنه عبد الله
ابن محمد بن عمر ولا يعرف حاله ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة او عود شجرة فليمضغه
رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام
سلمة لان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت
بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم
يوما قبله او يوما بعده قال النووي واما قول مالك في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن
يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن فقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان
يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي رآه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره
وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي
من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون
اعون له على وظايف العبادات المشروعة في الجمعة واداها بنشاط وانشراح لها والتذذ بها من غير
ملل ولا سامة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقاء
المعنى فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير
في وظايف يوم الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام
البيض وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره وهي ثلث عشرة واربع عشرة وخمس عشرة وليس في الشهر
يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف
واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض فجعل البيض صفة الايام
فقد اخطا والله اعلم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا
سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض
من كل شهر وركعتي الفجر رواه احمد وعن معاذة العدوية انها سالت عايشة اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي
من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلثة معينة لئلا
يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة الايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر
امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم
ثلثة ايام من غرة كل شهر وقد تحصل ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه الاول انه كان يصوم
اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي الثاني كان يصوم من الشهر السبت
والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلثا والاربعا والخميس رواه الترمذي الثالث ايام البيض ثالث عشر
ورابع عشر وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلثة غير معينة كما روته معاذة عن عايشة عند مسلم الخامس
انه كان يصوم ثلثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث
ابن مسعود وقال القاضي عياض واختار النخعي صوم ثلثة ايام من اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى واختار
اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك بن انس وقال ابن شعبان من
المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرين ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما
رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي ان

يستحب ايضا صوم ايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده وترجح البيض بكونها وسط
الشهر ووسط الشيء اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بزيادة العبادة اذا وقع فاذا اتفق
الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائما فيتهيأ له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام
والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيأ له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة
في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر

اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس
والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف
القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه
بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره
وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي ليس بشرط
لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح
اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري وبحديث
عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم
والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلماء على مشروطية المسجد للاعتكاف
الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية للمرأة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو
المكان المعد للصلاة فيه وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمساجد التي
تقام فيها الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور بعمومه
في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عندهما ينقطع
بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طائفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا واومأ اليه الشافعي
في القديم وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد الثلاثة وعطا بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد
المدينة واتفقوا على انه لا حد لاكثره واختلفوا في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال
يصح مع شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان
ومن لم يشترط الصوم قال اقله ما يطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع
وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من
حديث عائشة وعن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام
الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان
ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني
ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر فقد اريت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها
في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد
فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين
رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان
وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري
ولمسلم من حديث عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني

انه

صبيحتها

صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرت في ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا وان اثر الماء والطين في
جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني
مرفوعا من حديث ابي هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين
او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلماء في ليلة القدر
اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء في ذلك اكثر
من اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي
فيما حكاه عنه الاسنوي وعن المحاملي انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحق في التنبيه
فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب في جواز كونها
في النصف الاول كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية
قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه قال النووي
وميل الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي والعشرون
فلقوله عليه السلام في حديث ابي سعيد فقد رايت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ماء وطين من
صبيحتها وفيه فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة
احدى وعشرين واما الثالث والعشرون فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة
من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم كما قالوه
على جليه حنث من علق يوم العشرين عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء
الشهر على الصحيح بناء على انها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الى ليلة
من ليالي العشر وحاصله ثلاث اوجه واختار النووي في الفتاوى وشرح المهذب راي ابن خزيمة
وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله للجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر
خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النسائي حيث قال فيه
قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول مالك في الموطا
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطاه الله ليلة
القدر وهذا محتمل التاويل فلا يدفع الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره وابن حجر
في فتح الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع
في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح
الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا
ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها وان من اماراتها ان الشمس في
صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها حينئذ
وروى البيهقي في فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلى الله عليه وسلم
يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله وخرج عبد الرزاق
بان شد مئزره هو اعتزال النساء وحكاه عن الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة
كما يقال شددت لهذا الامر مئزري اي تشمرت له ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد
به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة وقوله واحيا ليله

أي سهره فأحياه بالطاعة أو أحيا نفسه بسهره فيه لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعا لأن النائم إذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه السلام يخص العشر الأخير بأعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها إحياء الليل فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف وأحيا الليل كله وفي المسند عنها أيضا قالت كان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا كان العشر شمر وشد المئزر وفي حديث ضعيف عن أنس عند أبي نعيم كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان قام ونام فإذا كان أربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل أن يريد بإحياء الليل إحياء غالبه وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشاء والصبح في جماعة ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها وروي في حديث مرفوع عن أبي هريرة من صلى العشاء الآخرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر رواه أبو الشيخ ومنها أنه كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي ومنها تأخير الفطور إلى السحور ففي حديث أنس وعائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحورا أخرجه ابن أبي عاصم ولفظ حديث أنس كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا وإسناد الأول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن عدي إنه من أنكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمنا ومنها اغتساله عليه السلام بين العشائين المغرب والعشاء رواه ... من حديث علي وفي إسناده ضعف

النوع السادس في ذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم

اعلم أن الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمقام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى أن نفس الكون بتلك الأماكن شرف وعلى وأن المزيد في تلك المواطن مختار ويسمو فإن المحال المحترمة لم تزل تفرغ على الحال فيها من سجال ومنها بفيض عام وحسبك في هذا ما يحكى في أبيات عن مجنون بني عامر

رأى المجنون في البيداء كلبا ... فجر عليه للإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة فإن عيني ... رأته مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد أن يهتم بأمر الحج ويبادر إليه وينهض فإن عزمه إنما تحثه عليه ولا يتوانى في غسل أدران سيئات العمر بصابون المغفرة ولا يتكاسل عن البدار بتعرضه للعوائق بركوب عباب المخاطرة روى ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد الحج فليتعجل رواه أبو داود وفي حديث علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب عليه السلام فقال أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة وفي رواية النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا إن الله كتب عليكم الحج فقال الأقرع بن حابس التميمي أكل عام يا رسول الله فقال لو قلتها نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد أجمعوا على أنه لا يتكرر إلا لعارض كالنذر واختلفوا هل هو على الفور أو التراخي فقال الشافعي وأبو يوسف وطائفة هو على التراخي إلى أن ينتهي الحال بظن فواته لو أخره عنها وقال مالك وأبو حنيفة وآخرون هو على الفور واختلفوا أيضا في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور على أنها سنة ست لأنه نزل فيها قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبني على أن المراد بالإتمام ابتداء الفرض ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وإبراهيم النخعي بلفظ وأقيموا رواه الطبراني بأسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد

بالإتمام

بالإتمام الإكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الأمر بالحج وكان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس وهذا يدل إن ثبت على تقدمه على سنة خمس أو وقوعه فيها وقالت طائفة إنه تأخر نزول فرضه إلى التاسعة والعاشرة واحتجوا بأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على أداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر أهل الكتاب ودعاهم إلى التوحيد ويدل عليه أن أهل مكة وجدوا في أنفسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس الآية فأعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الآيات والمناداة بها إنما كان في سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج وأردفه بعلي وفي الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر ثلاث حجج أخرجه ابن ماجه والحاكم وهو مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد أخرج الحاكم بسند صحيح إلى الثوري أن النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل أن يهاجر حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الأثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل أن يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم أذن في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به وفي رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه السلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة ثم اغتسل ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن أبيه تجرد صلى الله عليه وسلم لإهلاله واغتسل وفي الصحيحين أن عائشة طيبته بذريرة وفي رواية قالت كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرقه عليه السلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند إحرامه ثم طاف في نسائه ثم أصبح محرما زاد في رواية ينضح طيبا وفي رواية طيبته طيبا لا يشبه طيبكم تعني ليس له بقاء وهذا يدل على استحباب التطيب عند إرادة الإحرام وأنه لا بأس باستدامته بعد الإحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وإنما يحرم في الإحرام ابتداؤه وهذا مذهب الشافعي وأبو حنيفة وأبي يوسف وأحمد بن حنبل وحكاه الخطابي عن أكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك إلى منع التطيب قبل الإحرام بما تبقى رائحته بعده لكنه قال إن فعل فقد أساء ولا فدية عليه وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بخطمي وأشنان رواه الدارقطني وفي حديث أنس عند أبي داود والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء أهل وفي رواية ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما ما أهل إلا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية ما

اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز فاستوت به راحلته قائما
اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد
الحج اذن في الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس
عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله حين اوجب فقال اني
لاعلم الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هنا اختلفوا خرج
صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى بمسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من
ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام
وذلك ان الناس انما كانوا ياتون اليه ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف
البيداء اهل وادرك ذلك منه اقوام فقالوا انما اهل حين علا على شرف البيداء وايم الله لقد اوجب في مصلاه
اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت
به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى
قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به
الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهل قال النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام
ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن
البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح والصواب
ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
هل كان فيه مفردا او قارنا او متمتعا وروى كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك
على ستة اقوال احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله
القاضي ابو يعلى وغيره الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع انه حج
قارنا قرانا طاف له طوافين وسعى له سعيين الخامس انه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم السادس
انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا
وساق الهدي واختلفوا ايضا في احرامه على ستة اقوال احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني
انه لبى بالحج وحده واستمر عليه الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة الرابع انه لبى بالعمرة وحدها ثم
ادخل عليها الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه السادس لبى بالحج والعمرة
معا وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما
ذكره عنه جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا وقرره المحب الطبري تقريرا بالغا
واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه
استيفاء كافيا والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج
بما في الصحيحين ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة
ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم
والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس
اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج وعن
ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو

احسن

احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من
المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع وانكر على من رجح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات
الرؤوس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عائشة فقربها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلوته وعلانيته مع
كثرة فهمها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع
كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة
واحتجوا ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدى بهم
فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهة التمتع
والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع
والقران وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا قال ويؤيده انه صلى الله
عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته
عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو
لم يعتمر في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وترجح رواية من روى القران بامور منها ان معه
زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك فاشهر من روى عنه
الافراد عائشة وقد ثبت عنها انه اعتمر في حجته وابن عمر وقد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة
ثم اهل بالحج وجابر وقد روى انه اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من
الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت
بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى القران لا يحتمل حديثه التاويل الا
بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول الحال وينتفي التعارض ويؤيده ان من جاء عنه الافراد
جاء عنه صورة القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويؤيده ان من جاء عنه التمتع
لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج وهذه احدى
صور القران وايضا فان رواية القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة عشر
عائشة ام المؤمنين وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي
وعمران ابن الحصين والبراء بن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة والهرماس
ابن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر وابن عمر قال فهؤلاء سبعة عشر
صحابيا منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره
به فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعائشة وابن عباس وعائشة تقول اهل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده
ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول اهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجه قيل
ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان احاديث الباقين لم تتعارض فهب ان احاديث
من ذكر لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها
وصحتها فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهى وهذا يقتضي رفع الشك عن ذلك والمصير

الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول
جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال ابو حنيفة واسحق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني
وابن المنذر وابو اسحق المروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في
اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه صلى الله عليه
وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه
من افجر الفجور واجيب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم بكل
منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان
اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى بذلك في امره اصحابه ان يفسخوا
حجهم الى العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقد
ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل وهو مذهب احمد لكونه صلى الله
عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه
تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله له واستمر عليه
صلى الله عليه وسلم واما القائلون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها فحجتهم حديث
ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج الحديث
رواه وقال ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في
تمتعه بالعمرة الى الحج تمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في
الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي
ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا
استطيع ان ادعك فلما راى علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم
وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله عليه وسلم
فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا وقد اتفق علي وعثمان على انه عليه السلام
تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه السلام فتمتع تمتع قران باعتبار ترفهه بترك
احد السفرين انتهى وفي فتح الباري عند احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى
الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه انتهى واما من قال
انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة
ولا التابعين ولا الايمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا
حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معوية انه صلى الله عليه وسلم
قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة الوداع لان
معوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة
لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك
في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكر الناس على معوية وغلطوه فيه واصاب فيه ما اصاب

ابن عمر

ابن عمر في قوله اعتمر في رجب كما سيأتي وسائر الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله اني
سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره
عنه قاله في زاد المعاد واما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او
العمرة او القران والجمع بينها فكل تاول بما يناسب مذهبه الذي قلد منه قال البغوي والذي
ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل
اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته
الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها وكما روي انه عليه الصلوة والسلام رجم
ماعزا وانما امر برجمه ثم احتج بانه عليه السلام كان افرد الحج انتهى وقال الخطابي نحوه وقال
النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا
فمن روى الافراد يعني حمله على ما اهل به في اول الحال ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره
ومن روى التمتع اراد به التمتع اللغوي والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو
الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره قال وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها
ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت طائفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا
باحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشر منها حديث انس في صحيح مسلم ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم
كان اهلالا بحج وعمرة معا واما من قال عليه السلام اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في
البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج فساق
معه الهدي من ذي الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وقد تقدم في الاحاديث
الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل
في هذا الحديث قوله بدا فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل
العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحجة معا ومذهب الشافعي انه لو ادخل الحج على العمرة قبل
الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه
بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى وعن ابن عباس
قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن
وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين واشعر الهدي في الشق
الايمن بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال ثم سلت الدم بيده وفي اخرى
باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها وفي اخرى امر ببدنه فاشعر
في سنامها من الشق الايمن ثم سلت عنها الدم وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث
يساوي اربعة دراهم رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث
ابن عباس وعن اسما بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا
بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عايشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجلست الى جنب ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام

لابي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه صلى الله عليه وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عايشة فبين لهم عليه السلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل بحج فليهل رواه البخاري ولاحمد من شاء فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء او ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي اخرى من لحم حمار وحش وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم صيد وروى ابو داود وابن حبان من طريق عطا عن ابن عباس انه قال يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله فذكره واتفقت الروايات كلها انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن امية ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصد لاجله وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش وان كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد لاجله فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يكون القبول المذكور في حديث عمرو بن امية على وقت اخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من الروايات بالابواء او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار مذبوحا ثم قطع منه عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه له فمن قال اهدى له حمارا اراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من قال حمارا اطلق واراد بعضه مجازا قال ويحتمل انه اهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما امكن اولى من توهيم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي والاصحاب ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سوا صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه وان لم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وداود وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طايفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سوا صاده او صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل لانك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال هل معكم منه شي قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا

قال

بيهما

قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمهما الليف وازرهم العباء وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس انه مر بوادي الازرق قال كاني انظر الى موسى هابطا من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم وبالجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر في الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث الاخر ليهلن ابن مريم بفج الروحا انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابرهيم فيه افيقال ان الراوي غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس افيقال ان الراوي الاخر غلط فزاد يونس وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه سينزل كان كالمحقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب بحديث ابي هريرة الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف في معنى قوله كاني انظر اليه فقيل ان ذلك رؤيا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورؤيا الانبيا وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبيا احيا عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى عليه السلام قايما في قبره يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده ان عمل الاخرة ذكر ودعا لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت له ليلة الاسرا واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا فيرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كانه مثلت احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كاني وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهى وقد نظرت في مقصد الاسرا من ذلك ما يكفي والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عايشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قلت لا اصلي قال فلا يضرك انما انت امراة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك فعسى الله ان يرزقكيها رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جينا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شي كتبه الله على بنات ادم فافعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عايشة كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل بعمرة وزاد احمد من وجه اخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل في الجمع ان يقال اهلت عايشة بالحج مفردة كما صنع غيرها

من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يفسخ الحج الى العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت
متمتعة ثم لما دخلت مكة وهي حايض ولم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال
القاضي عياض واختلف في الكلام على حديث عايشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة
عن عايشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها حجا
بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلما
عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها الحج فتصير قارنة ما احتمال
ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها وانما قالت عايشة وارجع بحج لاعتقادها
ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المومنين واستبعد هذا التاويل لقولها
في رواية عطا عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهذا يقوي قول الكوفيين ان عايشة
تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك بقولها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك
واستدلوا بذلك على ان المراة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة
وتهل بالحج مفردة كما صنعت عايشة لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما
رواه مسلم من حديث جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك
قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها من التنعيم ولمسلم
من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح
في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها
لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا
هويت الشي تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع
العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم ذلك القول بعد احرامهم
من مكة بسرف كما جا في رواية عايشة او بعد طوافه بالبيت كما جا في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر
بذلك في الموضعين وان العزيمة كانت آخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عايشة فمنا
من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن
احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن اهل بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة
واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب
مالك والشافعي وموافقيهما انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شي في الحال سوا كان
ساق الهدي ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شي
كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عايشة
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة
للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم بعمرة فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه
ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي واحد فيتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم
وثم بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطا وفتحها وكسرها الاصيلي بالكسر عند ابا ب

الزاهرات بها بين الثنيتين فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنسائي كان عليه
السلام ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة فصلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة
خشنة غليظة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح
كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلا مكة من كدا بفتح الكاف والمد قال
ابو عبيد لا يصرف وهذه الثنية هي التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون
بفتح الحا المهملة وضم الجيم ولم يبلغ انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله
عليه وسلم احرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة كما رواه اصحاب بمحرش
السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطا قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه
الصلوة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف
وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا
فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه السلام
اذا راى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي
عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة ابن اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك الى
هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا
وبرا ومهابة ولم يركع عليه السلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير
من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود وفي رواية جابر عند الشيخين
استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة
والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت منحنية الراس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن
واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابرهيم
وللثاني الثانية فقط وليس للاخيرين شي منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الاخران
ولا يستلمان وروى الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر واستلمه
ثم وضع شفتيه عليه طويلا رواه الطبراني وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر وكلما اتى الحجر قال
الله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طايفا على بعيره ام على قدميه ففي مسلم عن عايشة
طاف عليه السلام في حجة الوداع على بعيره وفيه عن ابي الطفيل رايته عليه السلام يطوف بالبيت على
بعيره وقد اختلف في علة ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة
وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف في حجة الوداع على راحلته ليراه الناس
وليسالوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول الدواب التي يوكل لحمها
المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث
دلالة على عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول
وقد قيل ان ناقته عليه السلام كانت منوقة اي مدربة معلمة فيؤمن معها ما يحذر من التلويث
قال بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في
الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي ولم ينقل احد رملت به راحلته وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال

الشافعي اما سعيه الذي طاف بقدمه فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على
يمينه ورمل ثلثا ومشى اربعا وكان ابتدا الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها
شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين
ليرى المشركين جلدهم فقال المشركون هولاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هولاء اجلد من كذا وكذا
رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه
وكانت سنة مستقلة قال الطبري فقد ثبت انه عليه السلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة
يعني في حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان
كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها فلا شي عليه انتهى فلو ترك
الرمل في الثلث لم يقضه في الاربع لان هيئتها السكينة فلا تتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من طوافه اتى المقام فقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت
قرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا
فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقي عليه
حتى راى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم
دعا بين ذلك قال هذا ثلث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى
اذا صعدنا مشى حتى اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني
عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا
قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون
هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب
الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم وفي اوله ذكر الرمل في
طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف
فلما صالحوه على ان يحجوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه ارملوا
بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره لان الناس كانوا لا يدفعون عنه
صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف على بعيره ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم قال
وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقي عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده كما فعل على الصفا
حتى اذا كان اخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها
عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا
هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين
لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة
تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيمة فقال احمد وطايفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو
باق الى يوم القيمة فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها
وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلما من السلف والخلف هو مختص بهم في تلك السنة لا
يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما

يستدل

في الاختصاص بالصحابة في الكتب الاولى والاخرى

يستدل به الجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
يعني فسخ الحج الى العمرة وفي النساي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج
الى العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا خاصة قال واما الذي في
حديث سراقة العامنا هذا ام لابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره
فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جايزة الى يوم القيمة وكذا القران وان فسخ الحج
الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية للنساي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني
متعة النسا ومتعة الحج ومتعة النسا هي نكاح المراة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح
يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيمة وقد كان فيه خلاف في العصر الاول
ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر
مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع
وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى اخر ظهر الثامن ومن يوم
دخوله عليه السلام مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء وقدم علي من اليمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل به رسول الله فقال لولا ان معي الهدي
لحللت رواه الشيخان من حديث انس وفي حديث البرا عند الترمذي والنساي دخل علي على فاطمة رضي
الله عنها فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فغضب فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد امر اصحابه فاحلوا قال قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت قال وقال لي انحر من البدن سبعا وستين او ستا وستين
وامسك لنفسك ثلثا وثلثين او اربعا وثلثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند
مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا فقال
صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي
فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة قال
فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية وكان يوم
الخميس ضحى ركب النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد احرم بالحج من كان احل منهم وصلى
صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشا والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة
من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما
كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن
قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا
من حيث افاض الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت جملا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم
ويدفع اذا دفعوا المحدث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا
زاغت الشمس امر بالقصوا فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماكم واموالكم
حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شي من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء

للجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسألون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا

وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافرين عند الجمهور وعن مالك والاوزاعي وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة وجمع للنسك فيجوز لكل احد قالت لا سوى فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب واذا خرج الحاج يوم التروية ونووا الذهاب الى اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه يوم عرفة صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر ما تجيء به الريح رواه الترمذي من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومماتي واليك مآبي وعليك يا رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذي شر وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني الصغير من حديث ابن عباس اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه اسالك مسالة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين ويا خير المعطين

واتاه صلى الله عليه وسلم ناس من نجد وهو بعرفة فسالوه كيف الحج فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه رواه الترمذي وفي رواية جابر عند ابي داود وقال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وهناك انزلت عليه اليوم اكملت لكم دينكم الاية كما في الصحيحين من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى راسه ولا وجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي رواه البخاري ومسلم اي يبعث على هيئته التي مات عليها واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي تاول هذا الحديث على ان النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه لم يؤمن ان يغطوا راسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله اعلم ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم من عرفة واردف

اسامة

اسامة خلفه وقد شنق للقصواء الزمام حتى ان راسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده ايها الناس السكينة السكينة كلما اتى حبلا من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد وافاض من طريق المازمين وفي رواية ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل وراءه فاشار بسوطه وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني بالاسراع وفي رواية ابي داود افاض من عرفة وعليه السكينة ورديفه اسامة فقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف الخيل والابل فما رايتها رافعة يديها عادية حتى اتى جمعا وفي رواية اسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق واخرج الطبراني في المعجم عن سالم ابن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وهو يقول

اليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها قال في النهاية والحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبال وتوضا وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب حتى اتى المزدلفة وهي المسماة بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت بذلك لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين الصلاتين وقيل لان الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله اي يتقربون اليه بالوقوف فيها انتهى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما باقامة ولم يصل اثر كل واحدة منهما وفي رواية فاقام المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى اقام العشاء الاخرة فصلوا ثم حلوا وترك عليه السلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى اصبح لما تقدم له بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد الغروب واجتهاده عليه السلام في الدعاء وسيره بعد الغروب الى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه السلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فاني اخذ للمظلوم منه قال اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم ~~وغفرت للظالم~~ فلم يجب عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سال قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعائي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثوه على راسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه ابن ماجه ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء في بعض الروايات عن غير العباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة وقال الطبراني انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها وقد رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجه ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا تسقط الحقوق انفسها فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما

حطمة

الذنب تاخيره فنفس التاخير يسقط بالحج لا هي نفسها فاواخرها بعد تحديه اثم اخر فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة
لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب والا
قتل ولا يسقط حق الادمي بالحج اجماعا واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة
فاذن لها فقالت عائشة فليتني كنت استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة وفي
رواية فاستاذنته ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت امراة بطيئة فاذن لها ان تدفع قبل ان تدفع الناس
قالت عائشة فلان اكون استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنت سودة احب الي من
مفروح به رواه البخاري وفي رواية ابي داود والنسائي ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام سلمة ليلة النحر
فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني عندها وعند مسلم بعثني من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال
ارسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطا والصحيحين والنسائي
عن اسماء انها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي فصلت ساعة ثم قالت يا بني هل غاب القمر قلت لا
ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر قلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن
للظعن بالضم النساء في الهوادج وقد اختلف السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي
من تركه فاته الحج وقال عطاء والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون واسحق عليه دم ومن بات بها لم يجز له
الدفع قبل النصف وقال مالك ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع
الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفي سنن البيهقي والنسائي باسناد
صحيح على شرط مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لي حصى فلقط له حصيات
مثل حصى الخذف بالمعجمتين ولم يكسرها كما يفعل من لا علم عنده وفي رواية للنسائي قال عليه السلام لابن عباس
غداة النحر وهو عليه السلام على راحلته هات القط لي فلقطت حصيات من حصى الخذف فلما وضعن في يده قال
بامثال هؤلاء واياكم والغلو في الدين فانما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال العلماء وفي هذا الحديث دليل على
استحباب اخذ الحصيات بالنهار وهو راي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي في
الام والاملاء لكن قال الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع ما
يرمي به في الحج وبه جزم في التنبيه واقره عليه النووي في تصحيحه ولكن الاكثرون كما قال الرافعي على استحباب الاخذ
ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي ايضا قال في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منه شي انتهى ثم
ركب صلى الله عليه وسلم القصوى حتى اتى المشعر الحرام فرقي عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده
فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفي رواية عن جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع
الشمس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث علي عند الطبري لما اصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة
موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر
ابيض وسيما فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الشق الاخر ينظر وفي رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته خثعمية تستفتيه
فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله

ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم
وذلك في حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا من حديث عبد الله بن عباس لكن رجح البخاري
رواية الفضل لانه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع
الضعفة فكان الفضل حدث اخاه بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي
جمرة العقبة بحضرة عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما شاهده ويؤيده
ما في الترمذي ان السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه
عليه السلام لوى عنق الفضل فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا وشابة
فلم امن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان
معه وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك في ذلك ولمن قال
لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر على الحج
بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد روايتان انتهى وفي رواية ابن
عباس ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة
الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي
رواية جابر فلما اتى عليه السلام بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى
كانت تقف فيه كما قاله الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال وظهر لي فيه معنى اخر وهو
انه مكان نزول العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع لما ثبت في الصحيح
امره بالاسراع في ديار ثمود ونحوهم بذلك قال غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها
باس الله باعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل حسر فيه اي اعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله
عليه وسلم الطريق الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر
مع كل حصاة رمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله
عليه وسلم يوم النحر ضحى كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابي داود والنسائي وفي رواية ام الحصين عند ابي
داود رايت اسامة وبلالا احدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من
الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن ام جندب رايته
عليه السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن
الرجل فقالوا الفضل بن عباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا
واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وتقدم انه عليه
السلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي داود قال رايته صلى الله عليه وسلم يرمي على
راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي
رايته يرمي الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى
المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر
فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام عن نسائه بقرة وقالت
عائشة نحر صلى الله عليه وسلم عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود ثم اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال
للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق والى الجانب الايسر فحلقه

فاعطاه ام سليم وفي أخرى فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالايسر
فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا ابو طلحة فدفعه اليه وفي أخرى رمى جمرة العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها
والحجام جالس وقال بيده عن راسه فحلق الشق الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال
اين ابو طلحة فاعطاه اياه رواه الشيخان وعند الامام احمد انه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم
على راسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة اذنه وفي
يدك الموسى قال فقلت له أما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعم الله علي ومنّه قال اجل اذاً اقر لك
وزعموا ان الذي حلق النبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى وعند ابن خزيمة
في صحيحه وعند الامام احمد وقلّم صلى الله عليه وسلم اظفاره وقسمها بين الناس وعنده ايضا من حديث
محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم اضاحي
فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه في ثوبه فاعطاه فقسم منه على رجال
وقلّم اظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله
وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين رواه الشيخان
وليس فيه تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء من طرقه التصريح
بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بانه كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد
الحديبية وقد وقع تعيين الحديبية من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الاوسط
ومن حديث المسور بن مخرمة عند ابن اسحق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع من حديث ابي مريم
السلولي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الاسود الثقفي
عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة عند الحارث فالاحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر
عددا واصح اسنادا ولهذا قال النووي عقب احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث
تدل على ان هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان في الحديبية وجزم
امام الحرمين في النهاية ان ذلك كان في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد ان يكون وقع ذلك في الموضعين
انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد انه الاقرب قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك في
الموضعين الا ان السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية كان بسبب توقف من توقف من
الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم
على ذلك فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا على ان يرجع من العام المقبل فلما امرهم بالاحلال توقفوا
فاشارت ام سلمة ان يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعضهم وقصر بعض فكان من
بادر الى الحلق اسرع الى امتثال الامر ممن اقتصر على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس
فان في آخره عند ابن ماجه وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لانهم لم يشكوا
واما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى
الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما امرهم ان يفسخوا الحج الى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤوسهم شق عليهم ثم
لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في انفسهم اخف من الحلق ففعله اكثرهم فرجح صلى الله عليه وسلم فعل
من حلق لكونه ابين في امتثال الامر انتهى قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد لان
المتمتع يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم

كذلك

كذلك والاولى ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب انها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها
وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا
على التقصير انتهى وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر قال اذبح ولا حرج ثم جاء رجل
آخر فقال يا رسول الله لم اشعر فنحرت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا اخر
الا قال افعل ولا حرج انتهى رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل ان ارمي وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم
على راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله اني لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت
قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسئل يومئذ عن شيء مما ينسى المرء ويجهل
من تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها الا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج وفي رواية
انه عليه السلام بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت احسب ان كذا وكذا قبل كذا
وكذا وفي رواية نحرت قبل ان ارمي واشباه ذلك وفي رواية حلقت قبل ان اذبح ذبحت قبل ان ارمي
ومن المعروف ان الترتيب اولى وذلك ان وظائف يوم النحر بالاتفاق اربعة اشياء رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي
او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة والسعي بعده وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة
ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلماء على مطلوبية هذا الترتيب واجمعوا ايضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم
اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء الحديث الجواز
وعدم وجوب الدم لقوله عليه السلام للسائل لا حرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما
وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشياء على بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله
لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا او جاهلا واما من تعمد المخالفة فتجب عليه الفدية
وتعقب بان وجوب الفدية يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه
وقت الحاجة فلا يجوز تأخيره وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وبما في رواية يونس عند مسلم
وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسأل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم بعض الامور قبل بعض الا قال
افعلوا ولا حرج بانه ان كان ناسيا او جاهلا فلا شيء عليه وان كان عالما فلا قال ابن دقيق العيد ما قاله احمد
قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة
في تقديم ما وقع عنه تأخيره قد قرنت بقول السائل لم اشعر فتختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب
الاتباع في الحج انتهى وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذو الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة
يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا او ضلالا يضرب
بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع
رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك

أنّ

وعليه الاثم

خصّه

ولفظه انزلت اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر براحلته القصواء فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا ايها الناس فذكر الحديث وبه دلالة على مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف في ذلك المالكية والشافعية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والنحر والحلق والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيئا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل احد انه علمهم فيها شيئا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكر لكثرة الجمع الذي اجتمع من اقاصي الدنيا فظن الذي راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفه انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم النحر وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفه يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفه بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما يؤتى به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم يعلم انه علمهم شيئا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر يخطب وذكر فيه السؤال عن تقديم بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا وطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفي رواية عن عبد الرحمن ابن معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون ههنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار ههنا الى ميسرة القبلة ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزني قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم رواه ابو داود ايضا وعن ربيعة ابي عبد الرحمن ابن حصين قال حدثتني جدتي سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الرؤس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس اوسط ايام التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبنو عبد المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية

فيه ان يوم النحر يسمى ايضا يوم الرؤس

ابن عباس

ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه السلام صلى بمكة وكذلك قالت عائشة وفي حديث ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ورجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد ولان عائشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجة صلى الله عليه وسلم من اولها الى اخرها اتم سياق واحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا منها لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه السلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر اولى وايضا فان حجة الوداع كانت في اذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي في مقدار يمكن معه الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل اذار ورجحت طائفة اخرى قول ابن عمر لانه لم يحفظ عنه في حجه صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة اقامته فانه قال حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر وبان حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من اخر يومه فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة ولا يقف عندها رواه ابو داود من حديث عائشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي الحديث واستاذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية الاسماعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان مقابلها عزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاة خاصة وهو قول احمد قال ومن ترك المبيت لغير عذر عليه دم عن كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء ثالث ايام التشريق ولم يتعجل في اليومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو

بانه ط

وبان ظ

ويجمع بين الحديثين بان ... انه ... تاخير الطواف الى الليل

خيف بني كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال أبو رافع لم يأمرني صلى الله عليه
وسلم أن أنزل الأبطح حين خرج من منى ولكني جئت فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفي
البخاري عن أنس أنه عليه السلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالأبطح وفيهما من حديث أبي هريرة أنه
صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا
على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا
يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء
إنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ليس التحصيب من أمر المناسك الذي يلزم فعله
لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء
بعده كما في مسلم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة
بالمحصب ثم ركب إلى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا طواف الوداع ومذهب الشافعي أنه واجب يلزم
بتركه دم على الصحيح وهو قول أكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة لا شيء بتركه واختلف في المرأة إذا حاضت طواف الوداع سنة عند مالك
بعدما طافت طواف الإفاضة هل عليها طواف الوداع أم لا وكان ابن عباس يرخص لها أن تنفر إذا حاضت
وكان ابن عمر يقول في أول أمره إنها لا تنفر ثم قال في آخر عمره إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن
رواه الشيخان وعن عائشة أن صفية بنت حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أحابستنا هي قالوا إنها قد أفاضت قال فلا إذا ومعنى قوله أحابستنا هي أي أمانعتنا من التوجه
من مكة في الوقت الذي أردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم أنها ما طافت طواف الإفاضة
وإنما قال ذلك لأنه كان لا يتركها ويتوجه ولا يأمرها بالتوجه معه وهي باقية على إحرامها فيحتاج إلى أن يقيم
حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فحاضت صفية فأراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما
يريد الرجل من أهله فقلت يا رسول الله إنها حائض قال أحابستنا هي الحديث وهذا مشكل لأنه صلى الله
عليه وسلم إن كان علم أنها طافت طواف الإفاضة فكيف يقول أحابستنا هي وإن كان ما علم فكيف
يريد وقاعها قبل التحلل الثاني ويجاب عنها بأنه صلى الله عليه وسلم ما أراد ذلك منها إلا بعد أن استأذنه
نساؤه في طواف الإفاضة فأذن لهن فكان بانيا على أنها قد حلت فلما قيل له إنها حائض جوز أن يكون
وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الإفاضة فاستفهم عن ذلك فأعلمته عائشة أنها طافت معهن
فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى وقالت عائشة يا رسول الله تنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بحج فأمر عبد
الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان وفي رواية لمسلم أنها وقفت المواقف
كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من
حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله إني أجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد
الرحمن فأعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا إذا هويت
شيئا تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لأنها كانت قد أهلت بالعمرة فحاضت فأمرها فأدخلت عليها الحج
وصارت قارنة وأخبرها أن طوافها وسعيها بين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها أن
يرجع صواحبها بحج وعمرة مستقلين فإنهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجها
فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف
مقصورا وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لأجله

خالف

خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه ليتبرك به كل من في طريقيه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة لجهة العلو
عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الإشارة إلى فراقه وقيل لأن إبراهيم عليه السلام لما دخل التي
مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا
بالروحاء فقال من القوم فقال المسلمون يا رسول الله فرفعت امرأة صبيا لها من محفة فقالت يا رسول
الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وتقدم وصل صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة بات بها قال بعضهم إن نزوله لم
يكن قصدا وإنما كان اتفاقا حكاه القاضي إسماعيل المالكي عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح أنه كان
قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر
عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة والمهملتين وهو مكان معروف
وكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه إلى مكة على ستة أميال من المدينة
انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله أعلم وأما عمره صلى الله عليه وسلم والعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي ففي
وأحمد وغيرهما أنها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية أنها تطوع وهو قول الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم
أربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود عن قتادة قال سألت أنسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حج حجة واحدة واعتمر أربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة عمر
حنين هذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر أربع كلها في ذي القعدة إلا التي مع
حجته عمرة الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من جعرانة
حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته وعن محرش الكعبي أنه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا
معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في
بطن سرف حتى جامع الطريق طريق جمع ببطن سرف فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال
حديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج رواه أبو داود وعن عروة بن الزبير قال
كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال فقلت يا أبا عبد الرحمن أعتمر
النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت
وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر
في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لمعه قال وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية أبي داود عن عروة
عن عائشة قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له
عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرنا أنه لا خلاف فيما كان عليه
السلام محرما به في حجة الوداع والجمع بين ما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عائشة أنه عليه السلام كان مفردا
وحديثها هذا يشعر بأنه كان قارنا وكذا ابن عمر قد أنكر على أنس لكونه قال إنه عليه السلام كان قارنا مع أن
حديثه هذا المتقدم يدل على أنه كان قارنا لأنه لم ينقل أنه عليه السلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لأنه
عليه السلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم إلى تأويلها وكل من عائشة وابن عمر هنا
فقال إنما يجوز نسبة العمرة الرابعة إليه صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه أمر الناس بها وعملت بحضرته لا أنه
صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وأنت إذا تأملت ما تقدم من أحوال الأئمة في حجته صلى الله عليه وسلم

من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف قال بعض العلما المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صُدَّ
عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى حجة قول الجمهور انه لا يجب القضا على
من صُدّ عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت
عمرة القضية والقضا لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا لانها وقعت قضا عن العمرة التي صُدّ
عنها اذ لو كان كذلك لكانتا عمرة واحدة واما ما في حديث ابي داود عن عايشة انه اعتمر في شوال فان كان
محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في القعدة وانكر ابن القيم ان يكون
صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلا بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود
ابن يزيد عن ابيه عن عايشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت
وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون
المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه السلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما
تقدم واما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما
يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحي ثلاثة عشر سنة لم ينقل
عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من
كان بها فيخرج الى الحل فيعتمر ولم يفعل هذا على عهده احد قط الا عايشة وحدها انتهى فتعقب عليه بان
فعلته عايشة بعد امره فدل على مشروعيته وروى الفاكهي وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة
او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في
ذلك سواء

النوع السابع في عباداته صلى الله عليه وسلم

في نبذة من ادعيته واذكاره وقراءته اختلف
هل الدعا افضل ام تركه والاستسلام للقضا افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويدل
ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب
في الدعا والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب
عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا علمت ان الاجابة
معه وفي هذا يقول القايل

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه * من جود كفك ما عودتني الطلبا

فان الله تعالى يحب من كل عبيده بين يديه وسوالهم اياه وطلبهم حوايجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به
منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكو اليه * ما ليس يخفى عليه * فقلت ربي يرضى * ذل العبيد لديه

وقالت طايفة الافضل ترك الدعا والاستسلام للقضا واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم
بان اخرها دل على ان المراد بالدعا هو العبادة قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية على
ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة
استكبر عن الدعا وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه
لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعا والاستكثار منه ارجح من الترك
لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت والرضى فقيل
الدعا وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضا اولى
لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاؤه ان كان على وفق المقدور فهو

تحصيل

تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان ان دعا
لا معاندة وفايدة الدعا تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعا لان الله
تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعا فقال اذا صلى احدكم
فليبدا بحمد الله والثنا عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا رواه الترمذي من حديث
فضالة بن عبيد وقال عليه السلام في رجل يدعو اوجب ان ختم بامين رواه ابو داود وقال لا يقول احدكم
اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ولكن ليعزم على المسالة فان الله لا مكره له رواه البخاري وغيره
ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان مامورا في
جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو
كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعا ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد اجاب
دعا شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون وقال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل
يقول دعوت فلم يستجب لي رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعا ويدع
ما سوى ذلك رواه ابو داود من حديث عايشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة
او تجمع الثنا على الله تعالى واداب المسالة وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه اللهم اصلح لي ديني الذي
هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في
كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني
وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي
هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري
رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعايه ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي
وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا لك مخبتا
اليك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي
واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك
انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون
رواه الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم
والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم
به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شي قدير رواه الشيخان من
حديث ابي موسى وكان اكثر دعايه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة
وكان يقول اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بماء
الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول اللهم اني اسالك
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه مالك
في الموطا وكان يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من
الفقر وامتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطا وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيقول

يقول

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث أنس وفي رواية لأبي داود اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الجذام والبرص والجنون ومن سيئ الأسقام رواه أبو داود والنسائي من حديث أنس وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل رواه مسلم من حديث عائشة وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هذه الأربع رواه الترمذي والنسائي من حديث عمرو بن العاص وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وأبو داود من حديث عمرو بن العاص أيضا وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق رواه أبو داود من حديث أبي هريرة أيضا وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة أيضا وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء رواه النسائي وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الهدم وأعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي اليسر وكان يتعوذ من عين الجان والإنس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النسائي وكان إذا خاف قوما قال اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه أبو داود وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بهما إسمعيل وإسحق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد استشكل صدور هذه الأدعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووجوب عصمته وأجيب بأنه امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم أنه قد غفر له ويحتمل أن يكون سؤاله لذلك لأمته أو للتشريع والله أعلم وكان عليه السلام عند الكرب وهو ما يدهم الإنسان مما يأخذ بنفسه فيحزنه ويغمه يدعو لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم رواه البخاري وفي رواية لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد وهذا أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية انتهى وكان عليه السلام إذا أهمه أمر رفع رأسه إلى السماء وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وكان عليه السلام إذا كربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث رواه أبو داود من حديث أنس وقال عليه السلام ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن أبي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضلالة أنت تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطائك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه أبو داود عن أنس وقال أبو موسى الأشعري

دعاء الضالة

كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه وعنده أيضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد لكن في حديث أنس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء وهو حديث صحيح وجمع بينه وبين ما تقدم بأن الرفع الواقع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلى أن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء إلى حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض إبطيه بل يجمع بأن يكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبتقدير الجمع فجانب الإثبات أرجح انتهى وروى الإمام أحمد والحاكم وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه ويبسطهما وهذا يقتضي أن يكونا منشورتين منبسطين لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ ابن حجر غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه أما في القنوت في الصلاة فالأصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيئا وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فأما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا أثر ولا قياس والأولى أن لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأنس فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته رواه البخاري وفي الأدب المفرد له عن أنس قال قالت أم سليم وهي أم أنس خويدمك ألا تدعو له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له وفي الصحابة أن أنسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قال خليفة وهو المعتمد وأكثر ما قيل في سنه أنه بلغ مائة سنة وسبع سنين وأقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة وأما كثرة ولده ففي مسلم قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم وورد في حديث رواه الشيخان أن أنسا قال أخبرتني ابنتي أمينة بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاثة ما ماتوا حتى رأى كل واحد من ولده مائة ذكر لصلبه أبو بكرة وخليفة بن بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن أبي صفرة وأخرج ابن سعد عن أنس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة واثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأرجو الرابعة وأخرج الترمذي عن أبي العالية في ذكر أنس وكان له بستان يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك ورجاله ثقات ودعا عليه السلام لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وأرسل عليه السلام إلى علي يوم خيبر وكان أرمد فتفل في عينيه وقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا إلى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنا منه فضرب يده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه أبو داود وغيره وعاد صلى الله عليه وسلم عليا من مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم فقال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه الحاكم في صحيحه والبيهقي وأبو نعيم ومرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال فقال يا ابن أخي إن ربك الذي تعبد ليطيعك قال وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وأبو نعيم من حديث أنس وتفرد به الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين اللهم

فيه نظر إذ البسط ضد القبض لا ضد الجمع كما ...

أعطى ابن عباس الحكمة وعلّمه التأويل رواه البغوي وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم علّمه الكتاب
فكان عالماً بالكتاب حبر الأمة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة العليا
والمحل الأقصى وقال النابغة الجعدي كما قال
ولا خير في علم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
لا يفضض الله فاك أي لا يسقط الله أسنانك وتقديره لا يسقط الله أسنان فيك فحذف المضاف قال فأتى
عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغراً رواه البيهقي وقال في نيفه فلقد رأيته وقد أتى عليه
نيف ومائة سنة وما ذهب له سن وفي رواية ابن أبي أسامة فكان من أحسن الناس ثغراً وإذا سقطت
له سن نبتت له أخرى وعند ابن السكن فرأيت أسنان النابغة أبيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم
وسقاه عمرو بن أخطب ماء في قدح فرأى فيه شعرة فأخذها فقال اللهم جمّله فبلغ ثلاثة وتسعين
سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء رواه وأخرج البيهقي عن أنس أن يهودياً أخذ
من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمّله فاسودّت لحيته بعدما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق
أخبرنا معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمّله فاسودّ شعره حتى
صار أشد سواداً من كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش تسعين سنة فلم يشب أخرجه
ابن أبي شيبة وأبو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه السلام لابن الحمق الخزاعي
وقد سقاه عليه السلام اللهم أمتعه بشبابه فمرت له ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه أبو نعيم وغيره
ودعا عليه السلام لفاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر إليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها
ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن الحصين فنظرت إليها وقد علاها الدم على
الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب بن سليمان الاسفرايني في كتابه دلائل الإعجاز
ودعا عليه السلام لعروة بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت شيئاً قط إلا ربحت فيه
وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً قال فما وقعت
عن فرس بعد وقال لسعد بن أبي وقاص اللهم أجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني في الأوسط
ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن أنس زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن فلو رفعت
حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً وفضة قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً وكن أربعاً وقيل مائة ألف وقيل بل صولح
إحداهن لأنه طلقها في مرض موته على نيف وثمانين ألفاً وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من
كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها وذكر الطبري مما عزاه للصفوة عن الزهري أنه تصدق
بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل
على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فقحطوا حتى أكلوا العلهز
وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلا عليه السلام والنجم إذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت
برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فخرج عتبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا بالشام
زأر أسد فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من أي شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت في هذا إلا سواء فقال إن
محمداً دعا عليّ ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه
حتى جاء النوم فحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلاً
رجلاً حتى انتهى إليه فضغمه ضغمة وهو يقول ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس ومات ذكره يعقوب

الاسفرايني

الاسفرايني وتقدّم في ذكر أولاده عليه السلام قصته بنحو هذا وعن مازن الطائي وكان بأرض عمان
قلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء وألحت علينا السنون فأذهبن الأموال
وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي
ولداً فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأته بالحياء وهب له
ولداً قال مازن فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله
لي حيان بن مازن رواه البيهقي ولما نزل عليه السلام بتبوك صلى إلى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال
صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله أثره فأقعد فلم يقم رواه أبو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف وأكل
عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت فما رفعها إلى فيه بعد والرجل بسر بضم
الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية وطلب معاوية ليكتب له فقيل له يأكل فقال
في الثانية لا أشبع الله بطنه فما شبع بطنه أبداً رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية يقول يوماً
فقال يا معاوية ما يلقى منك قال بطني قال اللهم املأه علماً وحلماً رواه البخاري في تاريخه وقال لابن
ثروان اللهم أطل شقاءه وبقاءه فأدرك شيخاً كبيراً يتمنى الموت وكم له صلى الله عليه وسلم من دعوات
مستجابات وقد أفرد القاضي عياض باباً في الشفاء ذكر فيه طرفاً منها وكذا الإمام يوسف بن يعقوب
الاسفرايني في كتابه دلائل الإعجاز فكم أجابه الله تعالى إلى مسؤوله وأجناه من ثمرة دعائه ثمرة سؤله وأما
حديث أبي هريرة عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها
وأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا ولكثير
من الأنبياء صلى الله عليه وسلم من الدعوات المجابة لأن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط وأجيب بأن
المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الإجابة وقيل معنى قوله لكل
نبي دعوة أي أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم
وإما بنجاتهم وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل منهم دعوة تخصه
لدنياه أو لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً وقول زكريا فهب لي من لدنك ولياً
يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي وأما قول الكرماني في شرحه على البخاري
فإن قلت هل جاز أن لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة وإجابة الباقي
في مشيئة الله تعالى قال العيني هذا السؤال لا يعجبني فإن فيه بشاعة وأنا لا أشك أن جميع دعوات النبي
صلى الله عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لأنه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل عنه
صلى الله عليه وسلم دعا بشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر
الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات
الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أخّر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة فذلك
اليوم يدعو ويشفع ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ونفعها وأما طلبها فحصل من النبي
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله
فاعلم أنه لا إله إلا الله فإنه ليس أمراً بتحصيل ذلك العلم لأنه عالم بذلك ولا بالثبات لأنه معصوم فتعين أن
يكون للترقي في مراتبه ومقاماته إشارة إلى أن العلم به تعالى والسير إليه لا نهاية له أبد الآبدين فالعلوم
الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها ومستنثر من أفنان طوباها ولذلك اقتضى
تعليمها له صلى الله عليه وسلم في الآية قال الشارح كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له
عليه السلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة لأنه لا بد في أول السلوك من الذكر باللسان

مدًّا ثم يزول الاسم ويبقى المسمّى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واسم ربك والمرتبة الثانية هي المراد بقوله واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدمت جملة من اذكاره عليه السلام متفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة مرة ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة واخرج النسائي ايضا من طريق عطاء عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه السلام تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت فما كيفية استغفاره عليه السلام فالجواب انه ورد في حديث شداد بن اوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار ان يقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة فتعين ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل واما صفة قراءته عليه السلام فكانت مدًّا يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتتها ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقالت ايضا كان عليه السلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان وقد كانت قراءته عليه السلام ترتيلا لا هذًّا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته اية اية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه ااا ثلاث مرات ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القرآن باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن اي يتلوه يجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه السلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لهز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتأسى به وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا وقد استمع عليه السلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القرآن باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير ويؤيد ذلك تاييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت والله اعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز وان اعان طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود وهو الذي يتأثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرين كما يتعلم اصوات الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وانكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم برآء من القراءة بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم اتقى لله من ان يقرؤوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة وبطرب اخرى وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد به الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله ... ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه الحديث والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرأ فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني من مزامير داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير هذا يدل على انه كان يستطيع ان يتلو اشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد بلا مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرائيل يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والآكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبر الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قائم على راسه فياتي الانس والجن والطير والوحش والهوام والعذارى المخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثناء على الله بما هو اهله فتموت طائفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت طائفة فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان عليه السلام يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد هلك من المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان ايها الناس من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج اليه فليقده فكانت المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخله المدينة فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال لسليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع داود يده على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك او شوقا

إليك ولا يزال ذلك دأبه إلى المجلس الآخر وأما مراد داود عليه السلام على ذلك ما شاء الله تعالى ولا نطول
بما ذكرناه من حال بني إسرائيل إنهم في ذلك أعلى من هذه الأمة فأما المزامير فحسبك ما ذكر من حال
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأما الموت من الموعظة شوقا وخوفا فلنا فيه طريقان أحدهما
أن نقول إن القوة التي أوتيتها هذه الأمة تفنى وقد الأحوال الواردة عليها فتماسك الحياة ولا
تفنى القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتأييدات الإلهية فلفرط قوة هذه الأمة إن شاء الله تعالى
تقارب عند سلفها الصالح ما بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها لتوالي أحوال الذكر
وأطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات
الأحوال هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم ألا ترى أن داود وسليمان عليهما السلام وهما أصحاب
المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذاك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن
من القوة الربانية التي أمدتهما ولا خلاف بأن داود عليه السلام وإن لم يمت من الذكر أفضل ممن
مات من أمته وأما نواحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيد بشيء فالأمر التقصير عن آحاد
أمته بل لا تقاعد عنهم بدرجات وزلفى وإلى هذه القوة الإلهية أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وقد رأى إنسانا يبكي من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا
ومرتبته عند الله محفوظة ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني أن نقول فقد روي ما لا يحصى كثرة عن هذه
الأمة مثل ما اتفق في مجلس داود عليه السلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديما وحديثا
ولأبي إسحق الثعلبي جزء في قتلى القرآن رويناه وعندي من ذلك جملة أرجو تدوينها بل قد روي عن
كثير من المريدين أنهم ماتوا بمجرد النظر إلى المشايخ كما حكي أن مريدا لأبي تراب النخشبي كان يتجلى له
الحق تعالى في كل يوم مرات فقال له أبو تراب لو رأيت أبا يزيد لرأيت أمرا عظيما فلما ارتحل المريد
مع شيخه أبي تراب النخشبي إلى أبي يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له أبو تراب يا أبا يزيد نظرة
منك قتلته وقد كان يدعي رؤية الحق فقال له أبو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له
على قدر مقامه فلما رأى تجلى له تعالى على قدري فلم يطق فمات واصطلاح أهل الطريق في التجلي معروف
وحاصله رتبة من المعرفة جلية علية ولم يكونوا يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى لن تراني
عليه السلام على خصوص صيغته لن تراني وقيل فيها على العموم لا تدركه الأبصار وإذا فهمت أن مرادهم
الذي ابتنوه غير المعنى الذي يحصل هذه الناس على الناس في الدنيا وعد الخواص به في الأخرى فلا اعتبر
بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم إليك والله متولي السرائر باسمي ملخصا وإذا علمت هذا
فاعلم أن السماع في طريق القوم معروف وفي الجواذب إلى المحبة معدود موصوف وقد نقل إباحته
أبو طالب في القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية
وكذا عن الجنيد والسري وذي النون واحتج له الغزالي في الإحياء بما يطول ذكره خصوصا في أوقات السرور
المباحة تأكيدا له وتهييجا كعرس ووليمة وقدوم غائب وعقيقة وحفظ قرآن وختم درس أو كتاب
أو تأليف وفي الصحيحين من حديث عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان
وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه
وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وفي رواية دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان
تغنيان بغناء بعاث وهو بضم الموحدة وبالعين المهملة آخره مثلثة اسم حصن للأوس وبالمعجمة تصحيف
أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الأنصار فاضطجع على الفراش وحول

وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل
عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بأن في الحديث الآخر عند البخاري عن عائشة وليستا
بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ لأن الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى
الترنم وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق
لما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح قال القرطبي قولها يعني عائشة ليستا بمغنيتين أي ليستا ممن يعرف
الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به
وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء أو الخمر أو غيرها
من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف
في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير حتى لو ظهرت من كثير منهم فعلات
المجان والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم
إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا على التحقيق من آثار
الزندقة انتهى والحق أن السماع إذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية أو النعوت النبوية
المحمدية عريا عن الآلات المحرمة والحظوظ الخسيسة الغبية والشبه الدنية وإذا كان من الجهة الشريفة
العلية وضبط السامع نفسه ما أمكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكا ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط
نفسه ما أمكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن
في غاية ولتمام تزكية النفس غاية نعم تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخوف الشبهة والخروج من الخلاف
الآن أبرأ وقد نقل عن الإمام الشافعي ومالك وأبو حنيفة وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم
ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني وإذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن
يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب
وهو لم يثبت ترقيه مثير الكامن في النفوس من الأزل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله ألست بربكم
فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقته هو من حلاوة ذلك الخطاب والأعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة
لاسمه فالسماع من أكبر مصايد النفوس وإذا اقترن بالمعاني المناسبة وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب
الحق ثار الكامن وذاعت الأسرار سيما في أرباب البدايات وقد شوهد تأثير السماع حتى في الحيوانات
الغير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد تدلي الطيور من الأغصان على أولي النغمات الفائقة والألحان
الرائقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه
في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه إذا طالت عليه البوادي
واعتراه الإعياء تحت الحمل إذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي إلى الحادي ويسرع في سيره وربما تتلف
نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه ولقد حكي مما ذكر في الإحياء عن أبي بكر الدينوري
أن عبدا أسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته إذ حداها وكانت محملة أحمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة
أيام في ليلة واحدة وأنه حدا على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له هو ما غيبه عن حسه
حتى خر لوجهه فتأثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زائد في غلظ الطبع وكثا
على الجمال وإذا كانت هذه البهائم تتأثر بالنغمات فتأثر النفوس الإنسانية أولى

نعم لولاك ما ذكر العقيق • ولاجابت له الفلوات نوق • نعم اسعى اليك على جفوني • تدانى الحى او بعد الطريق •
اذا كانت تحرككم المطايا • فماذا يفعل الصب المشوق • **فى تنبيه** السماع تلطيف السر ومن ثم وضع
العارف الكبير بشيلى على الوفوك حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفه تنشط القلوب
المريدين وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت هذه
الواردات السنية الفايضه من الموارد المحمدية بهذه النغمات الفايقه والاوزان الرايقه تشربتها
العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوكى المحمدى فاثمرت شجرة خطاب الازل بما
سقيته من موارد هذه اللطايف عوارف المعارف **تنبيه** زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من
التلاوة واظهر تاثيرا واحتج عن ذلك ان جلال القران لا تحمله القوى البشريه المحدثه ولا تحمله صفاتها
المخلوقه ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت ولتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطباع
بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الاشجان والاصوات
بما فى الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخذ على القلوب
بمشاكلة المخلوق قاله ابو النصر السراج **المقصد العاشر فى اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته
الى حظيرة قدسه لديه صلى الله وسلم عليه** وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله فى الاخرة
بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتشريفه بخصايص الزلفى فى مشاهد
الانبيا والمرسلين وترقيته فى جنة عدن ارقى مدارج السعاده وتعاليه فى يوم المزيد على معالى
الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول **الفصل الاول** اعلم وفقنى الله واياك بجميل تاييده واوصلنا
بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده انه مما يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان
ويلهب نيران الوجد على اكباد ذوى الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة
العظيمة لم يمت نبى من الانبيا حتى يخير **واول** ما اعلم النبى صلى الله عليه وسلم من انقضا عمره باقتراب
اجله بنزول سورة اذا جا نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد
ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيا للقاينا بالتحميد والاستغفار
فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد
للنقلة الينا **وقد** قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى فى حجة
الوداع وقيل عاش بعدها احدا وثمانين يوما وعند ابن ابى حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها
تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلثا ولابى يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة فى اوسط
ايام التشريق فى حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفى حديث ابن عباس
عند الدارمى لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة قال نعيت الى نفسى فبكت
قال لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت الحديث **وروى** الطبرانى من طريق عكرمة عن ابن عباس قال
لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط
اجتهادا فى امر الاخرة وللطبرانى ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبى صلى الله عليه وسلم
لجبريل نعيت الى نفسى فقال له جبريل وللاخرة خير لك من الاولى وروى فى حديث ذكره ابن رجب فى اللطايف
انه تعبد حتى صار كالشن البالى وكان عليه السلام يعرض القران كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام

مرتين

مرتين وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف ذلك العام عشرين واكثر من
الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم فى اخر عمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب
ولا يجى الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به
قبل اليوم فقال ان ربى اخبرنى انى سارى علما فى امتى وانى اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره
ثم تلا هذه السورة رواه واخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عايشة نحوه **وروى**
الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان
سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم
الحوض وانى لانظر اليه وانا فى مقامى هذا وانى قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض وانى لست اخشى
عليكم ان تشركوا بعدى ولكنى اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك
من كان قبلكم وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا
خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال
يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عند الله وهو يقول
فديناك باباينا وامهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا
به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان امن الناس على فى صحبته وماله ابو بكر فلو كنت متخذا من اهل
الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا تبقى فى المسجد خوخة الا سدت الا خوخة
ابى بكر رضى الله عنه رواه الشيخان ولمسلم من حديث جندب سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول
قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر فهم الرمز الذى اشار به النبى صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره
ذلك فى مرض موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى **وما زال** صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب
اجله فى اخر عمره فانه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا القاكم بعد عامى
هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه السلام من حجته الى المدينة جمع الناس
بما يدعى خما فى طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان
ياتينى رسول ربى فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب وكان
ابتدا مرضه عليه السلام فى اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلثة عشر يوما فى المشهور وكانت
خطبته التى خطب بها المذكورة فى حديث ابى سعيد الذى قدمته فى ابتداء مرضه الذى مات فيه فانه خرج
كما رواه الدارمى وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذى نفسى
بيده انى لانظر الى الحوض من مقامى هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى اخره ثم هبط عنه فما رئى
عليه حتى الساعة **فاشار** عرض صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره اللقا على البقا ولم يصرح ليخفى المعنى
على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه المخصوص به ثانى اثنين اذ هما فى الغار وكان اعلم الامة
بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك باموالنا
وانفسنا واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ فى مدحه والثنا عليه على المنبر ليعلم
الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف فى خلافته فقال ان امن الناس على فى صحبته وماله ابو بكر رضى الله عنه

ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام
لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له أن يخالل المخلوق فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح
ولا يصلح هذا للبشر كما قيل ٭ قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا ٭
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر إشارة إلى أن أبا بكر
هو الإمام بعده فإنه يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين
المصلين ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحا أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا أبا بكر
أن يصلي بالناس فولاه إمامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر رضي الله عنه رضيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة أبي معشر كان في بيت زينب بنت جحش
وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والأول هو المعتمد وذكر الخطابي أنه ابتدأ به يوم الاثنين
وقيل يوم السبت وقال الحاكم أبو أحمد يوم الأربعاء واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر
يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وذكرها في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة أيام وبه
جزم سليمان التيمي في مغازيه وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح وفي البخاري قالت عائشة لما ثقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج وهو
بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت
عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم
عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن أبي طالب الحديث وفي رواية مسلم عن عائشة فخرج
بين الفضل بن عباس ورجل آخر وفي أخرى رجلين أحدهما أسامة وعند الدارقطني أسامة والفضل
وعند ابن حبان في أخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم أمة وقيل
عبد وعند ابن سعد من وجه آخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن
خروجه تعدد فيتعدد من اتكأ عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه
إني لا أستطيع أن أدور في بيوتكن فإن شئتن أذنتن لي رواه أحمد وفي رواية هشام بن عروة عن
عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة وذكر ابن سعد بإسناد
صحيح عن الزهري أن فاطمة هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن إنه يشق عليه الاختلاف
وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين
وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه صلى الله عليه وسلم قال أين أكون غدا كررها فعرفت
أزواجه أنما يريد عائشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وفي رواية هشام بن
عروة عن أبيه عند الإسماعيلي كان يقول أين أنا غدا حرصا على بيت عائشة فلما كان يومي أذن له نساؤه
أن يمرض في بيتي وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد
صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه قال بل أنا وارأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك
وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست
فيه ببعض نسائك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه رواه أحمد والنسائي وفي

البخاري

البخاري قالت عائشة وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك
فقالت عائشة واثكلياه والله إني لأظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا
ببعض أزواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر
وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله
ويأبى المؤمنون وقوله بل أنا وارأساه إضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك
واشتغلي بي قال قلت فإن اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وروى أحمد في الزهد عن طاوس أنه
قال أنين المريض شكوى وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض مكروه
قلت وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت
فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة هذا ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى فإنه لا شك أن
اشتغاله بالذكر أولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على
ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن
حاله فلا بأس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض
فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان وقد بينت حكمته عليه في اللطائف أن أول مرضه
عليه السلام كان صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس في
مخضب وتصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عائشة لما
دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس فأجلسناه
في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا
أن قد فعلتن الحديث وقد قيل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر وسيأتي إن شاء
الله تعالى أنه عليه السلام قال هذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم وتمسك بعض من أنكر نجاسة
سؤر الكلب به وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات
الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال إنا
كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد
كلهم من رواية أبي سعيد الخدري وقالت عائشة ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه ... وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك
فقلت يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن
لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقيل ألم الحمى وقيل
إرعادها الموعوك وعركها إياه وعن الأصمعي الوعك الحر فإن كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها
قال أبو هريرة ما من وجع يصيبني أحب إلي من الحمى إنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم وإن الله يعطي كل
مفصل قسطا من الأجر وأخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة قالت أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال إن من أشد الناس بلاء
الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة أو ركوة
فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات الحديث رواه البخاري
وروي أيضا عن عروة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت

انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت اكلة خيبر تعاودني والاكلة بالضم اللقمة التي اكل
من الشاة وبعض الرواة يفتح الالف وهو خطا لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله
ابن الاثير ومعنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا
والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون
انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده عنه فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه
طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مالك
وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسح بيد نفسه
لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا وفي البخاري عن عائشة
دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب
يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم
دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قولها
فابده بتشديد الدال المهملة اي مد نظره اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة المكان
الذي يتسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالماء وفي رواية له ايضا ان من نعم الله تعالى علي
ان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فاشار براسه ان نعم
وفي رواية مر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة
فاخذتها فمضغت راسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها
فسقطت يده او سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة ايام
وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ائتيني بسواك رطب فامضغيه
ثم ائتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبياء
الموت هون الله عليهم ذلك بلقاء الله وبكلما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من
بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عائشة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عائشة في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم
قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي كاني ارى كفيها يعني عائشة فقد كان عليه السلام
يحب عائشة حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان
العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سأله صلى الله عليه وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال
عائشة فقال من الرجال فقال ابوها ولهذا قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وا راساه وددت ان ذلك
كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه يحب فراقها وانما كان عليه السلام يريد
تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما وروي انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير
فكان يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد
بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي انظر اذا كان هذا سيد الاولين والآخرين
المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده
دماء المسلمين واموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها

قالت

قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها
فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي
توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق عن عائشة اقبلت
فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا يا بنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله
ثم سارها ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة
قالت ما رايت احدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها
من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان
اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه فقبلته واتفقت الروايتان على ان
الذي سارها به اولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت من مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به
فضحكت ففي رواية عروة انه اخبارها اياها بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخبارها اياها
انها سيدة نساء اهل الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث
مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فمما زاده مسروق
قول عائشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالتها عن ذلك فقالت ما كنت لافشي
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسالتها فقالت اسر الي ان
جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلي وانك اول
اهل بيتي لحوقا بي وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة ان عائشة لما رات بكاها وضحكها قالت
ان كنت لاظن ان هذه المراة من اعقل النساء فاذا هي من النساء ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عروة
الجزم انه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من
معارضة القرآن وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول
اهله لحوقا به سببا لبكائها وضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الآخر وقد
روى النسائي من طريق ابي سلمة عن عائشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين
ولابن سعد في رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني من
وجه آخر عن عائشة انه قال لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نساء المومنين اعظم رزية منك
فلا تكوني ادنى امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله
عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله عنها كانت من اول من مات من بيت النبي صلى الله عليه وسلم اهل
بعده حتى من ازواجه عليه السلام وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق
واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم لا تلدوني فقالوا كراهية المريض للدواء
فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية المريض للدواء فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا
انظر الا العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري واللدود هو ما يجعل في جانب الفم من الدواء فاما ما
يصب في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس انهم اذابوا قسطا بزيت ولدوه به
وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى آخره مشروعية القصاص في ما يصاب به الانسان وفيه نظر لان
الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال ابن العربي له
اراد ان لا ياتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه كان يمكن ان يعفو لانه
كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا قصاصا ولا
انتقاما قيل وانما كره اللدود مع انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق ذلك كره له

التداوي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقيق
وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به
ذلك كما هو ظاهر سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة
فاشتدت به فأغمي عليه فلددناه فلما أفاق قال كنتم ترون أن الله يسلط علي ذات الجنب ما كان الله
ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى أحد في البيت إلا لد فما بقي أحد إلا لد ولددنا ميمونة وهي صائمة
وروى أبو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه آخر عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم مات من
ذات الجنب وجمع بينهما بأن ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن
والآخر ريح محتقن بين الأضلاع فالأول هو المنفي هنا وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب
من الشيطان والثاني هو الذي أثبت هنا وليس فيه محذور كالأول وفي حديث ابن عباس عند
البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا
كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم
من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني قال
عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب
مع صريح أمره لهم بذلك لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب فكأنه ظهر منه قرينة دلت على
أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن
بأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووي اتفق العلماء على أن قول عمر حسبنا كتاب
الله من قوة فقهه ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة
وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء وفي تركه صلى الله عليه وسلم الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه
وأشار بقوله حسبنا كتاب الله إلى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض ذلك قول ابن
عباس إن الرزية إلى آخره لأن عمر كان أفقه منه قطعا ولا يقال إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع
أنه حبر القرآن وأعلم الناس بتفسيره وتأويله ولكنه أسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه
أولى من الاستنباط والله أعلم ومما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا أبا بكر فليصل بالناس
فقالت له عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر
فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس رواه
الشيخان وأبو حاتم واللفظ له وفي رواية أن أبا بكر رجل أسيف وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري
فمر عمر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء
فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه إنكن لأنتن صواحب يوسف
مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا والأسيف بوزن فعيل
وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن
شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والأسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة
والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ
الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت
لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته

[هامش: كره – ولغطهم – لكونها أسف ظ – قط]

وان

وان عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه
ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته
عليه السلام فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده
رجلا قام مقامه أبدا وإلا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به وقد نقل الدمياطي أن
الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف بن عمر في كتاب
الفتوح أن الأنصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس
فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل
والعباس أمامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من
المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم
هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وأوصيكم بالمهاجرين الأولين
خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر إلى آخرها وإن الأمور
تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله
غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم
بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم
عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي منكم أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض ألا فمن
أحب أن يرد علي غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل
القسم فإذا بر الناس برتهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم وفي حديث أنس عند البخاري قال مر أبو بكر والعباس
بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل
أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية
برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي
وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي
وعيبتي أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره واستعار الكرش والعيبة
لذلك لأن المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي
وصحابتي يقال عليه كرش من الناس أي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله
ابن مسعود قال نعى إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت
عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم
بتقوى الله وأستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه
قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين فقلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى
جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى قلنا يا رسول الله فيم
نكفنك قال في ثيابي هذه أو في ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال إذا أنتم غسلتموني
وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي جبريل ثم
ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا علي فوجا فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما

[هامش: ته – شبة]

وليبدأ بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرؤوا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيمة قلت يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعا وهو واه جدا وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى ويخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذًا لا يختارنا فعرفت حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مسند الى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى انه خير نظير فهم ابيها رضي الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب بن عبد الله عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث مويهبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبيا الذين يسكنون اعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حظيرة القدس وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ ابن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قالت يعني عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد عليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حين ارتفع دنظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وفي البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى الحديث ونبه السهيلي على ان النكتة في الاتيان بهذه الكلمة بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفا فلما افاق قال اسال الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم اشتد به الامر قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول

اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال بعض العلما فيه ان ذلك من شدة الالام والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو حامد المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فاذا كان هذا في هذا الحال بلقا محبوبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقا النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه السلام قال اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند الامام والترمذي من طريق القاسم عنها قالت ورايته وعنده قدح فيه ما وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب اباه فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي زعم من لا يعلم في اهل العلم ان المراد بقوله عليه السلام لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده وهذا ليس بشي لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على امته بموته والواقع انها باقية الى يوم القيمة لانه مبعوث الى من جاء بعده واعمالهم تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة الموت وكان عليه السلام فيما يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه قد حضر من ابيك ما الله تعالى بتارك منه احدا الموافاة يوم القيمة وفي البخاري من حديث انس بن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلي لهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عايشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلاة قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي رواية ابي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلها من حديث انس لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا كان اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فاوما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه الشيخان وعنه ان ابا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال لما بقي من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله قد ارسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك فقال اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم اتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على ادمي قبلك ولا يستاذن على ادمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه

فقال يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامرني ان امرتني ان اقبض
روحك قبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال
صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما امرت به قال جبريل يا رسول الله هذا اخر موطئي من
الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا
صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت
وانما توفون اجوركم يوم القيمة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل
فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال علي اتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلائل النبوة وفي تخريج احاديث
الاحياء للحافظ العراقي في ذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الاحياء ان النووي انكر الحديث
المذكور في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي وقد رواه الحاكم في المستدرك من حديث
انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع
اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على اصحابه
فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر
علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا ورواه ابن ابي الدنيا ايضا
من حديث علي بن ابي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده
علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه السلام
قال البيهقي وقوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد اراد لقاءك بان يردك من دنياك الى معادك
زيادة في قربك وكرامتك انتهى واخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه
وسلم في مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع
فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك
يقريك السلام فبلغني ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم بعده وقالت عائشة توفي
صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري
والحاقنة بالحاء المهملة والقاف ما سفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين
وسكون الحاء المهملة هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد انه صلى الله عليه وسلم
توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من طرق انه صلى الله
عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ ابن حجر لا يخلو من شيء فلا يلتفت
لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت في بعض كتب الواقدي ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم من حديث
انس ان اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غائبا
بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل
عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما ارسل
اليه كما ارسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان تقطع ايدي رجال
وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله

عليه وسلم فجثى يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك
حيا وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت عائشة اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل
فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرده
فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين اما
الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله
عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي رجال
لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما
على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها وقيل
اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسال ثم يموت وهذا جواب الداودي وقيل
لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب اي لا تلقى بعد كرب
هذا اليوم كربا اخر قاله في فتح الباري وعنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا
وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم
ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الاية قال فنشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكا في حلقه من غير
انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس
كلهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال فاخذ بقائم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم امات رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع
البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل الاية وقال انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه الايات قط
خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحرث كما ذكره الطبري في الرياض وقال خرج الترمذي معناه بتمامه
واستنشى الريح شمها اي شم ريح الموت وعند احمد عن عائشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا
فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر اليه عمر فقال واغشياه
ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله
المنافقين ثم جاء ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس
فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد فمن كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها

ابو بكر فتلقاها الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة
ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين
قال وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد مات الم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وفي هذا ادل دليل على شجاعة الصديق فان
الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة اعظم من موت الرسول صلى الله عليه
وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر
فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها ذكره الوايلي ابو نصر عبد الله في كتابه (كما هو)
الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع ابو بكر رضي الله عنه في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال اما بعد فاني قلت لكم
امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد
عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يدبرنا اي يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم
وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو نصر التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي (المقالة)
وارجل وكان ذلك لعظم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر
وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس
يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى وقال ابن المنير لما مات صلى الله عليه
وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام (خبل كفرح جن)
ومنهم من اضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما
وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضنى عبد الله بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله
عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لاحد من الانبياء
فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد
عند ربك ولنكن من بالك وفي حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعدما مات كما قدمناه وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند احمد انه
اتاه من قبل راسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم
قال واصفياه ثم رفع راسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال يا خليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر
فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا
وميتا وعن عائشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع
يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال
ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما يقتضي ثباته بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج
ولا قلق خافتا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو نعيم من طرق عن الواقدي
عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت

اسما

اسما بنت عميس يدها بين كتفيه عليه السلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان
هذا الذي قد عرف به موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه السلام قالت فاطمة
يا ابتاه اجاب ربا دعاه • يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه • يا ابتاه الى جبريل ننعاه • رواه البخاري (منعاه)
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي
في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه
ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة
وحق لها ذلك • على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان كان من ليلى على الهجر طاويا •
واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا
الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه الحديث • كل المصائب تهون
عند هذه المصيبة وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها الناس ان احد
من الناس او من المؤمنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان
احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزاء كان الرجل من
اهل المدينة اذا اصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله
اسوة حسنة وتعجبني قول القائل • اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها • نوب تنوب اليوم تكشف في غد • واذا اتتك مصيبة تشجى بها • (اي تحزن)
فاذكر مصابك بالنبي محمد • ورحم الله القائل
تذكرت لما فرق الدهر بيننا • فعزيت نفسي بالنبي محمد • وقلت لها ان المنايا سبيلنا • فمن لم يمت في يومه مات في غد
كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين لما فقده الجذع
الذي يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال
هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا لما كان
يؤذن بعد وفاته عليه السلام وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب
فلما دفن ترك بلال الاذان وما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب
لو ذاق طعم الفراق رضوى • لكان من وجده يميد • قد حملوني عذاب شوق • يعجز عن حمله الحديد
وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد
الضحى ودفن يوم الثلثا وقيل ليلة الاربعا ورثته عمته صفية بمراث كثيرة منها قولها
الا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا • وكنت رحيما هاديا ومعلما • ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده • ولكن لما اخشى من الهرج اتيا • كان على قلبي لذكر محمد • وما خفت من بعد النبي المكاويا
افاطم صلى الله رب محمد • على جدث امسى بيثرب ثاويا • فدى لرسول الله امي وخالتي • وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا • سعدنا ولكن امره كان ماضيا • عليك من الله السلام تحية • وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته • يبكي ويدعو جده اليوم نائيا • ورثاه ابو سفيان بن الحرث فقال
ارقت فبات ليلي لا يزول • وليل اخي المصيبة فيه طول • واسعدني البكاء وذاك فيما • اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت • عشية قيل قد قبض الرسول • واضحت ارضنا مما عراها • تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا • يروح به ويغدو جبرئيل • وذاك احق ما سالت عليه • نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا • بما يوحى اليه وما يقول • ويهدينا فلا نخشى ضلالا • علينا والرسول لنا دليل

افاطم ان جزعت فذاك عذر • وان لم تجزعي فذاك السبيل • فقبر ابيك سيد كل قبر • وفيه سيد الناس الرسول •

ورثاه الصديق بقوله

لما رأيت نبينا متجدلا • ضاقت علي بعرضهن الدور • فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه • والعظم مني ما حييت كسير • اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى • فالصبر عنك لما بقيت يسير • يا ليتني من قبل مهلك صاحبي • غيبت في جدث علي صخور • فلتحدثن بدائع من بعده • يعيى بهن جوانح وصدور •

ورثاه الصديق ايضا بقوله

وودعنا الوحي اذ وليت عنا • فودعنا من الله الكلام • سوى ما قد تركت لنا رهينا • تضمنه القراطيس الكرام •

ولقد احسن حسان بقوله يرثيه عليه السلام

كنت السواد لناظري • فعمي عليك الناظر • من شاء بعدك فليمت • فعليك كنت احاذر •

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ورجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا الخبر ذكره ابو العباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساق تمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ووقع في كثير من نسخ الشفا روي عن عمر بن الخطاب انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكى والصواب فيه التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفا والله اعلم ومن هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل واخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام • بين النخيل ومعقد الاطام • قبض النبي محمد فعيوننا • تذري الدموع عليه بالتسجام •

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا وغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة وروى ابن ماجه بسند جيد عن علي بن ابي طالب مرفوعا اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة وقد روى ابن النجار انه عليه السلام قال رايت الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبحت على بئر غرس فتوضات منها وبزقت فيها وغسل صلى الله

عليه

عليه وسلم ثلث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيئا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وجعل علي على يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضئ منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه الصلاة والسلام امتص ماء محاجر عينيه فشربه وانه ورث بذلك علوم الاولين والاخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب سحولية بيض اخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن ابي بكر فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله ابن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر لعائشة قولهم في ثوبين وبردة حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلثة اثواب سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين قال في النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين المهملتين القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عائشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول الاظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلماء قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى ويترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك واحمد يستحب ان يكون الثلاثة لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص

والعمامة او غيرها على اللفايف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية انه جائز
غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال والنساء وهو في حق النساء آكد قالوا والزيادة الى السبعة غير
مكروهة وما زاد عليها سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون
على وجوبه وهو فرض كفاية يجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف اصحابنا في
المزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او هو على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح
الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح
المهذب وقال فيه تبعا للغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المرأة وانكروه عليه انتهى وهي
كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق لله تعالى لا تنفذ وصية الميت
باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي هذا الحديث ايضا
رد لنزع الميت القميص الذي غسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في
شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو بقي مع رطوبته لافسد الاكفان ثم قال واما الحديث
الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه
الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على ضعفه لا سيما وقد
خالف بروايته الثقات وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم
يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا
دخل النساء حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفي رواية
ان اول من صلى عليه الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا وروي انه لما صلى اهل
بيته لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته
يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
ذكره الشيخ زين الدين المراغي في كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين تدفنونه فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال علي وانا ايضا سمعته
وحفر ابو طلحة اللحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره والاصح
ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان آخر الناس عهدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية
كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه
وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا
فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهية ذلك كما قال الجمهور واجابوا عن
هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما
ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر
ثم اخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم
جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت
من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشأت تقول

يا انس

ماذا

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا
قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل الراس حكاه ابن عساكر
وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عائشة عند البخاري
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن
هلال خشي او خشي على الشك وفي رواية الضم مبهم يحتمل ان يفسر بانها هي التي منعت من ابرازه وللحاضرين
الشأن وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوه باجتهاد بخلاف رواية الفتح
فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقوله لابرز قبره اي كشف قبره صلى الله عليه
وسلم ولم يتخذ عليه الحائل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته عائشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد
ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر الكريم
مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على ان
المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين
اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي
وبه جزم الماوردي وآخرون وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله
عليه وسلم في الاول لم يكن مسنما فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت
على عائشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة بلغ
مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد الحاكم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي
صلى الله عليه وسلم وعمر راسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت
في الاول مسطحة ثم لما بني جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها
مرتفعة وقد روى ابو بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن
بنت داود بن ابي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن عبد
العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه
ثم الاختلاف في ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى بان التسطيح يشبه ما
يصنع للجلوس بخلاف المسنم ورجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن ابيه لما سقط عليهم الحائط يعني حائط
حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد بن عبد الملك اخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها
قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم
ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك ما رواه الآجري من طريق شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة
قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم
بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز
وروى الآجري قال رجاء بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه عند وسطه
وهذا ظاهر يخالف حديث القاسم قال ان امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه آخر عن
عائشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من فتح الباري وقد اختلف اهل السير

وعبرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزائر ونقل اهل السير
عن سعيد بن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام
ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى
ابن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فاقوم
انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر لما ذكره في تحقيق النصرة والله اعلم قال قلت تقدم انه
عليه السلام توفي يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء فلم اخر دفنه عليه السلام وقد قال صلى الله عليه وسلم
لاهل بيت وتاخر الميت منهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته
او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم في البقيع وقال آخرون في المسجد وقال قوم يحمل
الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده ثم قال العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت
ذكره ابن ماجه والموطا كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه
ادفنوه في موضع فراشه او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار فنظروا فيها حتى استقر
الامر في الخلافة ونظامها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملا منهم وكشف الله الكربة من
اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم
تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كزينة المدينة يوم قدوم الملك اذا كان عرش الرحمن قد اهتز
لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا بقدوم روحه فكيف بقدوم روح الارواح ولما قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي قال
انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايت
يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم
الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم
منها كل شيء وما نفضنا ايدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه السلام بعد موته
ما ذكر من حزن حماره عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت من ذلك وظهور
ما اخبر به انه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت بعضه في الفصل الثامن وفي حديث
ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه
وعصوا امره وانما كان قبض النبي قبل امته خيرا لهم لانهم اذا قبضوا قبله فقد انقطعت اعمالهم وانا اراد الله بهم خيرا
جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما امرهم به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا
بعد عقب

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف

اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم
القربات وارجى الطاعات والسبيل الى اعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام
وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد اطلق بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل
عن تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي عياض
انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى
وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيها دليل على صحته وفي المعجم الكبير عن الطبراني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيمة وعند

ابن السكن

اي قرب قبري

المراد بها الجنس

وانا اراد

ابن السكن وروي عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه
والغزالي في الاحياء ولم يخرجه العراقي بل اشار اليه مما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن
انس بلفظ ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفا
والدارقطني في العلل وغرائب مالك وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا
يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى
حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وبالجملة فمن تمكن
من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي عن رجل
من آل حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار
قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر وعن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيمة رواه
البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه
وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو
في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به بعض ائمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله
تعالى توابا رحيما بثلاثة امور المجي واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع
المومنين لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
فاذا وجد مجيهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون
على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم
والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء
لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال
وفي النساء خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله
عليه وسلم والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان ينوي
مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها
عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجي به وهذا الامر لا يدخله قياس
لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن عبد العزيز
كان يبرد البريد بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليها قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت
عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفا وجها واحدا
انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه
بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي
وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة النبوية
المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين في شفاء السقام فشفا صدور المومنين
وحكى الشيخ ولي الدين السبكي العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي
في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحل
لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له اما انت

ظ بما

ظ جاء

فيه نظر اذ النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فلا يبعد الاستغفار لزائره او نقول انقطاعه في معنى الاستغفار وقد يكون لزائره ان كنت له شفيعا والله اعلم

الا

الولوع

فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد شد الرحال الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا القبور افقال الا قبور الانبياء قال فبهت وينبغي للزائر اذا اراد الزيارة ان يكثر من الصلوة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة فليزد الصلوة عليه والتسليم وليسال الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راى ولما وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه ورويناما ذكره القاضي عياض في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ه

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبيت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر المشي على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن حل تلك الديار واحس بالشفا وانشد لنفسه في وصف الحال ه

ولما راينا من ربوع حبيبنا • بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا • شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها • ومن بعدها عنا اذيلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته • ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة • ولو ان كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه • يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة • وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت قاصدا لفضيلة الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وتسعمائة لاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من اشرف الديار فتسابق القوم الى رؤيته وتعالوا بالصعود عليه استعجالا لمشاهدة الاثار • فبرقت لوامع الانوار النبوية • وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية • فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام خير البرية ه

الامع برق بالغضي ويلوح • ام النور من ارض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيب عرفهم • ام الروض في وجه الصباح يفوح
ترفق بنا يا حادي العيس انما • فللشوق بين الوادبين قروح
فما هذه الاثار بالحمى • وذاك سناها بالغضي يلوح
والا فالركب هاج اشتياقهم • وكل من الشوق الشديد يصيح
واثت مطايا الركب حتى كانها • حمائم على قضب الاراك تنوح
وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها • الى النور من تلك الديار طموح
رات دار من تهوى فزاد اشتياقها • وصدقها في الحنين سفوح
انا العيس تحت بالغرام ولم تطق • خفاء فما الصب ليس ينوح

ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاهدة رباها الكريمة واكامها انتشقنا عرف لطائف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وتراعت واردات المنى والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشد متمثلا •

اتيتك زائرا ووددت اني • جعلت سواد عيني امتطيه
ومالي لا اسير على الاماقي • الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الشرك والحجرات ه

ايها المغرم المشوق هنيئا • ما اناله يوم من لذة التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا • طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا • وجميع الابتحار والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا • وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب • ما بقاء الدموع في الاماق

جمع الكور وهو الرحل ق

وكذا ما كان مما لست اذكره • فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

ويستحب صلاة الركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلوة والسلام فان كان استحبت الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قال له بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما تشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي قال ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهى وينبغي للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من اهل الطائف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته وينبغي للزائر ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الحجرة فهو ابلغ في الادب معه كما في حياته من جهة راسه الكريم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار فلا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله عز وجل يوم القيمة وينبغي ان يقف عند محاذاة اربع اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب انه من انتقل الى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم احوال الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلوة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله من شانه وقد روى ابن النجار ان امراة سالت عائشة رضي الله عنها ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت وحكى عن ابي الفضائل الحموي احد خدام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو العتبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات

امهات المؤمنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين السلام عليك وعلى سائر الانبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك بن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية ابن وهب يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعو ولا يتكلف السجع فانه قد يؤدي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر بن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان بن صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وانشا يقول

يا خير من دفنت في القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبر النبي وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسال العتق لك وحدك هلا سالت لجميع الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ... في رقهم اعتقوهم عتق ابرار

وانت يا سيدي اولى بذا كرما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم يسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كانت الرواية يا محمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار فان اوصاه احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به زين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسال الله تعالى بجاهه ان

يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي عياض في الشفا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة معلومة ونبينا صلى الله عليه وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته صلى الله عليه وسلم اكمل واتم من حياة سائرهم فان قال سقيم الطبع ردي الفهم لو كانت حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي اجاب عن ذلك من وجوه احدها ان هذا اعلام بثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه او ملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دائما لان ملزوم ملزومه ثابت دائما وهذا من نفائس نكت علم البيان في اثبات المقصود باكمل انواع البلاغة واجل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة الشريفة النبوية الى عالم الدنيا وتنزلات الى الاجسام الترابية وتنزل الى دائرة البشر حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة اكثر من الف الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع التعبير عنه ولقد احسن من سئل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الارض ومغاربها في آن واحد فانشد قول ابي الطيب

كالشمس في وسط السماء ونورها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملائكة هذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة الف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الخصائص من المقصد الرابع وروى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى البيهقي وغيره من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون وفي رواية ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وفي حديث انس في قصة المعراج انه لقي الانبياء في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته وفي مقصد الاسراء والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبياء ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق وانما ثبت بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت للنبي بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلماء ان الشهداء احياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط او للجسد معها بمعنى عدم البلاء فيه قولان

وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهدا باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ست واربعون سنة وروي عنه عليه السلام انه قال في شهداء احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود وابن ماجه ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان الم السم يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى كان الان قطعت ابهري والابهر ابن عرق يخرج من القلب تتشعب منه الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلما فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعا فعند الشافعية انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه وقال ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعا ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سال الخليفة المنصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم اداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا [illegible] وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعا به او فيما يكره او يحرم فقد [illegible] خلفه واكثرهم لا يقوم باداب الدعا ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك بالسلام والانصراف [illegible] وقد [illegible] تما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسك ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ومالك من اعظم الائمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت الدعا كذب على مالك كذا قال فالله اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح ه

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ٭ طوبى لمنتشق منه وملتثم ٭

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كانه اشار الى نوعين المستعملين في الطيب لانه اما يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم قال واشار بذلك الى تعفير جبهته والله [?] بتربته لحال السجود في مسجده عليه السلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومنين في ذلك فان المومنين لا يعدلون بشم رائحة تربته عليه الصلوة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى يوجد الشرائط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفا الدليل لا يدل على انتفا المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع نفاسته [?] ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم ان لا يدركها من الاحيا الا من كشف له الغطا ٭

من الاولياء المقربين لان متاع الاخرة باق ومتاع الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا [?] عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه السلام روضة من رياض الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ويرحم الله ابا العباس احمد بن محمد بن العريف حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدا الحادي باجمال يثرب ٭ فليت المطايا فوق خدك تعنق ٭
فما عبق الريحان الا وتربها ٭ اجل من الريحان طيبا واعبق ٭

ثم قال بعد ابيات

راحت ركائبهم تندى روائحها ٭ طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا ٭
نسيم قبر النبي المصطفى لهم ٭ روح اذا نشروا من ذكره فاحا ٭

وله ايضا

فاح الصعيد بجسمه فكانه ٭ روض تنم بعرفه المنابج [?] ٭
ما جسمه مما يغيره الثرى ٭ والروح منه كالصباح الابلج ٭

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمومن الساكن فيها الصابر على لاوايها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوي اغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسول الله كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقا على ساير البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه السلام التي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب الطاهر وقد جاء في الحديث ان المومن يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب كما انه هو عليه السلام افضل البشر فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على ساير البلدان انتهى وينبغي للزائر ان يكثر من الدعا والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيمة فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا ادم لو استشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذا سالتني بحقه فقد غفرت لك ويرحم الله ابن جابر حيث قال ه

به قد اجاب الله ادم اذ دعا ٭ ونجي في بطن السفينة نوح ٭
وما ضرت النار الخليل لنوره ٭ ومن اجله نال الفدا ذبيح ٭

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه السلام عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقا ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمن بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربك في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصا وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابي عبد الله ابن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي داء اعيى دواؤه الاطبا واقمت به سنين فاستغثت به

صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلث وتسعين ومما رايته بمكة زادها
الله شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينا انا نايم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دوا
لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله
شيئا مما كنت اجده وحصل الشفا ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في سنة خمس
وثمانين وثمان مائة في طريق مكة بعد حجي من الزيارة الشريفة النبوية لقصد مصر ان صرعت خادمتنا
غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعه
الحبشي الصارع لها فقال لي ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته ان لا يعود اليها ثم
استيقظت وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة
سنة اربع وتسعين وثمان مائة فالحمد لله رب العالمين واما التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات
القيمة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك
السعادة والمؤمل حسن الحال في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موايد نعمه
والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع
يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام واجعله امامك فيما نزل بك من النوازل واماما لك فيما تحاول
من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شي علما واحصاه واجتهد
ما دمت بطيبة الطيبة حسب في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافر الطلبات
وارق في مدارج العبادات ولج في سرادق المرادات ؞ تمتع ان ظفرت بنيل قرب ؞
وحصل ما استطعت من ادخار ؞ فها انا قد اجبتكم عطاي ؞ وها قد صرت عندك في جواري ؞
فخذ ما شيت من كرم وجود ؞ ونل ما رمت من نعم غزار ؞ فقد وسعت ابواب التلاقي
وقد قربت للزوار داري ؞ فمتع ناظريك هنا جمالي ؞ تجلى للقلوب بلا استتار
ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت انها روضة من رياض الجنة
كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة
ويحتمل ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا
يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل
يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة فلانه اذا
كانت الصلاة في مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع كما كان
للمسجد زيادة على غيره واما الدليل على كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه السلام
وان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فالعلة التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سوا على ما اذكر
بعد ان شا الله تعالى والذي اخبر بهذا اخبر بهذا فينبغي الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر
من قواعد الشرع ان البقع المباركة ما فايدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعمرها بالطاعات فان الثواب
فيها اكثر وكذلك الايام المباركة ايضا هو هنا فيكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة
كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو منزلته عليه
السلام ولما خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلوة والسلام بالروضة من الجنة وهنا
بحث لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة
فحينئذ نحتاج الى البحث والاظهر انها الحكمة وهي انه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر ان الله تعالى فضله على

جميع خليقه وان كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له التفضيل على جنسه كما استقرئ
في كل اموره من بدو ظهوره عليه السلام الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام فمنها ما كان من شان
امه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلا حسبما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى
الاتان وحتى البقعة التي تجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها وما هو من ذلك كله معلوم
وكان مشيه عليه السلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه السلام يده المباركة
ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول ومعروف ولما شاءت القدرة
انه عليه السلام لا بد له من بيت ولا بد له من منبر وانه بالضرورة يكثر تردده عليه السلام بين المنبر
والبيت فالحرمة التي اعطي اذا كان من مسة واحدة مباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة
والخير فكيف مع كثرة تردده عليه السلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول عمره من
وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلى مما وصفنا وهو انها كانت من
الجنة وتعود اليها وهي الآن منها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه
الدار لكانت لهذه اعلى مرتبة مما ذكرنا في جنسها فان احتج محتج لا فهم له بان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة
بكمالها لانه عليه السلام كان يطاها بقدمه مرارا فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها
من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه السلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها الدجال
وتلك الفتن العظام وانه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيمة وان ما كان بها من الوبا والحمى
رفع عنها وانه بورك في طعامها وشرابها واشيا كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه اولا لان
تردده عليه السلام في المسجد نفسه اكثر مما في المدينة نفسها وتردده عليه السلام فيما بين البيت
والمنبر اكثر مما سواه من سائر المسجد فالبحث تاكد بالاعتراض لانه جاءت البركة متناسبة لتكرار
تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسمة المرفعة لا خفا فيه الا على ملحد اعمى البصيرة فالمدينة
ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى
وقال الخطابي المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الى
روضة الجنة وسقي يوم القيمة من الحوض انتهى وتقدم في الخصايص من مفضولات المدينة مزيد لذلك وعند
مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا
افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقد اختلف العلما في المراد بهذا الاستثنا على حسب اختلافهم
في مكة والمدينة ايهما افضل ومذهب سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب
ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطا بن ابي رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن
عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدردا وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلما ان مكة افضل من
المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون
العبادة فيها مرجوحة وقد حكى ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها قال
ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج
به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمرا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته
يقول والله انك لخير ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال
ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع في محل الخلاف انتهى فعند الشافعي والجمهور
معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة في مسجدي وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام

وصلاة في مسجد الحرام صح
مسجدي

فان الصلاة في مسجدي تفضله بدون الالف وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في المدينة والبزار ولفظه صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة قال المنذري واسناده صحيح ومما يستدل له المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر ابن الخطاب وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل وهو احد الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي ضم اعضاء الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره صاحب عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا وقال لم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات شرفت بوطء قدميه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السما لشرفها بكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبيا منها ودفنهم فيها لكن قال النووي ان الجمهور على تفضيل السما على الارض اي ما عدا ما ضم الاعضا الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع على افضلية ما ضم اعضاه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن والازمان كلها متساوية وتفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل العباد فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالى يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامر اخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تتنزل عليه الرحمة والرضوان والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم وايضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها الى ربه تعالى لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله ورسوله كيف لا يكون افضل وقد قال عليه السلام اللهم ان ابرهيم دعا لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابرهيم لمكة ومثله معه ولا ان ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعا ابرهيم لان فضل الدعا على قدر فضل الداعي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي

السيد السمهودي في وفا بل المدينة

فاسكني

فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تقبرني كذلك فيجتمع فيه الحسنات قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ الفضل بما دعا له رجاء بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول على بدء الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد انالها واناله بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتدا به في سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من قوله بمزيد المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل فيربوا نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة وان ارتباط حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد شي مما جا في فضلها ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه واعاد له لا اقول في حرم الله وبيته شيا فاشير على عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة من العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جا في فضل الزائر والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرايض واكمال الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة او بمكة فقال ههنا وكيف لا اختار المدينة وما طريق الا سلكت عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطي وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدي رواياته ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه السلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضي عبد الوهاب معنى قوله تاكل القرى الارجح فضلها عليها وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان الامومة لا ينمحي معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد السمهودي وقد اطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها

علي لربع العامرية وقفة ليملي علي الشوق والدمع كاتب ومن مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

على أن للقلم في رحاب تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف
بساطه والرهبة من الإكثار تصدف عن تطويله وإفراطه وقد استنبط العارف ابن أبي جمرة من قوله
عليه السلام المروي في البخاري ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة التساوي بين
فضل مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لأن جميع الأرض يطؤها
الدجال إلا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل قال ويؤكد ذلك أيضا من وجوه النظر لأنه
إن كانت خصت المدينة بحمل قبره عليه السلام وإقامته بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه
عليه السلام بها ومبعثه منها وهي قبلته فمطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينة وإقامته
بعد النبوة على المشهور من الأقاويل بمكة مثل إقامته عليه السلام بالمدينة عشر سنين كل واحدة منهما
كذا قال وأنت إذا تأملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعد يأتي على الناس زمان
يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج أحد
رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك أن فيه إشعارا بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ
محب الدين الطبري عن قوم أنه عام أبدا مطلقا وقال إنه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له
شفيعا أو شهيدا يوم القيامة وفيه عن سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره
في الجلاء من المدينة وشكى إليه أسعارها وكثرة عياله وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها
إلا كنت له شفيعا أو شهيدا فقال ويحك لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يصبر أحد على لأوائها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة واللأواء بالمد الشدة والجوع وأو في قوله
إلا كنت له شفيعا أو شهيدا الأظهر أنها ليست للشك لأن هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد
ابن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم
بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الأظهر أنه قاله
عليه السلام وتكون أو للتقسيم ويكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعا لباقيهم إما شفيعا للعاصين
وشهيدا للمطيعين وإما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده أو غير ذلك وهذه خصوصية
زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين في القيامة وعلى شهادته على جميع الأمم فيكون لتخصيصهم بهذا كله
علو مرتبة وزيادة منزلة وحظوة وإذا قلنا أو للشك فإن كانت اللفظة الصحيحة شهيدا فاختصاص
فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة أن هذه شفاعة أخرى غير
العامة وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بما شاء الله
من ذلك أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع الكرامات ككونهم على منابر أو في ظل العرش أو الإسراع بهم إلى الجنة
أو غير ذلك من خصوص الكرامات كيف لا يحتمل المشقات من يحب أن يحظى بشفاعة أهل الأرض والسماء
ونائل ما وعد به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وإنجاز وعد الصادق له بشفاعته وشهادته
وبلوغ فضله في الحياة والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواؤها وإلى متى تستمر مشقتها وبلواها
لو تأملت بأهلها لوجدت في سائر البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها أو أشق منها وأهلها مقيمون
فيها وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل ويقوى على الرحلة فلا يرحل ويؤثر وطنه
مع إمكان الارتحال والقدرة على الانتقال على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان قد وسع الله
فيها على بعض السكان حتى من أصحابنا من غير أهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها باله دون

خصت
أبي

الشظف محركة الضيق والشدة ... العيش

ساير

دون سائر البلدان فإن من الله على أمته بمثل ذلك هنالك وإلا فالصبر الهون أولى فمن وفقه الله تعالى
صبره في إقامته بها ولو على أحر من الجمر يتجرع مرارة غصتها ليجتلي عروس منصتها ويلقى نزرا من لأوائها
ليوفي بذلك من مصائب الدنيا وبلائها وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها أي تنقبض وتنضم ويلتجئ مع أنها
أصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه في ساكنها صلى الله عليه
وسلم فأكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف المجاورة لهذا الحبيب الخليل ولذا
ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عمم عليه الصلاة والسلام
في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار وكل ما احتج به محتج من رمي لبعض
لسنية بالابتداع وترك الاتباع فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك إكرامه ولا ينقص احترامه فإنه
إذا ثبت ذلك في شخص منهم لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف
ما دار بل يرجى له أن يختم له بالحسنى ويجمع بهذا القرب الصوري قرب المعنى

ولله در ابن جابر حيث قال رحمه الله تعالى

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب
هنيئا لكم يا أهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم إلى ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها أنتم في بحر نعمته غرقى
تروحون وسوق الله في كل ساعة ... ومن يرجه فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الإحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل ... يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم ... فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
أمنتم من الدجال فيها وحولها ... ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن ... فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم ... وإن جانب الدنيا ومزقت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم ... وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها ... أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه ... إلى غيره لسعيه مثلك فلحقا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة ... فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد ... ولو سرت حتى كدت تخترق الأفقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه ... ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به ... إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر ... بطيبة فاعرف أين منزلك الأرقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد ... ومن جار في ترحاله فهو الأشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجه
وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت
بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الأسلمية وفي البخاري
من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون
وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ
سبعة أبواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة
مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما وأجيب بأن كون الطاعون
شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فإذا
استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من أنه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله إياها فإن فيه إشارة

بها
منهم
للشيعة

إلى أن يكفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن
أحد منهم وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها
كطاعون عمواس والجارف وهذا قاله ليقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في
المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووي في الأذكار بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا
مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة
بخلاف المدينة أصلا ~~ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في~~ الطاعون بها أصلا وأجاب بأنه
عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين
فيتعادلان في الأجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب آخر
بعد استحضار الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه
أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وهو أن الحكمة
في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبيئة
كما في حديث عائشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في أمرين يحصل بكل منهما الأجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ
لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية
استمرار الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد فدعا بنقل الحمى إلى الجحفة
فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون
ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك
بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة
المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة لها وقال
بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن
قرية وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا ومن خصائص المدينة أن غبارها
شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث
ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة أنها
المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت
المدينة بالقرآن وروى الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة يرفعه المدينة قبة الإسلام
ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها وبيوتها
وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى
الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا أطأ بحافر دابة في عراص كان
فيها صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة
فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا رواه مسلم وفي رواية له يأتي كل سبت فيصلي فيه ركعتين
وعلم أيضا أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت وروى
الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث أسيد بن ظهير الأنصاري يرفعه صلاة في مسجد قباء كعمرة قال
الترمذي حسن غريب وقال المنذري لا يعرف لأسيد حديث صحيح غير هذا وروى أحمد وابن ماجه من حديث
سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة وصححه الحاكم
وينبغي أيضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة

والمساجد

والمساجد التي صلى فيها عليه السلام التماسا لبركته ويخرج إلى البقيع لزيارة من فيه فإن أكثر الصحابة ممن
توفي بالمدينة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات أهل البيت
والتابعين وروي عن مالك أنه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف وكذلك أمهات المؤمنين
سوى خديجة فإنها بمكة وميمونة فإنها بسرف وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل إلى البقيع
فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين رواه مسلم لكن قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الآفاقي
والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الآفاقي أفضل له والتنفل في حق المقيم أفضل
قال وما نحن بسبيله من باب أولى فمن كان مقيما خرج إلى زيارة أهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم
مشاهدته عليه السلام وحكي عن العارف ابن أبي جمرة أنه لما خطر له أن يذهب إلى البقيع دخل المسجد النبوي
لم يجلس إلا الجلوس في الصلاة وأنه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه وقد كان خطر له
أن يذهب إلى البقيع فقال إلى أين أذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين انتهى
وروى ابن النجار مرفوعا مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا بقيع الغرقد
ومقبرة بعسقلان وعن كعب الأحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كفتة محفوفة بالنخيل موكل
بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا فكفؤوها في الجنة وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين

وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات
وتخصيصه بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه من الأولين والآخرين وانفراده بالسؤدد في مجمع
جامع الأنبياء والمرسلين وترقيه في جنة عدن أرفع مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في أعلى معالي الحسنى
وزيادة اعلم أن الله تعالى كما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم في البدء بأن جعله أول الأنبياء في الخلق وأولهم
في الإجابة في عالم الذر يوم ألست بربكم فقد ختم له كمال الفضائل في العود فجعله أول من تنشق عنه الأرض
وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود وأول من ينظر إلى رب العالمين والخلق محجوبون عن
رؤيته إذ ذاك وأول الأنبياء يقضي بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته وأول داخل الجنة وأمته أول
الأمم دخولا إليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الظرف ما لا يحد ولا يوصف بعد فمن ذلك أنه يبعث
راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه واختصاصه أيضا بالسجود لله أمام العرش
وما يفتحه الله عليه فيه مما يحمده به من التحميد والثناء عليه مما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة
في كرامته وقربه وكلام الله تعالى له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا
إلا النظر إليه تعالى ومن ذلك تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديده الثناء عليه والتحميد مما
يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل الملك
على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك منه تشريفا وتكريما وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش
ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون وشهادته بين الأنبياء وأممهم
وإتيانهم إليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى
النار ومنها الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه وأن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته
ومنها أنه يشفع في رفع درجات أقوام لا يبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة إلى
غير ذلك مما يؤذن به تعالى به جلاله وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين والملائكة المقربين أجمعين

الحشر

ذلك فضل الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم واما تفضله صلى الله عليه وسلم في الحشر
المقدس عنه فروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيمة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق
عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون ثم انتظر اهل مكه حتى احشر بين الحرمين قال الترمذي
حسن صحيح ورواه ابو حاتم وقال حتى نحشر بين القلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصعق الناس حين يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادري اكان فيمن صعق
وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن
استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا او راى شيا ففزع منه ولم يبين في هذه الرواية
من الطريقين محل الافاقه من اي الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة في تفسير سورة الزمر اني
اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شا الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين
يصعقون هم الاحيا واما الموتى فهم في الاستثنا في قوله الا من شا الله اي الا من سبق له الموت قبل ذلك
فانه لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى ممن استثنى الله لان الانبيا
احيا عند الله وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السما والارض
وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما
هو عند نفخة البعث ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فانفض
التراب عن راسي فاتي قايمة العرش فاجد موسى قايما عندها فلا ادري انفض التراب عن راسه قبلي او كان
ممن استثنى الله واختلف في المستثنى من هو فقيل الملائكه وقيل الانبيا وبه قال البيهقي في تاويل الحديث
وتجويزه ان يكون موسى ممن استثنى الله قال ووجهه عندي انهم احيا كالشهدا فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا
ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل الشهدا واختاره الحليمي قال وهو مروي
عن ابن عباس فان الله تعالى يقول احيا عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال وقال ابو العباس القرطبي
صاحب المفهم الصحيح انه لم يات في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد
في حديث ابي هريرة بانهم الشهدا وهو صحيح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه
السلام عن هذه الاية من الذين لم يشا الله ان يصعقوا قال هم شهدا الله صححه الحاكم وقيل هم حملة
العرش وجبريل وميكايل وملك الموت ثم يموتون واخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في
الجنه وتعقب بان حملة العرش ليسوا من سكان السموات والارض لان العرش فوق السموات كلها
وبان جبريل وميكايل وملك الموت من الصافين المسبحين ولان الحور والولدان في الجنة وهي فوق السموات
ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقا فلا شك انها بمعزل عما خلقه الله للفنا ثم انه وردت
الاخبار بان الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكايل ثم يحييهم واما اهل الجنة فلم يات منهم خبر
والاظهر انها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى ان لا
يموت فيها ابدا فان قلت ان قوله كل شي هالك الا وجهه يدل على ان الجنة نفسها تفنى ثم تعاد ليوم الجزا
وتموت الحور العين ثم يحيون اجيب بانه يحتمل ان يكون معنى قوله كل شي هالك الا وجهه اي انه قابل

للهلاك

للهلاك فيهلك ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه فانه قديم والقديم لا يمكن ان يفنى انتهى ملخصا من تذكرة
القرطبي ويؤيد القول بعدم موت الحور فوقهن تحت الخالدات فلا نموت كما في الحديث ولا يقال يحتمل
المراد من قولهن الخلود الكاين بعد القيمة لانه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركه لا يتباهى بها والله اعلم
وفي كتاب العظمه لابي الشيخ ابن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله خلق الله الصور من لولوة
بيضا في صفا الزجاجه ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان ياخذ الصور
فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسه فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع الارواح كلها في الصور
ثم يامر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ في الصور اولا ليصل النفخ بالروح الى
الصور وهي الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقه والى الصور التي هي الاجساد مجازا
وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا
ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فينبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والليت
بكسر اللام وبالمثناه التحتيه ثم الفوقيه صفحة العنق وهما ليتان واصغى امال واخرج البيهقي بسند قوي
عن ابن مسعود موقوفا ثم يقوم ملك الصور بين السما والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في
السموات والارض الا مات الا من شا ربك ثم يكون بين النفختين ما شا الله ان يكون واخرج ابن المبارك
في الرقايق من مرسل الحسن بين النفختين اربعون سنه الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها
كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف وعن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولوا الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد
ادم على ربي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لولو منثور رواه الدارمي وقال الترمذي حسن
غريب ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست دار تكليف وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الارواح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه ينادي بالاذان وفي كتاب ذخاير العقبى
للطبري مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث
الانبيا على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمه على ناقتي العضبا والقصوا واحشر انا على البراق
خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنه واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ تحشر الانبيا على
الدواب وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادي بالاذان محضا وبالشهاده حقا
حتى اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المومنون من الاولين والاخرين وعند ابن زنجويه في فضا
الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من
عند قبره حتى توافي به المحشر وانا على البراق اختصصت به من دون الانبيا يومئذ ويبعث بلال على ناقة من
نوق الجنة ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبيا وامهما اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان
محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما عزاه لابن النجار في تاريخ
المدينه عن كعب الاحبار والقرطبي في التذكره وابن ابي الدنيا عن كعب انه دخل على عايشه رضي الله عنها فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملايكه حتى يحفون بالقبر
يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك
يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار

حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول
للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمينه على ابي بكر وشماله على عمر
وقال هكذا نبعث يوم القيمة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول عنه انا
اول من تنشق عنه الارض فاكسى وفي رواية كعب حلة خضرا وفي البخاري من حديث ابن عباس عنه صلى الله
عليه وسلم يحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلائق يكسى يوم القيمة
ابرهيم واخرجه البيهقي وزاد واول من يكسى ابرهيم حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين
العرش ثم يؤتى بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش
ولا يلزم من تخصيص ابرهيم عليه السلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم
على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يومئذ
حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابرهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق
واجاب الحليمي بانه يكسى ابرهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما الصلوة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة
نبينا اعلى واكمل فتجبر نفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه ابن حبان
انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند الحرث بن ابي اسامة واحمد بن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم
ويتزاورون في اكفانهم ويجمع بينه وبين ما في البخاري بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا او يحشرون
كلهم عراة ثم يكسى الانبيا واول من يكسى ابرهيم عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا
فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابرهيم وحمل بعضهم حديث ابي
سعيد على الشهدا فيكون ابو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم واما ما رواه الطبري في الرياض النضرة
وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت
يا علي انه اول من يدعى به يوم القيمة بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضرا من حلل الجنة الا
وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيمة ثم ابشر اول من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو لواء فيدفع
الحمد تسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيمة وطوله مسيرة
الف سنة وستمائة سنة سنانه ياقوتة حمرا قبضته فضة بيضا زجه درة خضرا له ثلث ذوايب من نور
ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله
الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة
وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابرهيم
في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع في الخصائص
بلفظ قال سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة كذا
الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب ابن الهائم انه موضوع بين الوضع قال والله
اعلم بحقيقة لوا الحمد وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث
واللوا الراية ولا يمسكها في العرف الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه ويكون تابعة

له

له ومتحركة بحركته تميل معه حيث ما مال الا انه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي استعمال
العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكا لها
اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل احد بل مثل علي رضي الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله واما اضافة اللوا الى الحمد الذي هو الثنا على الله بما هو اهله لان
ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلث طرايق راغبين وراهبين
واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث
قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا رواه البخاري وقد مال
الحليمي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور
بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون
حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم تفترق حالهم من ثم الى الموقف
كما في حديث ابي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس
الذي امشاه على رجليه قادرا ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اخرجه الشيخان وفي حديث ابي ذر عند النسا
مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم
وفوجا يمشون ويسعون وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا
كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان وفي حديث عقبة ابن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس
من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف الساق ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز
ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على
راسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنو الشمس يوم القيمة
من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق وهذا ظاهر في انهم يستوون
في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السما وقد قال الله تعالى
يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب والالف واللام في السما للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما
طريق الجمع فالجواب يجوز ان تقام بنفسها دانية من الناس في الحشر ليقوى هوله وكربه عافانا الله من
كل مكروه وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى على انه
مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبيا والشهدا ومن شا الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكباير ثم
من بعدهم واخرج ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب
العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون على المومنين كتدلي الشمس الى ان تغرب
واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي في البعث عن ابي هريرة يحشر الناس قياما
اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفي البخاري من حديث ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق
حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم
الى السما لا يكلمهم والشمس على رءوسهم حتى يلجم العرق كل بر وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف
الوقوف على المومن حتى يكون كصلاة مكتوبة وسنده حسن وللطبراني من حديث ابن عمر ويكون ذلك اليوم

البيهقي
اقصر على المؤمن من ساعة من نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه
في البعث بسند حسن عنه قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق قيل له فاين المؤمنون
قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي موسى قال الشمس فوق رؤس الناس يوم
القيمة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك في الزهد وابن ابي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان
قال تعطى الشمس يوم القيمة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الراس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون
حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا (ظ يغرق)
ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون
في ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيمة حتى يقول
يا رب ارحني ولو الى النار وهو كالصريح في ان ذلك كله في الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظم الهول
فيها وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدنى الشمس من الرؤس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الارض
وماذا يرونه من العرق مع ان كل احد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم
فيه ان هذا مما يحير العقول ويدل على عظم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة وان ليس للعقل فيه مجال
ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يؤخذ بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام (الحوض)
والاشتياق والالتزاق واجتماع الانس والجان ومن يحشر معهم من سائر اصناف الحيوان واضغاطهم وتدافعهم
واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزداد من حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش رب العالمين منه
مع ما انضاف الى ذلك من حرارة انفاس الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب والاهوال
ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء ثم اعز موجود واعظم مفقود فلا
منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لعطشهم
سواه ولا تبرد اكبادهم الا به فالشربة منه كما ورد تروي الظما وتشفي من الصدا وتذهب بكل داء فلا يظما شاربها
ولا يسقم بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه
لم يرو ابدا زاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي
وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي
مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظما ابدا قال
القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى العكس
والصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم حوضان احدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا
وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد
منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد
المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد ان يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال
الا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر مما رواه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من
الجنة وهو حجة على القرطبي لانه لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول
الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب
الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظما (شربة)
بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن
ظاهر
يحتمل

يحتمل ان من قدر عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيمة فقال انا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على
الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند
الحوض فاني لا اخطئ هذه الثلاث مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي حديث ابن مسعود عند احمد
ثم اوتى بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال
ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض وقد تبين في حديث عمرو بن العاص عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد في
رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف الاخبار
في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول وفي حديث ابي سعيد وعند ابن ماجه رفعه ان لي حوضا ما بين
الكعبة وبيت المقدس وفي حديث ابي برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعاء
مسيرة شهر عرضه كطوله وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعاء والمدينة وفي حديث عتبة بن عبد السلمي
عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعاء الى بصرى وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة
وتخفيف الميم وقال ابن الاثير في النهاية وفي حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان وهي بفتح العين وتشديد الميم
مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافات كلها
متقاربة وظن بعضهم ان في ذلك اضطرابا في ذلك وليس كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة
القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة
اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل
على اطولها مسافة فان قلت هل لكل نبي من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا
فالجواب انه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق
به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة
الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في
الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة كما صح نقله واشتهرت
ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجمع على اثباته السلف
واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار الى انه اختلف في وصله
وارساله وان الموصل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ج ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجو
ان اكون اكثرهم تبعا واخرجه الطبراني من وجه اخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين واخرج ابن ابي الدنيا
من حديث ابي سعيد رفعه وكل نبي يدعو امته ولكل نبي حوض فمنهم من ياتيه الفئام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم
من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان ومنهم من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبياء تبعا يوم القيمة وفي اسانيده لين
ان ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان
عليه في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة رفعه قال ترد علي
الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون
علي غرا محجلين من آثار الوضوء قال والحكمة في الذود للمذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه
كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه السلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا

عليهم بالماء ويحتمل ان يكون بطوده من الاستسقى من الحوض الشرب والله اعلم وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
قال الحوض اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمن ذي النورين
والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمن لا يسقيه
علي رواه ابو سعيد في شرف النبوة والغيلانيات **واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة عند المقام** فقد قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان
لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شي
ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون
على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام
ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام
المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام لا يجوز ان
يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان
على سعيه في التخليص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به اليها لان احتياج الانسان
في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من لفظ الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب اهل
السنة ولما ثبت من لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في
البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه
ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا وجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الوجه
المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم
القيمة فاقمه مقاما محمودا او ضمن معنى انه مفعول به وضمن معنى يبعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال
ابعثه ذا مقام قال الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما يكل اللسان وقول النووي ان الرواية ثبتت
بالتنكير وانه كانه حكاية للفظ القران متعقب بانه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وقال
ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني قال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني
وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد
اقدام الناس على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعا فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال
انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ
الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه
الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه السلام على العرش وقيل على الكرسي وروي عن ابن مسعود انه قال
يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدي وهو قول

رذل

رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس
يقال بعث البارك والقاعد ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير
الضد بالضد وهو فاسد والثاني يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم
لكان محدودا امثاهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا
ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه
انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه
الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على العرش كما اخبر جل وعلا عن نفسه
المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن
صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك
ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان
وقال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا
من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش
عن ابي داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عند ابي
الشيخ قال ان محمدا يوم القيمة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل ان تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى
ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل ان يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس
هو المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة واختلف في فاعل
الحمد في قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد به اهل الموقف وقيل النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة ذلك المقام
بتهجده في الليل والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على اعم
من ذلك اي مقاما يحمد القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن
هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد
بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان
النوع الاول العامة في فصل القضاء والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها
الى الشفاعة العظمى فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات
للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد انكر بعض
المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله
تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الايات في الكفار قال القاضي عياض مذهب اهل
السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فسر بها عند الاكثرين كما قدمناه وقد جاءت
الاثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما يلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل رواه الطبراني في الاوسط والامام احمد
وفي حديث ابي هريرة عند مسلم واحمد لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة وفي رواية انس
فجعلت دعوتي شفاعة لامتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في اهم اوقات حاجاتنا
فجزاه الله عنا افضل الجزاء وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا

يحصل فهمها لسانه قلبه. رواه وعن ابي زرعة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة
هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغكم الا
تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا
الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وانه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم
فياتون ابرهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا عند ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلث كذبات فذكرها
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالاته
وبكلامه على الناس الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون
عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع
لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
الانبيا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق فاتي تحت العرش فاقع
ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري
وقد استشكل قولهم لنوح انت اول الرسل الى اهل الارض فان آدم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل
الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض او ان الثلاثة
كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا والى هذا جنح ابن بطال في حق آدم وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر
فانه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة
آدم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح كانت رسالته الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر
الغزالي في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف آدم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي الى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على اصل ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول
لها فلا يغتر بشي منها ووقع في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذاك انما كنت خليلا من وراء وراء
بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز فيها البنا على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش
يقال لقيته من وراء بالضم وقال: اذا انا لم اومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء
ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب
وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة

لانبينا

الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو
من وراء محمد وسبق مزيد لذلك في الخصائص واما ما ذكر من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها كانت
من معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان
من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس
عند احمد والنساي اني اتخذت الها من دون الله وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال اني لقايم انتظر امتي عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبيا قد جاءتك يسالون لتدعو الله ان يفرق
جمع الامم الى حيث شا لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان
هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي
يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبيا يسالونه في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة ياتون
محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تاخر وجيت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه
فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوش الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله
عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة
واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام وفي حديث ابي بن كعب عند ابي يعلى فامدحه بمدحة يرضى
بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني وفي حديث ابي بكر فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال
يا محمد ارفع راسك وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى
يقول لي على لسان جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في كل مكان
ما يليق به فانه وقع في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي
فاحمده بتحميد يعلمني وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن
الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثم اشفع
فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين لي في كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا
اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب
والذي يدل عليه سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطان
عن سعيد بن ابي عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول يا رب امتي امتي فيقول اخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة
وفي حديث سلمان فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم من شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود
وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض قيل يعني اليقين
واما قوله في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيا على غير اصله
وذلك في اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك
انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة
في الاخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة
فياتون محمدا فيقوم ويؤذن له في الشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا الى ان قال
في نجاة الصراط قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس اليه فيها هي الاراحة من كرب
الموقف ثم تجي الشفاعة في الاخراج والمعنى في قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعايتهما
حتى يوقفان للامين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث ابي هريرة

الخائن

بعد تكرر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد
وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف
وبهذا يجتمع متون الاحاديث وتترتب معانيها انتهى فظهر انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع ليقضى بين الخلق
وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف تقع في هذا الموطن
ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود
عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطوا في النار ايضا ويمر
المؤمنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف من نجا عند القنطرة للمقاصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد المؤمنون
قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية ادخال قوم الجنة
بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج من ادخل النار من
العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث
ابي هريرة وغيره المتقدم وحديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيمة فيقولون لو استشفعنا الى
ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون آدم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك حتى يريحنا فيقولون
فاشفع لنا الى ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا وذكر باقي الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فياتوني
فاستاذن على ربي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل يسمع واشفع
تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها
ما في آخر حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد
ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون الف الذين يدخلون الفا
الجنة بلا حساب لا ترفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براءات مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله
هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام واما
الثالثة وهي ادخال قوم حوسبوا ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم سلم واما الرابعة وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة فقد تقدم دلايلها كثيرة وقد روى البخاري عن عمران
ابن الحصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي في
رفع الدرجات فقال النووي في الروضة انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا والله اعلم
وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب
لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل
نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله فوجدته
عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم
سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت احد على لاوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا
يوم القيمة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبانه لو عد مثل ذلك لعد
حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل
الطائف رواه البزار وزاد القرطبي انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه وزاد في فتح
الباري اخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل
الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم اصحاب الاعراف

وارج

وارجح الاقوال في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة اخرى وهي شفاعته فيمن
قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن انس فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال
ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فلو رد على الخمسة اربعة
وما عداها لا يرد كما لا يرد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى
فان قلت فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة الجمع كله وهي المقام
المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات فان ظاهره انه يشاركهم فيها بقية الامم فالجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة
العظمى التي للاراحة من هول الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكن هم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا
كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يا رب امتي امتي فشفع فيها فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك
ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة بهذه الامة فان الحديث
الوارد فيها يدخل من امتي الجنة سبعون الفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم فيها او في بعضها لانبيائهم فان يكون عليه السلام
اخر دعوته شفاعة لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل يشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان تكون الشفاعة لغيرهم تبعا
كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله اعلم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان اشفع
يوم القيمة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن
آخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون رواه ابن ماجه وفي حديث
ابن عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد الله ان يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته فاقوم
وتتبعني امتي غرا محجلين من اثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون واول من
يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وقد جاء ان اول ما يقضى
بين الناس في الدماء رواه البخاري وللنسائي مرفوعا اول ما يحاسب عليه العبد الصلاة واول ما يقضى بين الناس
في الدماء وفي البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال انا اول من يجثو يوم القيمة بين يدي الرحمن للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال ابو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا
الاية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسال عن اربع عن عمره
فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وفي البخاري من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب
وروى البزار عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن ادم يوم القيمة ثلاثة دواوين ديوان
فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لاصغر نعمه احسبه قال في ديوان
النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم
وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد الله ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت
عن سيئاتك احسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الامام احمد باسناد حسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيمة حتى الشاتان فيما انتطحتا وعن انس بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان
من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله كيف تصنع باخيك ولم يبق من حسناته
شيء قال يا رب فليحمل من اوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم

يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك وانظر فقال يا رب ارى مدائن من ذهب
وفضة مكللة باللؤلؤ لاى نبي هذا او لاى صديق هذا او لاى شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن
يملك ذلك قال انت تملكه قال عماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى
فخذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن انس عنه
وقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد قيل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة
حتى يرضى خصمه وقيل يوخذ بدانق سبع مائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضا الحساب
يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزا فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار
مقاديرها ليكون الجزا بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع
فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها
بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طايفة
الى انه ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد في الاية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع الميزان
والذي جاء في اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يوتى بالميزان فينصب بين يدي
الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واختلف ايضا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهي وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم
القيمة فتوزن وقيل الموزون صحايف الاعمال ويدل عليه حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذي من
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه
تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فلا يثقل
مع اسم الله شي فان قلت ان شان الميزان ان يوضع في كفته شي وفي الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة
والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان في كفة
والكفر في اخرى اجاب الترمذي الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة
المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل له قوله عليه السلام بلى ان لك عندنا حسنة
ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه السلام عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات
خرجه البيهقي وغيره ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه في الدنيا كما في
حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي التحبير
للقشيري قيل لبعضهم في المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت
صرة في كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم وفي الخبر اذا
خفت حسنات المومن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها
حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن
وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك علي وقد وفيتك لها احوج

ماتكون

ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي انه يوتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة يرجح بها
ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى رحمة اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة
ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا يقول له انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل
لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيا خذها هبة فينطلق بها فرحا
مسرورا فيقول الله ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت قال فينادي الله تعالى
بصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول الله تعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة
وكذا يستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتي الملك
بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيومر به الى
النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاي شي
تطلب الرد الي فيقول الهي اني سائر الى النار وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار مثلي فضعف علي عذابه وانقذه
منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة
وتقدم في حديث حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام وهو الذي يزن الاعمال يوم القيمة
رواه ابن جرير في تفسيره واختلف ايضا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم الراجح ان الموزون في الاخرة
يصعد عكس ما في الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية قال الزركشي وهو
غريب مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها ام
خواتيمها حكي عن وهب بن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه السلام انما الاعمال
بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه حاجة
كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة لن يجوز
احد الصراط حتى يسال في سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وهو شهادة ان لا اله الا
الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسال على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في
القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسال في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز
ثم يسال في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسال عن الغسل والوضوء
فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسال عن ظلامات الناس
الصراط وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول
من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل
شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله
ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قائم
على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال
وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة باخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار وهذه
الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على
جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قاله ابن العربي وتحصلنا من قوله فمخدوش الى اخره ان الناجين على
الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدوش وهالك من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفي حديث
المغيرة عند الترمذي شعار المومنين على الصراط رب سلم سلم ولا يبعد من كون هذا الكلام شعار

المؤمنين ان ينطقوا به بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فيسمى ذلك شعارا لهم وفي حديث
ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث
وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل
حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل ه
وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم
يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى مسلم قال ابو سعيد بلغني
ان الصراط احد من السيف وادق من الشعرة ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف
وبجنبتيه كلاليب انه ليؤخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا
الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم رب سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشرة الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى ادق من الشعر
واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر في ترجمته ه
قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعر
على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد ذهب بعضهم
الى ان المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول وعن ابي سمية قال
اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت
جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت له انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا
يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما
كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين
رواه احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون على الصراط
كثير واكثر من يزل عنه النساء قال واذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش ه
يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد
حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم
بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد نادوا وامحمداه فيبادر
عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته رب
امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب
سلم سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم
بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي
المختار ذكره ابن الجوزي في كتاب روضة المشتاق وتقدم في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال
من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفي حديث من بنى المسجد بنيته حياه الله بالروح
والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة

وفي رواية بن منده من هذا الوجه قال سعيد بن هلال بلغني ووصله البيهقي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم مجزوما به وفي سنده ...

ب الورود

صمتا

نهيتم

جمع الله الانبيا نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم وينادى ابن احمد وامته فيقوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدايه فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا وينجو النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على
الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام
على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدايهم فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا الحديث واعلم ان في الاخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من يدخل الجنة
بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط اخر لهم ولا يرجع الى
النار احد من هولاء ان شاء الله لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من
حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن
لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا ه
واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث
المختار بن فلفل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا
اول من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة ه
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني وزاد فيه
قال فيقوم الخازن ويقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة
فيه اظهار لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك
عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهيل بن ابي صالح عن زياد
النميري عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة الجنة ولا فخر رواه
وهو في مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلث فزعات فياتون ادم
فذكر الحديث الى ان قال فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم آخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون
مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثنا والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن
وفي حديث سلمان عند فياخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال من
هذا فيقول محمد فيفتح وفي حديث الصور ان المومنين اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم
في الدخول فيقصدون ادم ثم نوحا ثم ابرهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات
عند استشفاعهم الى الله عز وجل في فصل القضا ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبيا
البشر كلهم في المواطن كلها وروى ابو هريرة مرفوعا ان اول من يفتح له باب الجنة انا الا ان امراة تبادرني
فاقول لها ما لك ومن انت فتقول انا امراة قعدت على ايتامي رواه ابو يعلى ورواته لا باس بهم وقال
المنذري اسناده حسن ان شا الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او تدخل في اثري ويشهد له حديث
انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد

ب دخول الجنة واحوالها

بضم الجيم وسكون الدال وفتح العين ...

ايتامي ظ

٢

قال ابن بطال حض على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة
في الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله
ووجه التشبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا
لهم ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن ادبه وعن ابن
عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من موسى
كلمه تكليما وقال اخر فعيسى روح الله وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا
فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر رواه
الترمذي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة
يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم اللؤلؤ المكنون رواه الترمذي والدارمي
واللفظ له وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيمة ونحن اول
من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون الاولون يوم القيمة نحن اول
الناس دخولا الجنة رواه فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى
اعلى مكان في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضا واسبقهم الى الجواز على الصراط واسبقهم
الى دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة روى عبد الله بن الامام احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الاية
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا
اهل الجنة قال الطبري تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز بن حكيم رفعه اهل الجنة
عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني هو
غريب عن الزهري فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط
الا سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم
انما هو لانه كان يدعو الى الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم
دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم
واظهار لشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة
الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال صلى
الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل من امتي فقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بالاختصاص

بدخول الجنة

يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب
انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم
قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم ان في حديث ابي هريرة
عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان
من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من
حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي وهذا يدل
على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلثة عشر بابا كما فان قلت اي الجنان يسكنها
النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم وفقني الله واياك للتمتع بذاته العلية في الحضرة الفردوسية ان الله
قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان
والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار من الملايكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم
وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينزل الله تعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر
فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون
معه فيها احد الا الانبيا والشهدا والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة
من الليل فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سائل يسالني فاعطيه الا داع يدعوني فاستجيب له حتى
يطلع الفجر وفي حديث عند الله اي جنة عدن ومنازل المرسلين منها واعلى منازله فوق
منازلهم وروى ابو الشيخ عن شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات
فيقول ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها
بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتنا وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتميزه بذلك
عن غيره وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلثة اشيا
بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر
ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله
اربعة اشيا بيده العرش والقلم وعدنا وادم عليه السلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعن ابن الضاعف
ميسرة قال ان الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده
فجنة عدن اعلى الجنان وهي سيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي يقع فيه الروية وعليها ثمانية
اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن جنة الفردوس واصله البستان وهي اوسط الجنان
التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة الماوى وهي التي ياوي اليها جبريل
والملايكة وعن مقاتل ياوي اليها ارواح الشهدا ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار
المقامة ولتعلم ان للجنة اسما عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه
ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الدور وما اشتملت عليه من انواع
النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله
بالاشجار والجنات كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر وكانت قالت يا رسول الله

ابواب الجنان ١٣

واحدة

الأحاديث عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه فقال
حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه أربع وقال عليه السلام جنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري
وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال
الذين لم يبلغوا الحلم ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة
ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها
والجنة الثالثة جنة الأعمال التي ينزل فيها الناس بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل
كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أن فضله في هذا المقام هذه
الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما يقتضي أحوالهم
قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني إلى الجنة الحديث فعلم أنها كانت جنة مخصوصة فما من
فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص ينال من دخلها وقد
يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالا من العبادات فيوجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة
فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين أن نيل المنازل والدرجات في الجنات بالأعمال وأما الدخول
فلا يكون إلا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لن يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته
أي يلبسنيها ويسترني بها مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الإمام أحمد بإسناد حسن من
حديث أبي سعيد الخدري لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن
يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق رأسه وبقي أن الجنة إنما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلا
بدخولها وإن كان سببا ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها
بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال في قوله لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا تنافي
بين الأمرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله
واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ويدل عليه حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل
أعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال يحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال فإن درجات الجنة
متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ويحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم أورد على هذا الجواب قوله
تعالى سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال وأجاب بأنه لفظ مجمل
بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك أصل الدخول
ثم قال ويجوز أن يكون الحديث مفسرا للآية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم
وتفضله عليكم لأن اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا أصل دخول الجنة برحمته حيث ألهم العاملين
ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل الله عليهم ابتداء بإيجادهم
ثم برزقهم ثم بتعليمهم وأشار إلى نحوه القاضي عياض فقال وإن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته
للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما هو بفضل الله وبرحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في
الآية والحديث لأن الباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم
يكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر نحو

استثنيت

استثنيت منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة
لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي
يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر
على تلك النعمة بقية لم يقم بها فلذلك لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم
لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم كما في حديث أبي بن كعب عند أبي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب
مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بأن القيام بالعبادة ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سببا
لسعادته في معاش ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين بأن النار ليست سببا للإحراق ولا الماء سببا للإرواء والتبرد
والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القائلين بأن العبادة شرعت أثمانا لما يناله العباد
من الثواب والنعيم وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجرته محتجين بأن الله تعالى جعلها عوضا كما في قوله
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه السلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفيكم إياها وهاتان الطائفتان متقابلتان أشد التقابل وبينهما أعظم التباين فالجبرية لم تجعل
للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة والقدرية جعلت ذلك كله بمحض الأعمال وثمنا لها والطائفتان جائرتان
منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو أن الأعمال
أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وأن الأعمال
الصالحة من توفيق الله ومنته وصدقته على عبده أن أعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه إرادتها والقدرة
عليها وحببها إليه وزينها في قلبه وكره إليه أضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها أن تكون
شكرا له تعالى إن قبلها سبحانه ولهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية القائلين بأن الجزاء
بمحض الأعمال وثمنا لها وأثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للعمل ارتباطا
بالجزاء فتبين أنه لا تنافي بينهما إذ توارد النفي والإثبات ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال
وكون الأعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول بسببها ردا على الجبرية والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل
لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى وإنما يحصل برحمة
الله لمن يقبل منه وعلى هذا في قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون أي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر هذا أن
تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية قال ثم رأيت النووي جزم
بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية
للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل
بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى وروى الدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم الرجل أنا لشرار أمتي فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار
أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة **وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر**
وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي بها هذا النهر الجليل لكثرة آنيته ومائه وعظم قدره وخيره فقد نقل
المفسرون في تفسير الكوثر أقوالا تزيد على العشرة ذكرت كثيرا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب وأولاها
قول ابن عباس إنه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه

فقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس
واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه
متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال
إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث وفي البخاري من حديث قتادة عن أنس قال لما عرج بالنبي صلى الله
عليه وسلم إلى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
ورواه ابن جرير عن شريك بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
مضى به جبريل فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك قال يا جبريل
ما هذا النهر قال هو الكوثر خبأه لك ربك ورواه أحمد عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال
نهر في الجنة أعطانيه ربي هو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وعن أبي عبيدة عن عائشة قال سألتها
عن قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر قالت نهر أعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم رواه
البخاري وقوله شاطئاه أي حافتاه وقوله در مجوف أي القباب التي على جوانبه ورواه النسائي بلفظ
قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت
ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط
بفتح المهملة المراد به أعلاها أي أرفعها قدرا والمراد أعلاها وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل
رواه أحمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وروي عن ابن عباس في قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر
قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها
كأعناق البخت أو أعناق الجزر قال عمر إنها لناعمة شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خلق الله به
بليته قبل الأنبياء رواه ابن أبي الدنيا موقوفا وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر
قال نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق البخت أو أعناق
الجزر قال عمر إنها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها رواه الترمذي وقال حسن
والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير وقد تواتر حديث الكوثر من طريق
يفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض قال وهكذا روي عن أنس وأبو العالية وغير
واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة
من وسل إليه إذا تقرب يقال توسلت أي تقربت وتطلق على المنزلة العلية كما وقع في هذا الحديث فإنها
منزلة في الجنة على أنه يمكن ردها إلى الأول فإن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي

يتوسل

يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له
خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنة وأمر صلى الله
عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الإيمان وأيضا فإن الله تعالى قدرها
له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يديه من الهدى والإيمان وأما الفضيلة فهي المرتبة
الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرا للوسيلة وعن أبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه
في المسند وذكر ابن أبي الدنيا وقال درجة في الجنة ليس في الجنة أعلا منها فسلوا الله أن يؤتينيها على رؤوس
الخلائق وروى ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سألتم الله فاسألوا لي الوسيلة
قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين ابن
كثير إنه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن أبي حاتم من حديث علي أيضا أنه قال على منبر الكوفة
أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء والأخرى صفراء فأما الصفراء فإنها إلى بطنان العرش
والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها
وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصفراء فيها مثل ذلك
هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته وهو أثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير أيضا وعن ابن عباس في قوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال أعطاه الله تعالى في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي من الأزواج
والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف فهو في حكم المرفوع

خاتمة عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنك لأحب
إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى
آتيك فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإذا دخلت
الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله رواه أبو نعيم وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي لا أعلم بإسناد هذا الحديث
بأسا كذا نقله في حادي الأرواح وذكر البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت يعني الآية في ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد
تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما
بي وجع ولا مرض غير أني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك
لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه
الآية وكذا ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال إن الرجل هو عبد الله بن زيد الأنصاري الذي رأى الأذان
وليس المراد أن يكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لأن هذا
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر
وإن بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو
المراد من هذه المعية وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما أعددت
لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم

فما فرحنا بشيء فرحنا

انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي
اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني بسنده عن رب العزة تعالى قال فما تقرب الي
عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث
البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة فلله درها
من كرامة ما اعلاها ونعمة على المحبين ما اسبغها فالمحب يرقى في درجات الجنان على اهل المقامات بحيث
ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في افق السماوات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه
فان المرء مع من احب ولكل عمل جزا وجزا المحبة المحبة والوصول والقرب من المحبوب رويت امراة
مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا
بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب وان طوبى اسم شجرة في الجنة
غرسها الله تعالى بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وان اصلها في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن فما من جنة من الجنات الا وفيها من
شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم ملاء
له فالولي يتنعم في جنته الا بالرسول فتنعم بنعيمها لان الولي ما وصل اليها وصل اليه من النعيم
الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة آتيا في نعمه وكذلك ابليس ملاء النار
فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك له فيه وفي البحر لابي حيان عند
تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفجر الى دور الانبيا والمرسلين واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكملها التمتع بالنظر الى وجه الرب
تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان
التي هي اكبر من الجنان وما فيها كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر
ببال او يدور في خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي
هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة عين واي فوز يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها
وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شيء والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا احلى ولا احلا
ولا اعلا ولا اغلا من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم
الاله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد واسمه الجميل اللطيف فيتفهق عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون
من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك الجمال الاقدس بحضرة الرسول الانفس ويقول لهم الحق جل جلاله
سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهل ودادي انتم المؤمنون الآمنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
انتم اوليائي وجيراني واحبابي انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتكموها وجنتي قد ابحتكموها
وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي
حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضى عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي
فانظروا اليه وابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم
فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما دعوتكم الا لتتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط
عليكم ابدا فما احلاها من كلمة وما الذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن

واحلنا

واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور
وهذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل
عليه الحديث الصحيح انهم يلهمون ذلك كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ياكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذلك جشاء
ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الانفاس
ليس عن تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه ان تنفس الانسان لا بد له منه ولا
كلفة ولا مشقة في فعله وكذلك يكون ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد
تنورت بمعرفته وابصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت افئدتهم بمحبته ومخالته
فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين وقال تعالى دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال كاتبه وجامعه



احمد بن الخطيب القسطلاني احمد الله تعالى عواقبه وبلغه من خيري الدارين مآربه فهذا آخر ما جرى
به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر
لقليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من
مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت
المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب
وعلى تفنن واصفيه بحسنه ∘ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف ∘ والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا
لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعي التعظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحياة وبعد
الممات سائلا من وقف عليه من فاضل انار الله بصيرته وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح ما فيه من
عثاري وزللي ويسد بسداد فضله خطاي وخللي فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا
عن مثلي مع قصر باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة وما ابتلي به من شغل
الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمله من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع او ثهلان لخشع
وتصدع لكنني اختلست غفلة الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من ايدي العوائق والليالي بعين
السارق واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري



حامدا لله تعالى على ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم مصليا ومسلما على رسوله محمد اشرف انبيائه
وافضل مبلغ لانبائه وعلى آله واصحابه واحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى امدها
وقد فرغت من تبييضه في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة ومن تسويده
في ثاني شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وكان الفراغ من نساخة هذه المواهب اللدنية بحمد الله
تعالى وعونه وحسن توفيقه ومنه في شهر ربيع الثاني على عشرين مضت منه عام اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد افقر عباد الله تعالى واحوجهم الى رحمة ربه المعترف بذنبه
حسن بن محمد الشابوري اليمني نزيل الحرم الشريف المكي حامدا مصليا مسلما والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه الى يوم الدين